نعوم تشومسكي

تواريخ الانشقاق

حوارات أجراها معه:

ديفيد بارساميان

ترجمة: محمد نجار



نعوم تشومسكي

تواريخ الانشقاق

حـوارات أجـراهـــا معــه:

ديڤيد بارساميان

ترجمة : محمد نجار



الأهلية

الأهليــة للنشــر والتــوزيع
المملكة الأردنية الهاشمية - عمــان / وسط البلد
خلف مطعم القدس ؛ ص . ب ٧٧٧٢
هاتف ٦٣٨٦٨٨ - فاكـس ٦٥٧٤٤٥

منشورات الأهلية لعام ١٩٩٧
نعــوم تشومــسكي / تواريخ الانشــقاق
الطبعة العربية الأولى
حقوق النشر محفوظة للناشر ©

تصميم الغلاف [illegible] ®
التنضيـد : مؤسســة ياقوت للخدمات المطبعية

طبــع في لبنــان
على مطابع شركة الطبع والنشر اللبنانية

المحتـــوى

الصفحة

تقـــديم

البحث عن الحقيقة

ذهب تشومسكي الى طبيب الأسنان، الذي قام بدوره بفحص وتدقيق أسنانه، فلاحظ أن المريض كان يصرّ على أسنانه. وبعد استعلامه من السيدة تشومسكي عن سبب ذلك، كشفت للطبيب بأن الصرّ على الأسنان لا يتم أثناء ساعات نوم تشومسكي. فمتى يحدث ذلك إذن؟ وأخيراً توصلا الى ان ذلك يحدث كل صباح، عندما كان تشومسكي يقرأ صحيفة «نيويورك تايمز» فيصك على فكيه لاشعورياً عند كل صفحة يطالعها. فسألت تشومسكي لماذا يحدث ذلك، مع تقديم دليل وخبرة طويلة، من ان الصحافة المشتركة، وبشكل خاص صحيفة «نيويورك تايمز»، لا تنحرف عن الحقيقة. فلا بد ان الأمر اختلف حتى جعل تشومسكي يفعل ذلك. وتنهد تشومسكي، وعزم على عدم الاستمرار في قراءة الصحيفة لكي لا يرتج في كل صباح من جراء الغضب والانفعال لانحراف الصحيفة عن الحقيقة.

ويعرف تشومسكي مكان الجرح او الخلل، فهو لم يتصور انه في يوم من الأيام سيكتب مقالة نقدية تنتج عنها ردة فعل قوية، مما يدفع صاحب «النيويورك تايمز» بأن يدرك فجأة مدى خطأ التعليمات والأوامر التي كان يصدرها لموظفيه في الصحيفة فيما يتعلق بحقيقة الأخبار. بيد انه يؤمن ايضاً في قوة العقل، للاستدلال على الحقيقة بعناية. فهنا يكمن سبب الصرّ على الأسنان. «لا أعرف لماذا يستمرون في نفاقهم»، قال لي ذلك على الهاتف في يوم آخر، وهو يتحدث بنوع من الاستغراب العنيف، عندما كنا نناقش بحنق مسألة «التطهير العرقي» في البوسنة، والذي اثار ايضاً أصوات يهود اميركيين، من الذين قضوا حياتهم وهم يكتمون بهدوء مسألة التطهير العرقي الذي بدأ في اسرائيل في عام ١٩٤٨.

ويشعر تشومسكي بظل، وقسوة ونفاقات السلطة بشكل اكثر من أي واحد آخر أعرفه. إنها حالة من الحيطة المستمرة. فغالباً، وبعدما الاحظ قصة ما في الصحيفة

تكون ملفقة بالزيف، فإنني بعد اسبوع او اسبوعين أجد في صندوق بريدي صورة عن نفس القصة مرسلة من تشومسكي، وبهامشها ملاحظات وعبارات غاضبة.

ويعلق القراء أحياناً على بعض مقالاتي ويصفونها بأنها غريبة وشائنة وكأنها مخصصة لصحيفة أجنبية، ويسألونني عن سبب ذلك. فهم يتصورون بأنني أساهم في صحف يومية أخرى، مثل «الجيروزالم بوست» أو «انكوريج تايمز». ويبدو هذا وكأنه وهم على الأغلب. فالقراء يرسلون أشياء تجلب انتباههم فقط. أما الصيد الأسبوعي الثمين الذي يرسل فهو من قبل تشومسكي.

إن الوقت الذي قضيته في منزل نعوم وكارول تشومسكي في ليكسينغتون، وشاهدته يعمل بجد حول كمية ضخمة من الصحف، والمجلات الأسبوعية والشهرية، في حين كانت زوجته كارول تقوم بنفس العمل في زاوية أخرى من الغرفة. اضافة لذلك، فهناك الكم الهائل من المراسلات - فقد ابلغني تشومسكي في إحدى المرات، بأنه يقضي عشرين ساعة في الأسبوع ليجيب عن الرسائل - اضافة للمحادثات الهاتفية، ومقابلات الزوار في مكتبه. فإن اول واجب للمفكر هو معرفة ما يجري ويحدث وهذا عمل صعب جداً بحد ذاته.

وكتب فريد غاردنر حول زيارة قام بها تشومسكي لمنطقة في ربيع عام ١٩٩١، بأنه لاحظ «أنه من الصحيح أن تشومسكي عنده فهم جيد للتاريخ والسياسة المعاصرة، بحيث يتناول الموضوع بشجاعة فائقة... بيد أنه ليس لديه أية مصادر ذاتية، فلا يوجد هناك شيء فيما يعمله او كيف يعمله ذلك أنها فوق مقدرة أي بروفيسور راديكالي. فيجب أن يكون هناك تشومسكي أو اثنين في كل حرم جامعة. فالحقيقة بأنها أرض قاحلة ما بين جامعتي كامبرْيدج وبريكلي - وهناك افتقار أو افلاس لجامعاتنا من الناحية الفكرية. وهذا صحيح بغايته. فمعظم الوقت الذي لا تحتاجه «المصادر الخاصة»، هو فحسب المقدرة والقدرة على الاحتمال للقراءة بشكل ذكي مهما تكن المادة في الحقل أو الميدان العام. (فمن إحدى الجهود الاكثر نجاحاً في جمع المعلومات في الحرب العالمية الثانية أنها كانت تدار من قبل ضابط استخبارات في الجيش، الذي كان لديه عدد وافر من الأشخاص من الذين يعرفون قراءة الصحف اليابانية والألمانية). وبدرجة

ما ـ فإنه نتيجة لشجار سياسي وتسرب معلومات وبالتالي ـ فإن صحيفة شيكاغو تريبيون نشرت بأن نتيجة المعركة البحرية في المحيط الهادي، كانت على ما يبدو بسبب فقدان مائة مفيدة من قبل اليابانيين.

إن هناك عدة جامعات في الحقيقة عبر امريكا لديها واحدة من الكليات الراديكالية او أكثر تقوم ببذل جهدها للبحث أو التنقيب عن الحقيقة وإخراجها للضوء. وملاحظة تشومسكي الأكثر تكراراً حول أحاديث لا تحصى عبر البلاد تتعلق بشكل دقيق بالوهم من أن هناك أرض مقفرة جرداء (اختلاف) ما بين جامعتي كامبريدج وبريكلي، كالبعد عن الحقيقة.

وما يقدمه تشومسكي فهو «صورة كبيرة» مترابطة، مدعومة بحقيقة تشتمل على مئات الصور الصغيرة ومسارح منفردة للصراع، والنضال والقمع. ويذهب الناس للتحدث مع تشومسكي لكي يؤكدوا لأنفسهم بأنهم لن يصابوا بالجنون، وبأنهم يكونون على حق عندما لا يصدقوا ما يقراوه في الصحف او ما يشاهدوه على أجهزة التلفزيون. ومن بين مئات الآلاف من الناس على مر السنين، ولا بد انه كان بينهم العديد من الطلاب الأميركيين ـ فإن تشومسكي قد قدم الثقة، والأساس الفكري والأخلاقي، من أن هناك وسيلة أخرى للنظر بواسطتها للأشياء. فهو يقف في هذا العمل الحيوي بنفس الطريقة أمام مستمعيه كما كان يفعل الفيلسوف الذي أعجب به بشكل كبير، وهو برتراند راسل.

وهناك وجهة نظر غير متعاطفة مع تشومسكي، من أنه قد همش من قبل الثقافة المهيمنة أو السائدة. ولغاية الوقت الراهن فإن هذا الرجل الذي اعتبر من أعظم المفكرين البارزين الأميركيين، والذي لم يشاهد أو يقابل شبكات التلفزيون الأميركية، كان عرضة للافتراء والتشهير والأذى في الصحافة (الأميركية) المشتركة.

إن مثل هذا الذم والتشويه هو متوقع تماماً. فمعظم أعمال تشومسكي تستلزم الذاكرة، لتذكر كل شيء حول الموضوع. فالمقالات مثل المقالة التي كرمت أ. ج. ميوست حيث يثير فيها تشومسكي مسألة السياسة الأميركية تجاه اليابان في عقد الثلاثينات، بالنسبة للنخبة الحاكمة، هي بالتأكيد خارجة عن التقييدات. ولقبولها فينبغي الاعتراف بحجم الملومات الغير قابلة للتسامح.

وقد حذر أحد الأعضاء البارزين لنخبة المفكرين البريطانيين، زميلاً له بأن لا يتورط في نزاع مع تشومسكي، ووصفه بأنه «معارض مزعج وقاس»، وقد عنى بذلك من أن تشومسكي لا يستسلم أبداً، ولا يتخلى عن موقفه مطلقاً، كما يتقن فن المناورة. وهذا بالتأكيد يبين لماذا يواجه بالأذى والضرر بأساليب غبية وصبيانية تنصب عليه. ويتهرب معارضوه من الحجة الحقيقية، فهم يخشون بأنهم سيخسرون، وبالتالي فإن هذا سيشكل لهم إهانة وتشويه.

ولكن فوق كل ذلك، فهل كان تشومسكي مهمش حقاً؟ اذ توجد هناك منذ زمن طويل محاولات عنيفة لإقصائه وإبعاده عن أي مسرح تقليدي للتداول أو النقاش الفكري، وخاصة فيما يتعلق بالمسائل الأكثر زخماً وأهمية في مناطق مختلفة من العالم، وخاصة الشرق الأوسط وأمريكا الوسطى وغيرها. بيد أن القول بأنه قد «همش» فهو قول سخيف، لا ينطبق مع وزنه الفعلي في الثقافة ككل.

وفي إحدى المرات صرخت جوان وبيجويسكي، رئيسة تحرير صحيفة «الأمة»، «ولكن انه أمر محزن جداً برمته»، عندما انتهى تشومسكي من تحليل له عن بعض اختراق مفترض لمحادثات السلام الفلسطينية ـ الاسرائيلية. فأجابها قائلاً: «إنه ليس من شأني بأن أجعلك تفرحين». ولقد سمعت اناساً ينددون، بعد سماعهم لحديث أدلى به تشومسكي، وهو نادراً ما يفعل ذلك. فأحد الأشخاص الذين قابلتهم، قال لي بأنه كتب للبروفيسور (تشومسكي) موبخاً إياه على مثل تلك اللامبالايات، وانه بعد ذلك تلقى رداً مكوناً من ثلاث صفحات تحتوي على عناصر استراتيجية ورؤيا ايجابية. فتشومسكي هو شخص واقعي وليس متشائم، وهو يؤمن بعمق في النزعات الحميدة للجنس البشري. وانه لن يكون فوضوياً بالاقتناع السياسي.

فتشومسكي، وعليّ أن اعترف، انه لا يظهر بوضوح الكثير من الاهتمام في نزعات وسلوك المملكة الطبيعية، باستثناء الجنس البشري. فقد وبخته في إحدى المرات لقوله بأن على المهاجرين التاهيتيين أن يشقوا طريقهم من خلال المياه المليئة بسمك القرش. فذكرته بأن سمك القرش يقتل سنوياً (٢٥) انساناً في انحاء العالم، في مقابل ان البشر يقتلون في كل سنة حوالي (٢٥) مليـــون سمكة قرش. فإنه نـوع من التناقض

بين الأسطورة والحقيقة يجب تشومسكي أن يعرضها على المستوى البشري. وذكرت له بعد وقت ليس ببعيد من انه كان يوجد لديّ جياداً في مزرعتي بشمال كاليفورنيا. فاستهجن ذلك، سائلاً بتهكم فيما إذا كنت ألعب البولو، ولذلك السبب اقتني هذه الجياد. وكان الشيء ذاته، عندما قلت له بأنه كان لدي قططاً).

إن أعظم منقبة لتشومسكي هي أن رسالته الأساسية بسيطة. وهنا مثال يوضح ذلك من خلال مقابلة أجريت معه حيث قال:

«إن أي شكل من أشكال السلطة يتطلب التبرير؛ وانه ليس مبرر ذاتياً. ولن التبرير يمكن ان يمنح بشكل نادر. فبعض الأحيان يمكنك ان تمنحه. فاعتقد انه بإمكانك ان تعطي حجة او ذريعة بانه يجب عليك ان لا تدع طفلاً عمره ثلاث سنوات يركض عبر الشارع. فذلك هو شكل السلطة التي تبرر او تكون قابلة للتبرير. إلا انه لا يوجد هناك الكثير منها، وغالباً ما يفشل الجهد الذي يمنح تبريراً. عندما نحاول مواجهته فإننا نجد بان السلطة غير شرعية. وفي اي وقت تجد فيه شكل السلطة غير شرعي، فإنه يجدر بك بان تتحداها. وتنشأ النزاعات بسبب حقوق الانسان والحريات، وتستمر للأبد. وتتغلب على امر ما ومن ثم تكتشف امراً آخر. ومن وجهة نظري بان ما ينبغي ان تكون عليه الحركة الشعبية هو التحرر بشكل رئيس: من اشكال القمع، السلطة والهيمنة، وبالتالي تحديها. فتكون في بعض الأحيان قابلة للتبرير تحت اوضاع معينة، وفي بعض الأحيان لا تكون كذلك. فإذا لم تكن كذلك، فحاول ان تتغلب عليها».

الكسندر كوكبورن

بترواليا - كاليفورنيا

اب ١٩٩٢

اللغة في خدمة الدعاية

كانون اول، ١٩٨٤

■ **ديفيد بارساميان (سؤال): ما هي العلاقة ما بين السياسة واللغة ؟**

تشومسكي (جواب): هنالك علاقة طفيفة، وهناك في الواقع عدة اختلافات متنوعة. واعتقد بأن هناك مبالغة في أهميتها. فهناك في المقام الأول التساؤل الذي بحث، على سبيل المثال، من قبل جورج أرويل وآخرين، هو كم هي اللغة مسيئة، معذبة ومشوهة، بطريقة ما، من اجل فرض اهداف أيدولوجية. ويمكن أن يكون المثال التقليدي على ذلك في تغيير اسم البنتاغون من وزارة الحربية الى وزارة الدفاع في عام ١٩٤٧. وحالما حدث ذلك، فإن أي شخص مفكر يجب عليه ان يفهم بأن الولايات المتحدة لم تعد لتكون في موقف الدفاع. فإنها ولا بد ان تنخرط في حرب عدوانية. تلك كانت القضية بشكل اساسي، وانها كانت جزءاً من سبب التغيير في المصطلحات الفنية، للتنكر لتلك الحقيقة. وبوسع المرء ان يمضي لإعطاء عدد لا يحصى من الأمثلة على هذا النوع. وربما المثال التقليدي لذلك هو كتاب أرويل «السياسة واللغة الانجليزية».

وهنالك ايضاً شيء أكثر براعة واكثر تشويقاً بل انه حتى ارتباط اكثر ضعفاً وهو: ان اي موقف يتخذه المرء فيما يتعلق بالمسائل الاجتماعية، على سبيل المثال، كالدفاع عن نوع ما من الإصلاح، او الدفاع عن التغيير الثوري، أو التغيير المؤسسي، او الدفاع عن استقرار ، والحفاظ عن التركيبات كما هي - فمثل هذا الوضع، مفترضاً أن له اي اساس او قاعدة اخلاقية، لا تستند تماماً على الاهتمام الذاتي الشخصي، فهو يستند اخيراً على بعض فهم طبيعة الانسان. ذلك انه، اذا ما افترضت أن الأمور يجب أن تصلح في هذا او ذاك الأسلوب، وان هناك قاعدة اخلاقية لذلك، فانك ستقول بفعالية: «إن البشر مدركون بأن هذا التغيير هو من مصلحتهم. وانه يتعلق بطريقة ما بمستلزماتهم الانسانية الأساسية». فالفهم الأساسي لطبيعة الانسان هو نادر الوضوح. وانه تقريباً ضمني وكامن ولا أحد يفكر بشأنه كثيراً. ولكن اذا ما كنا نريد تحقيق أو

دراسة الحالة - وكنا بعيدين جداً عن ذلك - واذ ما وصلت الدراسة التي اجريناها الى نقطة انضباط مع ارتياح فكري مهم، فان هذا الفهم سيكون مفهوماً وموضحاً. واذا ما بحثنا في انفسنا، فاننا نجد بأن لدينا مفهوماً ومن المحتمل ان يكون مستنداً على بعض الافكار التي تتعلق بالحاجة الانسانية الأساسية للحرية بعيداً عن التقييدات والسيطرات الخارجية الاعتباطية، مفهوماً للوقار الانساني الذي يمكن أن يعتبر كانتهاك أو خرق لحقوق الانسانية الأساسية لتكون مستعبدة، ومستلكة من قبل الآخرين وحتى من وجهة نظري فانها تُفرض من الآخرين، كما هو الحال في المجتمعات الرأسمالية، وهلم جرا. ولم تنشأ وجهات النظر تلك على مستوى علمي. بل انها مجرد التزامات. ويمكن أن تكون مسائل قابلة للتحقيق العلمي، كما لو كان البشر كمثل الطيور أو ما شابه ذلك. فدراسة اللغة يمكن ان تكون لها بعض العلاقة غير المباشرة، حيث انها اساساً تحقق في بعض العناصر الأساسية للذكاء الانساني وطبيعته، وهي موحية على الأقل بمدى القدرات الانسانية المدركة ومدى تشابهها اساساً. ومن الممكن للمرء ان يجري بعض التخمينات الضعيفة حول المظاهر الأخرى لطبيعة الانسان، كالنوع الذي ذكرته والمتعلق بالحرية من التقييدات الخارجية، لخضوعها لقوة خارجية، الخ. بيد أن تلك مسافة بعيدة جداً، وتعتبر أملاً للمستقبل اكثر منه حقيقة حالية.

■ سؤال: هل الحرية هي إلزام لغوي؟

جواب : إنه مجرد أمر سطحي وظاهري، وان الحقيقة الواضحة حول لغة الانسان هي أن لها مظهر مبدع اساسي. فكل انسان طبيعي، وبشكل مستقل بما نطلق عليه «بالذكاء»، وعلى مدى واسع، بعيداً عن الأمراض الشديدة الحقيقية، وبسرعة مدهشة، فانه يمتلك نظام لغوي يمكنه من التعبير وابتداع افكار جديدة، ومن أن يتفاعل مع الآخرين الذين يبتدعون أيضا افكاراً جديدة ويعبرون عنها، وان يقوموا بذلك دون حدود أو تقييدات، مع انه نمط مقيد بشكل عالٍ في شروط قاعدة النظام المثبتة نسبياً في شخصيته كجزء من طبيعة الانسان الأساسية، بيد ان ذلك لا يسمح ولا يسهل التعبير الخلاق الحر. فذلك مظهر اساسي حول ذكاء الانسان. وانه على ما يبدو يميز البشر عن اية كائنات حية أخرى نعرف عنها. فكم يمكن أن يمتد ذلك الى حقول أو ميادين أخرى،

فإن هذا مجال للتخمين، إلا أنني أعتقد بأن المرء يمكنه أن يجري تخمينات شيقة او مثيرة للاهتمام.

■ **سؤال : هل يمكنك ان تعالج الفكرة من ان الكلمات واللغة لها قوة متماسكة، وان الافكار والمفاهيم تنقل معاني ابعد من كلماتها ؟ وماذا يحدث من الناحية الفنية عندما تستخدم عبارات معينة، مثل «العالم الحر» او «المصالح الاستراتيجية» او «المصالح الوطنية» ؟**

جـواب : إنه موضوع مألوف يمكن أن يبحث عندما يتحدث الناس عن السياسة واللغة، وأعتقد بأنه من الجدير بحثه، ولكنني أعتقد بأنه واضح تقريباً الى درجة التفاهة. فالمصطلحات مثل «العالم الحر» و«المصالح الوطنية» وهلم جرا، هي مصطلحات دعائية فحسب. فلا يجب على المرء أن يتخذها على نحو جاد للحظة. فقد صممت هذه المصطلحات، وعلى نحو واعٍ تماماً، وذلك لكي تحاول سد أو إعاقة الفكر والفهم. فعلى سبيل المثال، فإنه في عقد الأربعينات كان هناك قرار، ومن المحتمل انه قرار واعٍ، اتخذ في دوائر العلاقات العامة، وذلك لتقدم مصطلحات مثل «المؤسسة الحرة» و«العالم الحر» وهلم جراً، بدلاً من المصطلحات الوصفية التقليدية مثل «الراسمالية». وجزء من سبب ذلك كان ليلمح ببعض الشيء بأن أنظمة السيطرة والهيمنة والاعتداء التي التزم بها اولئك الذين كانوا في موقع السلطة، وكانت في الحقيقة كنوع من الحرية. فانها كانت مجرد ممارسات دعائية شائعة ومألوفة. ونحن نغرق انفسنا بهذا في كل لحظة من حياتنا. فكثير منا يجعل ذلك ذاتياً، وعلى المرء أن يدافع عن نفسه ضد ذلك. ولكن عندما يتحقق المرء مرة بأن ما يجري ليس صعب جداً من الدفاع ضده. فهذه هي وسائل تلبدت فيها افكارنا وهدمت فيها قدرتنا على التفكير وقوضت إمكانيتنا على العمل السياسي المجدي بواسطة الأجهزة الفعالة تماماً على تعلم مبادىء المعرفة وسيطرة الفكر المستلزمة، اذ أن كافة هذه الأجهزة تسيء للغة. وبوسع المرء أن يرى هذا في أي مكان.

■ **سؤال : لقد كتبت تقول «إن من بين العديد من الرموز المستخدمة للافزاع والتاثير على الدول الديمقراطية الشعبية، هناك القليل كان له اهميته اكثر من الرعب والارهاب». فهل بإمكانك التحدث حول ذلك ؟**

جواب : على سبيل المثال، فإنه في السنوات العديدة الأخيرة، دعي شيء ما باسم «الارهاب الدولي»، ووضع في المقام الأول. وكانت هناك مؤتمرات، وكتب ومقالات، الخ بهذا الشأن. ولقد قيل لنا عندما جاءت ادارة ريغان للحكم، من ان الكفاح ضد الارهاب الدولي كان يعتبر مسألة مركزية في سياستها الخارجية، واستمر الامر على هذه الوتيرة. وتداول الناس هذا الامر كما لو انه عالم أو مجال حقيقي. فهم لم يكونوا في العالم الحقيقي. فاذا ما كان هناك مثل هذا الشيء من الارهاب الدولي، فإن الولايات المتحدة تعتبر من احدى راعييه الرئيسيين. فعلى سبيل المثال، ووفقاً للمبدأ أو العقيدة الرسمية، وكما تحدث عنه وزير الخارجية جورج شولتز، فان كوبا هي واحدة من الدول الرئيسة التي تمارس الارهاب الدولي.

ولكن هناك كتاباً مثل كلير ستيرلنغ، ووالتر ليفيور واخرين، قد بينوا بأن الدليل من أن الشيوعيين يقفون وراء ذلك، هو بالفعل بسبب ما يدعى بـ «العالم الحر». وان حقيقة الامر ان كوبا قد تعرضت للارهاب الدولي اكثر من بقية دول العالم الأخرى مجتمعة. وبدأ هذا في مطلع الستينات، عندما شنت ادارة الرئيس كنيدي حرباً ارهابية رئيسة ضد كوبا. واستمر ذلك لعدة سنوات؛ وكل ما نعرفه بانها ما زالت جارية حتى الآن. إلا أن انباءها ضئيلة جداً. فعليك أن تبذل جهداً لتجد ماذا يجري هناك، وذلك من خلال المذكرات وتقارير المشاركين فيها وهلم جرا. وان ما حدث ما هو إلا مستوى أو نوع من الارهاب الدولي، ذلك بقدر ما أعلمه بأنه لا نظير له، بمعزل عن الهجوم المباشر. وهذا يشمل الهجوم على المنشآت المدنية، وتفجير الفنادق، وإغراق قوارب الصيد، وتدمير المنشآت البتروكيماوية، وتسميم المحاصيل والمواشي، ومحاولات الاغتيال، وعمليات القتل الفعلية، وتفجير الطائرات، وعمليات تفجير السفارات الكوبية في الخارج، الخ. إنها حرب ارهابية ضخمة. إلا انها لم تظهر ابداً في مناقشات الارهاب الدولي. أو على سبيل المثال، فلنأخذ الشرق الأوسط.

فإن منظمة التحرير كانت تعتبر رمزاً للارهاب. فقد انخرطت بالتأكيد في أعمال ارهابية، إلا أن اسرائيل، التي تعتبر عميلتنا، قد انخرطت اكثر بكثير في عمليات ارهابية - بشكل لا يقارن - بيد أننا لم نطلق عليها على انها اعمال ارهابية. فعلى سبيل المثال، فانه في ربيع هذا العام، اختطف اربعة فلسطينيين من قطاع غزة، من الذين يعيشون في

ظل أوضاع قمع شديدة، اختطفوا حافلة ركاب وحاولوا دفعها الى خارج القطاع. ولم يكن يبدو بأنه كان لديهم أسلحة، وأوقفت الحافلة من قبل جنود اسرائيليين وبسبب إطلاقهم النار عليهم، فقد قتلت امرأة اسرائيلية من الركاب. والقي القبض على المختطفين، فقتل اثنان منهم على الفور، واقتيد الاثنان الآخران بعيداً وتم قتلهما، بعد عملية تعذيب من قبل الجنود الاسرائيليين. وتلا ذلك اجراء تحقيق بالحادثة، إلا انه لم ينتج عنه شيء؛ ولم يوجه الاتهام لأحد. وفي الوقت ذاته، قصفت الطائرات الاسرائيلية منطقة بعلبك في لبنان. ووفقاً لتقارير الصحافة، بما فيها الصحافة الاميركية، فقد وقع نتيجة لتلك الغارة (٤٠٠) اصابة، من ضمنها اصابة حوالي (١٥٠) طفلاً، وقعوا بن قتيل وجريح بعد تدمير مدرستهم من قبل الطائرات الاسرائيلية. ولم يعتبر ذلك عملاً ارهابياً. وحتى انه لم يشر أحد الى ذلك العمل على انه عمل ارهابي، وحتى مع انه استخدمت فيه طائرات حربية أميركية الصنع. وانما دعي فحسب على انه «هجوم انتقامي غير حكيم» أو شيء ما من هذا القبيل.

ويعود كل ذلك الى أوائل السبعينات، والتي كانت تعتبر زاخرة بالهجمات الارهابية الفلسطينية، كما حدث في مستوطنة معالوت وغيرها. مما دفع اسرائيل لتقوم بشن غارات كثيفة على أهداف مدنية في جنوب لبنان الى درجة دفعت مئات الآلاف من السكان على هجر قراهم ومناطقهم. ولم يدع ذلك بالارهاب. ولاستخدام مصطلح «المقياس المزدوج» على ذلك، فانه في الحقيقة يساء الى هذا المصطلح؛ فإن ذلك يتجاوز أي شيء يمكن أن تدعوه بالمقياس المزدوج. فانه تقريباً عبارة عن نوع من التطرف. وانه انعكاس للنجاح المفرط لتعليم مبادىء المعرفة في المجتمع الأميركي. فانه لا يوجد لديك أي مجتمع آخر حيث تكون الطبقات المتعلمة، على الأقل، مسيطر عليها ومستحوذة من قبل جهاز الاعلام.

■ سؤال: دعنا نتحدث عن نظام الدعاية ذلك. فقد اشرت في مرات عديدة الى «جهاز دعاية الدولة». فما هو الدور الذي تلعبه وسائل الاعلام في تعزيز وخدمة مصالح الدولة؟

جواب : ينبغي أن يكون المرء مستوعباً انه في الاشارة الى «جهاز دعاية الدولة»، فلا أعني هنا بأنه يأتي من الدولة، فجهازنا يختلف بشكل لافت للنظر، لنقول مثلاً، عن جهاز

الاتحاد السوفياتي، حيث جهاز الدعاية موجه ادبياً ومسيطر عليه من قبل الدولة. فنحن لسنا بمجتمع لديه وزارة للصدق والتي تصدر العقيدة او المبدأ، الذي يجب على كل واحد عندئذ ان يطيعه مهما كلف الامر. فجهازنا يعمل بصورة مختلفة كثيراً ويشكل اكثر فعالية. انه جهاز مخصخص للدعاية، يشمل وسائل الاعلام، والصحافة المعبرة عن الرأي، ويتضمن بشكل عام الاشتراك الواسع لرجال الفكر والعلم، وهم الجزء المتعلم والمثقف للشعب. والعناصر الاكثر وضوحاً لاولئك الجماعات، التي تصل الى وسائل الاعلام، بما فيها الصحف والمجلات الفكرية، والذين يشرفون بشكل اساسي على الجهاز التعليمي، يجب ان يشار اليهم تماماً كطبقة «المفوضين». ذلك ان وظيفتهم الرئيسة هي: لتصميم، ونشر وخلق جهاز من العقائد والمبادئ، التي ستقوض الفكر المستقل وتمنع الفهم وتحليل التركيبات المؤسسية ووظائفها. ولا أعني القول بانهم واعين ومدركين لها. فهم ليسوا كذلك، في الواقع. ففي جهاز فعال حقاً للتلقين والتعليم، فان المفوضين هم غير مدركين لذلك تماماً، ويظنون انفسهم بانهم مستقلون، واصحاب افكار انتقادية. واذ ما حققت بالانتاجات الفعلية لوسائل الاعلام، وصحافة الراي، الخ، فانك ستجد ذلك بالضبط. فانه اعتبار ضيق جداً، ومقيد باحكام وغير دقيق بشكل غريب للعالم الذي نعيش فيه.

فالحالات التي ذكرتها تعتبر امثلة على ذلك. فلم تكن هناك ابداً مناقشات ومداولات بشكل حي ومطول في الولايات المتحدة، على علمي، حول الحرب في فيتنام. ومع ذلك، وباستثناء بعض المناسبات الهامشية، فان المناقشات كانت تعقد بين اولئك الذين يسمون «بالحمائم» و«الصقور». وبدأ كل من الحمائم والصقور بقبول الكذبة المدهشة جداً، حيث ان اورويل لا يمكنه تصورها. واعني ان الكذبة هي اننا كنا ندافع عن فيتنام الجنوبية، في حين كنا في الواقع نهاجم فيتنام الشمالية. فحالما تبدأ بالمقدمة، فكل شئ يتبع بعد ذلك.

وهناك الكثير من الامثلة في الوقت الراهن. ولنأخذ مثلاً الصفقة التي حدثت مؤخراً حول طائرات الميغ في نيكاراغوا. فماذا حدث؟ لقد ارسلت الولايات المتحدة طائرات حربية متقدمة الى السلفادور، وذلك لكي نكون قادرين على شن هجوم على شعب السلفادور. والجيش الذي سينفذ هذا الهجوم هو في الحقيقة جيش احتلال، مثله تماماً مثل الجيش البولندي الذي هو جيش احتلال لبولندا، مدعوم من قوة اجنبية، باستثناء

ان الجيش الذي في السلفادور هو اكثر وحشية ويقوم باعمال وحشية بالغة. ونحن نحاول بان نشن هذا الهجوم بارسالنا لطائرات متطورة وطيارين اميركيين، وهم الآن يشتركون مباشرة في الاشراف على الغارات الجوية، الخ.

وانه من الطبيعي تماماً، من ان اي تلميذ لارويل سيقبل باننا يمكن ان نتهم الجانب الآخر في جلب الطائرات للقاتلة مسبقاً. ونحن ايضا ننير حرباً حقيقية ضد نيكاراغوا من خلال جيش من المرتزقة. فهم يدعون «بالثوار» في الصحافة، إلا انهم لا يشبهون اي شيء من هذا القبيل. فهم مسلحون على مستوى تسليح جيوش دول اميركا الوسطى. وهم غالباً ما يتفوقون على جيش نيكاراغوا. فهم مجهزون ومشرف عليهم تماماً من قبل قوة اجنبية. وهم يتلقون دعماً ضئيلاً او محدوداً جداً من الداخل، كما يعلم اي واحد بذلك. فانه جيش مرتزقة اجنبي يهاجم نيكاراغوا، ويستخدم جنوداً من نيكاراغوا، كما هو الحال غالباً في الحروب الامبريالية.

وفي هذا السياق، فان النقاش الكبير هو فيما اذا كان شعب نيكاراغوا قد جلب أو طلب أو لم يطلب قدوم الطائرات التي يمكن ان تستخدم للدفاع عنه. فالحمائم يقولون بانهم من المحتمل انهم لم يطلبوا قدومها، ولذلك فان هذا الأمر قد بولغ فيه. كما يقول الحمائم ايضا، ويمكنك هنا أن تستشهد باقوال - بول تسونغاس، مثلاً، او باقوال كريستوفر دود، وهما من أشد الحمائم في الكونغرس - بأنه إذا ما طلب شعب نيكاراغوا في الحقيقة الطائرات المقاتلة، فعندئذ يجب علينا أن نقصفهم بها، لانهم سيكونون عنصر تهديد لنا.

وعندما ينظر المرء الى هذا، فانه يرى شيئاً غير قابل للوصف. فقبل خمسين عاماً، سمعنا هتلر يتحدث عن تشيكوسلوفاكيا كخنجر في قلب المانيا، وشعبها على حد سواء. بيد أن تشيكوسلوفاكيا كانت تشكل تهديداً حقيقياً لألمانيا إذا ما قورنت مع التهديد الذي تشكله نيكاراغوا بالنسبة للولايات المتحدة. واذا ما سمعنا مثل هذا النقاش في الاتحاد السوفياتي، حيث سيتساءل الناس هناك فيما إذا كان يجب، دعنا نقول، أن تقصف الدنمارك، لان لديها طائرات يمكنها أن تبلغ الاتحاد السوفياتي، وسنكون مروعين من جراء ذلك. وفي الواقع، فان ذلك تشابه جزئي غير عادل بالنسبة للروس. فهم لا يهاجمون الدنمارك كما نهاجم نحن نيكاراغوا والسلفادور. ولكننا نقبل ذلك الأمر

هنا برمته. فنحن نقبله لان الفئات المتعلمة، التي هي في موقع، من خلال الامتياز والهيبة والتعليم والثقافة، الخ. تمثل فيه فهم جلي للعالم، داعمة جداً للنظام العقائدي. ذلك بانها لا يمكنها حتى لترى ان اثنان زائد اثنان يساوي اربعة. فهي لا يمكنها ان ترى ما هو صحيح أمام أعينها: باننا نهاجم نيكاراغوا والسلفادور، وان شعب نيكاراغوا له الحق بالطبع للدفاع عن نفسه ضد هذا الهجوم. فاذا ما كان للاتحاد السوفياتي جيش مرتزق يهاجم الدنمارك، وينفذ الأعمال الارهابية ويحاول تدمير البلاد. فانه سيكون للدنمارك الحق عندئذ للدفاع عن نفسها. ونحن سنقر ذلك. وعندما يحدث شيئاً من هذا القبيل في أراضينا او ولاياتنا، فان الشيء الوحيد الذي نسأله هو، هل يحق لهم أم لا يحق جلب طائرات للدفاع عن انفسهم؟ فإذا ما كان الامر انه يحق لهم، فانه عندئذ سيكون لنا الحق أن نهاجمهم بعنف.

وليس هناك فعلياً أي صوت في الصحافة يثير التساؤلات حول حقنا في اتخاذ عمل أكثر عنفاً ضد نيكاراغوا. فهذا مؤشر لوجود مجتمع مغسول الدماغ جداً. وتبعاً لمقاييسنا فان هتلر يعتبر عاقلاً فيما كان يفعله في الثلاثينات.

■ سؤال : دعنا نتحدث قليلاً حول اللغة والسياسة، وبشكل معين فيما يتعلق بحالة او وضع نيكاراغوا. فقد نقلت صحيفة النيويورك تايمز عن سفير الولايات المتحدة لدى كوستاريكا قوله بان «حكومة نيكاراغوا لديها شبكة يسارية متطرفة تعمل لصالحها في واشنطن. وهذه هي كمثل الشبكة التي عملت ضد المصالح الاميركية في فيتنام. ومن المحزن القول ان العديد من رجال الكونغرس هم اسيرون لمساعديهم الذين يعتمدون على كثرة المعلومات عن اليسار. وعندئذ شبه السفير نيكاراغوا بالمانيا النازية، ويخلص بشكل نهائي الى اعتبار «أن نيكاراغوا قد اصبحت مثل قطعة ملوثة او فاسدة من اللحم تجلب اليها حشرات من جميع انحاء العالم» وقد عنى بالحشرات مثل الكوبيين والمنشقين الباسك وغيرهم.

جـــواب : ان كل هذا يذكرنا بالمانيا النازية. فملاحظات السفير هي نموذج تماماً لتلك التصريحات التي كان يدلي بها الدبلوماسيون النازيون وبنفس الدرجة، وحتى بنفس

الاسلوب، كالحديث عن «الحشرات» وما شابه ذلك. وبالطبع، فان ما يصفه هو بعيد عن الحقيقة، وحتى انه من غير الضروري بحثه. ففكرة وجود شبكة يسارية في واشنطن هو أمر صاخب فقط فما يريد ان يقوله أو يعنيه باليساريين، انهم أناس مثل تسونغاس ودود. فهؤلاء هم بالتحديد الأشخاص الذين اراد الاشارة إليهم. الاشخاص الذين يقولون بأنه يجب علينا قصف نيكاراغوا اذا ما فعلت شيئاً ما للدفاع عن نفسها. وهذا بالنسبة للسفير ما هي الا محاولة يسارية لتقويض سياستنا. وهذا هو مثل مناقشة دعاية نازية حقيقية، التي حتى لا تجعل هناك حجة أو ذريعة لكونها متعلقة بالحقيقة، وتعتبر أي انحراف أو تحييد عن ذلك كأمر غير مقبول ولدينا تأكيد كلي، من وجهة نظره، لنصل الى وضع يسمح لنا فيه ويبرر في تنفيذ اي عمل تخريبي، او عدواني، او القيام بأعمال القتل والتعذيب، الخ. فأي انحراف عن هذا الوضع، فهو من وجهة نظره، عبارة عن مؤامرة يسارية موجهة من موسكو. وهذه هي الغاية القصوى للنظام الدعائي، إلا انه ليس الجزء المهم منه، من وجهة نظري. وانه من الجنون لأي واحد ان ينظر من خلاله.

والجزء المهم منه هو ذلك النوع الذي لا يبدو مجنوناً جداً، النوع الذي يقدم من قبل الحمائم، الذين لا يقبلون مطلقاً الأوضاع المتباينة. فهم يقبلون المبدأ القائل من انه من حقنا استخدام القوة والعنف لتقويض أو تدمير المجتمعات الاخرى، التي تهدد مصالحنا، تلك المصالح التي تخص فئة معينة، وليس مصالح الشعب. وهم يقبلون هذا الوضع، ويبحثون كل شيء في تلك الشروط لذلك فإن هجومنا ضد بلد اخر يصبح «دفاعاً» عن ذلك البلد. ولذلك فان الجهد من نيكاراغوا للحصول على طائرات للدفاع عن نفسها يصبح عملاً غير مقبول، ولا بد من أن يثير عنف اكثر من جانبنا. وانه على ما يبدو يعتبر وضعاً خطيراً ويلعب دوراً مهماً جداً في نظامنا الدعائي. فهذه نقطة لا يعترف بها غالباً. فالامر يصبح أوضح، اذا ما كان الشيء بعيداً اكثر، وان لا نكون منخرطين فيه مباشرة. ولنأخذ حرب فيتنام مثلاً. فالمساهمة الرئيسة للنظام العقائدي أو المبدأي خلال فترة حرب فيتنام، من وجهة نظري، هي بالتأكيد موقف الحمائم. فقد كان الحمائم يقولون بأننا كنا ندافع عن فيتنام الجنوبية، فهذا أمر محدد، إلا انه لم يكن حكيماً، وكلف الكثير الكثير، اكثر من طاقتنا وقوتنا. فإذا ما كنا قادرين على التفكير، فاننا سنفهم بان موقفهم يشبه الى حد كبير موقف الجنرالات النازيين بعد معركة ستالينغراد. الذين قالوا بأنه كان من الخطأ فتح جبهتين في أن واحد، وانه من المحتمل

لن لا نتحمل ذلك، وان هذا من المحتمل ان يعتبر جهداً يجب علينا ان نعدله ونغيره، مع انه بالطبع يعتبر عادلاً وصحيحاً. ونحن لا نعتبر الجنرالات النازيين على انهم حمائم. فنحن ندرك من هم. إلا انه في مجتمع يعتبر فيه هذا الوضع على انه انشقاقاً، ووضعاً خطيراً، فإن الطاقة من اجل التفكير قد دمرت. ويعني بأن نطاق الأفكار القابلة للتفكير هي مقيدة الآن ضمن النظام الدعائي.

إن النقاد هم الذين جعلوا هناك مساهمة اساسية لذلك. فهم أولئك الذين كشفوا مسبقاً عن الحقيقة الأساسية، والتحليل الأساسي، والتفكير المستقل وذلك بالتظاهر ولكونه يعتبر كتبني لموقف ناقد، بينما انهم في الواقع يعتبرون مساعدين للمبادىء الأساسية للنظام الدعائي. وفي رأيي فإنه مهم اكثر من التعليقات الطائشة التي اقتبستها في الحقيقة.

■ **سؤال: ماذا بوسع الناس ان يفعلوا ليخترقوا هذا الاطار المحكم والمزخرف للدعاية ليحصلوا على ما هو حقيقي، ويصلوا للحقيقة؟**

جـواب : لا اعتقد بصراحة انه اكثر مما هو مطلوب، وجود شعور عادي مشترك. فما على المرء أن يفعله هو تبني اتجاه المرء لمؤسساته الذاتية، بما فيها وسائل الإعلام والصحافة والمدارس والكليات، واتخاذ نفس الموقف النقدي والعقلاني الذي نتخذه تجاه مؤسسات اي سلطة اخرى.

فعلى سبيل المثال، عندما نقرأ انتاجات جهاز الدعاية في الاتحاد السوفياتي او المانيا النازية، فانه لا توجد لدينا مشكلة تماماً في فصل الحقائق عن الاكاذيب، والتحقق من التشويهات والتحريفات التي تستخدم لحماية مؤسساتهم من الحقيقة. ولا يوجد هناك سبب لماذا لا يجب علينا أن نكون قادرين على اتخاذ نفس الموقف تجاه انفسنا، بالرغم من الحقيقة بأن علينا الاعتراف بأننا غمرنا بهذا باستمرار، يوماً بعد يوم. والرغبة باستخدام ذكاء المرء الفطري والشعور المشترك لتحليل وتدقيق ومقارنة الحقائق مع الطريقة التي تقدم فيها وهل هي ملائمة في الحقيقة.

واذا ما كانت المدارس تقوم بوظيفتها، وهي لا تفعل ذلك بالطبع، ولكنها يمكن ان تكون، فيمكنها تزويد الناس بوسائل الدفاع الذاتي الفكرية. وبالتالي سيكرسون انفسهم

بطاقة ضخمة وتطبيقها بدقة لأنواع الأشياء التي نتحدث عنها، ذلك أن الناس الذين ينشأون في مجتمع ديمقراطي ستكون لهم وسائل الدفاع الذاتي الفكرية ضد الجهاز. واليوم، فان الأفراد عليهم أن يباشروا هذه المهمة بطريقة ما ولا أعتقد بأنها صعبة جداً في الحقيقة. فعندما يفهم المرء ماذا يحدث، فإن عليه ان يتخذ الخطوة الأولى لتبني موقفاً ليكون ببساطة واحداً من الذكاء النقدي تجاه كل شيء يقرأه، في جريدة هذا الصباح أو صحيفة الأمس او أي شيء اخر، ويكتشف الافتراضات والتخمينات التي تحملها. ومن ثم يقوم بتحليل هذه الافتراضات وتعيد تقييم الحقائق مرة ثانية في شروط تكون حقيقة للوقائع، وليس ببساطة كانعكاسات لجهاز الدعاية المشوه. وعندما يفعل ذلك فإنني اعتقد بأن العالم يصبح واضحاً الى حد ما. وعندئذ فإن باستطاعة المرء أن يصبح شخصاً حراً، وليس عبداً لبعض سيطرة وتلقين جهاز الدعاية.

■ **سؤال : هل بوسعك التحدث عن دولة القرن العشرين؟ فإنك كتبت بشكل كثيف عن ذلك. وما هو تركيبها الذي يسمح بالإبادة الجماعية، وما دعاه ادوارد سعيد في الوقت الحاضر في مقالة كتبها «بظاهرة اللاجئين». فهل هذه هي مظاهر دولة القرن العشرين؟ وهل توافق على هذه الافتراضات؟**

جـــواب : ليس تماماً. واعتقد بأن هناك بعض الحقيقة في ذلك، لأن الدولة الحديثة ببساطة، والنموذج الأوروبي لذلك، بما فيه الولايات المتحدة، حدث لتكون وبمقاييس تاريخية قوية جداً. فدرجة السلطة في الدولة الحديثة هي بدون تساوٍ تاريخي. فهذه القوة منضبطة مركزياً الى اقصى مدى وبدرجة محدودة جداً للمشاركة الشعبية في كيفية ممارسة تلك السلطة. وأيضاً، فإن لدينا ازدياد مرعب في مستوى سلطة الدولة، ونتيجة لدرجة العنف الشديدة.

ومع ذلك، فانه من الخداع الاعتقاد، أو القول، بأن الإبادة الجماعية لفئة أو شعب معين هي كونها ظاهرة للقرن العشرين. ودعنا نأخذ تاريخنا الذاتي كمثال على ذلك، تاريخ غزو همسفير الغربية. فنحن نحتفل بذلك في كل عام، وفي ولاية ماسوشتس على الأقل، لدينا عطلة رسمية تدعى «يوم كولومبس»، وفئة قليلة من الناس تدرك بأنها تحتفل بأول إبادة وحشية لشعب في العصر الحديث. وهذا بالضبط ما كان عليه كولومبس.

وكما لو انهم يحتفلون «بيوم هتلر» في المانيا. فعندما جاء المستعمرون من اسبانيا وانجلترا وهولندا وغيرها الى همسفير، فانهم وجدوا مجتمعات مزدهرة. فالاكتشافات الحالية للآثار البشرية تشير الى أن عدد السكان الأصليين في غرب همسفير يمكن أن يكون تعدادهم قد قارب من مئة مليون نسمة، وربما كان يوجد حوالي ثمانين مليون نسمة في شمال ريو جراند، واثنا عشر مليوناً أو ما شابه ذلك الى شمال النهر (نهر المسيسيبي) . فخلال حوالي شهر، فإن اولئك السكان قد ابيدوا. فلنلخذ مثلاً منطقة شمال ريو جراند، حيث كان يتواجد هناك من عشرة الى اثنتي عشر مليوناً من السكان الأصليين الاميركيين. ومع عام ١٩٠٠، فانه لم يبق سوى مائتي الف نسمة منهم فقط. اما في منطقتي الانديز ومكسيكو، فانه كانت هناك مجتمعات هندية كثيفة، إلا أن معظمها قد اختفى. فمعظمهم قد قتلوا او ابيدوا تماماً، واخرون هلكوا نتيجة للامراض الاوروبية، التي جاء بها المستعمرون. فإنها إذن إبادة جماعية، حدثت قبل وقت طويل من نشوء دولة القرن العشرين. فربما تكون واحدة من اكبر حروب الابادة، إذا لم تكن اعظمها في التاريخ البشري. إلا انها لم تكن غريبة من نوعها. إنها حقائق لا نعترف بها.

إن الوسائل والطرق التي نحمي أو نبعد انفسنا فيها عن الحقائق هي غالباً ما تكون مدهشة تماماً. ودعني اورد لك مثالاً شخصياً على ذلك. ففي عيد الشكر الماضي ذهبت أنا وعائلتي في نزهة الى المتنزه الوطني القريب. فمررنا بجانب شاهدة قبر، وضعت من قبل هيئة المتنزهات الوطنية كدليل او كشهادة، او كايماءة في الواقع، وكايماءة حرة بلا شك تجاه الهنود الحمر في الماضي، وكتب عليها عبارة: «هنا ترقد امرأة هندية، ضحت عائلتها وقبيلتها بانفسها وبأرضها ثمناً لتولد وتنشأ هذه الامة العظيمة». إنه مثال مروع جداً، ذلك حتى أن المرء لا يعرف كيف يبحثه او يناقشه. فهي (تلك المرأة) وعائلتها «لم يضحوا بانفسم وارضهم». بل إنهم قتلوا من قبل ابائنا وأجلوا عن أرضهم. كما لو أن هذا يحدث بعد مائتي عام من الآن، أن تأتي الى اشويتز وتجد شاهد قبر تقول: «هنا ترقد امرأة يهودية، ضحت بنفسها ومعها عائلتها وممتلكاتهم ذلك حتى يمكن لهذه الأمة العظمية أن تنمو وتزدهر». وهذه انعكاسات بما يعتبر هنا على انه موقف ليبرالي حر وقريب. وبكل هذه المظاهر لتجربتنا التاريخية، ولاسس مجتمعاتنا، فإننا مبتعدون عن رؤيتها. فبالنظر الى شاهد القبر ذاك، فان اي شخص لديه حتى ادنى

شعور عام ومعرفة أولية للتاريخ يجب أن يكون قادراً على رؤية مدى ما تصنعه أجهزة الدعاية. بل إنها تعتبر اشارة مروعة لمستوى التلقين الاعلامي بالنسبة للأشخاص ومدى تأثيره عليهم.

■ سؤال : إن هذا يثير التساؤل : من هو الذي يسيطر على تاريخ مجتمعنا ؟

جواب : ان التاريخ مرهون ومملك من قبل الفئات المتعلمة. فهؤلاء هم الأناس المؤتمنون او القيّمون على التاريخ. انهم الأناس الذين يتواجدون في الجامعات والذين يقومون بصياغة وكتابة وتقديم الماضي لنا كما يريدون ويشاءون. وهؤلاء هم الجماعات القريبة جداً من سلطة الحكم. فهم انفسهم لديهم درجة عالية من الامتياز والوصول للسلطة والحكم. ويتشاركون في المصالح مع أولئك الذين يسيطرون، او في الواقع يمتلكون النظام او الجهاز الاقتصادي. وانهم المفوضون الثقافيون لنظام الهيمنة والسيطرة السائد تماماً. وإنني اتجنب الفوارق الضئيلة. فهناك استثناءات مهمة. حيث يوجد هناك اناس او اشخاص كتبوا التاريخ بشرف وصدق. إلا ان النقطة التي اضعها هنا هي الشيء الغالب او المهيمن، الى درجة ان الاختصاصين هم لوحدهم فقط يمكنهم ان يعرفوا الامور والأشياء التي تحدث وتقع خارج ذلك. فبالنسبة للمواطنين العاديين، فإن المرء لا يوجد لديه مصادر أو وقت أو تجربة او تدريب أو تعليم لأن يبحث حقيقة في الأمور بعمق. فالوضع الذي يمثله هو الذي وصفته سابقاً. فعلى سبيل المثال، فإن شاهدة القبر تدعم ضمنياً فكرة أن الإبادة الجماعية لفئة او شعب ما هي الا ظاهرة من ظواهر القرن العشرين، مخفقة لتدرك وتعترف من أن ما يحدث أو حدث ليس ببعيد جداً عن ماضينا.

■ سؤال : هل بإمكانك التحدث عما يدعى «بالإبادة الجماعية الأولى للقرن العشرين» والتي حدثت في عام ١٩١٥ للأرمن من قبل تركيا العثمانية، ولِمَ هي حادثة غير معروفة فعلياً؟ ولِمَ هي بعيدة عن محيط إدراكنا؟

جــواب : بصورة رئيسة لأن الناس كان لديهم اهتمام قليل جداً في ذلك الوقت. فما حدث هو أن مئات الآلاف، وربما اكثر من مليون شخص، قد ذبحوا في فترة قصيرة جداً. فقد حدث ذلك في تركيا، وهي بلد بعيد، ولم يكن له مصالح مباشرة مع الغربيين.

واعتقد بأن الأمر الأكثر دراماتيكية واثارة هو في نوعية القمع وأعمال الابادة الجماعية المشابه والقريب جداً من معرفتنا له، والذي في الحقيقة انخرطنا فيه مباشرة. فعلى سبيل المثال، فانني أراهن بأن العديد من الناس هم مدركون أو يعرفون أخبار المذابح الأرمنية التي حدثت خلال الحرب العالمية الأولى، أكثر من معرفتهم للإبادة الجماعية الأندونيسية التي حدثت في عام ١٩٦٥، عندما ذبح (٧٠٠) الف شخص خلال شهرين، وبدعم من الولايات للتحدة. فقد رحب بذلك من قبل الولايات المتحدة لأنه «أعاد أندونيسيا الى العالم الحر» كما وصفنا الأمر في ذلك الوقت. فقد استقبلت الابادة الجماعية، وحتى من قبل الأميركيين الأحرار، كما يجب علي القول، كتبرير لحربنا في الهند الصينية. ووصفت على انها مزودة «كحجاب أو درع» يمكن أن تختفي وراء تلك الأحداث المفرحة. إنها حقيقة عاصفة أكثر بكثير من موقفنا الغير مبالٍ تجاه الإبادة الجماعة للأرمن قبل سبعين سنة مضت.

■ **سؤال : هل ذلك مرتبط مباشرة بالكتابين اللذين تشاركت في تاليفهما مع ادوار هيرمان، وهما «فاشية العالم الثالث وارتباط واشنطن به» و«بعد الطوفان» والذي تحدثت فيهما بإسهاب عن انقلاب عام ١٩٦٥ في اندونيسيا، ومن ثم الأحداث التي جرت في عام ١٩٧٥، في جنوب اقليم تيمور ؟**

جــواب : والتي ما زالت جارية، بشكل عرضي. فهناك حالة من الإبادة الجماعية لا تزال ماضية ومستمرة تماماً لأن الولايات المتحدة تدعمها. وهذا مما يعيق أي احتمال لانهاء ذلك الهجوم الإبادي. فهناك شيء واضح أمام أعيننا والذي نحن مسؤولون عنه مباشرة، وليس هناك أي ادراك فعلاً له. فإنني اشك اذا ما كان هناك شخص من بين مائة شخص في الولايات قد سمع عن منطقة تيمور (تيمور الشرقية التي كانت مستعمرة برتغالية سابقة).

■ **سؤال : ولِمَ ذلك ؟ فهل هذا يخدم بعض المصالح الايدولوجية بانه لا يوجد هناك معلومات بهذا الصدد ؟**

جــواب : بالتاكيد. فانه من غير الملائم لشعب الولايات المتحدة لأن يعلم من ان حكومته متورطة في مذبحة ابادة والتي هي مماثلة لمذبحة بول بوت (في كمبوديا). لذلك فمن

لافضل ان لا يعلم الشعب عن ذلك. وهذا ملفت للنظر بشكل خاص لانها بدأت، كما تقول، في عام ١٩٧٥، في الوقت ذاته التي بدأت فيه مذبحة بول بوت. والمذبحتان متشابهتان نوعاً ما في عدة نواحي، ما عدا أن مذبحة تيمور قد نفذت من قبل جيش محتل بدلاً من كونها ثورة فلاحية اخذت طابع الانتقام ومسيطر عليها من قبل عصابات متطرفة والتي كانت تنفذ مذابح ضخمة في مجتمعها. فهاتان المذبحتان هما متشابهتان نوعاً ما في حجمهما. أما بالنسبة لعدد السكان، في الواقع، فإن مذبحة تيمور ربما تكون اكبر مرتين او ثلاثة مرات في ضخامتها. حيث ان كافة وسائل الاعلام اهملت ذلك، ونحن نتطلع الى الحقائق الفعلية. وكانت معالجتهما مختلفة تماماً. فمذابح بول بوت اوليت اهتماماً بالغاً، واحتجاجات ضخمة، كما انها قورنت بمذابح النازيين. إلا ان مذبحة تيمور، والتي كنا نحن مسؤولون عنها، قد أهملت وكتمت اخبارها. فالناس الذين ذهبوا في محاولة للبحث عن اللاجئين الكمبوديين على الحدود الكمبودية ـ التايلاندية يمكنهم أن يروا القصص المفزعة عن المجزرة التي ارتكبت هناك. كما يمكن للمرء ان يتحدث الى اللاجئين من تيمور الذين سيبلغوه من كانت الولايات المتحدة تدعم هناك.

لقد اخفي ذلك الأمر تماماً لمدة اربعة سنوات. وحتى انه من النادر أن يبحث هذا في الوقت الحاضر، وعندما يبحث ذلك، فانه لا يشار الى الدور الاميركي فيه. فعلى سبيل المثال، بدأت صحيفة نيويورك تايمز التحدث عن ذلك اخيراً وتتعرض له في افتتاحياتها. فإحدى المقالات وصفت ذلك بقولها «العار لأندونيسيا». فبالتأكيد انه عار لأندونيسيا، إلا أنه ايضاً عار على الولايات المتحدة. فنحن الذين اعقنا كل جهد دبلوماسي أو سياسي لوقف تلك المذبحة. فادارة الرئيس كارتر، والتي كان من المفترض بها أن تحافظ على حقوق الانسان، قد عملت على ارسال وتدفق السلاح الى اندونيسيا مع معلومات مؤكدة من انها سترسل لتستخدم في توسيع المجزرة في تيمور الشرقية. ولم يكن هناك شيء آخر من انها يمكن ان تستخدم من اجل ذلك. ولم توصف الولايات المتحدة بالعار، ولا أيضاً صحفية «نيويورك تايمز»، من انه عار عليها أن تتعرض لذلك بعد اربعة سنوات.

وهناك ايضا وسائل لحماية انفسنا من فهم العالم. فالناس عليهم أن يتحصنوا من اي فهم لذلك. وهذا واحد من الأهداف الرئيسة لجهاز التلقين، وذلك لمنع الناس من فهم ما يتشاركون به بطريقة غير مباشرة من خلال المؤسسات التي يدعمونها.

■ **سؤال : ويرى المرء، على سبيل المثال، في قضية المذبحة وعمليات القتل المستمرة في تيمور الشرقية، شعوراً معيناً مزدوجاً. فقد بدا الأمر في عهد ادارة الرئيس فورد في عام ١٩٧٥، واستمر ذلك خلال سنوات ادارة كارتر...**

جواب : وتفاقمت خلال سنوات ادارة كارتر، وكانت أسوأ فترة جرت خلالها، وما تزال مستمرة لغاية الآن. وفي العام الماضي كان هناك هجوم اندونيسي رئيس آخر. حيث سحب من هناك مرة ثانية الصليب الأحمر، ذلك حتى لا تكون هناك مراقبة دولية فعلية. فالمعلومات الوحيدة التي حصلنا عليها وكانت من اللاجئين ومن الكنيسة الكاثوليكية. فالكنيسة كانت ترسل عن هذه الأعمال الوحشية، إلا ان ذلك لم يصل الى مسامع الاميركيين. فعلينا أن نسأل انفسنا، لماذا تقوم مؤسساتنا بمنعنا عن معرفة ماذا يجري: فإنني أعتقد بأن أولئك الناس الذين هم في السلطة هم ببساطة يخشون الشعب. لأنه اذا ما أصبح غالبية الشعب على علم وادراك بما تقوم به الدولة، فانهم سيحتجون وسيوقفون ذلك. وهذا السبب لماذا لدينا مثل هذه الأجهزة المتقنة تماماً والفعالة في السيطرة على الفكر. فلماذا لا يبلغوننا بالحقيقة؟ إنهم لا يبلغوننا بالحقيقة لأنهم يخشوننا. فهم يخشون بأنه اذا ما عرفنا ذلك فاننا سنعمل على إيقافهم. وهنا تكمن الأكاذيب، ويكمن الجهاز التلقيني، والاعلامي، وهلم جراً.

■ **ديفيد بارساميان : دعنا نتحدث عما أطلق عليه على مضض «بالرقابة». فربما يمكنك ان تجد كلمة أفضل من ذلك هنا في الولايات المتحدة. وقد ذكرت سابقاً الكتابان اللذان ألفتهما مع ادوارد هيرمان. وصححني اذا ما كنت مخطئاً، بيد انني اعتقد انه ولا واحد منهما لقي اي تغطية اعلامية بارزة او استعراض له، ولديك الآن كتاب جديد بعنوان «المثلث المشؤوم» والذي لقي فقط استعراضين. فيمكن للمرء ان يخلص الى استنتاجين: فإما ان تكون الكتب مزعجة في الحقيقة وليست جديرة بالتعليق او الكتابة عنها، أو تكون هناك وجهة نظر سلبية بحيث تكون هناك نوعاً من الرقابة تمارس هناك؟**

نعوم تشومسكي : أما فيما اذا ما كانت جديرة بالكتابة عنها. فمن الواضح أنني أعتقد ذلك، وإلا لما كنت قد كتبتها. فبوسعنا عمل نوع من الاختبار الموضوعي لذلك. فعلى سبيل المثال، يمكننا ان نسأل كم من الكتب موجودة في المجتمعات الأخرى مشابهة لكتبنا. ولنأخذ كندا، مثلاً. فكندا بلد مشابه جداً للولايات المتحدة، ولديها بصورة أساسية نفس القيم، المؤسسات، المنظمات الاجتماعية، الخ. ولكن ما إن يجتاز المرء الحدود اليها، حتى نجد أن معالجة ومعاملة هذه الكتب ومؤلفيها مختلفة تماماً عما يجري هنا.

فعلى سبيل المثال، فإن كتاب «المثلث المشؤوم»، والذي صدر للخارج قبل سنة، هو معني بشكل رئيس بالسياسة الأميركية. وهو يعتبر سطحي بالنسبة لاهتمامات الكنديين، بيد أنه عنصر مركزي لاهتمامات الاميركيين. ومع ذلك فانه نادراً ما تذكر هنا في الصحافة. كما انه من الصعب أن تجد تعليقاً أو استعراضاً له في أي مكان آخر. ولكن في كندا، فقد استعرض وعلق عليه في الصحف والمجلات الرئيسة وفي معظم الصحف الثانوية، وحتى انه استعرض في صحيفة «الفايننشال بوست» والتي تعتبر موازية لصحيفة «وول ستريت جورنال» الاميركية. كما استعرض في المجلات الأسبوعية، الموازية لمجلتي «تايم» و«نيوزويك». وفي أي وقت اذهب فيه لكندا فانه تجرى مقابلات فورية معي من قبل التلفزيون والاذاعة. وقد كنت هناك الأسبوع الماضي لمدة يوم واحد، فاجريت ثلاثة مقابلات مع شبكة سي بي سي الوطنية. أما في الولايات المتحدة، فإن الناس المشابهين، وليس وحدي فقط هم مهمشون، ومستثنون من المقابلات واللقاءات. ومن النادر ان تجد مثل هذه الكتب في المكتبات العامة؛ كما ان وسائل الاعلام مغلقة تماماً أمامها.

واذا ما نظرنا الى دول أخرى مشابهة للولايات المتحدة، فإن الأمر يختلف. ففي بريطانيا واستراليا، وهي دول مشابهة كثيراً لنا، فإن هذه الكتب تستعرض، وتناقش، الخ. ولا يحدث هذا في الولايات المتحدة، مع ذلك. فاذا ما كان التقييم او الحكم واحد هنا، فانه من المدهش ان التقييم مختلف كثيراً عبر الحدود. وبشكل عرضي، فان العديد من الاستعراضات تكون انتقادية تماماً، إلا انها عادلة تماماً. فالناس يقولون بما يفكرون به.

■ سؤال : هل يمكنك ان تتصور لماذا، على سبيل المثال، لا تكون من حين لآخر شخصية تقابل على شبكة سي-بي-اس في اخبار المساء او من خلال الاذاعة العامة؟ فهل نعوم تشومسكي قد همش، ولنستخدم هذه العبارة التي صنعتها بنفسك ؟

جواب : هذا ما يحدث دوماً. فعلى سبيل المثال، فخلال حرب فيتنام، عندما كنت اظهر كثيراً في صف معارضة الحرب على المسرح الدولي وهنا ايضاً. فقد كنت اعيش في بوسطن، وكنت اظهر على شاشات التلفاز واقابل في الاذاعة ايضا، إلا انه في البرامج الخارجية فقط واظن بانني قد قوبلت لمرة واحدة فقط في اذاعة بوسطن المحلية خلال حرب فيتنام. وكنت قد عدت للتو من زيارة قمت بها لأندونيسيا، واستمرت المقابلة لمدة اربعة دقائق فقط.

إلا انني كنت اقابل باستمرار من قبل شبكات التلفزيون والاذاعات الاسترالية، والكندية، البريطانية والاوروبية العالمية. وكان هذا هو الامر باستمرار. فقبل بضعة اسابيع فقط ظهرت على شاشة التلفزيون الايطالي، والكندي، واجرت معي الاذاعة الايرلندية مقابلة. وبعد اسبوعين فإنني سأذهب الى انجلترا لمدة يوم واحد من اجل الظهور في برنامج كبير يناقش السياسة العامة. اما في الولايات المتحدة فانني لا أعرف متى يتم ذلك.

ومن المدهش حقاً بانني حالياً اقابل من قبل محطة اذاعة كولورادو. فعندما تخرج من نطاق المراكز الرئيسة في الولايات المتحدة، الى خارج نيويورك، وبوسطن، وواشنطن، فإن التقييدات تخف عندئذ. واذا ما ذهبت الى دينفر او بولدر أو سان دياغون فانه عندئذ ليس من المحتمل أن لا أسأل عن مواضيع سياسية من خلال الاذاعة واحياناً عبر شاشة التلفزيون. ومرة ثانية، فان هذا لا ينطبق علي لوحدي فقط، وانما ايضا على اناس آخرين من الذين يعتبرون نقاداً منشقون بصورة رئيسية. وهذا بالتالي يعكس مدى تقدم جهازنا الايدولوجي!

فما يحدث في مناطق أو نطاقات هي هامشية نظراً لممارسات السلطة، فإن الأمر لا يهم كثيراً. اما ما يحدث في مراكز السلطة فله شأن كبير جداً. لذلك فإن التقييدات تشدد اكثر فاكثر عندما تصبح أقرب للمركز، مركز السلطة. وحالما تجتاز الحدود الى

كندا فإنه لا أحد يهتم كثيراً عما يحدث في الحقيقة، لذلك يكون الأمر اكثر حرية.

■ سؤال : هناك سؤال اخير، حول جورج اورويل. فإنني اشعر من خلال كتاباتك ومن بعض التعليقات التي ابديتها هنا بانك تشعر بالقرابة من أورويل. فهل انت متأثر به تماماً؟

جـــواب: إنه أمر معقد بعض الشيء. فاعتقد بأن اورويل قد الف في الحقيقة كتاباً عظيماً أثر في نفسي كثيراً. وكان ذلك كتاب «ثناء لكاتالونيا»، وهو الكتاب الذي كتبه عن تجربته خلال الحرب الأهلية الاسبانية في أواخر الثلاثينات. فتاريخ هذا الكتاب مثير وملهم في حد ذاته. فقد ظهر في عام ١٩٣٧، إلا انه لم ينشر في الولايات المتحدة. فقد نشر في انجلترا، وبيع منه مائتي نسخة فقط. والسبب في ذلك ان الكتاب قد قمع، لأنه كان خطيراً بالنسبة للشيوعيين. وكان ذلك العصر هو عصر سيطرة المفكرين الموالين للشيوعيين على المؤسسة الفكرية البريطانية. وهو ما يشابه اليوم نوع من السيطرة التي يدعوها اناس عديدين «بموالاة اسرائيل»، مع انني أعتقد بأنه مصطلح سيء، إلا أن الناس المنادون «بموالاة اسرائيل» فانهم يسيطرون على أجهزة الاعلام والتعبير اليوم. فهم متشابهون في عدة نواحي. وقد نجحوا في منع كتاب اورويل من الظهور.

وقد ظهر الكتاب بعد عشرة سنوات، ظهر كدعاية للحرب الباردة لأنه كان معادياً للروس وقد تغيرت الأنماط. انه كان كتاباً مهماً حقيقة. واعتقد انه كانت هناك أمور خاطئة معه، بيد انه كان كتاباً ذو أهمية ودلالة حقيقيتين. ومن المحتمل على الأقل انه اشتهر كأعظم كتاب لأورويل من كتبه السياسية.

فأفضل كتبه من وجهة نظري هي ليست مهمة جداً. فعلى سبيل المثال، في عام ١٩٨٤، فقد كان ذلك الكتاب، في الواقع، من أفضل الكتب مبيعاً هنا، لأنه يمكن ان يفسر على أنه يشكل دعاية مناوئة لروسيا. بيد أنه، مع ذلك، يعتبر كتاباً سطحياً جداً بشكل رئيس. فأورويل قدم فيه تحليلات هجائية مرتكزة على المجتمع السوفياتي المتواجد أنذاك. فالمجتمع السوفياتي المتواجد وارهابه قد وصف بشكل جيد من خلال التحليلات الواقعية التي ليست معروفة لدينا هنا، إلا أنها كانت موجودة بالفعل. وهناك أشخاص مثل ماكسيموف، المؤرخ الفوضوي، على سبيل المثال، قد قدم تحليلات مفصلة ممتازة

عن حقبتي الارهاب اللينينية والستالينية والتي تعود الى ايام الثورة البلشفية. لذلك، فلا حاجة لترجع الى (كتاب) اورويل لتكتشف ذلك. فقيمة اورويل الروائية هي من وجهة نظري لم يكن لها مساهمة كبيرة ولم تتقن جيداً ايضاً. كما ان الكتاب يتحدث عن انجلترا، وليس روسيا فحسب. فقد تحدث عما يمكن ان يتوقع ويحدث في الديمقراطيات (الدول الديمقراطية) الصناعية، وهو امر مبهم جداً كتوقع، لم يحدث مع ذلك.

كما انني اعتقد بأنه قد نسي (التقنيات) الأساليب الرئيسة لتوجيه الفكرة ومبدأ التلقين او التعليم في الديمقراطيات (الدول الديمقراطية). فعلى سبيل المثال، ففي انجلترا والولايات المتحدة فاننا لا نستخدم ادوات من اجل التوجيه او ضبط الرواية الذي وصفه: كاستخدام بسيط لقوة مرئية بشكل عالٍ. فإنها ليست الطريقة المتبعة هنا لأعمال توجيه او ضبط الفكرة في الرواية. فهي تعمل بطريقة اكثر حنقاً وذكاءً وبوسائل وادوات أكثر فعالية، وهي الأنواع او الانماط التي كنا تحدثنا عنها. وقد نسي أو اهمل اورويل هذا تماماً.

ومن جهة أخرى، فانه رجل مخلص وشريف. فقد حاول أن يفعل هذا، وغالباً ما نجح بذلك، في تحرير نفسه من انظمة ضبط وتوجيه الفكرة، وفي هذه الناحية فانه كان غير عادياً جداً وجدير بالثناء والتقدير جداً.

■ ديفيد بارساميان : يبدو ان برنادر كريك، كاتب السيرة الذاتية لأرويل، قد ايد وعزز ما تقوله بهذا الشان. فقد اوحى بان ذلك توفر في مقالات أرويل الافضل مثل «العمل القذر للامبريالية هو مشهور» و «السياسة واللغة الانجليزية».

نعوم تشومسكي: أوافقك على ذلك. فالأعمال المشهورة هي الاقل شأناً.

اسرائيل : مصدر قوة استراتيجية

ديفيد بارسباميان : إن من اعظم المظاهر المثيرة للاهتمام للعلاقة ما بين الولايات المتحدة واسرائيل هي انه في هذا البلد يوجد اجماع فعلي للدعم الأميركي للسياسات الاسرائيلية. ولنذكر مثال واحد على ذلك، فانه في شهر اذار ١٩٨٥ صرح السناتور دانيل انوي في صحيفة «نيويورك تايمز» بانه «لا يفهم لماذا الادارات الأميركية الواحدة تلو الأخرى، سواء كانت جمهورية أم ديمقراطية، تضع ثقلنا على اسرائيل. فإنني مقتنع بانه من مصلحتنا الوطنية التاكد من استمرار اسرائيل قوية وقابلة للنمو والتقدم، وذلك لتمارس تاثيرها في ذلك الجزء من العالم». واضاف يقول، وهو يطلب المزيد من المساعدة لاسرائيل، «باننا نتلقى او نجني اكثر من المال الذي ندفعه». فاود ان تبحث بعض الافتراضات الواقعية الاخلاقية المتضمنة في تعليقات انوي حول اسرائيل ومن انها تمثل «افضل مصلحة وطنية» بالنسبة لنا ؟

نعوم تشومسكي : أود ايضاً ان أعلق على كيفية «وضع ثقلنا على اسرائيل». فمنذ عام ١٩٧٨ فإنهم حصلوا (في اسرائيل) على يتراوح ما بين الثلث الى نصف المساعدات العسكرية والاقتصادية الأميركية الاجمالية المقدمة للعالم الثالث. فذلك البلد ذو الأربعة ملايين نسمة، يكون من المدهش بأنه قد حاز على «ثقلنا».

فأعتقد بأنه من الواضح ما كان يعنيه أنوي، وهناك بعض المنطق في ذلك. فإسرائيل قد قدمت أنواع معينة من المصالح الأميركية، وان المساعدة الأميركية لاسرائيل مرتبطة بشكل وثيق بالمفهوم الأميركي حول كيفية خدمة المصالح الأميركية. وما تريده الولايات المتحدة من اسرائيل هو أن تصبح متقدمة من الناحية الفنية، ودولة معسكرة دون أية استقلالية أو اقتصاد قابل للنمو، وتكون دولة يعتمد عليها. فنحن نبقي عليها في وضع بما يلائم نظام سياستنا المعتمدة على العنف، ذلك حتى يمكننا ان نستخدمها بما نطلق عليه اسم «مصدر القوة الاستراتيجية»، والذي يعني نوعاً من الهجوم المتعقب او المطارد.

وهذا ما كان يطلق عليه حسب مبدأ نيكسون «بحارس الخليج». واعني بذلك، كقوة

يمكن ان تستخدم إما كقاعدة لادارة عمليات القوات الاميركية او استخدام قواتها الذاتية في حالة حدوث أي خطر او تهديد يتهدد المصالح الاميركية في المنطقة. وان المصلحة الرئيسية تكمن في ضمان ان لا يكون هناك نمو وتطور لما نطلق عليه اسم «الوطنية الراديكالية او المتطرفة». فالوطنية الراديكالية هي مصطلح فني يعني القوى الوطنية التي لا تطيع الاوامر الاميركية.

وفي مقابل ذلك فانه توجد «الوطنية المعتدلة»، والتي يقصد بها تلك التي تتبع الاوامر الاميركية. فالمصلحة الاميركية الرئيسة في المنطقة هي ليست اسرائيل بالطبع، وانما مصادر الطاقة والتي تعود الى ما قبل اربعين او خمسين عاماً، وهي من اكبر وارخص مصادر الطاقة في العالم. ونريد التاكد بانه لا يوجد هناك خطر محلي لهيمنتنا على ذلك المنظام.

وقد افترضنا في السنوات المبكرة من ان مصلحتنا الذاتية يمكن ان تحقق تلك النتيجة . ولكن على مر السنوات وبازدياد، وبعد ان اصبح العالم اكثر تعقيداً وتقلصت القدرة الاميركية على التدخل المباشر، فان الولايات المتحدة تحولت لايجاد بدائل لخرى. واصبح ذلك متبلوراً تقريباً في مبدأ نيكسون ـ كيسنجر، والذي يفسر ضمنياً تماماً من ان الولايات المتحدة ستكون ملتزمة بالحفاظ على ما اطلق عليه كيسنجر بـ «الاطار الشامل للنظام»، بحيث ستتبع القوى الاقليمية اهدافها الخاصة ضمن هذا النظام. وعني ذلك النظام بأن تمارس القوى المحلية «دور الشرطي»، في حين يظل «مركز قيادةالشرطة» في واشنطن. فهذا هو مبدأ نيكسون ـ كيسنجر.

ومع اعتبار منطقة الشرق الاوسط على انها منطقة حساسة الى حد كبير، وبشكل رئيس منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية، حيث توجد معظم ابار النفط فان المبدأ كان بأن تتولي كل من اسرائيل وايران تحت حكم الشاه بما كان يدعى حينئذ «بحراس الخليج». فتلك هي الأسس الرئيسة لهذا الدعم العسكري الاميركي الكثيف، والذي اصبح كنتيجة متنبأ بها لتحول اسرائيل الى نوع من «اسبارطة»، وبشكل رئيس ازالة وضع مجتمعها القابل للنمو، وليصبح كقوة عسكرية مسخرة لخدمة المصالح الاميركية في المنطقة. وبشكل متطابق، فانه من المتوقع أيضا ان تقوم اسرائيل بتقديم خدمات اضافية. ويعتبر هذا جزء من المقابل، أو ما يدفع لها.

لقد بدأ هذا في عقد الستينات عندما بدات اسرائيل توضع ضمن المفهوم السياسي الجغرافي الأميركي كمصدر قوة استراتيجية. ففي الستينات، وبمساعدة ضخمة من وكالة المخابرات المركزية، فقد تغلغلت اسرائيل في القارة السوداء، افريقيا، ولمصلحة القوة الأميركية. فكانت، على سبيل المثال، القوة الرئيسة التي نجحت في اقامة النظام الديكتاتوري لحكم موبوتو في زائير. كما انها ساندت عيدي أمين في أوغندا في اوائل حكمه، وهيلاسيلاسي في اثيوبيا، والامبراطور بوكاسا في جمهورية افريقيا الوسطى، واخرين غيرهم من الذين كانت تحاول الولايات المتحدة أن تكرسهم وتستخدمهم من اجل جعل افريقيا كأميركا اللاتينية. فانشاء انظمة عميلة يعتمد عليها، وبشكل عام لتكون كقواعد عسكرية، سيكون ذلك مضموناً بالسيطرة على المجتمعات المحلية.

وعلى نحو مزداد، فإن هذه الخدمات الثانوية تحركت في كافة الاتجاهات، وبشكل رئيس في اميركا اللاتينية. فخلال السبعينات وتحت ضغط شعبي، فان الكونغرس أقر قانوناً يتعلق بتقييدات حقوق الانسان مما قيد من محاولات الادارة الاميركية في دعم الأنظمة الديكتاتورية في اميركا اللاتينية. لذلك فقد كان عليها أن تتحرك، وعليه فقد استخدمت البدائل والتدخل الغير مباشر، وخاصة في ظل ادارتي كارتر وريغان. وكانت اسرائيل قادرة على انشاء علاقات وثيقة مع كل من النظامين الشبه نازيين في الجزء المخروطي الجنوبي من امريكا اللاتينية، وهما الأرجنتين وتشيلي. وكان ذلك ينصب في المصلحة الاميركية. إذ أنه كان على الولايات المتحدة تجنب الدعم المباشر لهما. فقد اعتمدت الولايات المتحدة في اميركا الوسطى على الأرجنتين بشكل رئيس، ولكن وعلى نحو مزداد، ومؤخراً بشكل رئيس، فقد اعتمدت على القوى الاسرائيلية لمساندة الهجومات التصفوية للسكان الهنود في غواتيمالا، أو لإرسال السلاح الى السلفادور وهندوراس لدعم ثوار الكونترا، وهذان مثالان حيان على ذلك.

فهذه هي قصة طويلة وبشعة، وانها مظهر ثانوي للخدمات التي من المتوقع ان تقدمها اسرائيل لنا. فكل هذا مثبت في السجل العام. واذا ما تصورنا عما هو موجود في السجل السري، فان للولايات المتحدة قوات عسكرية تقليدية مخصصة لمنطقة الخليج. انها تدعى بقوات القيادة المركزية. وعرفت باسم قوة الانتشار السريع. فإذا ما

حدثت أية تطورات او تحركات وطنية في المنطقة، فإننا نتدخل سريعاً. بيد اننا بحاجة لنظام تمركز من اجل ذلك، لذلك فلدينا الآن نظام تمركز قوات متين جداً يمتد من تركيا ويحيط بكافة المنطقة وحتى المحيط الهندي. ومع انه لا توجد هناك وثيقة او سجل رسمي لذلك. فانه من التخمين، وشبه المؤكد، من ان اسـرائيل تعتبر كجزء مركزي لنظام التمركز هذا.

وان الكثير مما قلته للتو ليس واضحاً فحسب من طريقة التاريخ المستنبط وانما ما عبر عنه في السجلات الغير رسمية. فعلى سبيل المثال، فانك ترى كيف أن العلاقات الاميركية مع اسرائيل قد تغيرت على مدى السنوات. ففي اوائل الخمسينات فانها كانت فاترة نوعاً ما ومتنازعة. فقد أمرنا اسرائيل في عام ١٩٥٦ بالانسحاب من سيناء بعد الهجوم على مصر، ويعود السبب في ذلك لأنها هاجمت مصر بالاشتراك مع فرنسا وانجلترا. فقد كنا حينذاك نشير الى كل من فرنسا وبريطانيا على أنهما عدوتان رئيستان لنا بشكل رئيس. فقد كانتا تحاولان استعادة الموقع او المركز الذي كنا قد طردناهما منه، لأننا أردنا السيطرة على المنطقة بأنفسنا. واسرائيل، في هجومها على مصر بالاشتراك معهما، فانها كانت تتآمر بصورة رئيسة مع العدو، لذلك فقد طردناهم من هناك. وفي مطلع الخمسينات، فانه لم يكن واضحاً على الأقل، من كانت ستستخدم الولايات المتحدة كقواعد لقوتها الاقليمية.

وكان هناك بعض الدعم من اجل استخدام الرئيس المصري انذاك، جمال عبد الناصر، لهذا الغرض. فقد كان هناك بعض الدعم لناصر من قبل وكالة المخابرات المركزية و قتذاك. إلا أنه في منتصف الخمسينات، اصبح واضحاً تماماً من ان ناصر كان يسير في الطريق الوطني الراديكالي (الثوري). وبذلك، فانه لم يكن ليتبع الأوامر الاميركية، وبدأ النفوذ الناصري ينتشر في كافة انحاء المنطقة. وبحلول عام ١٩٥٨ خلصت مذكرة لمجلس الأمن القومي تتعلق بمنطقة الشرق الأوسط الى انه «كنتيجة طبيعية منطقية» من أجل مواجهتنا للحركة القومية العربية الراديكالية فلا بد من دعم اسرائيل كقوة مساندة للغرب وموثوق بها في المنطقة.

وازداد ذلك خلال عقد الستينات. فقد اعتبرت الاستخبارات الاميركية اسرائيل على انها عائق أمام «الضغط الوطني» - الضغط الناصري - في شبه الجزيرة العربية، وكان

يوجد هناك نوع من الحرب التوكيلية في الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية ما بين مصر والسعودية. واعتبرت اسرائيل كدرع واقٍ لحماية المنطقة التي تسيطر على منابع النفط وكمساعد للولايت المتحدة. كما ان انتصار اسرائيل في حرب عام ١٩٦٧، والتي اظهرت في الحقيقة بانها كانت قوة عسكرية مهيمنة بشكل غامر في المنطقة، ومؤكدة قيمتها كمصدر قوة استراتيجية. فالولايات المتحدة قد ساندت اسرائيل بالتاكيد في تلك الحرب وقد تكون اشتركت فيها فعلياً. فهناك دليل على ذلك. وقد ساندت اسرائيل بالتاكيد.

وعند ذلك الحد، فإن المساعدة الأميركية لاسرائيل قد ازدادت بشكل واسع، وبدت كما تحقق من ذلك السناتور أنوي وغيره بأن هذا يمكن ان يشكل قوة عسكرية ذات قيمة. وقد قامت اسرائيل بأداء أدوار ناجحة كنا بحاجة ماسة ويائسة لأدائها. وقد صيغ في ذلك الوقت، في حقبة السبعينات، مبدأ نيكسون ضمنياً، وكان دور اسرائيل فيه متعلق بالخليج تقريباً. عندما سقط الشاه في عام ١٩٧٩، فقد فقدت معه ايران دورها، وتركت اسرائيل كقاعدة عسكرية وحيدة موثوق بها في المنطقة من قبل الولايات المتحدة. وانهمرت المساعدات الأميركية على اسرائيل ثانية.

وقد دعينا في ذلك الوقت بما يدعى هنا «بعملية السلام»، والتي هي نوعاً من مصطلح أرويل، والتي تشير الى حقيقة اننا اسسنا نظاماً خرجت بموجبه مصر تماماً من النزاع، وذلك من خلال اتفاقات كامب ديفيد. وكان القصد والنتائج لتلك السياسة هي ترك اسرائيل لتوسع وتكثف احتلالها للأراضي المحتلة، وأيضاً لتهاجم جارتها الشمالية دون اي قلق من وجود قوة رادعة. وذلك بالضبط ما حدث ابتداء من عام ١٩٧٨. فقد حدث الغزو الاسرائيلي الأول للبنان في عام ١٩٧٨. وازداد توسع الاستيطان في الأراضي العربية المحتلة بصورة مضطردة. وواصلت اسرائيل الهجوم على لبنان، ففي عام ١٩٨٢ غزتها مباشرة، ونحن نعلم ما كانت نتائج ذلك في حينه. فكل هذا كان متوقعاً ومباشراً تماماً نتيجة «لعملية السلام» في كامب ديفيد. وهو ايضا يعتبر جزءاً من النظام ككل لتحويل اسرائيل الى دولة عسكرية.

ومن المحتمل، فهي تعتبر لغاية الآن كاكبر مجتمع عسكري في العالم. ومن المحتمل ايضاً انها من أكبر الدول المدينة في العالم. فوضعها الاقتصادي، على سبيل المثال،

ينعكس في ديونها الموزعة مع البنوك الدولية، وحتى مع وجود مساعدات اميركية ضخمة. مع انها تجتاز نوعاً من التحولات الداخلية بازدياد، تغييرات ثقافية وحضارية وغيرها، والتي تنحرف عن هذا الكم من الدين. وهذا متعلق بالسبب الذي من أجله قد أعاقت الولايات المتحدة بإحكام اي إمكانية لتسوية سياسية. فقد كانت هناك عدة إمكانيات، على الأقل منذ عام ١٩٧١، من أجل التوصل الى تسوية سياسية سلمية. إلا ان الولايات قد اعاقتها جميعاً باصرار، لأن ذلك سيتطلب ان تكون اسرائيل عنصراً مسالماً في المنطقة وتعالج مسائلها بدبلوماسية وليس بواسطة العنف، ونحن لم نقبل بذلك. فهذا لم يكن بالدور الذي أردنا أن تلعبه اسرائيل.

وكل هذا قد وثق بشكل سهل جداً علمياً. فقد كتبت بشأنه، وهناك عدد وافر من المقالات بهذا الخصوص، إلا انها قد كُبتت وشوهت تماماً في الروايات الرسمية. فنحن نتحدث عن «عملية السلام» و«بحث اسرائيل عن السلام»، الخ. فهذه هي القصة الحقيقية. فكم يفهم السناتور انوى عملياً عما يتحدث بشأنه، لا أعرف ذلك. إلا ان الاشخاص الذين يخططون فعلياً فانهم يفهمون هذا بالتأكيد، وهذا يتضمن فهم الدور الاستراتيجي لاسرائيل في المنطقة، والذي يعتمد على نوع المساعدة الوافرة بل الخاصة التي نقدمها لها، والتي تكفل الحفاظ عليها كقوة عسكرية وأن تبقي على وضع مواجهة عسكرية في المنطقة، والذي يعتبر جزءاً من هذا الأمر ككل.

■ **سؤال : في الحقيقة، فان عملية كامب ديفيد قد دخلت مجال الاسطورة الشعبية. لقد نالت جائزة نوبل للسلام واحتفلنا بها كنموذج، كعربة حقيقية لتسوية النزاع العربي - الاسرائيلي. وقد قال السناتور جون كيري، في دنفر في ١٦ اذار ١٩٨٦، بانه كان يفضل «عودة الى عملية كامب ديفيد». فلماذا وضعت كامب ديفيد كنموذج ثابت ؟**

جــواب : إن هذا مؤشر للفعالية المدهشة لنظام التلقين الاميركي. فدعنا نستذكر بأن كامب ديفيد كانت عبارة عن اتفاق أو معاهدة انسحبت اسرائيل بموجبها من سيناء، وأحلت محلها قوات أجنبية، ومن ضمنها قوات أميركية، وذلك لضمان بأن لا تكون منطقة مواجهة عسكرية. وهذا، في الواقع، أخرج مصر من النزاع. وهذا الأمر الذي

انجز في كامب ديفيد، هو إخراج القوة العسكرية العربية الرئيسة من محور النزاع. فهذا الاخراج، الذي أرادوه، يعني بأنه لا توجد هناك قوة رادعة لاسرائيل من أن تفعل ما تريده. وما جرى بعد ذلك فقد كان واضحاً: التحرك باتجاه الاستيلاء وضم الأراضي العربية المحتلة والتحرش بالحدود الشمالية لاسرائيل، والتوسع باتجاه الشمال. وقد استمر القيام بذلك لغاية ما عانت اسرائيل من هزيمتها العسكرية الأولى في الآونة الأخيرة وعلى أيدي المقاومة اللبنانية. فلغاية تلك النقطة فان الأمر كان عبارة عن توسع منتظم باتجاه الشمال. ولضمان ذلك، فانهم قاموا بذلك بفعالية، وقمنا بدورنا بزيادة المساعدة العسكرية بشكل مكثف لاسرائيل في نفس الوقت، في عامي ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩. وكما ذكرت للتو، فان سقوط شاه ايران كان يشكل عنصراً جانبياً، مما ترك اسرائيل كحارس وحيد موثوق به لأمن الخليج. واستلزمت عملية السلام مساعدة اميركية بنسب وافرة. ففي عام ١٩٧٩ وصلت المساعدة الاميركية لاسرائيل الى حد خمسين بالمائة من إجمالي المساعدات الاميركية الخارجية. فما كان يجول في فكر ادارة الرئيس كارتر، فانه لا توجد لديّ اية فكرة حول ذلك، إلا انه من الواضح لأي شخص عقلاني، بأنه اذا ما حررت اسرائيل من اية قوة رادعة وذلك بازالة القوة العسكرية العربية الرئيسة في المنطقة، وذا ما وفرت لها مساعدة عسكرية وافرة، فعندئذ ستهاجم بفعالية.

فالمساعدات الاميركة لاسرائيل، بالمناسبة، هي غير معينة أو مخصصة. ففي حالة اي مساعدة أخرى حسب برنامج المساعدات فانه يتطلب وجود مؤشرات معينة لما يمكن أن تستخدم من اجله تلك المساعدة. وغالباً ما تستخدم من اجل شراء منتوجات اميركية أو ما شابه ذلك. وفي أية حال، فانها ايضا تراقب ويشرف عليها مباشرة. فبالنسبة لمصر، على سبيل المثال، والتي تعتبر ثاني اكبر دولة تتلقى المساعدات الأميركية، فانه يرسل اليها فنيون ليشرفون على كيفية إنفاق المساعدة وللتاكد من أنها تستخدم في المشروع المطلوب الاستفادة منه وحسب رغبتنا. اما بالنسبة لاسرائيل، فإن وضعها فريد من نوعه، فمع أن المساعدة تكون مرتفعة جداً وغير قابلة للتصديق، فانه لا يشرف عليها احد. وانها تكون على شكل نقد مدفوع. ونقول لهم، افعلوا بها ما يحلو لكم. فاستخدموها من اجل استيطان المناطق المحتلة، واستخدموها من اجل الهجوم على لبنان، الخ. فهذا ما كان قابل للتوقع تماماً، وعلاوة على ذلك فانه ما يحدث بالضبط.

فحتى الناس الذين لا يمكنهم ان يروا ذلك في حينه فإن بوسعهم ان ينظروا للوراء ويروا بأن ذلك قد حدث. فالتوسع في الأراضي المحتلة، والذي استمر لمدة عشر سنوات في تلك الناحية، فانه ازداد حينئذ بصورة مضطردة جداً. كما ان عملية القمع قد ازدادت في الأراضي المحتلة. والاحتلال العسكري، والذي كان قاسياً دوماً، قد اصبح وحشياً اكثر فاكثر وخصوصاً في عامي ١٩٨١، ١٩٨٢. كما هاجمت اسرائيل لبنان. وغزته في عام ١٩٧٨. وكان هناك قصف كثيف خلال عام ١٩٧٩ ضد لبنان، وأحدث مئات وربما الاف القتلى من الناس. وخرقت اسرائيل وعلى نحو متكرر وقف إطلاق النار، لتباشر بالهجوم على لبنان. ففي شهر تموز ١٩٨١، وفي حالة هامة، فان الطائرات الاسرائيلية خرقت وقف اطلاق النار، وهاجمت لبنان. وكان الرد في ذلك الوقت عبارة عن هجوم بالصواريخ الخفيفة، ومن ثم تنتقم اسرائيل بالهجوم وتقصف بيروت، لتقتل عدة مئات من الأشخاص. ويكون بعد ذلك رداً اكثر كثافة بالصواريخ ضد الجليل الشمالي، ومن ثم يحدث قصف اسرائيلي اكثر كثافة واشد. واوقف ذلك اخيراً من قبل وساطة أميركية في أواخر شهر تموز من ذلك العام. وعند وقف اطلاق النار، فإن النتيجة كانت مقتل (٤٥٠) عربي وستة اسرائيليين فقط، والتي هي تعتبر نسب عادة تعكس توازن القوة. فالشيء الوحيد الذي يذكر من كل هذا هو ان الصواريخ قد أطلقت على شمال الجليل. فهذه ما كانت تفيد به التقارير، وهي دوماً توضع كمبرر لاسرائيل من اجل الهجوم على لبنان. نعم، فالصواريخ تطلق على شمال الجليل رداً على القصف الاسرائيلي الكثيف والذي يتسبب في قتل مئات المدنيين. وبعد ذلك التزمت منظمة التحرير بوقف إطلاق النار بشكل دقيق؛ فلم يحدث أي هجوم عبر الحدود اللبنانية لمدة إحدى عشرة شهراً أو نحو ذلك. أما اسرائيل، من جهة أخرى، فقد حاولت على مدى تلك الفترة، ١٩٨١-١٩٨٢، بأن تثير بعض العمل من قبل المنظمة، والذي يمكن أن يستغل كاستفزاز مزعوم، او كذريعة من اجل شن هجوم أوسع على لبنان، والذي بدأوا التخطيط له في تموز ١٩٨١.

ومرة ثانية، فقد أصبح هذا الأمر متنبأ له تماماً. فالصحافة الاميركية لم تستطع او تظاهرت بعدم قدرتها على رؤية ذلك، إلا انه كان أمراً واضحاً في ذلك الوقت. فخلال عامي ١٩٨١، ١٩٨٢، فانه كانت هناك استفزازات اسرائيلية متكررة، بما فيها قصف المدن اللبنانية، ذلك لإثارة نوع من العمل ضدها، ربما قصف الشمال او شيء من هذا

القبيل، مما يمكن معه عندئذ من استخدامه كذريعة من اجل غزو لبنان والذي خططوا له من قبل. وعندما لم يمكن ايجاد اية ذريعة، فانهم ببساطة اخترعوا واحدة من عندهم، وغزوا لبنان في حزيران ١٩٨٢. وقد حصلوا على دعم اميركي كامل بهذا الشأن. هذا ما كان بالنسبة لحرب لبنان.

وبعد ذلك، حاولوا ترسيخ وضعهم في جنوب لبنان، مما أوجد معه وجود مقاومة في الجنوب اللبناني. وهي ما دعوها واطلقوا عليها اسم «الارهاب». كل ذلك كان نتيجة لعملية السلام في «كامب ديفيد». ومن المدهش ان هذه الحقائق الاساسية لم يمكن فهمها من قبل جهازنا الاعلامي. وهذا مماثل للاتحاد السوفياتي، كما أعتقد، ففي ذلك يتظاهر جهاز اعلامه او حتى لا يمكنه أن يرى أن الاتحاد السوفياتي متورط في عملية قمع شديدة في أوروبا الشرقية ومحتل لأفغانستان. فهم لا يمكنهم رؤية ذلك، او حتى على الأقل لا يمكنهم قول ذلك. وعلى نحو مقارن، فنحن لا نرى أو لا يمكننا القول بأن هذه الأمور موجودة هنا. ويجب أن أنكر بأن المرء يمكنه ان يسأل، أو أي مراسل صحفي يمكنه أن يسأل، ما هو موقف السكان المحليين في الاراضي المحتلة؟ فنحن نعلم، على سبيل المثال، بأن هناك استفتاءات تتعلق بعلمية سلام كامب ديفيد تقوم بها اسرائيل. وقد تبين أن غالبية السكان، اكثر من تسعين بالمائة منهم، اعتبروا عملية سلام كامب ديفيد على انها ضارة بمصالحهم. وهذا واضح من الأسباب التي نوقشت أو طرحت سابقاً.

وتعليق أخير على كامب ديفيد هو أن ذلك الشق الذي يتعلق بعملية السلام، من انها محاولة متماسكة، والتي قد اعاقتها الولايات المتحدة، من جانب الدول العربية والأوروبية لاستهلال عملية سلام حقيقية. وبدأ هذا بوضوح في شباط ١٩٧١، عندما قدم الرئيس المصري آنذاك، انور السادات، لاسرائيل تسوية سلمية كاملة. ولكن لم يكن هناك شيء في عرضه يخص الفلسطينيين تماماً، فقد تجوهلوا ببساطة. وكانت التسوية السلمية الكاملة تلك، هي الاعتراف بحدود ما قبل عام ١٩٦٧ دولياً، وتكون هناك ضمانات امنية مع الحدود المعترف بها، الخ. ورفضت اسرائيل هذا الاقتراح لأنها ارادت الاحتفاظ بالأراضي العربية المحتلة وكانت تتولى الحكم في اسرائيل وقتذاك حكومة عمالية حمائمية. وساندتها الولايات المتحدة في رفضها ذلك. وظل هذا ثابتاً لغاية

اليوم. فعلى سبيل المثال، فقبل حوالي سنة تقريباً قدم ياسر عرفات لاسرائيل عرضاً باجراء مفاوضات تؤدي الى اعتراف مشترك. وبالطبع، فقد رفضت اسرائيل ذلك على الفور. وحتى ان الولايات المتحدة لم تزعج نفسها بالرد. وقد كبت هذا الأمر في وسائل الاعلام الأميركية فعلياً. وكأنه لم يكن موجوداً اليوم. وفي خلال ذلك كانت هناك حالات عديدة حيث عملت الولايات المتحدة على سد وإعاقة عروض السلام في الأمم المتحدة، والتي قدمتها كل من سوريا، الأردن، مصر، ومنظمة التحرير الفلسطينية، التي دعت الى سلام مبني على وجود دولتين، فلسطينية واسرائيلية. فكل واحد يدرك بأن هذه هي التسوية السلمية الوحيدة، والتي تضمن حدوداً معترف بها، الخ. وعلى نحو متكرر، وعلى مدى السنوات، فان الولايات المتحدة قد رفضت قبول أي عرض او اقتراح حقيقي للسلام. لذا، فان هناك شيئاً ما من الممكن ان نطلق عليه «عملية السلام»، باستثناء انها أجهضت من قبل الولايات المتحدة، ورفضت بالطبع من قبل اسرائيل على نحو مستمر، فإنه امر خارج عن نطاق التاريخ، فهو غير موجود. فعلى سبيل المثال، عندما أوردت صحيفة «نيويورك تايمز» انباء عن تاريخ جهود السلام، كما فعل ذلك توماس فريدمان، مراسل الصحيفة في القدس، قبل بضعة أيام، فانه لم ينكر هذا بتاتاً، انما بقي شيئاً في الذاكرة. فالشيء الوحيد الموجود على الأجندة الأميركية هي معاهدة كامب ديفيد، والتي ندعوها بعملية السلام، والتي هي في الحقيقة عبارة عن عملية حرب.

■ **سؤال : لقد قلت بان الولايات المتحدة واسرائيل قد وقفتا واعاقتا طريق السلام او اجراء تسوية دولية، وعلى اسس عنصرية بشكل اساسي. فمع انهما يعترفان بحق اسرائيل لتكون دولة قومية، ولليهود بشكل رئيسي، فإنهما لا تقبلان او تعترفان بحق متواز للسكان المحليين. لماذا ؟**

جـــواب : أعتقد بأن الموقف الاميركي هو عنصري بشكل متشدد، فلا مجال للتساؤل حول ذلك. فهناك مجموعتان وطنيان موجودتان الآن، وتدعي كل منهما بحق تقرير المصير الوطني فيما كان يدعى بفلسطين سابقاً: فهناك السكان المحليون، الفلسطينيون، وهناك المستوطنون الذين يحلون محلهم بشكل جزئي، وهم بشكل رئيس من المهاجرين اليهود. فنحن قبلنا واعترفنا دون اي تساؤل بحق المهاجرين اليهود في تقرير المصير

الوطني في فلسطين، ولذلك فقد دعمنا اسرائيل بشكل جلي كتعبير عن ذلك الحق الوطني. ومع ذلك، فقد أنكرنا حقاً موازياً للسكان المحلين، الفلسطينيين. فموقفنا الراهن، على سبيل المثال، هو أننا وافقنا فقط على التحدث أو مناقشة الفلسطينيين، السكان المحليين، إذا لم يكونوا مرتبطين بمنظمة التحرير الفلسطينية. فمنظمة التحرير هي بوضوح المنظمة التي يعترفون على أنها تعبر عن حقوقهم الوطنية. فلا يوجد هناك شك بهذا. وبالرجوع الى تلك الاستفتاءات الاسرائيلية التي تجرى، فإن حوالي (٩٨) بالمائة من السكان في الاراضي المحتلة يدعون الى اقامة دولة فلسطينية مستقلة، فهذا ما يريدونه. وفي آخر استفتاء أجرته اسرائيل، فإن (٨٦) بالمائة منهم رغبوا بأن تتولى امورهم منظمة التحرير فقط أما الآخرين منهم فقد رغبوا بأن تسير المنظمة الامور بشكل كبير. وكان هذا الشيء ذاته بالنسبة لفلسطينيي المهجر. وكان ذلك دعماً اقوى من الدعم الذي تلقته المنظمة الصهيونية من اليهود في عقد الاربعينات.

وفيما لو ان حكومة الولايات المتحدة قد قالت نعم في الأربعينات، فإننا كنا سنكون راغبين بالتحدث مع اليهود حول فلسطين، ولكن فقط اذا لم يكونوا مرتبطين بالمنظمة الصهيونية، وبالطبع عدم السماح لانشاء اية دولة يهودية، والتي ستعتبر كدولة عنصرية. ويجب علي القول بأن العالم اليهودي كان منقسماً بشأن هذه المسألة. فبرفض التحدث مع منظمة التحرير اليوم هو كاتخاذ نفس الموقف. ومرة ثانية، فمن اللافت للنظر ان التفسير الأميركي لا يمكنه فهم العنصرية الغير عادية لهذا الموقف.

فهذه العنصرية ظاهرة وجلية في اي مكان آخر ايضاً. فلنأخذ الطريقة التي نتصرف بها بالنسبة لما يحدث اليوم في جنوب لبنان. فالتفسير الاميركي يعتبره شرعياً تماماً بالنسبة لجيش الاحتلال لاسرائيلي لأن يستخدم العنف لقمع المقاومة. ففي الواقع، فانه حتى ان ذلك يدعى أحياناً «بالارهاب مقابل الارهاب»، الأمر الذي يجعله تعبيراً مثيطاً. فهذا انطبق على المنظمة التي انشئت من قبل الجستابو لمهاجمة المقاومة الاوروبية. فقد استخدمناه دون اي وخز ضمير للاشارة الى ما يجري في جنوب لبنان، بل اننا ندعمه. وحتى عندما وصل الامر الى حد قتل مراسلي شبكة سي.بي.إس من قبل الاسرائيليين، فان الرئيس (الاميركي) ظهر على شاشة التلفزيون وقال: «انه شيء رائع تماماً، فهم يقومون بذلك دفاعاً عن النفس». ولم يكن هناك اي تعليق على ذلك في الصحافة.

ولنأخذ التفسير أو الظاهرة التي أجبرت اسرائيل على الانسحاب من جنوب لبنان: والذي فرض من قبل المقاومة المحلية. فقد كانت هناك قصصاً مزعجة في وسائل الاعلام حول النتائج السيئة لسكان الجليل الشمالي، الذين تعرضوا ثانية للقصف الصاروخي من الأراضي اللبنانية. فالحدود كانت هادئة تماماً لمدة سنة قبل الهجوم الاسرائيلي، وكان القصف الصاروخي، كما ذكرت، انتقاماً على الغارات الاسرائيلية. فقتل العرب يعتبر امراً شرعياً تماماً، في نظر اسرائيل. فاسرائيل قتلت العشرات، وربما المئات من السكان المحليين اللبنانين، بما تدعيه وتطلق عليه اسم عمليات «القبضة الحديدية». وشمل هذا القيام بأعمال ارهابية حقيقية مثل قصف المستشفيات، وإبعاد الأشخاص الذين كانوا يحاولون التبرع بالدم للجرحى من جراء الغارات الاسرائيلية، والاعتداء على مدير المستشفى، انها بربرية حقيقية. وهذا ما يعتبر شرعياً، بنظر اسرائيل. فانه من حقهم استخدام القوة العسكرية في بلد آخر لقمع السكان المحليين.

ومظهر اخر لنفس العنصرية يظهر تماماً وبصورة دراماتيكية في موقفنا الدبلوماسي، ورفضنا الاعتراف بأن للسكان المحليين (الفلسطينيين) حقوقاً قد وافقنا عليها واعترفنا بها للمستوطنين اليهود الذين هاجروا لاسرائيل. حتى انه وصل الأمر الى حد ان هناك في الولايات المتحدة تظاهراً من انه لا يوجد سكان محليين. فضلاً عن أن هناك حادثة مضحكة حدثت قبل مدة تتعلق بكتاب مخادع تماماً بعنوان (منذ الوقت السحيق) لمؤلفه جوان بيترز، والذي أصبح اكثر مبيعاً في الولايات المتحدة. وقد مدح على نطاق واسع هنا، في الولايات المتحدة. فالكتاب يدعى انه لا وجود للفلسطينيين.. إنه كتاب تلفيقي يحتوي على اكاذيب وتشويهات للحقائق. وما ان سمح ناشروه بنشره في بريطانيا حتى ارتكبوا خطأً تكتيكياً، حيث ان رجال الفكر هناك هم على اطلاع ببواطن الامور، فأحدث ضجة على الفور وبينت عمليات استعراضه وتحليله مدى الأخطاء والتلفيقات السخيفة التي احتوى عليها الكتاب. إلا ان الكتاب قد قبل ولقي استحساناً هنا في الولايات المتحدة، وأخذ على أنه حقيقة انجيلية، لانه يقول ما نريده ونرغب به. فاذا لم يكن الفلسطينيون موجودون، فان هذا يبرر مواقفنا العنصرية تجاههم.

■ **سؤال : يصادف في حزيران من كل عام ذكرى عملية «سلامة الجليل» غزو اسرائيل للبنان، فماذا انجزته اسرائيل في لبنان ؟**

جـــواب : إنها أنجزت الشيء الضئيل تماماً. فالهدف الرئيس لاسرائيل في لبنان قد كشف عنه من خلال بياناتها. فعلى سبيل المثال، فقد أشار رئيس وزرائها بأن اسرائيل تواجه أو كانت تواجه خطراً حقيقياً في لبنان قبل عام ١٩٨٢. ومن ثم مضى يفسر ذلك على أنه لم يكن خطراً عسكرياً ولكنه خطراً سياسياً، ذلك أن منظمة التحرير كانت تلتزم تماماً بوقف إطلاق النار، وكانت تزيد من محاولاتها لوضع الأسس من أجل ايجاد تسوية سياسية للمشكلة الفلسطينية. وكان ذلك يشكل خطراً، لأنه إذا ما كان هنالك حلاً أو تسوية سياسية، وان يعتُرف بالفلسطينيين كشركاء في القضية، فإن اسرائيل عندئذ لن تكون قادرة على الإبقاء على سيطرتها على الأراضي المحتلة، وان عليها أن تنخرط في تسوية سلمية في المنطقة، وهو الأمر الذي لا تريده. لذلك فقد كان هناك خطراً سياسياً على اسرائيل، كما اشار شامير الى ذلك. وكان لأحد الهجائين الاسرائيليين المشهورين، وهو ب. ميشيل، مقالاً صحيحاً كتبه بعد بيان شامير الذي أورد فيه: «شكراً لله بأنه لا يوجد هناك أحد نتحدث اليه». فقد نجح الاسرائيليون في ازالة التهديد أو الخطر السياسي. فالهجوم على الفلسطينيين، الذي قصد منه تدمير المجتمع الفلسطيني المنظم، كان هذا هو الهدف من حرب لبنان أو عملية «سلامة الجليل»، وقد نجح. فقد دمر المجتمع الفلسطيني المنظم، وهمشت منظمة التحرير الفلسطينية بعض الشيء، وقلص خطر التسوية السياسية.

لقد كان لاسرائيل اهدافاً أخرى ايضاً، وبشكل رئيس من اجل الهيمنة على لبنان ولاقامة هناك بما يدعى «بالنظام الجديد»، والذي يقصد منه وجود نظام عميل مرتكز على الجناح اليميني هناك وهذا ما كان يدعى في يوم ما بخطة شارون، أما الآن فقد شجبه الاسرائيليون لأن شارون كان فظيعاً جداً. بيد انه يجب التذكر من ان الخطة كانت تسير بنجاح، في اواخر شهر اب ١٩٨٢، وبعد القصف الوحشي العنيف لبيروت وتدمير جنوب لبنان، لأن الدعم الشعبي له في اسرائيل كان واسعاً . فمساندة الليكود، وبالأخص بيغن وشارون وصلا الى نسبة (٨٠) بالمائة، وكانت هذه سابقة لا مثيل لها تماماً من قبل في اسرائيل. وكان فقط عندما بدأت الخطة بالسقوط جانباً عندما نشأت المعارضة لها. فلقد كانت خطة كبيرة، وتهدف بشكل رئيس لانشاء دولة عميلة مبنية على العناصر اليمينية المسيحية والمسلمة في لبنان. إلا أن ذلك قد فشل. فقد كان

الاسرائيليون غير قادرين على القيام بذلك. ولعدة أسباب، من إحداها هي المقاومة الكثيفة في الجنوب اللبناني. وفي الحقيقة، ففي الجنوب، عانت اسرائيل من هزيمتها العسكرية الأولى. فقد أجبرت بواسطة المقاومة المحلية من الانسحاب جزئياً من جنوب لبنان. فلا اعتقد بأنه كان في نيتها حقاً الانسحاب من هناك. فما كان بنيتهم أن يفعلوه هو الاحتفاظ بجنوب لبنان قدر الإمكان، إلا أنه لم يكن بوسعهم ذلك، بسبب مقاومة السكان المحليين. ولكن سيفعلون ذلك ثانية. فمن الممكن أن تكون هناك تحركات باتجاه تفريغ الجنوب اللبناني من السكان إذا ما دعت الضرورة، كما فعلوا ذلك على طول وادي الأردن في أواخر الستينات. فسيبقوا على موطىء قدم هناك، كما اتخيل ذلك، على الأقل، إذا ما دعمتهم الولايات المتحدة.

■ سؤال : هل يمكنك التحدث عن المشاكل التي تبحث في السياسات الاسرائيلية في الولايات المتحدة دون ان توصف «باللاسامية»؟ فانت، على سبيل المثال، غالباً ما تتحدث عن ذلك، والفت عدة كتب في هذا المجال. وهل واجهت شخصياً اية صعوبات في هذا الصدد؟

جواب : لا يمكن أن أوصف «باللاسامية»، لأنني يهودي، لذلك فانه يوجد هناك وصف آخر يستخدم. وهذا يستخدم من قبل أناس يدعون أنفسهم «بمؤيدي اسرائيل». وهم فعلياً أعداء حقيقيين لاسرائيل. فهم يساندون تطوير ما أصفه، بنمو المجتمع العسكري الغير قابل للنمو والحياة، والمنجرف باتجاه الحرب المحققة للمصالح الأميركية. وهذا ليس دعماً لاسرائيل في أي معنى مفيد. والناس الذين يدعون أنفسهم «بداعمي اسرائيل» يتكونون من فئتين. فئة «معادية للسامية»، والأخرى فئة «البغض الذاتي اليهودي». وهذا يثير اهتمام أي واحد. فإما أن تكون معادياً للسامية، أو أن تكون يهودي ذا بغض ذاتي، إذا لم تتبع خط الفريق بشكل ثابت.

وانطلقت هذه التكتيكات بشكل واسع، لذلك فانه لم تتبن الدوائر الاسرائيلية اليمينية المتطرفة، أو الذين يؤيدون اسرائيل هذا ذلك الموقف، وانما أيضا، هناك اناس مثل ابا ايبان وهو من حمائم حزب العمل، والذي بين ضمنياً من ان مهمة الدعاية اليسارية الاسرائيلية هي لتوضيح أو لجعل الامر واضحاً من ان اي انتقاد لاسرائيل هو إما ان يكون معادياً للسامية او موقف يهود البغض الذاتي. وفي الولايات المتحدة هناك جهاز

فعال من التخويف والترهيب قد طور لإسكات النقد. فدعني اتقدم لك مثالاً واحداً فقط : فلنأخذ عصبة مكافحة التشويه والافتراء التابعة لمنظمة بناي بيرث، والتي اشتهرت كمنظمة للمحافظة على الحقوق المدنية (اليهودية).

إنه امر مضحك. فهي فعلياً منظمة مكرسة لمحاولة تشويه وتخويف وإسكات الناس الذين ينتقدون السياسات الاسرائيلية الراهنة، مهما يكونون. فعلى سبيل المثال، فقد تلقيت انا بنفسي، ومن خلال تسريبه في مكتب انجلترا الجديدة لرابطة مكافحة الافتراء والتشويه، نسخة من ملفي هناك. وكانت محتوياته التي شملت على مائة وخمسين صفحة، وهو مثل الملف الموجود لدى مكتب التحقيقات الفيدرالي، ومنكرات مكتبية تحذر من انني اذهب الى هنا وهناك، ومراقبة الأحاديث التي ادلي بها، والتعليقات ونسخ مزعومة من الأحاديث. وهي على الاغلب مزيفة لأن الناس لم يسمعوا بها او لا يمكنهم فهمها. وكانت هذه المادة تعمم وتوزع. فإذا ما ذهبت لأدلي بحديث في مكان ما، فان هذه المادة ترسل الى مجموعة محلية والتي تقوم باستخدامها من اجل استخراج مادة تشويهية او افترائية، والتي عندئذ توزع وتعمم، وغالباً ما تكون على شكل نشرات غير موقعة، توزع خارج المكان الذي اتحدث فيه.

وحدث مرة أن حصلت على إحدى هذه المواد او النشرات، عندما ارسلت الى استاذ القانون في جامعة هارفارد الن ديرشويتز، الذي كنت احضر وإياه من اجل تقديم مداولة أو مناقشة بعد بضعة ايام، وذلك حتى يمكنه أن يستنبط من هذه النشرات مادة تشويهية ملفقة من قبل جهاز مراقبة رابطة مكافحة التشويه والافتراء. وهذا بالضبط ما فعله بالحقيقة. فهذا هو نموذج الطريقة التي يتبعونها. واذا ما كان هنالك أي تعليق في الصحافة، والذي يعتبرونه على انه عنصر غير فعال ومساعد لخط الفريق، وبالتالي ستكون هناك فيضاً من الرسائل، والوفود، والاحتجاجات، والتهديدات من اجل سحب المادة الدعائية أو الصحفية، الخ. والسياسيون بالطبع هم خاضعون مباشرة لهذا، وهناك أيضاً عقوبات مالية كبيرة إذا لم يعضوا او يسيروا حسب الخط والصحافة الاسرائيلية تجهر بذلك تماماً.

فعلى سبيل المثال، بعد الانتخابات الأخيرة، فانه كانت هناك مقالة في احدى الصحف الاسرائيلية المشهورة لكاتب اسرائيلي مشهور هو يواف كارني، وكان عنوان

للمقالة عبارة عن تورية بالفعل. فهو يعني بالعبرية «اليهودي يشتري الأصوات». ولكن يمكن ان يفسر أيضاً على أن «المال اليهودي يشتري كل شيء». وذلك كان العنوان. ومن ثم جاء التقرير الذي تقدم به توماس داين، رئيس مجموعة اللوبي الاسرائيلي (اليهودي) في واشنطن، وهي ما تعرف باسم (لجنة الشؤون العامة اليهودية الأميركية)، والذي تحدث فيه بإعجاب عن النجاحات التي حققها اللوبي السياسي اليهودي، اللوبي الاسرائيلي المتواجد هنا، في السيطرة على انتخابات الكونغرس الاميركي. وقال بأن انجازهم الرئيسي كان في ازالة السناتور شارلز بيرسي وإبعاده عن المسرح السياسي، بسبب انتقاداته الشديدة لاسرائيل. ومضى يقول بأنهم يشعرون بأنه من خلال الانتصارات الانتخابية، فانه سيكون لديهم كونغرس مؤمن في جيوبهم لغاية عام الفين. فإذا ما ظهر هذا في أي مكان اخر في الولايات المتحدة، فانه كان سيعتبر على أنه نوعاً من التطرف، ونشرة معادية للسامية، ونوعاً ما يشابه «بروتوكولات حكماء صهيون»، ولكنها بالفعل مقالة يهودية وبصحيفة يهودية. وعلي أن أنكر بأن الصحفي (الاسرائيلي) قد روع تماماً بذلك. فقد قال بأن هذا يعتبر تهديداً حقيقياً للديمقراطية الأميركية. ولكن مجموعات اللوبي الصهيوني هنا اعتبرته كنجاح كبير، كانوا فخورين به تماماً، ومع هذا، بالطبع، فإنهم لا يقولون الأشياء في العلن كما يقولونها في مجالسهم الخاصة. فهذا نظام فعال جداً، وبشكل خاص فانه لا يوجد هناك ثقل موازٍ له. ولا يوجد هناك ضغط من الجانب الآخر. فهناك اجماع دولي واسع جداً، وهو موجود منذ عدة سنوات، من اجل تسوية سياسية للنزاع. تسوية تتكون بشكل رئيس من وجود دولتين، يعترف بها بالحقوق الوطنية لكل من اليهود والفلسطينيين على حد سواء. ونال هذا تأييد معظم دول العالم. إلا انه أعيق من قبل الولايات المتحدة، التي قادت وتقود معسكر الرافضين لهذا الاقتراح. بيد أن النقطة هي انه لا يوجد صوت معارض هنا عبر عن اي شيء مثل الاجماع الدولي. لا يوجد صوت واضح وجلي هنا يعرض الكبت والتشويهات التي تمارس بحرية تماماً من قبل اسرائيل، والتي تشجعهم في المضي قدماً والعمل كثيراً من أجله. وهذا واحد من الأسباب لماذا هم قادرون على مثل هذه الأعمال البربرية فعلاً في جنوب لبنان. فهم لم ينتقدوا أبداً في الماضي، ولما يجب ان يبدأ الآن؟ ويكون هناك نقد تصادفي عندما تسوء الأمور وتخرج عن نطاقها فعلاً، مثل مذابح صبرا وشاتيلا، إلا انه سرعان ما يكتب ذلك وتعود الأمور الى مجالها. وهذا ضغط من جهة

واحدة تماماً وجهاز للذم والكذب ووالتشويه، واستخدام متميز للأموال في الجهاز السياسي، مما خلق معه اتجاهاً منحرفاً بشكل عالٍ للمسألة برمتها، وهذا هو لماذا يمكن للولايات المتحدة أن تواصل إعاقتها للتسوية السلمية أو السياسية. فنظام المواجهة العسكرية، وهي خطرة جداً وتهدد باستمرار حدوث حرب عالمية، هي مستمرة بحصانة تامة. فلا يوجد هنا انتقاد محلي.

■ سؤال : وماذا بشأن المخاوف الاسرائيلية الحقيقية؟ فأنت على اطلاع تماماً بمستوى العنف اللفظي الصادر من العرب وغيرهم والذي يتحدث عن اسرائيل بأنها مثل «سرطان في الشرق الأوسط بحاجة لأن «يستأصل ويزال» ؟

جـــــواب : أول كل شيء، فإنني لست على اطلاع بمثل هذه التعبير، لأنه مفبرك في الغالب. فهي كانت موجودة، وبشكل رئيسي في الستينات، بيد أنه منذ أوائل السبعينات، فإن معظم العالم العربي يرغب تماماً بالتوصل الى تسوية مع اسرائيل. وكان هذا متضمناً في موقف مصر في عام ١٩٧١، وموقف الأردن أيضاً. فلا أريد الخوض هنا في استعراض السجل الدبلوماسي كاملاً بهذا الصدد، والذي استعرضته في كتابي «المثلث المحتوم»، الصادر منذ وقت ليس ببعيد جداً. فخلال السبعينات كانت هناك عروض عربية مستمرة من قبل كل من مصر، سوريا، ومنظمة التحرير والسعودية وغيرها، من أجل ترتيب تسوية سياسية تنسجم مع الإجماع الدولي. وهناك حديث عن «السرطان»، وما شابه ذلك، ولكن ذلك يأتي بصورة نموذجية من قبل مصادر اسرائيلية. فاسرائيل تشير الى منظمة التحرير على أنها «سرطان ينمو وينتشر ومرض يجب اجتثاثه».

■ سؤال : هل جدعون هوسنر قال ذلك؟

جـــــواب : نعم ، وهو الذي كان مدعياً عاماً إبان محاكمة ايخمان، والشخص الذي استخدم هذا الاصطلاح أو التعبير هو في الواقع يذكر بايخمان نفسه. ومع ذلك، فإنني لا استهين بالخطر الذي يحيق باسرائيل، فأعتقد بأنه حقيقي. فما دامت المواجهات العسكرية مستمرة، فان اسرائيل هي في خطر حقيقي للدمار، فلا يوجد هناك شك بذلك. وإحساسي هو أنها تتجه للدمار وحدث بأنها أصبحت قوة عسكرية مهيمنة في

المنطقة الآن، إلا أنه لا توجد ضمانة بأن ذلك سيستمر. مع استمرار المواجهة العسكرية المستمرة والغير منتهية، فإنها ستخسر عاجلاً أم اجلاً. فالاستخبارات العسكرية هي منخفضة المصداقية. فهي نادراً ما تعرف عما تتحدث عنه. وقد أظهر التاريخ الحديث ذلك تماماً. فهي يمكن أن تظن بأنها في وضع عسكري مهيمن، وربما تجد بأنها على خطأ. فقد تحدث أمور غير متوقعة في حالة الحرب. فهي (اسرائيل) كانت على وشك الانهيار في عام ١٩٧٣، بعد سنتين من عروض السادات السلمية. ومع ذلك، فانها لم تتعلم درساً من ذلك. والدرس الكبير هو انه اذا ما أرادت اسرائيل الحفاظ على السيطرة على الأراضي المحتلة، وأرادت استمرار تحرشاتها الحدودية مع لبنان، فانها عندئذ ستستمر في المواجهة العسكرية. وهذا سيعني وجود فرصة متكررة للحرب والدمار عاجلاً أم لاحقاً. لذلك، فإن التهديدات والاخطار حقيقية جداً، ما عدا بأنني اعتقد ولغاية الآن فإن هذه الأخطار هي من فعل ذاتي.

■ **سؤال : إن النظرية المركزية لكتابك «المثلث المحتوم» هي: مع ان الولايات المتحدة تدعي بانها صديق لاسرائيل، فإن سياستها ستدمرها تماماً. فما هو تعليقك ؟**

جواب : أعتقد ذلك، وحتى أنني اعتقد بشكل اكثر دراماتيكي بأن هذا صحيح للناس الذين يدعون أنفسهم بمساندي أو داعمي اسرائيل. ويجب علي القول بأن وجهة النظر هذه يشاطرني فيها الى حد كبير مجموعة صغيرة من الحمائم الاسرائيليين. فقد وصفوا الأمور في قوالب اكثر تطرفاً وقسوة من التعابير التي يمكن ان استخدمها. فعلى سبيل المثال، فلنأخذ متير بيل، الذي يعتبر عضواً حقيقياً في المؤسسة الاسرائيلية. فإنه ضابط متقاعد برتبة عقيد، وله سجل عسكري معروف، وكان سابقاً استراتيجي عسكري قيادي في الجيش الاسرائيلي. وكان رئيساً لمدرسة التدريب العسكري في الجيش الاسرائيلي، فخرج من المؤسسة الاسرائيلية مباشرة. وبعد ذلك كتب مقالاً هاجم فيه الجالية اليهودية الأميركية. وكان عنوان المقال «الصهيونية وخطر السرطان». حيث قال بأن الخطر يأتي من الجالية اليهودية الاميركية، فهي تريد من اسرائيل أن تكون «إله حرب مشابه لمارس (إله الحرب في الأساطير القديمة)». فهم يريدون أن يروا اسرائيل كسوبرمان، يبرز فجأة أمام الناس. ومضى يقول بأن موقف الجالية اليهودية الأميركية

ودعمها الدؤوب لإسرائيل ومن أجل هذه النزعات وتشجيعها في اسرائيل هي ماضية لتخلق وتجعل اسرائيل «لتكون تطوراً جديداً في التاريخ السياسي، مرتبط بمظاهر وسمات سيئة كمثل جنوب افريقيا وايرلندا الشمالية». كما ناشد فعلياً الجالية اليهودية الاميركية بأن توقف ما تسميه بالدعم لاسرائيل، والذي هو في الواقع، جرفها في هذا الاتجاه او ذاك.

وكما قلت، فإنها عبارات اكثر شدة بكثير عما يمكن ان اقوله، وانها تأتي من شخصية اسرائيلية رئيسة، ويعتبر من الحمائم. واعتقد بأنه كان مركزاً بشكل دقيق جداً عندما تحدث عن الجالية اليهودية الاميركية. فذلك ما عنوا به وقصدوا. ففي الواقع، فان الدعم لهذا النوع من السياسة في الولايات المتحدة هو مرتكز بشكل معين فقط على الجالية اليهودية الاميركية. وهو أوسع بكثير من ذلك.

ديفيد بارساميان : يبدو انه يوجد هناك تعددية وتنوع سياسي كثير جداً في اسرائيل اكثر مما يوجد في الولايات المتحدة نفسها.

نعوم تشومسكي : لا شك بذلك. فبالنسبة للسكان اليهود في اسرائيل، ودعنا نضع المواطنين العرب جانباً، فقد انجزوا مستوى من الديمقراطية فاق ما هو موجود في الولايات المتحدة. فهذه المسائل هي متداولة بشكل عام في اسرائيل. اما في الولايات المتحدة فقد همشت كثيراً الى حد لتكون فيه غير موجودة. ومرة ثانية، ولنأخذ مثال شخصي، فإنه لا يمكنني فعلياً ان انشر مثل هذه المواضيع في الولايات المتحدة، بيد انه طلب مني من قبل صحف اسرائيلية رئيسية بأن اقوم بكتابة المقالات فيها بشكل منتظم.

- **سؤال : انك تقرأ اللغة العبرية وتتابع الصحافة والسياسة الاسرائيلية عن قرب. فهل ترى اية اشارات في اسرائيل اليوم تتجه نحو تسوية سلمية تشتمل على وجود دولتين اسرائيلية والفلسطينية ؟**

جواب : لا يمكن ان تكون هناك مثل هذه الإشارات في اسرائيل، ولسبب بسيط تماماً. فاسرائيل تعتمد تماماً على الولايات المتحدة في هذه المسألة، ذلك انه لا يمكن لأية جماعة أن تحصل على اية درجة من المصداقية في اسرائيل ما لم تحصل على دعم اميركي اساسي. وهذا واحد من الاسباب بأن أناس مثل متير بيل واخرين مثله هم

منزعجون جداً بالنزعات الهستيرية الشوفينية في الولايات المتحدة بهذا الصدد. فهم يعرفون بأنه ما لم يحدث هناك بعض الدعم الاميركي من اجل تسوية سياسية، فان أولئك الجماعات داخل اسرائيل عندئذ، وهم بالتأكيد متواجدون هناك، سيعتبرون التطورات الراهنة خطرة ولا تحتمل، ولن يكون لها دعم أو تأييد داخلي. وهذا صحيح، في الواقع. فدعنا نلقي نظرة على الكنيست الحالي، وهو البرلمان الاسرائيلي. فيمكن على سبيل الافتراض أن يصوت عشرة بالمائة فقط من أعضائه لتأييد مثل هذا النوع من التسوية السياسية المطروحة على الساحة الدولية والحائزة على اجماع دولي. وهذا مجرد تخمين متفائل. ويمكن أن تكون النسبة اقل من ذلك بكثير. وستكون هناك جماعة ضئيلة جداً تلتزم بذلك. ومع ذلك، فإذا ما تطور الدعم الاميركي من اجل تسوية سياسية، فإن مثل هذه النزعات ستطور عندئذ في اسرائيل بهذا الاتجاه أيضاً.

■ **سؤال : هل يمكنك ان تضع بعض الايحاءات حول اي من الاشخاص يمكنهم ان يصبحوا مدركين لهذه المسالة لتؤثر في بعض التحركات السياسية الخارجية الاميركية في مواجهة اسرائيل؟**

جواب : هذا واحد من أسهل الأسئلة. فلتغيير السياسة الأميركية فيما يتعلق بـ، ولنقل، بأميركا الوسطى، فإنه سيكون من الصعب جداً حدوث ذلك، لأن الولايات المتحدة لها مصلحة تاريخية طويلة في العنف والقمع في اميركا الوسطى، ونحن لا ننوي ان نتخلى عن هذا بسهولة. إلا انه في حالة الشرق الأوسط فانني اعتقد بانه سيكون من السهل القيام بمثل هذا الشيء. وحتى مع هذا، فانه لا يوجد عملياً صوت واضح في الولايات المتحدة يدعم أو يؤيد الاجماع الدولي للتسوية السياسية، ومع ذلك فان الاستفتاءات التي اجريت بهذا الصدد بينت الى وجود ثلثين أو ثلاثة ارباع من المقترعين، كانوا يؤيدون وجود دولة فلسطينية. ذلك هو، فهم يعتقدون بأن السكان المحليين (الفلسطينيين) يجب أن يكون لهم الحق في تقرير المصير الوطني جنباً الى جنب مع اسرائيل. وهذا يعني بأن هناك دعم شعبي محتمل لذلك. فبين نخبة الجماعات المخططة، يوجد هناك انقسام حاد حول هذا الموضوع.

فهناك أناس يشعرون بأنه يجب علينا ابقاء اسرائيل كمصدر استراتيجي وقاعدة لعرض القوة الأميركية، وكمصدر للعنف والتهديد لتخويف المنطقة. وهناك العديد من

الناس الآخرين، ومن ضمنهم أولئك الذين يمثلون القطاعات الاقتصادية والسياسية القوية في الولايات المتحدة، يعتقدون عكس ذلك، بأنه يجب علينا المضي مع الاجماع الدولي ومحاولة الوصول الى تسوية سياسية حقيقية. وجورج بول هو مثال جيد ليكون متحدثاً عن وجهة النظر هذه. فكتابه الاخير، «الخطأ والخداع في لبنان»، والذي متأكد بأنه لم يستعرض هنا، يعتبر كتاباً جيداً، وواضحاً، وصافياً، واعتقد بأنه عرض مقنع لوجهة النظر هذه. وهذه ليست مسألة سياسية مفتوحة في الولايات المتحدة، واعتقد بأن هذه حالة من الحالات النادرة حيث توجد الهيمنة العملية، والهيمنة الكاملة للتعبير الواضح لوسائل الاعلام، والكتب، والمدارس، والنظام الايديولوجي برمته، هيمنة موقف متطرف واحد، وقد حول في الواقع التوازن السياسي بشكل دراماتيكي تماماً.

والانشقاق للحتمل بين النخب الأميركية المهيمنة لم يبرز بعد على السطح السياسي، لأن أولئك الذين يساندون سياسة التطرف والعنف والتشدد لديهم تقريباً دعم كامل. وهذا يمكن أن يتغير اذا ما كان الناس راغبين بمواجهة اجهزة التخويف الأمر الذي لن يكون ساراً. انه لن يكون ساراً لأن يقذف الطين عليك ومن ثم يشجب هذا العمل، الخ. ولكن اذا ما كنت راغباً لمواجهة ذلك وان تقوم ببعض التثقيف الذاتي، وان الحقائق متوفرة، ومن ثم تقديم بعض التثقيف الحقيقي للآخرين، والتنظيم وما شابه ذلك، فانني أعتقد بأن الضغوطات السياسية يمكن ان تطور لتجعل ذلك ممكناً بالنسبة لنواب أو ممثلي الكونغرس وبالنسبة للصحافة ايضاً. وهذا يعني ممارسة ضغط على الصحافة ايضاً، وذلك من اجل اتخاذ موقف والذي يعترف بالحقيقة على الأقل. وللتأثير على القرارات السياسية ايضاً، ولتحريك الولايات المتحدة باتجاه الانضمام الى ما هو حاصل على الإجماع الدولي لهذه المسألة. فهذا يمكن ان يحدث. وضمن مداه بسهولة.، فإنه سيحصل حتى على دعم بمقياس كبير بين القطاعات الأميركية المتنفذة. وان هذا مختلف تماماً من هذه الناحية، وانها مهمة أسهل من التي تواجه الناس الذين يحاولون تغيير سياسة العنف الأميركي المنظم في اميركا الوسطى.

الإرهاب ولغة السياسة

ديفيد بارساميان : إلى اي مدى يقوم التحكم باللغة بصقل وصياغة فهمنا وإدراكنا للحقيقة ؟

نعوم تشومسكي : توجد هناك امثلة واضحة على ذلك. فهناك حقيقة مهمة توضع نصب اعيننا، عندما يستمع المرء او يكون ملزماً بسماع محاضرة تكون معظم المصطلحات المستخدمة فيها تحتوي على معان فنية، بحيث تكون بعيدة جداً عن معانيها الحقيقية، وحتى احياناً معارضة لها. فعلى سبيل المثال، فلنأخذ مثلاً مصطلح «المصلحة الوطنية» فهي تستخدم عادة على أنها شيئاً جيداً او نافعاً بالنسبة لنا، ويفترض ان يكون الناس يفهمون ذلك. لهذا، إذا ما قال زعيم سياسي «إنني اقوم بهذا من اجل للمصلحة الوطنية»، فانه من المفترض ان تشعر بالخير والسرور لأن هذا من اجلك. ومع ذلك، فاذا ما نظرت الى ذلك بإمعان، فإن ذلك يتحول الى ان المصلحة الوطنية لا تعرف على أنها عائدة لمصلحة السكان او الشعب ككل، فما يعني بها أنها من ضمن مصالح جماعة صغيرة من النخب المهيمنة، التي تكون قادرة على السيطرة على المصادر التي تمكنها من السيطرة على الدولة ، وبشكل رئيس، تلك النخب المتعاونة والمتمركزة في الحكم.

وعلى نحو متماثل أو متطابق، فإن تعبير أو مصطلح «المصالح الخاصة» يستخدم بطريقة متصلة، ليشير الى عامة الشعب. فالشعب يطلق عليها تعبير «المصالح الخاصة»، في حين أن النخبة المشتركة تطلق عليها تعبير «المصلحة الوطنية». فمن المفترض أن تكون في صف المصلحة للوطنية وضد المصالح الخاصة.

وأصبح هذا واضحاً تماماً في الحملات الانتخابية الرئاسية مؤخراً. فادارة ريغان كانت تعتمد بشكل واسع على صناعة العلاقات العامة. فمظاهر العلاقات العامة بالنسبة لها، ومن ضمنها التحكم باللغة، هو امر مثير ومدهش جداً - انها كانت مؤسسة علاقات عامة محترفة.

فقد كان من المدهش رؤية كيف كانوا يستخدمون العبارات والمصطلحات ويختارونها بطريقة محترفة ومحترسة. ففي حملتي انتخابات ١٩٨٠، ١٩٨٤، فقد قاموا بتعريف الديمقراطيين (الحزب الديمقراطي) على انه «حزب المصالح الخاصة»، وهذا يفترض على انه امر سيء، لاننا كلنا ضد المصالح الخاصة. ولكن اذا ما فكرت بذلك بإمعان، وتساءلت ممن تتكون المصالح الخاصة، فانها تعني: النساء، الفقراء، العمال، الشباب، الشيوخ، الاقليات العرقية ـ وفي الواقع، فانه الشعب برمته. وهناك مجموعة واحدة لم توضع في هذه القائمة، ولم تكن من ضمن المصالح الخاصة، انها المؤسسات. فإذا ما لاحظت أو تمعنت بلغة أو بلاغة خطابات الحملة الانتخابية، فانها لم تكن تعني مطلقاً على انها مصالح خاصة، وهذا صحيح، لانه في تعبيراتهم تعني المصالح الوطنية. لذلك إذا ما فكرت من خلال ذلك، فان الشعب هو المصالح الخاصة، وان المؤسسات هي المصالح الوطنية، وحيث ان كل واحد يقف الى جانب المصلحة الوطنية وضد المصالح الخاصة، فانك ستصوت وتؤيد الشخص الذي يقف ضد الشعب ويعمل من اجل المؤسسات.

انها حالة او قضية نموذجية للطريقة التي عولج او أوثر فيها على إطار الفكر بشكل مدرك وباختيار مؤثر، وبإعادة صياغة علم المصطلحات، وذلك لكي تجعل الأمر صعباً لفهم واستيعاب ما يحدث في العالم. انها وظيفة ومهمة هامة جداً للمؤسسات الأيديولوجية ـ كوسائل الاعلام، المدارس، وما شابه ذلك ـ وذلك لمنع الشعب من فهم الحقيقة، لأن الناس إذا ما فهموها فانه من الممكن ان لا يستسيغونها او يحبونها، ومن الممكن أن يعملوا على تغييرها. وهذا بالتالي سيؤذي او يؤثر على الناس المتنفذين الذين يسيطرون على هذه الأمور.

■ **سؤال : ربما يكون الأمر كما كتب جورج أرويل في مقالته «اللغة الانجليزية والسياسة» من انه «في عصرنا، فان الخطابة السياسية والكتابة هما بشكل واسع يعنيان الدفاع عن المتعذر الدفاع عنه؟**

جـواب : نعم، فهو قدم امثلة مدهشة والتي تعتبر الآن على انها كلاسيكية وتقليدية، مثل تعبير «التهدئة». فانه استخدم للقتل الجماعي، لذلك فقد نفذنا القتل الجماعي في فيتنام. فإذا ما نظرت الى ما كانت عليه برامج التهدئة، فانها كانت برامج القتل الجماعي لمحاولة قمع وتدمير الشعب المقاوم. فقد كتب أرويل ذلك منذ وقت طويل وقبل

حرب فيتنام، ولكن لقد لوحظ للتو كيف استخدم مصطلح التهدئة بتلك الطريقة؛ إنها صناعة التعبير والمصطلحات الآن.

وانه نفس الشيء يحدث مع كل تعبير او مصطلح يمكن أن تفكر فيه. فلنأخذ مصطلح «محافظ». فالمحافظ يفترض أن يكون شيئاً جيداً، وهذا من المفترض أن تكون ادارة محافظة. فالمحافظ الحقيقي يشبه، كما يقول روبرت تافت، كمن يقف ضد التقدم. وهو الذي يقف الى جانب امتداد سلطة الدولة وازدياد تدخل الدولة في الاقتصاد. فسلطة الدولة ازدادت بسرعة أكثر في ظل هذه الادارة (الادارة المحافظة) اكثر من أية ادارة أخرى منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية. كما انها ايضا اهتمت في حماية الدولة من مواطنيها، وأبعدت أو قطعت الوصول والنيل من الدولة، وسيطرت على الفكر والتعبير، وهاجمت الحريات المدنية والحقوق الفردية. انها اكثر ادارة غير قانونية جنيناها من قبل. فكل هذه الأشياء هي من لعنات المحافظين. فالمحافظون يريدون العكس في كل مظهر من المظاهر، لذلك فانهم طبعاً يدعون ذلك بالادارة المحافظة، واذا ما احببتها، فانه من المفروض ان تكون محافظاً.

فهذه كلها طرق ووسائل لتقويض إمكانية وجود فكر مستقل، وذلك حتى بإزالة وإبادة الأدوات والوسائل التي يمكنك أن تستخدمها وتنخرط فيها.

■ سؤال : يبدو ان قوة التسمية تكون حاسمة في هذه العملية برمتها؟

جـــواب : هذه هي كافة الأمثلة عليها. فاللغة هي، بعد كل ذلك، أداة للفكر. فإذا ما خفضت من قيمة اللغة، فإنك تحط وتخفض من قيمة الفكر. فلا أريد أن أبالغ في هذا العنصر، وانما هو فقط عنصر واحد، واحد مؤثر بالتأكيد وبشكل واعٍ: لكي يخرج ويقدم التشويش وينقص أو يعدم الإدراك أو الفهم.

■ سؤال : في السنوات الاخيرة، وبدءاً من السبعينات واستمراراً في الثمانينات وحتى المستقبل المنظور، فإن مصطلح «الارهاب» على انه مسالة مهيمنة، وفكرة متركزة وسائدة في وسائل الإعلام وبين السياسيين. فاتساءل فيما اذا كان بوسعك التحدث عن هذه الكلمة ذاتها. فيبدو انها اجتازت منحى خطير في العقدين الاخيرين ؟

جواب : انها بالتأكيد كذلك، وهي قضية مثيرة للاهتمام تماماً. وكلمة «الارهاب» جاءت للاستخدام العام في نهاية القرن الثامن عشر، واستخدمت حينئذ لتشير الى أعمال عنف الدول التي تقمع شعوبها بواسطة العنف. فالارهاب كان عملاً تقوم به الدولة ضد مواطنيها. وذلك المفهوم لم يستخدم بأي حال من الأحوال ليطلق على الشعب أو الناس. لذلك، وعلى نحو متوقع، فإن هذا المصطلح قد تغير فيما بعد. أما اليوم فانه يطلق على أعمال المواطنين ضد الدول، وفي الواقع، فان مصطلح «الارهاب» هو يستخدم تماماً بما يمكن أن يطلق عليه بـ «الارهاب الجزئي»: ارهاب الجماعات الصغيرة، والجماعات المهمشة، وليس ارهاب الدولة القوية.

ولدينا استثناء واحد على هذا: فإذا ما انخرط أعداؤنا في الارهاب، فعندئذ يمكنك ان تتحدث عن «ارهاب الدولة». لذلك فانه يوجد هناك في الحقيقة امران يعرفان الارهاب. الأول، أنه يفعل ضد الدول، وليس من الدول ضد مواطنيها. هذا، وعلى سبيل، فإن هذا ينطبق على ليبيا. ففي آخر نشرة أصدرتها لجنة العفو الدولية بعنوان «عمليات القتل السياسي للحكومات»، بينت فيها بأن ليبيا قتلت (١٤) شخصاً من المواطنين الليبيين في عقد الثمانينات. ويمكن ان يكون هناك أعداد أخرى من القتلى، يقدر بالعشرات، أو أقل. فذلك هو الارهاب الذي تمارسه الدولة.

ودعنا نقارن هذا مع دولة السلفادور. ففي نفس السنة التي قتلت فيها ليبيا (١٤)، وربما (٢٠) من مواطنيها، فإن حكومة السلفادور قتلت حوالي (٥٠) الفاً من مواطنيها. فذلك الآن لم يكن إرهاباً فحسب، انه ارهاب دولي، لأنه فعل من جانبنا. فنحن الذين اسسنا ودعمنا هذه الحكومة في السلفادور، تماماً كما اوجد ودعم الروس حكومة افغانستان سابقاً. فنحن الذين انشأنا جيش السلفادور، وجعلناه جيش ارهاب، وجهزناه، ونظمناه، واشرفنا عليه.

واسوأ الأعمال الوحشية نفذت من قبل وحدات التدريب الأميركية. كما شاركت طائرات سلاح الجو الاميركي مباشرة في تنسيق القصف الجوي. فهذا الارهاب لم يكن مجرد عمليات قتل عادية. فالارهاب الليبي سيء تماماً، بيد أن ارهابينا مارسوا اعمالاً أكثر وحشية في القتل والتعذيب والتشويه والاغتصاب وتقطيع الناس الى اجزاء - بواسطة التعذيب الشنيع - وعلى نمط أسلوب بول بوت في كمبوديا. ولم يطلق على

ذلك ارهاباً. ولم يطلق على السلفادور لقب دولة ارهاب. والرئيس السلفادوري جوسيه نابليون دوارت قد قاد كل ذلك منذ البداية، بل انه اطلق عليه بعد كل ذلك لقب البطل الليبرالي الكبير، واعتبر هذا انتصاراً عظيماً للديمقراطية في السلفادور. فهذا هو بحد ذاته ارهاب دولة كبير - اما حالة ليبيا، فانها تعتبر ارهاباً ثانوياً جداً - إلا اننا نراه بطريقة أخرى. «فالارهاب» استخدم من قبلهم وليس من قبلنا. اما في حالة السلفادور، فانه فعل بشكل رئيس من قبل الدولة وضد مواطنيها - وفي الحقيقة، من قبل دولة قمنا بانشائها، دولة عميلة للولايات المتحدة. لذلك فلا يمكن أن يكون ذلك ارهاباً، بالتعريف، حسب رأيهم.

وهذا صحيح في حالة اثر حالة. فكتابي حول ذلك، «القراصنة والاباطرة»، يأخذ عنوانه من قصة طريفة للقديس اوغسطين في كتابه «مدينة الله». فالقديس أوغسطين يصف مواجهة جرت ما بين الملك الكسندر الكبير وبين قرصان كان ألقي القبض عليه. فسأل الكسندر الكبير القرصان بقوله، «كيف تجرؤ على المضايقة في البحر؟» والتفت القرصان الى الكسندر وقال له: «وأنت كيف تجرؤ على مضايقة العالم بأسره؟ فان لدي قارب صغير، وبناء على ذلك فقد أطلق عليّ لقب لص. اما انت فلديك أسطول، وهكذا فقد اطلق عليك لقب امبراطور». وخلص اوغسطين الى أن جواب القرصان كان ممتازاً. فتلك هي القصة بصورة أساسية. فالارهاب الجزئي أو الهامشي الموجه ضد مصالحنا يعتبر ارهابنا، في حين ان الارهاب الكلي أو الشامل، والذي ينفذ من لجل مصالحنا لا يعتبر ارهاباً.

وهذا أمر صحيح في منطقة الشرق الأوسط ففي حالة اثر حالة، فهذه هي الطريقة الذي استخدم فيها هذا المصطلح، وبشكل اكثر فعالية. وفي الواقع، فانه وعلى نحو متنبأ به، فإن ادارة ريغان اتخذت الارهاب الدولي ليكون جوهراً لسياستها الخارجية، وصرحت بذلك علناً.

وكان السبب في ذلك ان الادارة أوضحت تماماً بأنها كانت ماضية لتنخرط في الارهاب الدولي وعلى مستوى كثيف، ومنذ أن مضت في الارهاب الدولي، فانه كان طبيعياً، وفي عالم موجه بعلاقات عامة جيدة، أن تبدأ بالحديث بانك تعارض الارهاب الدولي. فذلك يحول الانتباه جانباً عن المسألة الحاسمة: وبذلك يمكنك أن تفسر الارهاب الدولي بشكل واسع.

■ **سؤال : ولِمَ هذا الاهتمام الضخم والاستحواذ بالارهاب. سواء في تقدم البرامج التلفزيونية الخاصة، المقالات الصحفية، البرامج الوثائقية، الندوات، المؤتمرات، وغيرها وغيرها - فهل يوجد هنالك شيء ما اعمق يلمس من هذا ؟**

جواب : نعم، عميق جداً. وهو وثيق جداً بالسياسات الداخلية لادارة ريغان. ومن المهم التذكر بأن سياسات ادارة ريغان هي غير شعبية الى حد كبير، ولعدة اسباب واضحة. فقد أظهرت الاستطلاعات ذلك بشكل واضح جداً، وحول كل مسألة رئيسة، فإن الراي العام كان يعارض بقوة برامج الرئيس ريغان. فلنأخذ، مثلاً، الانفاق الاجتماعي في مقابل الانفاق العسكري. فعندما طرح ذلك للاستفتاء والاستطلاع تحت شعار: هل تفضل انقاص الانفاق في المجال الاجتماعي أم في مجال الانفاق العسكري؟ فإن الغالبية العظمى من الشعب ساندت زيادة الانفاق الاجتماعي وعارضت زيادة الانفاق العسكري. وفي الواقع، فإن الكثير من السكان كانوا راغبين تماماً ليروا زيادة في الضرائب وذلك لتحسين الانفاق الاجتماعي. والشيء ذاته حدث حول كل مسألة طرحت. ففي حالة التدخل الخارجي (وبمعنى آخر، في مجال الارهاب الدولي، إذا ما كنا صادقين)، فإن المواطنين عارضوا ذلك بقوة، وبأغلبية كبيرة. وفي مجال تجميد التجارب النووية، فإن الرأي العام كان الى جانب ذلك بشكل غامر، وبأغلبية ساحقة. وكانت الادارة الاميركية ضد هذا الراي. وهكذا الامر، فكلما ذهبت على طول الخط، فإن كل مسألة أو برنامج رئيسي للحكومة فانه لم يحصل على شعبية. انها مشكلة، فعليك بالطبع أن تسيطر على الجمهور أو الراي العام. فهناك جواب تقليدي لهذه المشكلة، وهي: عليك أن تخيفهم او ترعبهم.

ودعني ارجع الى خطوة اخرى لبرنامج ريغان الذي هو حتى اكثر وضوحاً: الجزء الرئيس لبرنامج ريغان كان محاولة تحويل المصادر من الفقير الى الغني. والآن، فانه في طريقه ليعارض شعبياً، وان الهجوم على الانفاق الاجتماعي يعتبر جزءاً منه. فمعظم برنامج ريغان هدف الى تحويل مخصصات مزدادة الى خدمة اجتماعية من اجل الأغنياء. فالبرنامج العسكري هو مسخر بشكل كبير من اجل ذلك الغرض. واعتبر ذلك مساعدة شعبية مجبرة من اجل صناعة متقدمة، وهو لم يلق دعماً شعبياً، ولا يمكنك ان تقدم ذلك بهذه التعابير. فماذا عليك أن تفعل؟ عليك أن تستطلع الراي العام. وهم

بالتالي يعارضون سياساتك. وهناك طريقة واحدة فقط للتعامل مع هذا؛ فكل زعيم على مر التاريخ قد فهم ذلك. فعليك أن تخيفهم وترعبهم، وتجعل الناس يفكرون بحياتهم ومعيشتهم باستحواذ، ذلك أن عليهم ان يدافعوا ويحموا أنفسهم، ومن ثم فإنهم سيقبلون هذه البرامج التي يزدرونها أو يبغضونها كضرورة مكرهة.

وكيف يمكن ان ترهب الناس؟ ومرة ثانية، يوجد هناك جواب تقليدي على ذلك: عليك أن تجد بعض ما يدعي بـ «امبراطورية الشر»، وذلك بتخويفهم من التدمير. فقد استخدم الاتحاد السوفياتي سابقاً، من أجل هذا الغرض، ومن قبل استخدم الالمان (في المانيا النازية)، وقبل ذلك أُستخدم الانجليز، وهلم جراً. بيد انه منذ قيام الثورة البلشفية في روسيا، فان الاتحاد السوفياتي استخدم كتهديد لتخويفنا من التدمير. وذلك ما يدعى بامبراطورية الشر. ولكن هنا تكمن المشكلة. فالمواجهات مع امبراطورية الشر هي خطرة. لانها دولة كبيرة وقوية؛ فيمكن ان ترد الهجوم عليها بقسوة، ولا نريد او نرغب في الاشتباك معها لانه من الممكن أن يصيبك اذى من جراء ذلك. لذلك فما عليك أن تفعله هو إحداث المواجهات، ولكن ليس مع امبراطورية الشر - فذلك خطر جداً. والوسيلة الأفضل هي قيامك بمواجهات ضد أطراف تعينها او تخصصها على انها «وكلاء أو مفوضين» لامبراطورية الشر. وما تحاول أن تفعله هو أن تجد دول ضعيفة بشكل اساسي أو جماعات يمكن أن تهاجمها متى شئت. وان تعينها أو تخصصها لتكون ممثلة او وكيلة عن امبراطورية الشر، ومن ثم يمكنك أن تدافع عن نفسك ضدها وذلك بالهجوم عليها. وليبيا، على سبيل المثال، اعتبرت مثال كامل من اجل تنفيذ هذا الغرض. فهي لديها ارتباطات أو علاقات غير ثابتة مع الاتحاد السوفياتي (سابقاً). وانها تعتبر ممثل أو لاعب ثانوي في عالم الارهاب الدولي.

وعلاوة على ذلك، فإذا ما كان بوسعك أن تدبر استنباط أو استخراج الارهاب، حيث فعلنا ذلك مراراً، فان هذا سيرعب شعبنا في الحقيقة، وفي عقر دارهم. وفي الواقع، فان الارهاب الفعلي هو ضئيل جداً؛ فمن الممكن ومن المحتمل ان نعاني اكثر بكثير من جراء البرق والرعد. إلا انه بالإمكان ان يفزع الناس. وبالتالي فان المواجهة مع ليبيا رخيصة التكاليف او لا تكلف شيئاً ابداً. فبإمكانك ان تقتل ليبيين متى شئت؛ فليس باستطاعتهم أن يردوا عليك أو يقاتلوك، لان ليبيا بلد ضئيل وضعيف. فبإمكاننا

أن نضربهم في أي وقت نشاء. فذلك سيجعل الناس هنا يشعرون بأن زعيم الكاوبوي الشجاع يدافع عنا من هؤلاء الوحوش الذين ينوون تدميرنا، ومعظم ذلك مشتق من تلفيقات. وفي الحقيقة، فانه على مر تاريخ ادارة ريغان، فانه كانت هناك سلسلة من التلفيقات المرتبة بعناية، وافتعال الأحداث التي تتيح لنا فرصة لمهاجمة وقتل الليبيين. وكان غالباً ما يعود ذلك الى غرض سياسي معين محلي، مثل الاستعداد لدعم قوة الانتشار السريع، وقوة التدخل في الشرق الأوسط، او تقديم الدعم لثوار الكونترا، او هذا الشيء أو ذاك. وانها توقت بشكل متقن وبعناية، وكما قلت؛ فهناك ادارة العلاقات العامة. فنكاؤها يعتبر مناورة عامة وتلاعب؛ وهذا شيء اتقنوه. فربيع عام ١٩٨٦، كان على سبيل المثال، تمرين او مناورة متألقة في مجال العلاقات العامة.

■ سؤال : هل تعني قصف ليبيا ؟

جـــــواب : بل وتأثيرها، فذريعة ذلك كانت مفبركة. فقد غطي الأمر من قبل وسائل الاعلام، والتي كانت تعرف القصة الحقيقية، بل انها لم تنشر أو تذيع ذلك. فقد قامت هذه الأجهزة بترعيب السكان المحليين (الاميركيين) - حتى انهم لم يجرؤوا على الذهاب الى اوروبا، فقد كانوا مرعوبين جداً. إنه لأمر مخيف ومضحك. فإنك ستكون آمن مائة مرة في أي بلد أو مدينة اوروبية اكثر من وجودك في اية مدينة اميركية - إلا ان الأميركيين ارعبوا كثيراً، لذلك فقد مكثوا في وطنهم. فإذا ما خوفت او (ارعبت) السكان المحليين فإنه يكون بمقدورك عندئذ أن تدعم الأمور وتفرض حماقة وتجعلها كاعتقاد راسخ من انك تدافع عن نفسك. فعلى نحو حاسم، فانه ليس باستطاعتك أن تحدث مواجهات مع الروس، لان بإمكانهم رد الهجوم. لذا فان عليك أن تجد جهة أخرى تستطيع ان تضربها متى شئت، فهناك: غرينادا، ليبيا، نيكاراغوا، أو اية بلد او دولة لا يمكنها ان ترد عليك. فهذا ما تحتاجه.

فهذا، بالمناسبة، مفهوم جداً في الخارج، فعندما تقرأ الصحافة الأجنبية، فانها غالباً ما تعلق بانتظام على حب سفك الدماء وجبن هذه الادارة (الاميركية). لذلك فانه من السهل ان تجد مبرراً ضئيلاً لتضرب جهة ما، وترسل اسراب الطائرات من اجل التدمير. فان هذا هو اسلوبهم بشكل اساسي. إلا انه يوجد هنا بعض الناس الذين لا يفهمون او يستوعبون ذلك.

■ سؤال : هذا الارهاب الجزئي الذي تحدثت عنه ـ فعندما يقدم في وسائل الاعلام فانه يذكر من الناحية التاريخية : على انه ليس له مثيل، وهو غير عقلاني تماماً، لذلك فانه يبدو ان الرد المنطقي عليه سيكون الاشمئزاز والخوف، وهذا شيء مؤثر جداً ؟

جــواب : هذا صحيح. فمعظم الارهاب الجزئي ـ وما يدعى «بالارهاب» في الولايات المتحدة ـ فانه يأتي من لبنان، وبدأ ذلك منذ عام ١٩٨٢ . وانها كانت ظاهرة هامشية جداً قبل ذلك الوقت، أما الظاهرة الرئيسية فقد كانت في أوروبا بشكل رئيس، إلا أنه بعد عام ١٩٨٢ ، فلا بد أن شيئاً ما قد حدث ليسبب ابتداء خروج الارهاب من لبنان. فخلال تلك السنة، ومع دعم اميركي متحمس، فقد هاجمت اسرائيل لبنان. وكان الغرض الرئيس من الهجوم الاسرائيلي هو تدمير السكان المدنيين الفلسطينيين وذلك لضمان السيطرة الاسرائيلية على الضفة الغربية. ومن خلال تلك العملية فان البنية الأساسية الفلسطينية قد دمرت هناك، وبالتالي فإن لبنان قد تضرر كثيراً من جراء ذلك.

وساندت الولايات المتحدة ذلك بكل الوسائل. فقد وضعت الفيتو أمام قرارات مجلس الامن الدولي من اجل وقف العدوان، وقامت بتزويد اسرائيل بالسلاح، وبالدعم الدبلوماسي، وهذا بشكل طبيعي كان متوقعاً تماماً من أن يثير ارهاباً دولياً. فقد قامت بسد كل خيار سياسي أمام الناس، لذلك فقد اتجهوا نحو الارهاب. ويجب عليّ القول ان هذا كان مفهوماً تماماً في اسرائيل. ولا يمكنك التحدث عن ذلك هنا، لأننا نعيش في دولة ملقنة جداً، ولكن في اسرائيل، والتي تعتبر دولة أكثر ديمقراطية ـ بالنسبة للغالبية اليهودية على الأقل ـ فهذا يناقش بشكل مفتوح. فرئيس وزراء اسرائيل انذاك، اسحق رابين، على سبيل المثال، قد أشار الى أنه يوجد هناك تهديد لاسرائيل من الفلسطينيين، بيد انه قال بأنه كان سياسياً، وليس تهديداً عسكرياً. وكان التهديد انهم، أي الفلسطينيون، سيجبرون اسرائيل على الدخول في تسوية سياسية لا تريدها هي، وان عليها أن توقف ذلك.

وكتب يهوشواع بورات، وهو أستاذ في الجامعة العبرية، ويعتبر من اكبر الاختصاصيين في الشؤون الفلسطينية في العالم، كتب تحليلاً مفصلاً بعد وقت قصير من الغزو الاسرائيلي للبنان، في صحيفة «هآرتس»، وهي صحيفة رئيسية تشبه الى حد

كبير صحيفة «نيويورك تايمز» عندنا، حيث شرح فيه ما يعتقده، وبشكل معقول، جداً، حول الغزو الاسرائيلي للبنان. فقد قال، وانا اعيد سرد النص هنا: انظر، فهذا هو الوضع. ففي السنة الماضية، فان منظمة التحرير الفلسطينية لم تتورط في اية عملية ارهابية عبر الحدود. وقد حاولت اسرائيل أن تدفعها لذلك، فقمنا بقصفها على نحو متواصل وقتلنا العديد من أعضائها، وكل ذلك لمحاولة اثارة بعض الرد عبر الحدود، إلا أنهم لم يفعلوا ذلك. فقد حافظوا على ضبط انفسهم بالرغم من حقيقة اننا اغرنا عليهم، وقتلنا العشرات من الناس وهلم جرا. وهذه هي كارثة حقيقية للقيادة الاسرائيلية، حيث انه لو استمرت منظمة التحرير في الحفاظ على هذا الوضع في عدم القيام بأعمال ارهابية عبر الحدود، وتطالب باجراء تسوية دبلوماسية، فمن الممكن أن تدفع اسرائيل نحو تسوية سياسية، الأمر الذي لا تريده أو ترغب فيه. ففي مثل هذه التسوية السياسية فانه من الممكن أن تتخلى عن الأراضي المحتلة. فما تريده القيادة الاسرائيلية هو العودة بمنظمة التحرير الى الأيام الأولى المبكرة، عندما كانت تمارس وتنخرط بالأعمال الارهابية العشوائية، من خطف الطائرات، وقتل العديد من اليهود وان تكون مصدر اشمئزاز وخوف ورعب في جميع انحاء العالم. فاسرائيل لا تريد أن تكون هناك منظمة تحرير مسالمة ترفض الرد على الهجمات الارهابية الاسرائيلية وتصر على اجراء مفاوضات سياسية. وهذا ما هدف اليه الغزو الاسرائيلي للبنان. وعلق اخرون أيضاً على ذلك بنفس الطريقة. وانا افترض بأن هذا ما يريده ايضا المخططون في الادارة الامريكية. فمن وجهة نظرهم، فان الارهاب الآتي من لبنان نافع جداً. فانه يروع المواطنين الاميركيين. فالأعمال الارهابية هي بغيضة في الحقيقة، واذا ما أبعدت الناس عن كل خيار ممكن، فانه يكون باستطاعتك ان تتوقع وتتنبأ جيداً بما يمكن ان يفعلوه. لذلك، فدعنا نأخذ، على سبيل المثال، عملية اختطاف الطائرة في كراتشي. فقد بدا كما لو أن المختطفين كانوا من اقارب ضحايا مجزرة صبرا وشاتيلا. فكل وحدا يعرف ماذا حدث بهذا الشأن. فهذا ما يحدث بالضبط - فإنك ترسل القتلة الى مدنيين عزل من اجل ذبحهم وتعذيبهم، أما اولئك الذين ينجون من الموت فانهم من المحتمل أن يتحولوا الى الارهاب، وهذا ما حدث بالضبط. فالناس يتظاهرون بأنهم لا يفهمون ذلك، بيد أن أي واحد يمكنه أن ينظر الى التواريخ فانه يحسب ويخمن ذلك. فالارهاب اللبناني المتمركز، وبشكل رئيس في أوروبا، هو مباشر منذ عام ١٩٨٢، وهو قابل للتنبؤ ومن المحتمل

مرغوب فيه من قبل الولايات المتحدة المساندة للعدوان الاسرائيلي في لبنان،، والذي ازال الأمل في اجراحتسوية سياسية، ودمر البنية المدنية لمنظمة التحرير الفلسطينية بشكل وحشي، ويجب علي القول بانه قطع اوصال ما خلف في لبنان. وفي كل وقت ننظر اليه للارهاب، فانه تكون هناك ذريعة لذلك، مع انه لا يورد هنا فعلياً.

وتوجد ردة فعل مثيرة للاهتمام هنا عندما يبرز ما يلي: «إنك تبرر الارهاب». فإنني لا ابرر الارهاب. فالتبرير والتفسير او التوضيح هما أمران مختلفان. فما انت تشير اليه هو انه يوجد هناك تفسير للارهاب. واذا ما أردت إيقافه فانك تنظر الى التفسير. وعندما تنظر الى التفسير فإنك غالباً ما تجد ان الدول القوية العنيفة تحاول اثارة الارهاب لأنه من مصلحتها القيام بذلك. فهذا ليس بتبرير، انه تفسير. فالأعمال الارهابية هي بغيضة في الحقيقة. انها بغيضة بالطبع عندما قامت اسرائيل بقصف مقار منظمة التحرير في تونس وقتلت حوالي (٧٥) شخصاً، مستخدمة في ذلك قنابل «سمارت» التي زودتها بها الولايات المتحدة. فهذا أمر بغيض تماماً. فنحن نعتبر عنفنا ليس ارهاباً. وانما عنف الآخرين نعتبره ارهاباً.

■ **سؤال : ذلك الهجوم المعين، قصف مقار المنظمة في تونس، هو، بالطبع، يوضع دوماً ضمن مفهوم الانتقام، فهو رد انتقامي، وليس مبادرة بالهجوم ؟**

جــواب : ان كل عمل ارهابي يدعى دوماً بالانتقام. والتسلسل يسير كما يلي: فأولاً يأتي هجوم منظمة التحرير في لارنكا، قبرص، حيث قتل فيه ثلاثة اسرائيليين. وألقي القبض على القتلة فوراً وقدموا للمحاكمة، وهم الآن في السجن. وبعد حوالي اسبوع جاء القصف الاسرائيلي لمقار المنظمة في تونس. والذي كان نتيجته حسب المصادر الاسرائيلية مقتل حوالي (٧٥) شخصاً، (٢٠) من التونسيين، و (٥٥) من الفلسطينيين معظمهم من المدنيين. ومن ثم، وبعد اسبوع جاءت حادثة خطف السفينة «اكيلي لورو» مع اغتيال كلينغوفير. فكل هذه الأمور دعيت بعمليات انتقام من قبل الجهات التي قامت بها. فعملية لارنكا وقبرص أطلق عليها عملية انتقام، وفي الحقيقة فان هذا كتم امره هنا، في الولايات المتحدة. وأعني هنا بأن البحرية الاسرائيلية، استخدمت على ما يبدو عملاء متمركزين في قبرص، كانوا يختطفون القوارب لأكثر من عشرة سنوات ـ وهذا يطلق عليه ارهاب عندما يقوم به الطرف الآخر ـ يختطفون القوارب المتنقلة ما بين قبرص

وأجزاء مختلفة في جنوب لبنان، وفي الواقع، فانهم غالباً ما كانوا يستولون على تلك القوارب ويأخذون الفلسطينيين المتواجدين فيها ومن ثم يسلمونهم لحلفائهم الكتائب في لبنان، الذين يقومون بقتلهم بعدئذ. وعندما قامت منظمة التحرير بالانتقام. فاننا لم ندعوا ذلك إرهاباً، بل دعوناه ارهاباً.

ومن ثم جاء القصف الاسرائيلي لتونس، والذي دعوه انتقاماً، باستثناء أمر بسيط واحد وهو: انه لم يكن موجه ضد أولئك الأشخاص الذين نفذوا الهجوم الارهابي. ففي الحقيقة، فقد اعترفت اسرائيل بأن الأشخاص الذين قصفوا في تونس لا يبدو بأن لهم أية علاقة بالهجوم الذي حدث في لارنكا. ولكنه كان هجوماً رخيصاً أو هيناً. فمن المحتمل ان الاشخاص الذين نفذوا الهجوم قدموا من سوريا، إلا أن ذلك كان هدفاً ليس بسيطاً لضربه، فمن الممكن أن يردوا على الهجوم بالمقابل. فتونس، من جهة أخرى، تعتبر هدفاً سهلاً، لذلك يمكن مهاجمته. وهذا ما تم عمله، وبشكل انتقامي، بالاشتراك مع الولايات المتحدة. فالأسطول الاميركي السادس في البحر الأبيض قد أشرف بالتأكيد على القاذفات الاسرائيلية. وهم يدعون بأنهم لم يمكنهم رؤية الطائرات الاسرائيلية، وهذا أمر سخيف بحد ذاته. فالطائرات الاسرائيلية كان عليها التحليق فوق البحر المتوسط ذهاباً وإياباً، وقد جرى تزويدها بالوقود اثناء التحليق، كما أنها اجتازت الأجواء عبر انظمة رادار متقدمة، ونحن ندعي بأنها لم تكن مرئية بالجو. فهذا هراء، فنحن عرفنا بوضوح بأن الطائرات الاسرائيلية كانت قادمة، ولم نقم بتحذير تونس. فتونس تعتبر حليفاً مخلصاً للولايات المتحدة، إلا أننا لم نقم بتحذيرها من أن الطائرات القاتلة كانت في طريقها اليها. وعلى اية حال فقد دعوا ذلك انتقاماً، إلا انه لم يكن كذلك بالطبع. ولم يكن بالإمكان فعل اي شيء تجاه ذلك الهجوم الاسرائيلي. ومن ثم جاءت حادثة السفينة «اخيلي لورو». فدعوا ذلك بعملية انتقام، وأعني بها انتقاماً للهجوم على تونس، ويمكنك أن تعود للوراء وتجد أن كل عملية ارهابية أطلق عليها انتقاماً، وهي كذلك بالفعل بمعنى معين. فتلك هي الدائرة: القمع، العنف، الانتقام، المزيد من الانتقام، والهجوم الوقائي، الخ.

ففي نظام أيديولوجيتنا، فنحن لدينا وسيلة بسيطة جداً لنعالجها. فعندما يقوم أناس بعمل لا نحبه أو نستسيغه، فانه يعتبر ارهاباً. وعندما يقوم أشخاص أو جهات نحبها بعمل ارهابي، فاننا نعتبره انتقاماً.

نظام الدعاية والاعلام

ديفيد بارساميان : لقد تحدثت بشكل كثيف عن لغة السياسة وعلم دلالات الالفاظ وتطورها، وقد قلت «علينا ان نزيل احجبة التشويه الواحد تلو الاخر لغاية ما نرى الحقيقة». فسؤالي هو، فلو كنا في عصر اورويل، ومنحنا النظام التعليمي الاميركي، فما هي الادوات الفكرية التي سيقوم ذلك النظام بتوفيرها للطلاب لتفسير وترجمة وحل تلك المصطلحات والتعابير الاورولية، اي (العائدة لاورويل) ؟

نعوم تشومسكي :

دعني اولاً اعلق، بانه مع اننا دوماً، وانا ايضاً اطلق على هذا بانه عصر اورويل، فإن الحقيقة أن أورويل كان دائماً متأخراً على المسرح العام. فصناعة العلاقات العامة الأميركية، والتي تعتبر متقدمة جداً، كانت في مطلع العشرينات عبارة عن ادوات متطورة انئذ، تكتب حولها، وهكذا. وفي الواقع، وحتى في وقت مبكر آكثر، خلال الحرب العالمية الاولى، فان المؤرخين الأميركيين عرضوا على الرئيس ودرو ويلسون انذاك بأن يقوموا بمهمة اطلقوا عليها اسم «الهندسة التاريخية»، وتعني تصميم الحقائق التاريخية، وذلك لكي يخدموا سياسة الدولة. فذلك هو فكر أرويل. وقبل وقت طويل من كتابة أورويل له. وبعد مرور وقت قصير على ذلك، فقد قال الصحفيون الأميركيون مثل والتر ليبمان، الصحفي الأميركي المشهور، في عام ١٩٢١، بأن فن الديمقراطية يتطلب بما نطلق عليه «بصناعة الرضا أو القبول»، وهو ما يعني بلغة أرويل «السيطرة على الفكر». وكانت الفكرة من ذلك أن الدولة التي لا تسيطر فيها الحكومة على الشعب بالقوة، فإنه من الأفضل السيطرة على ما يفكر به الشعب. لذلك، فإن هذا كان مفهوماً جداً قبل ارويل، فقد صممت الأساليب حينئذ وأنجزت بكثافة ورغم أن المدارس الفكرية تعلم الناس الدفاع ضد هذا، فإن الجواب هو بسيط: إنها صفر. فالمدارس الفكرية تقف في الجانب المضاد: فهي تعتبر جزءاً من جهاز عدم المعلومات. وفي الواقع، فإن هذا امر مفهوم جيداً، ايضاً. انه حتى مفهوم جيداً من قبل المفكرين الليبراليين، والمنظرين الديمقراطيين،

وما شابه ذلك. وقد بحثنا في وجهة نظر أخرى مثل دراسة مهمة تدعى «أزمة الديمقراطية» وهي معنى اخر لنظرية أورويل «بدايات الديمقراطية»، نشرت من قبل اللجنة الثلاثية، وهي مجموعة دولية من النخب الليبرالية الرئيسة. انهم أناس اعتمد عليهم الرئيس كارتر في ادارته. وهم يشيرون الى المدارس الفكرية على أنها مؤسسات مسؤولة عن تلقين الشباب». وبالطبع، فانهم يتحدثون الواحد منهم مع الآخر بشكل مختلف عما يتحدثون به في العلن، بل ان هذه هي الطريقة التي يفهمونها. فانهم يعتبرون مؤسسات التلقين، ورفض الطاعة، واعاقة وسد امكانية استقلالية الفكر او وجود فكر مستقل، وانهم يلعبون دوراً مؤسسياً ضمن نظام السيطرة والإكراه. أما المدارس الفكرية الحقيقية فانها ترمي لتزويد الناس بأساليب الدفاع الذاتي. بل ان ذلك يعني تعليم أو تلقين الحقيقة عن العالم وعن المجتمع، وهذه المدارس لم يمكنها أن تبقى وتستمر وقتاً طويلاً اذا ما فعلت ذلك.

■ سؤال : إن الكاتب اوتيرو، الذي حرر مجموعة من مقالاتك تحت عنوان «الافضليات الراديكالية» قد كتب في مقدمة الكتاب، «إن النظام الديكتاتوري لسيطرة الفكر هو ابعد تأثيراً من النظام الديمقراطي، حيث أن المبدأ الرسمي ردد من قبل المفكرين الذين يخدمون في الدولة، وهو امر قابل للتطابق او التماثل بسهولة كاسلوب دعاية صافي، وهذا يساعد على حرية الفكر. وفي المقابل، فقد كتب يقول، «إن النظام الديمقراطي يسعى ليقرر ويحدد النطاق الكامل للفكر وذلك بتركه للافتراضات الغير معبرة. فهي مفترضة مسبقاً وانما ليست مؤكدة . فما هو رايك ؟

جواب : هذا موضوع دقيق جداً. فقد كتبت عنه ايضاً عدة مرات. ففكر حول ذلك فقط. ولنأخذ، مثلاً، بلداً يقع بعيداً عن نظامنا، انه الاتحاد السوفياتي (سابقاً).

فذلك بلد كان يدار بالهراوة (بالقوة)، وبشكل رئيس. انه كان بلد الأوامر والسيطرة، فكل واحد فيه كان يتبع الأوامر بشكل أساسي. فهناك كان يمكن بسهولة التقرير او فهم ما هي وسائل الدعاية التي كانت فيه: وما تخرجه الدولة وتصرح به فانه يعتبر دعاية. وهذا نوع من وصفه أورويل في عام ١٩٨٤. ففي بلد مثل ذلك، فان وسائل

الدعاية قابلة للتطابق والتماثل بسهولة. وكل واحد يعرف ما هي هذه الوسائل، ويمكنك أن تختار تكرار ذلك اذا ما اردت، ولكن بشكل رئيس فانه ليس في الحقيقة محاولة للسيطرة على فكرك بشكل كبير، اذ انه يمنحك أو يقدم لك فقط سياسة الحزب فيه. فدعايتهم كانت تقول لك «هذا العقيدة الرسمية، وما دمت لا تطيع أو تتقبل ذلك فانك لن تقع في متاعب. فما تعتقده أو تفكر فيه ليس على جانب كبير من الأهمية لأي واحد. ولكن اذا ما خرجت عن الخط فاننا سنفعل شيئاً لك لأن لدينا القوة والسلطة».

ان المجتمعات الديمقراطية لا يمكنها في الحقيقة العمل مثل ذلك، لأن الدولة فيها لا يمكنها السيطرة على السلوك والتصرفات بالقوة. لذلك، فان عليها أن تضبط بما تفكر به. مرة ثانية، فان المنظرين الديمقراطيين قد فهموا ذلك منذ خمسين او ستين عاماً وكانت واضحة تماماً. واذا ما كان صوت الشعب مسموعاً، فانه من الأفضل ضبط ما يقوله ذلك الصوت، وذلك يعني أن عليك ضبط ما يفكرون به. ان نهج او أسلوب أوتيرو الذي يذكر هنا هو واحد من الأساليب الرئيسة. ومن إحدى الوسائل التي يمكن ان تضبط أو تسيطر على ما يفكر به الناس هو بواسطة ابتكار الوهم من انه توجد مناقشة أو مناظرة تجري حول ذلك، ولكن تتأكد من أن تلك المداولة تبقى ضمن هوامش ضيقة جداً. واعني بذلك، ان عليك التأكد من أن كلا الطرفين في المناظرة او المناقشة تسلم بافتراضات معينة، ومن تحول تلك الافتراضات لتكون نظام دعاية أو إعلام. وما دام أن كل واحد يسلم بنظام الدعاية هذا، فإنه يمكنك عندئذ ان تستمر في المداولة.

إن حرب فيتنام تعتبر مثالاً تقليدياً على ذلك. ففي وسائل الاعلام الرئيسة، مثل صحيفة «نيويورك تايمز» او شبكة سي.بي.اس أو اية جهة اخرى ـ ففي الحقيقة، ان جميعها اجتازت الخط أو النطاق باستثناء بعض الحدود ـ وكانت تجري المناظرات والمناقشات الحية في وسائل الإعلام الرئيسة بين معظم فئات الشعب. وكان يحدث ذلك بين ما أطلق عليهم «بالحمائم» و«الصقور». «فالصقور» كانوا يقولون، «إذا ما أبقينا على ذلك فاننا ستكسب (الحرب). أما «الحمائم» فقد كانوا يقولون، «وحتى اذا ما ابقينا على ذلك فانه من المحتمل أن لا نستطيع الفوز، اضافة، فانه من المحتمل ان يكون ذلك مكلفاً جداً بالنسة لنا. لاوة على انه يمكن ان يقتل العديد من الناس». أو ما شابه ذلك. إلا ان كلا الطرفين، ـانم والصقور، اتفقوا على شيء واحد: وهو ان لنا الحق

في تنفيذ العدوان ضد فيتنام الشمالية. وفي الواقع، انهم حتى لم يعترفوا بانها كانت موجودة كدولة، وادعوا ذلك بانه «دفاعاً» عن فيتنام الجنوبية، مستخدمين عبارة «دفاع» بدلاً من «العدوان» وعلى نمط اسلوب أرويل. فقد كنا في الحقيقة نهاجم فيتنام الجنوبية، تماماً كما كان الروس يهاجمون افغانستان. وفعلنا مثلهم تماماً، فقد انشانا هناك اولاً حكومة موالية لنا دعتنا لتدخل، وبعد ذلك كان علينا استبدال حكومة تلو اخرى. واخيراً تدخلنا هناك بناء على طلبها، واثناء وجودنا هناك لسنوات عديدة، فقد قمنا بالهجوم والاعتداء على السكان والمدن والقرى. ذلك العدوان، الذي لم يفكر اي واحد منا على انه كان خطأ، او حتى، ان اي واحد قد فكر بانه كان خطأ لم يكن ليسمح له بان يناقش ذلك. فاذا ما كنت من الحمائم، فانك الى جانب العدوان، واذا ما كنت من الصقور فانك الى جانب العدوان ايضا، على حد سواء. فالمناظرة ما بين الحمائم والصقور، عندئذ، هي تكتيكية تماماً.

ان النقطة الحقيقية هي ان العدوان كان خطأ. فعندما غزا الروس تشيكوسلوفاكيا، فقد اطلق عليهم ذلك، مع انهم لم يقتلوا اناساً كثيرين، بيد ان ذلك كان خطأ لأن العدوان هو خطأ. ونحن جميعاً نفهم ذلك. بيد انه لا يمكننا ن نسمح بان يعبر عن هذا الفهم عندما يتعلق الامر باعمال العنف التي تمارسها دولتنا. فاذا ما كان هذا في دولة ديكتاتورية، فان «وزارة الحقيقة» ستقول ببساطة، «انه من حقنا الذهاب الى فيتنام، فلا تناقشوا ذلك». فالناس سيعرفون بان وسائل الاعلام تتحدث عن ذلك وانه لا يمكنهم التفكير بما يريدون قوله. فمن الممكن أن يروا باننا كنا نهاجم فيتنام تماماً مثلما يمكننا رؤية الروس وهم يهاجمون افغانستان.

فلم يكن بوسعنا السماح بمثل ذلك الفهم للحقيقة في بلادنا، انه امر خطير جداً. فالناس هم احرار جداً هنا، حيث يمكنهم التعبير عن انفسهم بحرية، ويمكنهم القيام باشياء. لذلك، فانه من الضروري محاولة السيطرة على الفكر، وذلك لمحاولة أن يبدو الامر وكأن المسألة كانت تكتيكية: فهل يمكننا ان نفهم ذلك؟ فلا توجد هناك مسألة صح او خطأ. فذلك سار بشكل جزئي، وليس بشكل كلي. اما بين الفئة المتعلمة او المثقفة من الشعب فإنه سار كلياً تقريباً.

وتوجد هناك دراسات جيدة تظهر ذلك، مع وجود خطأ احصائي تكتيكي، ذلك أنه

بين الفئات المتعلمة من الشعب، فإن وسائل الاعلام والدعاية الحكومية قُبلت او أخذت بشكل كامل. ومن ناحية أخرى، وبعد فترة طويلة من المعارضة الشعبية العفوية، والانشقاق والتنظيم، فانه فقدت السيطرة على الشعب. فوفقاً لآخر الاستطلاعات التي جرت في عام ١٩٨٢، فقد أظهرت بأن اكثر من سبعين بالمائة من الشعب كانوا ما يزالون يقولون بأن حرب فيتنام كانت «على نحو خاطىء، تماماً وغير اخلاقية»، وليس «غلطة فحسب». ذلك أن الغالبية العظمى من الشعب هم ليسوا صقوراً ولا حمائم، وانما كانوا يعارضون العدوان. ومن ناحية أخرى، فإن الفئة المتعلمة من الشعب، فانهم كانوا ملتزمين بالخط الرسمي. فبالنسبة لهم، فانها كانت مسألة تكتيكية فحسب فيما يتعلق بالصقور بمواجهة الحمائم.

وهذا، وبشكل تصادفي، ليس غير نموذجياً. فوسائل الدعاية والاعلام غالباً ما تعمل بشكل أفضل بالنسبة للمتعلمين والمثقفين اكثر مما تفعله بالنسبة للغير مثقفين. وهذا صحيح لعدة اسباب. فهناك أسباب عديدة لهذا، أولاً، لأن المتعلمين يتلقون وسائل الدعاية والاعلان بشكل اكثر لانهم يقراون أكثر. وشيء آخر هو انهم يعتبرون عملاء لوسائل الدعاية والاعلام. علاوة على ان عملهم يشبه الى حد كبير عمل الوكلاء، فمن المفترض أن يكونوا عملاء لأجهزة الدعاية والاعلام، لذلك فهم يصدقونها. والأسباب الأخرى هي أنهم، وعلى نطاق واسع، فإنهم يعتبرون جزءاً من النخبة المختارة، ذلك انهم يقاسمونهم ويشاركونهم مصالحهم ومفاهيمهم، في حين أن عامة الشعب مهمشة اكثر. اذ انهم، وبشكل واسع، لا يشاركون في النظام الديمقراطي، الذي هو لعبة النخبة بشكل غامر. فقد تعلم الناس من خلال حياتهم الخاصة ان يكونوا متشككين، وهم في الحقيقة معظمهم كذلك. فهناك الكثير من الشك والريبة والانشقاق والانعزال وهلم جراً.

وهنا حالة مثيرة للاهتمام، فبينما اسلوب السيطرة على الفكر سار بشكل فعال جداً، وبفعالية بلغت مائة بالمائة عملياً بين الفئة المتعلمة من الشعب، وبعد سنوات عديدة من اعمال العنف والوحشية والمجازر، وقتل مئات الآلاف من الناس وهلم جراً، فإن التآكل بدأ يسري بين عامة الناس. حتى انه ظهر هناك اسماً لذلك: دعي «بأعراض حرب فيتنام» انه مرض خطير: فهمه الناس جيداً. بيد انه من المدهش، ان نرى كيف سرى مفعوله بين الفئة المتعلمة. فإذا ما اخذت او انتقيت كتاباً عن التاريخ الاميركي،

ويحدث عن حرب فيتنام، فانك لن تجد فيه عبارة مهاجمة او الهجوم او الاعتداء على فيتنام الجنوبية. وكأن الامر، فلنقل، لو كان في الاتحاد السوفياتي، بانه لا يوجد أية اشارة الى عبارة الغزو الروسي لافغانستان. فكل واحد يقول انه دفاع روسي عن افغانستان - وفي الحقيقة، فإن الشعب بدأ للتو بالحديث عن الغزو الروسي لافغانستان - ربما انهم يدافعون عنه، وقد لا يدافعون عنه - بيد انهم يقرون ويعترفون بانه كان موجوداً. إلا انه في الولايات المتحدة، حيث جهاز أو نظام التلقين فعال الى حد كبير جداً، فان الفئة المتعلمة من الشعب لا يمكنها رؤية أن ذلك موجود. فنحن لا يمكننا أن نرى أو نعتبر بانه كان هناك غزو أميركي لفيتنام الجنوبية. إن ذلك لا ينكر في التاريخ الاميركي، وعلى مبدأ نظرية أرويل.

■ سؤال : ومن يوجه ويدير هذا، ومن ينجز هذا، ومن هم اشخاصه، او الذين يستخدمون مصطلح غرامسكي، «خبراء في الشرع» ؟

جواب : الخبراء في الشرع، وهم الأشخاص الذين يعملون لجعل الناس الذين يتولون السلطة يبدون شرعيين، وهم بشكل رئيس من النخب المتعلمة الثرية. فالصحفيون والاكاديميون، والمعلمون، واختصاصيو العلاقات العامة، فهذه الفئات من الناس ككل لها نوع من المهمات المؤسساتية، وذلك لخلق نظام من الاعتقاد بحيث يضمن التوجيه الفعال للقبول. ومرة ثانية، فإن الاكثر تقدماً منهم يقول ذلك. وفي العلوم الاجتماعية الاكاديمية، على سبيل المثال، فهناك تقليد تام لتوضيح الضرورة لادارة الرضا او القبول الديمقراطي. وهناك نقاد قليلون جداً لهذا الوضع. ومن بينهم عالم لجتماعي مشهور يدعى روبرت داهل الذي بين - وهو صحيح بشكل واضح - انه اذا كان لديك نظام سياسي تعمل فيه باستمرار في خيارات من موقع متميز، فهذه هي الديمقراطية أنها غير قابلة للتميز عن الديكتاتورية. ومن النادر جداً أن يشير الناس الى ذلك.

وفي مجال صناعة العلاقات العامة، التي هي صناعة رئيسة في الولايات المتحدة ومنذ وقت طويل، فمنذ ستين عاماً أو اكثر، فهي مفهومة جداً. وفي الحقيقة، فإن ذلك هو غرضهم. وهذا واحد من الاسباب لوجود مجتمع مستفتي او مقترع، ذلك أن العمل يمكن ان يبقي يده على العاطفة او النزعة الشعبية وان يتحقق من ذلك، اذا ما غيرت المواقف، وقد كان علينا ان نعمل وفق ذلك بشكل افضل. وذلك ما أوجدت من اجله

للعلاقات العامة، فهو أمر مدرك ومفهوم جداً. وعندما تدرك ما يطلق عليه هؤلاء الأشخاص المؤسسات والمعاهد المسؤولة عن «تلقين الشباب»، وهي المدارس والجامعات، وقد أصبحت عند تلك النقطة أكثر فطنة وذكاء. وبشكل واسع، فإن طلاب المدارس والجامعات يعتقدون بأنهم يقولون الحقيقة. وهي تعمل بتلك الطريقة، مع استثناءات نادرة، هو أنه لا يمكنك أن تجعل ذلك يسير من خلال هذه المؤسسات لغاية ما تقبل مبدأ التلقين. والتفكير المستقل مشجع في العلوم إلا أنه غير مشجع في هذه المجالات. واذا ما قام به الناس فانهم يوصفون بأنهم راديكاليون او أن هناك خطأ ما بهم. وليس عليه (النظام) أن يتفاعل مائة بالمائة، في الواقع، فانه حتى افضل بالنسبة للنظام اذا ما كان يوجد هناك بضعة استثناءات هنا وهناك. فهو يمنح وهما من المناظرة أو الحرية. بيد أنه يتفاعل بشكل غامر.

وفي مجال الاعلام، فانه ما زال اكثر وضوحاً. فوسائل الاعلام، مع ذلك، هي مؤسسات مندمجة مع بعض المؤسسات الرئيسية في البلاد. والأشخاص الذين يملكون ويديرون هذه المؤسسات ينتمون الى نفس النخبة المحدودة من المالكين والمديرين الذين يسيطرون على الاقتصاد الخاص، والذين بالتالي يسيطرون على الدولة، لذلك فانها رابطة أو فئة محدودة جداً من وسائل الاعلام المشتركة او المتحدة والمدراء والمالكين. فهم يتشاركون بنفس الفهم والادراك، وهلم جراً. فتلك نقطة رئيسة. لذلك، فمن الطبيعي، انهم يفهمون المسائل والمشاكل، القمع، السيطرة وصياغة مصالح الجماعات او الفئات التي يمثلونها: وبشكل مطلق مصالح الملكية الخاصة للاقتصاد - وأين تتركز في الحقيقة. علاوة على ذلك، فان لوسائل الاعلام سوقاً قوامها: المعلنون، وليس عامة الناس. فعلى الجمهور أن يشتري الصحف، بيد أن الصحف مصممة لتجعل الجمهور يشتريها، وبذلك يمكنها أن ترفع أجور ومعدلات أجورها. فالصحف تباع بشكل أساسي للمعلنين عن طريق الجمهور. وحيث ان المؤسسة تبيعها وان سوقها يعتبر مجالاً للاعمال، فتلك ناحية اخرى يكون فيها النظام المشترك او نظام العمل قادراً بشكل عام على ضبط وسيطرة رضاءات وسائل الاعلام. وبمعنى اخر، فإذا ما خرجت عن الخط بشكل لا يدعو للتخيل او للتصور، فان المادة الدعائية ستسقط وذلك هو الادراك.

وسلطة الدولة لها نفس التـأثير. فوسـائل الاعلام تريد إبقاء علاقتها الحميمة مع سلطة الدولة. فـهي تريد ان تحصل على التسـريبات منها، وهي تريد دعـوتهـا الى المؤتمرات الصـحـفـيـة الرسـمـيـة. وهي تريد أن تحتك مع وزير الخـارجيـة، وكل انواع المهمـات. ولفعل ذلك، فـان عليـها أن تمارس نفس اللعبـة، وان لعب اللعبـة يعني قـول الأكاذيب، ويؤدي دوره كجهاز عدم معلومات. ويعيداً تماماً عن الواقع ذلك أنهم يمضون ليفعلوا ذلك بأية طريقـة خـارجة عن مـصلحـتهم الخاصـة وعن وضـعهم الخـاص في المجتمع، فهناك تلك الأنواع من الضغوطات التي تجبرهـم على ذلك. انه نظام ضيق جداً للسيطرة، بشكل مطلق.

ومن ثم تأتي مسـألة الصـحـفي المستـقل او الفـردي، فـانت تعرف، بأن الصـحـفي الشـاب يصمم على أن يصبح صحفياً شريفاً. حسناً، فحـاول ذلك. فبعد وقت قصير، فـانك ستعلم من قبل رئيسك بأنك عـاطفي جداً، ومنخرط في القصة او الرواية كثيراً، وعليك أن تكون موضوعياً أكثر. فهناك كم كبير من الكلمات المخصصة لذلك، وما تعنيه تلك الكلمـات هو «اتبع الخط يا زميل، او انك ستكون خارجاً». واتبع الخط تعني اتبع خط الفريق أو الجمـاعة. ويحـدث شيء واحد عندئذ هو ان النـاس يستبعـدون. بيد أن أولئك الذين يقررون التأكيد فغالباً ما يبدأون تصديق ما يقولونه. ولكي تحرز تقدماً فان عليك قـول أمـور مـعـينة، وان تقـوم بما يريده منك رئيسك، ومـا يريده مـديرك أيضـا. وبامكانك مـحـاولة قـول ذلك وان لا تصـدقـه، ولكن ذلك لا يسـيـر تمامـاً، وان الناس لا يفضلون ذلك الشخص الـغير شريف أو صـادق، فلا يمكنك أن تعيش مع ذلك، فـانه من النادر ان يستطيع شـخص فـعل ذلك. لذلك فـابدأ بقوله وسرعـان مـا تصـدق ذلك لأنك تقوله، وسرعان ما ستصبح داخل النظام. عـلاوة على ذلك، فان هناك كماً من الجوائز ستكون بانتظارك اذا مـا لبثت في داخله. فبـالنسبـة للأشـخـاص الذين يلعبون اللعبة بقواعدهـا في مجتمع ثري مثل هذا، فانه تنتظرهم هناك جوائز وافرة. وستكون حسناً جداً، وستكون متميزاً او منتفعاً، وثرياً، ولديك مكانة ومهابة، وستشارك في السلطة اذا ما أردت ذلك، فإذا مـا احببت مثل هذا النوع من العمل، فبوسعك الذهاب لتصبح ناطقاً باسم وزارة الخارجية او ما شابه ذلك، وستكون قريباً من مركز السلطة والامتياز على الاقل، وفي أغنى بلد واعظم قوة في العـالم. ويوسـعك ان تذهب الى أبعـد من ذلك، مـا

دمت ستكون مطيعاً ومنضبطاً وملائماً. لذلك فان هناك العديد من العوامل، وان الأشخاص الذين يكونون مستقلين اكثر فانهم سيسقطون من الحسابات او انهم سيطرحون جانباً. وفي هذه الحالة فانه توجد هناك بضعة استثناءات.

فدعني اقدم لك مثالاً واحداً. ففي آذار ١٩٨٦، جرى تصويت رئيس بخصوص المساعدة المقدمة لثوار الكونترا. ولمدة ثلاثة اشهر، سبقت اجراء التصويت، فان الادارة (الأميركية) قامت بنشاط محموم لمحاولة ازالة القيود في الكونغرس المفروضة على المساعدات الممنوحة للجيش الارهابي الذي يهاجم نيكاراغوا، وما يدعى داخلياً «بجيش موكل أو مفوض»، جيش ارهابي موكل لمهاجمة نيكاراغوا، والذي هو بالطبع يقوم بذلك.

■ سؤال : إن ثوار الكونترا يدعون ايضا باسم « مقاتلو الحرية » ؟

جـواب : انهم يدعونهم امام الشعب بمقاتلي الحرية. ولكن اذا ما نظرت الى الوثائق المحلية فانهم يشكلون جيشاً موكلاً منخرط ومتورط في الارهاب، بيد ان ذلك داخلياً، لذلك فانني أدعوهم بعبارات داخلية دقيقة وهي: الجيش الارهابي الموكل.

والسؤال هو: هل يمكننا ازالة قيود الكونغرس؟ فإن ذلك هي مشكلة الحكومة. فالثلاثة شهور الأولى من تلك السنة كانت مدهشة في تلك الناحية هي: كيف كانت وسائل الاعلام ماضية للاستجابة للحملة الحكومية لمحاولة رفع قيود الكونغرس عن مساعدة الكونترا. فلقد كنت مهتماً بذلك، لذلك فقد أخذت صحيفتين هما واشنطن بوست ونيويورك تايمز، ومضيت أحلل مقالاتهما وموادهما المتعلقة بهذا الموضوع لأشهر كانون الاول، شباط وآذار، واقوم بقصها وجمعها. وتجمع لدي ٨٥ مقالاً، وكانت جميعها ضد الساندنيين. لذلك فانها جميعها (تلك المقالات والمواد) كانت تتبع الخط السياسي الرسمي، بأن الساندنيين هم سيئون.

ومع ذلك فانه لم تجر اية مناقشة أو مناظرة حول هذا الموضع. فكافة الآراء الصحفية كانت ضد الساندنيين. فهل نحن حقاً ضد الساندنيين؟ وتأتي الآن النقطة التالية. فهناك حقيقتان مدهشتان جداً بشأن الحكومة الساندنية مقارنة مع حلفائنا في اميركا الوسطى: هندوراس، غواتيمالا، والسلفادور. فهذه الحقائق غير قابلة للانكار، مهما فكرت بشأنها. الحقيقة الأولى هي ان الحكومة الساندنية، من بين حكومات دول

اميركا الوسطى، الحكومة الفريدة التي لم تقم بذبح شعبها. وهذه هي حقيقة، ليست موضع نقاش. ثانياً، انها الحكومة الوحيدة من تلك الحكومات التي حاولت تقديم خدمات مباشرة للفقراء من شعبها، وقد حولت مصادرها في الحقيقة من اجل الاصلاح الاجتماعي. وهذا ليس محل نقاش ثانية. وبإمكان قراءة ذلك في تقارير بنك الانماء الأميركي او الاستعلام عن ذلك من اية جهة اخرى تريدها. لذلك فان هاتين الحقيقتين المدهشتين تميز وتفرق نيكاراغوا عن غواتيمالا، السلفادور وحتى عن هندوراس، التي نصف شعبها يموت من الجوع. وهذه الدول الثلاث، وخصوصاً غواتيمالا والسلفادور، هي من بين أسوأ الدول ارهاباً في العالم. ففي الثمانينات، فقد قامت ربما بقتل مائة الف شخص من مواطنيها بمساعدة واسعة وتأييد كبير من الولايات المتحدة. فهي تعتبر دولاً ارهابية وعنيفة تماماً. ولا تفعل أي شيء من أجل شعبها باستثناء قتله. وحكومة هندوراس تقوم بمساعدة الغني على سرقة الفقير، وربما ان نصف شعبها يعتبر جائعاً.

وعلى العكس، فان الحكومة الساندينية، مهما تظن بها، لم تقم بقتل شعبها، وانما حولت كافة مصادرها لهم. فهذا فرق كبير. لذلك فان الشيء التالي الذي نظرت اليه كان: كم من المرات ذكرت هاتين الحقيقتين في المقالات الرئيسية للصحف؟ فالحقيقة ان الساندنيين هم مختلفون تماماً عن حلفاؤنا في انهم لم يقوموا بقتل شعبهم، ولم يذكر هذا أبداً في صحافتنا. ولا يشار الى هذه الحقيقة. كما لم يشار الى خدماتها واصلاحاتها الاجتماعية ومساعدتها للفقراء من شعبها. وانما أشير بطريقة غير مباشرة الى ان حرب الكونترا تمنع ذكر ذلك. بل ظهر هناك هجوماً ضد الحكومة الساندينية ووصفها بالديكتاتورية والوحشية، وهلم جرا، واتهمت بعدم تحويل مصادرها للفقراء. إلا أنها، في الواقع تختلف عن حلفاؤنا في اميركا الوسطى، فانها لم تقم بقتل مائة الف شخص من شعبها. فهذا أمر، مرة ثانية، بارز جداً في حد ذاته.

وبعد ذلك، فقد مررت على كافة المقالات الافتتاحية الواردة في صحيفة نيويورك تايمز، من عام ١٩٨٠، لغاية الوقت الحاضر - وأعني المقالات الافتتاحية فقط - التي تتعلق بالسلفادور ونيكاراغوا، ونفس القصة بشكل رئيس. فعلى سبيل المثال، ففي نيكاراغوا، في ١٥ تشرين اول ١٩٨٥، فرضت الحكومة حالة من الحصار على البلاد.

فهي بلد كانت تقع تحت هجوم اقليمي من قبل دولة عظمى، وقامت بما قمنا به خلال الحرب العالمية الثانية في هاواي: عندما فرضنا حالة من الحصار عليها. وهذا لا يدعو للدهشة كثيراً. وحدث من جراء ذلك ضجيج واحتجاج هائلين: فكتبت الافتتاحيات حول ذلك، وكثر الشجب، لتظهر بأن الحكومة الساندينية هي ديكتاتورية وستالينية متوحشة، وهل جراً. وبعد ذلك بيومين، في ١٧ تشرين الاول، قامت السلفادور بتجديد حالة الحصار في البلاد، والتي كانت مفروضة منذ شهر اذار ١٩٨٠، وتجدد شهرياً، وكانت اقصى بكثير مما فرضته نيكاراغوا. فهي أعاقت حرية التعبير، وحرية الحركة، وأعاقت كافة الحقوق المدنية عملياً. وارتكبت السلفادور ضمن ذلك الإطار عمليات القتل والذبح والتعذيب الجماعي، والذي ما زالت تقوم به في الواقع. وكل ما عليك أن تفعله هو النظر الى اخر نشرة لتقرير لجنة العفو الدولية (الامنستي).

هذا، وفي خلال يومين، فرضت نيكاراغوا حالة من الحصار على البلاد، وجددت السلفادور حالة الحصار، وارتكبت بموجبه مجازر جماعية كبيرة وحملات تعذيب. واعتبرت حالة نيكاراغوا بفرض الحصار على انها وحشية عظيمة، في حين ان حالة السلفادور للحصار، ومع انها كانت اكثر قسوة في اجراءاتها وتطبيقها، فانها لم تذكر في صحفنا. علاوة على ذلك، فانها لم تذكر أبداً. ولم تذكر عنها كلمة واحدة من خلال (١٨٠) مقالاً افتتاحياً، لانهم أتباعنا ومحاسيبنا، لذلك فلا يمكننا آن نتحدث عنها. وانما، في الحقيقة، فإن التعليقات والاخبار الصحفية الواردة عن السلفادور هي انها دولة معتدلة تتعرض لهجوم ارهابي من اليساريين واليمينيين على حد سواء. انه هراء تماماً. فكل تحقيقات حقوق الانسان، والكنيسة في السلفادر، وحتى الحكومة ذاتها ومن خلال وثائقها السرية، تظهر ان الارهاب ينبثق من قبل هذه الحكومة المعتدلة، فانها ارهابية في الحقيقة. ففرق الأمن ما هي إلا فرقاً للموت، بيد انه ليس بوسعك أن تقول ذلك علناً، لانه يعطي صورة خاطئة. فبإمكانك الخوض بذلك اكثر فاكثر، إلا أن هذه عبارة عن أمثلة دراماتيكية للاستسلام والخنوع التام لوسائل الاعلام التابعة للسلطة. فانها لن تسمح حتى بإبداء الآراء المستقلة، وليس فقط المقالات والافتتاحيات الصحفية، فحتى الآراء المستقلة لم يسمح بها لانها تخرج عن خط الحزب أو الدولة، وبالتالي فانها خطرة جداً.

وعلى نحو مشابه، فطيلة حرب فيتنام، لم يكن هناك ابداً اراء متفرقة في صحيفة نيويورك تايمز أو اية صحيفة أخرى أعرفها قالت بان الولايات المتحدة كانت على خطأ في مهاجمة فيتنام الجنوبية. فهنا يكمن مشروع للبحث لأي واحد يشاء: اذا ما كان بإمكانك ايجاد كلمة واحدة لأي اراء مستقلة ظهرت في اية صحيفة اميركية أو في وسائل الاعلام الاخرى، فانني ساكون ممتناً لذلك. فإنني لم أقرأ كافة المواد الصحفية، بالطبع، بيد أنني تابعتها تماماً لعدة سنوات، ولم أعثر على اي شيء بهذا الصدد.

■ **سؤال : هل السيطرة على مصدر راس المال، هو أساس السلطة في الدولة الاميركية ؟**

جـواب : لا يوجد هناك شك على ذلك، بالتأكيد. فرئيس المحكمة العليا ورئيس الميثاق الدستوري، جون جاي، عبر عن ذلك بشكل دقيق، فقد قال: إن الاشخاص الذين يملكون البلاد يسعون لحكمها. وبتلك الطريقة تسير الامور. فهناك كافة أنواع الآليات. ولأمر واحد، فلديهم مصادر الاشتراك في السياسة. وبإمكانهم الحصول على المعلومات، وبإمكانهم ممارسة الضغط وبإمكانهم تشكيل لوبي ضغط وبوسعهم عمل البرامج. فهم، في الواقع، السوق الحقيقي للأحزاب السياسية، وهم يسمحون للاحزاب بان تبقى. وهم يؤثرون على السلطة التنفيذية، وعلى نطاق واسع. كما انهم حتى يؤثرون على الكونغرس. علاوة على ذلك، فإذا ما حاولت اية حكومة ان تخرج عن الخط وحتى بأدنى طريقة، فان باستطاعتهم ايقاف ذلك ببساطة، وذلك بوقف الاستثمارات، وبوقف تدفق رؤوس الأموال، وهلم جراً.

ولكن لا تكمن المشكلة هنا فحسب، لأن المؤسسات تمتلك الحكومة بشكل تام بحيث لا تخرج عن الخط مطلقاً. ولكن في الدول الاخرى، وخصوصاً في دول العالم الثالث، فان المشكلة تنشا احياناً، وبشكل سريع جداً، اذا ما حاولت الحكومة تنفيذ اصلاحاً اجتماعياً، فانه يوقف. لماذا؟ لأن مقدار بسيط من راس المال هو كاف لانجاز ذلك، وهذا يعني طحن أو دفع البلد او الدولة للتوقف. لذلك فان السيطرة الفعالة على اتخاذ القرارات الأساسية في المجتمع أو الدولة هي في أيدي القطاع الخاص، ومحصورة فيه ومركزة، وهذا بالتالي يمضي للسيطرة على الدولة.

الهندسة التاريخية

ديفيد بارساميان : إن مكافات اللعب بالكرة مع النظام في هذا المجتمع (الولايات المتحدة) وهذه الثقافة هي واضحة جداً. فالمكافات المادية واضحة. وقد تحدثنا عن الامتياز والاعتبار وعن طبقة المكافات ايضاً. فماذا عن الجانب الآخر من العملة؟ ماذا عن العقوبات ؟

نعوم تشومسكي :

إن ذلك مختلف في المجتمعات (البلدان). ففي الاتحاد السوفياتي (سابقاً)، مثلاً، فبالنسبة لعقوبات الانشقاق الشريف، فلما أن ينتهي بك الأمر في السجن أو في النفي وتحت ظروف واوضاع بشعة. اما اذا ما كنت منشقا، فحسب النموذج الاميركي الجنوبي، مثل السلفادور، فانه من المحتمل ان تجد نفسك معرضاً ومعذباً بعد عملية بتر بشعة. أما في الولايات المتحدة فان هذه ليست عقوبات. وهنا علينا ان نعمل تفريقات مرة ثانية. فاذا ما كنت منظماً اسوداً في الغيتو الزنجي، فانه من الممكن اغتيالك بواسطة الشرطة السياسية الوطنية، او على الاقل بواسطة حلقتهم، كما حدث بالنسبة لفريد هامبتون في شيكاغو عام ١٩٦٩، وعلى طريقة واسلوب الجستابو في الاغتيال، حيث اغتيل وهو نائم، ومن المحتمل انه كان مخدراً، في الساعة الرابعة صباحاً، ومن قبل رجال الشرطة المتعاونين مع مكتب التحقيقات الفيدرالية. وفي الواقع، ان الحركة السوداء (حركة الزنوج)، قد لوحقت بارهاب الحكومة. فاذا ما كنت ضعيفاً واعزلاً بشكل خاص. فانك ستكون معرضاً للعنف. وبالطبع، فانه لا شيء يشبه الوضع في السلفادور، إلا ان الامر ليس تافهاً جداً ولا يستهان به ابداً.

- **سؤال : ام ان هناك مثالاً من بلدتك في ولاية فيلادلفيا، والتي شهدت اول غارة جوية محلية في التاريخ الاميركي؟**

جواب : نعم، ذلك أمر اخر. يمكن ان يحدث، الا انه ليس على مقياس دولة التي يمكن ان ترهب مواطنيها في الحقيقة. فاذا ما انتميت للطبقات الاكثر امتيازاً، اي اذا ما كنت

ايضاً ومن الطبقة الوسطى، فعندئذ تكون الفرص لان تتعرض لارهاب الدولة ضئيلة جداً. ومن الممكن ان يحدث ذلك، بيد انه يظل ضئيلاً. واذا ما حدث، فانه سيحدث بالتك مستهمش، وتبعد. وبدلاً من ان تصبح جزءاً او عضواً في النخبة صاحبة الامتياز والصيرة، فانك ستكون سائقاً لسيارة اجرة. انه ليس تعذيباً بحد ذاته، الا ان بضعة ضئيلة من الناس تختار ذلك بمحض اختيارها، اذا ما كان الخيار لهم. وان الاشخاص الذين يختارون ذلك لن يسمع عنهم ثانية ابداً. لذلك فانهم ليسوا جزءاً من نظام التلقين. وانهم ليسوا بصانعيه. ومن الممكن ان يكون الامر اسوأ من ذلك، بيد انه سيكون كافياً للناس المنضبطين.

■ سؤال : بشكل عام فإن كتبك قد اهملت. فهي لا تستعرض. وانت لم تدع الى برنامج «واجه الامة» او في نشرات الاخبار المسائية مع دان راذر، ولم تقابل مع «الراديو الوطني العام». والمرات القليلة التي استعرضت فيها كتبك لم تكن سواء محببة او دقيقة. ونضرب مثالاً هنا، مقابلة اجرتها صحيفة نيويورك تايمز مع الن تونيلسون، وهو زميل محرر في مجلة «السياسة الدولية». فقد بدا مقابلته بوصفك «باليساري الشجاع»، ومن ثم يقول «بان الدليل الذي تقدمه في كتابك «تحول المد» هو مستقى من مصادر ثانوية، ومصادر تاريخية، ومن مواد إخبارية وتقارير يسارية وليبرالية النزعة لجماعات او منظمات حقوق الانسان في اميركا اللاتينية.» فهل ذلك يعتبر نموذجاً؟

جواب : انه من المدهش بأن الكتاب قد استعرض اخيراً، بيد ان ذلك نوع نموذجي من الضعف او الوهن. فكل ما عليك أن تفعله هو النظر الى هوامش الكتاب لترى كم ذلك هو زائف. فأول كل شيء، فإن جماعات حقوق الانسان «اليسارية النزعة»، هي جماعات مقياسية، اي مثالية. فلا يوجد هناك «نزعة يسارية»، لانها تنتقد وحشيات الغرب كما تنتقد وحشيات الشرق (الاعمال الوحشية). وهذا، بالطبع، بنظره، «نزعة يسارية». وبالنسبة لمصادر الكتاب، فانه مثل اي عمل بحثي، فقد تعاطيت مع المصادر الاصلية، والتي هي تقارير للاحداث الجارية. وهذا نفس الشيء بالضبط هو صحيح في معظم الاعمال الثقافية المشرفة.

علاوة على ذلك، فهناك استخدام وافر لمصادر رئيسية غير مستخدمة، تكبت المصادر الرئيسية. فعلى سبيل المثال، فإن الوثائق الحكومية التي لم تستخدم ابداً في هذا المضمار لانها لا تروي حقيقة القصة. وهذا ليس لانه عمل لي. فاي انتقاد لخط الفريق او للحزب يجب ان يواجه مقاييس عالية جداً. واذا ما اتبعت خط الفريق فانك لن تكون بحاجة لتوثيق أي شيء: فبإمكانك أن تقول اي شيء تريده او ترغبه. وهناك كتب رئيسة، استعرضت بشكل جيد، واعتبرت بشكل عالٍ، وكانت عبارة عن تعبير للرأي. فلا شيء هناك فيها يمكنك حتى من تتبع مصادرها، بيد ان هذا لا يهم ما دمت تتبع خط الحزب أو الفريق. ويعتبر هذا من إحدى الامتيازات التي تحصل عليها جراء الطاعة والإذعان.

ومن ناحية أخرى، فإذا ما كنت معنياً بتقبل الآراء، فان عليك أن توثق كل عبارة. وهو (الن تونيلسون) وصف أسلوب كتابي فيما بعد، خلال استعراض الكتاب، بأنه أسلوب «طنان». وهذا صحيح، فجزء من سبب ذلك لانه بعد كل ثلاث كلمات كان عليّ أن أضع هامشاً مع توثيق كبير يفسر ويوضح ذلك. فمن ناحية ثانية، فاذا ما كنت في الجانب الآخر، فان بإمكانك فقط ان تولي العناية الى الأسلوب، لانه لا يهم ما تقوله.

ويجب عليّ القول، وبشكل تصادفي، فانني قد استفدت من ذلك الامتياز أيضاً. لذلك فانني عندما كنت اكتب عن الاتحاد السوفياتي بشكل انتقادي، فانني لم اكن بحاجة لتوثيق أي شيء، ولا أحد كان يهتم بذلك. فهم اعتقدوا بأن ذلك أمر جيد. اذ انك اذا ما كنت تهاجم عدواً، فلما يجب عليك أن توثق ذلك؟ واذا ما كنت دوماً ضمن الخط العام او خط الفريق، فانه لا ينبغي عليك أن توثق اي شيء. بيد ان النقطة الرئيسة للاهتمام حول ذلك الاستعراض (استعراض الكتاب) هو الضعف أو عدم التأهيل لفهم الكلمات. ففي الواقع، فاذا ما اطلعت على عملية استعراض الكتاب، فانك لن تأخذ المسألة بأي شيء أقوله، فهذه النظرة صحيحة، وهكذا. ولكنه قال بأنني فقدت الهدف لانني لا اوضح كيف يجب على الولايات المتحدة أن تدافع عن المصلحة الوطنية. فهو قال شيئاً مثل، «حيث انه لا يقدم بديلاً للدفاع عن المصلحة الوطنية، فان هناك شيئاً ما مفقود، او فاقداً الهدف» .

ففي الحقيقة، فقد ناقشت تلك المسألة بشكل واسع. وبينت بأن عبارة «المصلحة الوطنية» هي عبارة أورويلة (عائدة الى جورج أورويل) مستخدمة لتشير الى المصالح المشتركة للنخب. فاذا ما كان لدي المزيد من المساحة هناك، فقد كان علي ان اقدم مزيداً أو فائضاً من التوثيق لذلك، وقد قلت ذلك بالطبع في ذلك المعنى للمصلحة الوطنية من ان المواطنين لا يجب ان يدافعوا عنها. فهي غالباً ما تتعارض مع مصالحهم. الا انه لم يفهم ذلك. فالشخص الملقن بعمق، يعتبر اشارة أو علامة حقيقية للتلقين العميق، ذلك بانك لا يمكنك حتى فهم الأفكار الأولية او الأساسية، التي يمكن لطفل يبلغ عشرة سنوات من العمر فهمها. فتلك عملية تلقين حقيقية. لذلك فبالنسبة لها فانها نوع من الحقيقة اللاهوتية، حقيقة الدين المؤمن أو المعتقد به، من ان المصلحة الوطنية هي ما يجب ان ندافع عنها. فافترض أن اقول «ان كل واحد مثلك يستخدم عبارة المصلحة الوطنية بطريقة مخادعة جداً، فانها ليست في مصلحة الأمة. انها مصلحة الجماعة المتنفذة القوية، وربما تكون هذه الطريقة الصحيحة للدفاع عن مصالحها، بيد انني لست مهتماً في الدفاع عن مصالحهم. انني مهتم في الدفاع عن مصالح شعب الولايات المتحدة، وعن شعوب العالم في الحقيقة، لذلك فانه لا لزام عليّ أن اجيب عن سؤالك. فليس عليّ ان اوفر أو اقدم وسيلة افضل لخدمة المصالح المشتركة للنخبة. فانني لست مهتماً في تلك المسألة». انه لا يستطيع فهم هذه النقطة انها طريقة بعيدة جداً عن التفكير.

وفي هذه الناحية، فانه يوجد هناك هبوط أو عجز حاد جداً منذ العصور الوسطى. ففي العصور الوسطى، عندما تقرا لتوماس اغيوناس، فانك تشعر بانه كان يتعامل مع الهرطقة او البدعة. فهو أراد الدفاع عن عقائد الايمان ضد الهرطقة، الا انه شعر بانه كان عليه فهم ذلك أولاً. فلاهوت العصور الوسطى كان له بعض النواحي للجو الفكري المخلص: فاذا ما كان للناس حجج أو ذرائع هرطقية فانه كان عليك ان تولي اهتمام نحوها، وتفكر بها، وتجد الأجوبة لها.

ولقد قمنا بالحط من شأن ذلك في الثقافة العصرية. وهنا فلا لزام عليك فهم الهرطقة، وانما ان تشير اليها فقط وان تقول فقط «انظر، فهذا الشخص منخرط أو متورط في الهرطقة»، وان ذلك هو نهاية النقاش. والآن نحن نمضي بذلك. فهذا لن يكون

متسامحاً معه في المجتمعات المتقدمة الاكثر فكراً واخلاصاً كمثل مرطقة العصور الوسطى. وهذه هي علامة أخرى للانحطاط الدراماتيكي المثير لرجال الفكر، إذ أضحوا عبارة عن وكلاء للقوة او السلطة الخارجية، سواء كانت رسمية أم خاصة. وهذا الاستعراض (استعراض الكتاب) هو مثال جيد على ذلك.

■ سؤال : ومثال اخر هو ميشيل ماندلبوم، في استعراضه عام ١٩٨٢ لكتابك «نحو حرب باردة» في صحيفة «نيويورك تايمز». فهذا الكتاب هو واحد من الكتب الاكثر توثيقاً وعناية من اي كتاب اخر ظهر لك من قبل، فماندلبوم لم يعالج في الحقيقة اية مسالة من المسائل الجوهرية المطروحة في الكتاب، وانما اتهمك بقوله «اذا ما كان الكتاب يحتوي على اية فكرة متماسكة بمجمله فانه يحتوي على الغضب فقط». لذا فانك شخص غاضب، ونحن نعرف كيف نتعامل مع الاشخاص الغاضبين، فنحن نطردهم او نبعدهم فحسب؟

جـواب : هذا صحيح بشكل تصادفي. فإنني لا اتظاهر بانني لست غاضباً. فعندما اتحدث عن التعذيب، والقتل الجماعي والذبح وهلم جرا، فانني اكون غضباناً. واذا ما كان عليّ أن اعبر عن ذلك، فانني لا احاول أن أخدع اي واحد بشأن ذلك. بيد أن النقطة التي تطرحها هي دقيقة تماماً: فعليهم أن يطرحوا الهراء بطريقة ما. فليس بإمكانك ان تتعامل مع الحجج، فذلك واضح وجلي، فمن أجل أمر واحد عليك ان تعرف شيئاً ما، وان معظم هؤلاء الناس لا يعرفون اي شيء. ثانياً، فانك لن تكون قادراً على الاجابة على البراهين والحجج لانها تكون صحيحة. لذلك فما عليك ان تفعله هو ان تطرحه بطريقة ما. لذا فهذا اسلوب واحد، «انه عاطفي فقط وغير مسؤول، وغاضب». وفي الواقع، فانها حقيقة مدهشة من ان الكتب هي عاطفية في الحقيقة، ذلك ان لا تحاول توثيقها، بل ان تجعلها أنيقة فحسب. وهناك كتب مخلصة ومهمة. فإذا ما توصل احد ما الى نتيجة ما ويقول «إنني اكره الحرب في السلفادور، فهي تؤثر فيّ كثيراً، فلا أريد أن أرى المزيد من الناس المعذبين» فذلك الكتاب سيلقى قبولاً جيداً، لانه لا يمثل اي تهديد ما.

■ سؤال : هـــل ان كتاب «السلفادور» لجوان ديديون يشـبـه ذلك بشكل دقيق ؟

جــواب : نعم، فهذا لقي قبولاً كبيراً بسبب عدم احتوائه على اي تهديد. فانه لا يلفت الانتباه مباشرة الى حقيقة ما كان يحدث. الا ان هناك شيئاً ما يفوق ذلك، فانك كما تعلم، ان هناك اعمال وحشية تمارس هناك. انه امر فظيع، انه يجعلني اشعر بالروع والاشمئزاز. بل ان هذه الأعمال الوحشية والعنف لا تمارس هناك فحسب، انها تمارس هنا أيضاً في واشنطن، في نيويورك وشيكاغو، تماماً كما كانت تمارس الوحشيات واعمال العنف في افغانستان، من خلال ممارسة العنف في موسكو. وما دمت لا تستطيع جعل الناس ان يفهموا ذلك، فانك ستكون ملائماً جداً، واذا ما اشرت الى تلك الوحشيات على انها امر منتظم، فهي تحدث مرة إثر الأخرى، وتحدث بنفس الطرق والوسائل، فنحن لدينا الكثير من عملية التوثيق لتوضيح لماذا يريد المخططون الاميركيون ان تستمر اعمال العنف والوحشية هذه وبتلك الطريقة. وما ان تضعها في اطار من التاريخ المنتظم المتماسك والتركيب المؤسسي فان ذلك يؤدي اليها، خصوصاً عندما تمنحها التوثيق من اجل اثباتها، فعندئذ ستلقى سداً منيعاً، لأنه من الممكن ان تجعل الناس يفهمون شيئاً ما.

من جهة أخرى، فانه من المثير للدهشة، انهم يفعلون هذا بشكل خاص مع النساء، مثل جوان ديديون. فاذا ما ألفت امرأة كتاباً يتضمن شخصية عاطفية، فهذا امر مروع، كان تقول «اه حسناً، انظر الى هذا، فنحن نفهم النساء، بأنهن عاطفيات جداً، لذلك فهن ينزعجن من هذه الأمور، بل لانهن لا يفهمن الحقائق المؤلمة، وهلم جرا، فذلك أمر جيد».

■ سـؤال : دعنا نتـحـدث عن السـلام والحـركـات الطلابيـة في الستينات. فقد ادليت بعدد من البيانات حولها واود ان توضح ذلك بشكل اكثر. فـانت تقول ان السلام والحركات الطلابية في حـقبـة الستينات «بانها متغيرة الوعي ورفعت المستوى الثقافي والاخلاقي للبلاد. وانها غيرت شخصية البلاد، وبشكل دائم من المحتمل» . فما هو قولك ؟

جـــواب : اصبح يوجد هناك تحسن مدهش في المناخ الفكري، الثقافي والاخلاقي للبلاد. ويمكنك ان ترى هذا في كافة انواع الوسائل والطرق. ولم يكن ذلك مقتصراً على الحركة الطلابية. وكان هناك ايضا كافة الحركات الشعبية التي تطورت في تلك الحقبة ـ مثل الحركة النسائية، والحركة البيئية، وجميعها احتوت على عناصر شابة من الطلاب والشباب. ونحن الآن قادرين على مواجهة، على الاقل، نماذج واشكال معينة من الاضطهاد والإكراه والأعمال الوحشية التي لم يكن بإمكاننا مواجهتها من قبل. والحركة النسائية تعتبر مثالاً كاملاً على ذلك. والاضطهاد العرقي كان موجود قبل عام ١٩٧٠، الا انها لم تكن مسألة وصلت الى المدى الذي وصلت اليه الآن. انها الآن مسألة كبيرة دون شك.

ولنلخذ شيئاً اكثر بعداً، وهو معاملة الاميركيين الأصليين (الهنود الحمر). فهنا تكمن حقيقة مدهشة اذا ما فكرت بها. فالولايات المتحدة قد أوجدت وأُسست على دمار السكان الأصليين للبلاد. فقبل ان يكتشف كولومبس اميركا، فقد قدر السكان الذين كانوا يعيشون شمال ريوجراند من ١٢ ـ ١٥ مليون نسمة. إلا انهم تقلصوا مع بداية هذا القرن الى (٢٠٠) الف نسمة فقط. فمجمل تاريخ غزو القارة الاميركية منذ الوقت الذي وطئت فيه اقدام المهاجرين الاوائل هو القتل والتدمير للسكان الاصليين وبكافة الوسائل المختلفة، وارتكاب المجازر احياناً، مثل مجزرة «بيجويت» التي ارتكبها البيوريتانيون (المتطهرون) او تدمير جورج واشنطن الحقوق المدنية للاركواز في منتصف حرب الاستقلال، والأحداث التي جرت فيما بعد ومن خلال عملية غزو الأراضي الاميركية.

ومورست احياناً جرائم الابعاد مثل إبعاد جاكسون لابناء الشروكيز، وكان خطأً متشدداً في الحقيقة. وعلى اية حال، فان هذا مجرد تاريخ. وكان من الصعب أن يوضع في مجال نقاش، ومن الصعب تذكره الآن، بيد انه نوقش في سياق افلام الكابوي والهنود لحمر. اذ يظهر فيها الهنود الحمر على أنهم ابناء سيئون، وان رعاة البقر هم الجيدون. وكان ذلك قبل مائتي عام، أو ثلاثمائة عام في الحقيقة، وهذا لم نصل الى تحديد معين بالنسبة له، وحتى من قبل الباحثين.

وبشكل تصادفي، فقد تغير هذا في السبعينات. فلأول مرة فقد أصبح ممكناً اعطاء تقييم مخلص وشريف نسبياً للتفاعل بين الغزاة الاوروبيين والسكان الاصليين الذين دمروا. فما زالت هناك طريقة طويلة للذهاب فيها، بل إنها البداية. فبينما يمكنك لن تجد امثلة مناسبة على مدى القرون القليلة الماضية، وكتاب هنا او هناك، والأساطير كانت سليمة في عالم البحث والدراسة والوعي الشعبي أيضاً ولغاية النشوء على المستوى الثقافي. وهذا صحيح احياناً في اسلوب مدهش. فعلى سبيل المثال، فان اعلان الاستقلال، الذي زرعناه وطبعناه في الذاكرة في الرابع من تموز من كل عام، فان كل واحد قرأ عنه في المدارس الابتدائية وما شابه ذلك. فقد ذهبنا الى مدى مائتي سنة، كما أعلم، قبل ان أجد أي واحد، على الأقل، قد لاحظ حقيقة مذهلة بشأن تلك الوثيقة (وثيقة اعلان الاستقلال). ففي وثيقة الاتهام ضد الملك جورج، ملك انجلترا، فقد اتُّهم «باطلاق العنان لوحشية الهنود الحمر ضدنا بواسطة أساليبهم الحربية المعروفة»، والتي تعني الابادة وهلم جرا. ويعتبر هذا بيان مذهل وجبان ومخادع مثير. بل إن كل شخص بسيط يعرف مدى الوحشيات الاوروبية العديمة الرحمة، ومدى افعال اسلافهم وابائهم، وأساليبهم الحربية - من تدمير وقتل للرجال والنساء والأطفال - والتي اطلق لها العنان ضد السكان الأصليين للبلاد. فهذا التحول مضى دون ملاحظته او حتى تسجيله. فلا أعرف أي شيء في المكتبة الاميركية او حتى في العرف التاريخي الاميركي قد علق على ذلك. وربما يكون هناك شيء ما في مكان ما، الا انني لم استطع ايجاده.

ففي السبعينات، اخيراً، لاحظنا انه على مدى مائتي عام، فقد كنا نعيش في القيام بالعنف، والكذب الجبان، ولم نكن مهمشين. فليس امراً مهمشاً من ان يباد السكان الاصليين في سياق الغزو للأراضي الاميركية.

ان نفس ادراك الاكاذيب قد حدث على مستوى المسائل الاخرى. فقد اصبح من الممكن ان تلقي نظرة صادقة نحو حرب الفلبين، حرب القتل والابادة، قتل الآلاف من السكان، انه ليس انتصاراً عظيماً. وقد اصبح من الممكن، ولأول مرة، ان نبدأ الالتفات الى حرب ودرو ويلسون في هاييتي وجمهورية الدومينيكان، انها كانت حرباً لعمليات قتل وحشية. وحرب الابادة التي حدثت في اليونان في عقد الاربعينات، حيث قتل فيها

الاف السكان وارسل نحو ستين الفاً الى ما اطلق عليه اسم معسكرات اعادة التربية، حيث عذبوا هناك أو اعدموا، ودمر النظام السياسي للبلاد، ودمرت الاتحادات العمالية. وكانت تلك قصة مخفية لغاية اواخر السبعينات. وبامكاننا ان نسوق حالة اثر حالة. واصبح هناك يقظة، ورغبة لمواجهة بعض حقائق العالم.

وانني اعزو ذلك الى الارتقاء في المستوى الثقافي للحركة الطلابية وغيرها من الحركات الاخرى. وانها كسرت أو حطمت الكثير من العوائق وجعلت من الممكن لناس التفكير بها.

■ سؤال : الم تحاول الدولة الاميركية اعادة بناء الماضي وإتلاف تلك الذكرى ؟

جواب : بالتاكيد جداً. فقد كانت هناك حملة رئيسة لكل مسألة من اجل محاولة اعادة النظام والطاعة. فقد سرى ذلك بين النخب المتعلمة، الا انها بالطبع لم تحرف كثيراً جداً، لذلك فانه لم يكن هناك مجالاً بعيداً لتذهب اليه. وانه سرى بشكل جزئي بين السكان، وليس الى حد كبير. فعلى سبيل المثال، فقد نجحوا اخيراً في اعادة تشكيل او تكوين نوعاً من الاجماع الشوفيني (المغالاة في الوطنية)، وخلق جواً من الخوف والاضطهاد. ويمنطق يقول فيه الناس «دعونا نذهب ونقتل الأوغاد». فقد نجحوا في تكوين ذلك.

بيد انهم لم يتفهموا أو حتى يتعاطفوا مع الناس المضطهدين، أو حتى مواجهة العنف والوحشية. ويمكنني ان ارى ذلك بنفسي من خلال الحديث الذي أدليت به. فقد قمت بذلك لوقت طويل. فخلال الستينات، وأوائل السبعينات، وفي قمة وزخم نشاط حركة السلام، اذا ما كنت أتحدث عن جمهور حركة السلام المختار، الراديكالي، ولا يمكنني القول بأن الأمور التي اقولها للجمهور العام حالياً، هي نفس الأمور التي اقولها الآن. فعلى سبيل المثال، فانه لا يمكنني أبداً الحديث امام الجمهور العام او حتى ان اتحدث بالنسبة لتلك المسألة المتعلقة بجمهور حركة السلام وحتى في اوجها. وما حدث انه كان هناك تغيير عام، فيمكنك أن تقترب من الناس اكثر فاكثر بشكل مخلص، خصوصاً اولئك الذين ليسوا جزءاً من الطبقة المتعلمة الضئيلة، والنخبة المتنفذة المحصنة ـ فلا يمكنك التحدث معهم. ولكن بعيداً عن ذلك، فان الكثير من المواطنين قد تغيروا بشكل هام، واعتقد وامل بأن يكون ذلك امراً دائماً .

■ سؤال : بعد انتهاء حرب فيتنام فقد كتبت عدد من المقالات تنبأت فيها بمحاولات الدولة الاميركية لاعادة بناء وترميم ما حدث في الهند الصينية. فهل تلك المحاولات كانت ناجحة؟

جواب : أعتقد بأنها كانت ناجحة بين النخبة المتعلمة. أما بين طبقة العامة، فاعتقد بأنه كان اقل من ذلك بكثير، بل انهم لم يهتموا بذلك كثيراً. ولكن من المهم الأخذ بعين الاعتبار أن معظم أبناء الشعب هم مهمشون، انهم ليسوا جزءاً من النظام، انهم يشاهدون الامور فقط فالفئات النشطة سياسياً من الشعب هم الخطرون في الحقيقة. وطالما ان عامة الشعب غير منظمين، ولا مبالين، ومهمشين، فانهم لا يفعلون أي شيء. فلا احد في الحقيقة يهتم بما يفكرون. انهم فحسب ليسوا جزءاً من النظام. فمن الواضح، لن النخب المتعلمة والجماعات النشطة سياسياً، هي التي يمكنها ان تقوم بالتغيير والاختلاف. انها تلك الأشياء التي تشاهدها. ومن بينها، اعادة بناء التاريخ الذي كان ناجحاً جداً، ولكن بعدئذ، فانه لم يذهب الى مدى بعيد.

■ سؤال : في مقالة كتبها جورج ماجوفرن بصحيفة نيويورك تايمز، وهو اشتهر بمعارضته لحرب فيتنام، قال فيها «انني متألم جداً من تورطنا الكارثي في فيتنام. فالتاريخ والعناية الالهية سيعرفان في نهاية المطاف من كان على حق او خطأ في تلك المسائل التراجيدية او المأساوية». فما قولك بذلك ؟

جواب : إنها مقالة متماسكة وشاملة نوعاً ما. فماجوفرن لم يكن من المعارضين الأوائل لحرب فيتنام. وفي السنوات الصعبة المبكرة للمعارضة، قبل أن تصبح مسألة شعبية، وحتى قبل وقت طويل من تحول القطاع المهني ضد الحرب على اساس الخسائر التي كانت تسببها، فان ماجوفرن لم يظهر على الساحة بشكل خاص. فقد كان هامشياً في الواقع خلال السنوات الصعبة. وقد جاء متأخراً، وانني متأكد وبشكل مخلص، بل انني أعتقد بأن موقفه يعبر عن إحساسه تماماً وبشكل دقيق. وبالنسبة له فإنها كانت مسألة «من كان على حق» .

■ سؤال : ولذا ما ترك ذلك للتاريخ، مقدماً ما كنا نتحدث عنه، وهو هندسة التاريخ ... ؟

جواب : انهم سيولون العناية بذلك.

■ **سؤال : الا تجده امراً شاذاً من انه يوجد هناك تعبير ضئيل عن الكرب او الظلم الذي لحق بشعوب فيتنام، لاوس وكمبوديا، والتي تحولت بلدانها الى مناطق حرة لإطلاق النار؟**

جـــواب : ذلك امر صحيح لمناقشته كلياً. فهناك احتجاج كبير، ويجب ان يكون الأمر كذلك، بشأن المحاربين القدماء الأميركيين الذين عانوا كثيراً. ومع ذلك، فان هناك مراقبة ضئيلة يمكن ان تجري، ولكن أولئك هم شعب فيتنام الذين عانوا الاف المرات من ذلك، واننا بالتأكيد لم نحاول مساعدتهم، وانما في الواقع، اردنا زيادة معاناتهم.

■ **سؤال : وما قولك بالبرامج التلفزيونية او المسلسلات التي بثت حول فيتنام ؟**

جواب : اعتقد بأنها كانت عبارة عن دعاية رخيصة وهراء مبتذل. ففي السنوات الأولى من الحرب، أو فترة الحرب الفرنسية، فإنها كانت دقيقة جداً. فقد كانت وسائل الاعلام قادرة على معالجة حرب فرنسا في فيتنام.

■ **سؤال : وهل كان ذلك امر موثوق او جدير بالثقة؟**

جـواب : نعم، كان امراً موثوقاً. بيد انه سرعان ما تحول الأمر خلال حرب اميركا في فيتنام، فيما يتعلق بأجهزة الدعاية والاعلام. فالبعض قد تحدث عن ممارسة العنف والوحشية، والوحشيات الفردية، التي لم تكن مهمة بشكل مزعج. فالجنود الأفراد في ساحة الحرب، الذين كانوا يحاربون تحت ظروف مرعبة هم بالتأكيد قد يمارسون الأعمال الوحشية في كل حرب. فمن السهل لومهم على ذلك، فنحن نجلس براحة هنا والخنازير في الميدان يقتلون الأخرين، ويتملكنا الانزعاج من جراء ذلك.

إن الوحشيات الحقيقية هي التي مورست في واشنطن، وكانت على نوعين بشكل رئيس: الأول، كان جرائم الحرب، الجرائم التي أعدم من أجلها مجرمو الحرب في نورمبيرغ، وأعني بذلك مسألة القمع. الثاني، هي الجرائم ضد الانسانية وهي العمليات المنظمة والتي يخطط لها في واشنطن، بهدف عمليات القتل الجماعي. وهي الجرائم التي من اجلها اعدم الأشخاص في محاكمات نورمبيرغ (محاكمات النازيين). فتلك المسائل

لم تناقش، ولم يكن هناك فحوى سياسي لها. وبالفعل، فقد كتبت استعراضاً مطولاً لكتاب متعلق بذلك، من تأليف ستانلي كارنو. ففي وجهة نظره، كان يوجد هناك قضية نبيلة، وجهد مخفق، وان التاريخ صيروي ذلك، الخ. والأمر برمته يعتبر مزيفاً. ففي الواقع، فان جميع أحداثه تعتبر مزيفة بشكل خاص. فالحقيقة ليس لها اعتبار فيه، كما انه لا يحتوي على توثيق، ولا مصادر داعمة، ولا أي شيء من هذا القبيل. فالحجج والبراهين سخيفة فيه.

فإذا ما أُلف كتاب انتقادي أو لاذع بشمل الولايات المتحدة، فانه سيتلاشى ويحارب على اساس انه يحتوي على دعاية شيوعية سخيفة النوع. إلا أنه هنا فقد اعتبر هذا الكتاب على انه رزين، ومحللاً بعناية، وعلى الخط الليبرالي. وفي الواقع فانه قد هوجم من قبل اليمين لانه كان ليبرالياً جداً في توجهه. فمن المدهش جداً ان المسلسل والكتاب كانا يتعرضان لهجومين : الأول من جهة اليمين والآخر من قبل اليسار. فالذي من قبل اليمين كان عبارة عن هراء حقيقي، وحتى انه أسوأ من المسلسل الأصلي.

■ سؤال : هل يعني ذلك بانه عائد للدقة المنظمة في وسائل الاعلام ؟

جواب : انها صبيانية، في الحقيقة، وكانت مربكة. فقد استعرضت النسخة الأصلية (للكتاب)، وسأكتب عنها يوماً ما. بيد انه كان في الحقيقة صبيانياً ومربكاً. ومع ذلك فقد كان عليه أن يكون فارغاً في فحواه. أما النقد الذي تعرض له من الجهة الأخرى، والتي تدعى «اليسار»، مع انني لا أحبذ هذه الكلمة، فقد جاء فيه: «انظروا، فهذا الشيء منحرف باتجاه الدعاية الحكومية». وذلك الشيء كان مخلصاً وشريفاً، دقيقاً، وموثق بعناية، بل انه لا يقارن. فهناك سبب لذلك. اذ ان السلطة تكمن على اليمين. تلك الجهة المسيطرة على رؤوس الأموال. لذا فعلى الحجة ان تكون مبنية على ذلك. أما الحجة في الجانب المقابل، فلا توجد قوة أو سلطة تقف خلفها، وحيث ان الحقيقة والاخلاص هما امران لا يمتان للموضوع بصلة بتاتاً، وبوسعك أن تتنساه.

■ سؤال : لقد ذكرت اليسار، وكونك لا ترتاح لاستخدام مثل هذه العبارة، إذ انه في محاضرة لك القيتها عام ١٩٦٩، فقد نقلت عن اورويل قوله، «إن الفكر السياسي، وخصوصاً من جانب اليسار، هو

نوع من للخيال الاستنمائي يهتم به العالم بصعوبة». واضفت قائلاً: «هذا صحيح، ولسوء الحظ فلن مجتمعنا يفتقر الى حركة يسارية حقيقية». فهل ما زلت تتخذ مثل هذا الموقف؟

جواب : لا احبذ العبارات مثل «اليمين» او «اليسار»، وخصوصاً في الولايات المتحدة. فانني لا اعتقد بانها تعني الكثير. ولكن اذا ما عني باليسار ما يعنى به من الناحية التاريخية، من انه الاتجاه السياسي المعني بالدفاع عن حقوق الانسان، وزيادة عملية الديمقراطية، وازدياد سيطرة الشعب على القرارات الرئيسية في الدولة، بما فيه عملية تلميم الاقتصاد الخاص، ووضعه تحت المراقبة الشعبية والديمقراطية، وتحت مراقبة واشراف العمال، وعملية مراقبة الانتاج، واشراف المجتمع او الشعب على شؤونه. فاذا ما تحدثنا عن اليسار بهذا المعنى او المفهوم، فان ذلك هو امتداد الحركة تجاه الديمقراطية الشعبية والسيطرة الشعبية على المجالات المختلفة، والتغلب على السلطة والقمع والتركيبات البيروقراطية وهلم جرا. فاذا ما عنينا ذلك «باليسار»، فانه لا يوجد الكثير منه في الولايات المتحدة. كما لا يوجد تقليد فكري محكم له ولا مؤسسات تنطق باسمه. ولكن يوجد هنا سبب جيد للدلالة على ذلك، ليس لها قوة او سلطة. فهي ليست لها سيطرة او اشراف على مصادر البلاد. وليس لها ثروة بشكل أساسي، ولذلك فهي لا يمكنها تطوير مؤسساتها وإطالتها. ولا يمكنها تطوير ادب او ثقافة، الخ.

فكل شيء يبدأ من البداية في جميع الأوقات. فذلك هو المجتمع الحقيقي الذي تنحصر فيه السلطة في أيدي أصحاب الاقتصاد الخاص (القطاع الخاص) وكافة المؤسسات، بما فيها الأحزاب السياسية، التي هي خاضعة لهم. والأمر الذي جعل أرويل يظل مثالاً حقيقياً الى مدى معين، وربما لا يكون بمثل القوة التي تبينها تلك الكلمات، وانه مرة ثانية يعتبر انعكاساً لطبيعة السلطة. فبإمكانك أن تنتج اعمالاً براقة من جانب اليسار، إلا انه من الصعب ترسيخ ذلك. فهي لا يمكنها الوصول الى الشعب، ولا يمكن للشعب من فهمها. فهي بعيدة جداً عن الموقع العقائدي المستقبل او المتلقي، والذي هو مرتبط ومتلازم مع السلطة الحقيقية.

اسرائيل . المحرقة واللاسامية

ديفيد بارساميان : في إحدى كتبك وهو كتاب المثلث المحتوم، تركز فيه بصورة معينة على الشرق الأوسط، وإنني اتساءل فيما إذا ما كان بوسعك التحدث عن موقفك فيما يتعلق بحل يتضمن وجود دولتين بالنسبة للمسالة الفلسطينية ؟

نعوم تشومسكي :

لا اعتقد بأن ذلك يمثل الحل الأفضل أو الأمثل لذلك، بيد انه كان حلاً سياسياً واقعياً لبعض الوقت. وعلينا ان نبدأ ببعض الأساسيات من اجل ذلك هنا. فالوضع الحقيقي هو: انه توجد هناك فئتان وطنيتان تطالبان بحق تقرير المصير فيما عرف بفلسطين، وهي المنطقة التي تحتلها اسرائيل الآن اضافة الى مرتفعات الجولان، التي هي جزء من سوريا. فإحدى هاتين الفئتين هم السكان المحليون، او ما تبقى منهم - إذ انه تم إبعاد أو طرد العديدين منهم. اما الفئة الاخرى فهي من المستوطنين اليهود، الذين أتوا بصورة أساسية من اوروبا، ومن أجزاء اخرى من دول الشرق الأوسط فيما بعد ومن بعض الدول الأخرى. فكلا هاتين الفئتين تطالبان بحق تقرير المصير الوطني.

وعلينا هنا ان نتخذ موقفاً حاسماً بشأن ذلك: فهل نحن عنصريون أو السنا كذلك؟ فإذا لم نكن عنصريين، فإن للسكان المحليين عندئذ نفس الحقوق لتقرير المصير للسكان المحليين كما الأمر للمستوطنين الذين حلوا مكانهم. ويمكن ان يدعى البعض اكثر من ذلك، لكن دعنا نقول على الأقل من له الحق اكثر. فإذا ما كنا غير عنصريين، فسنحاول ان نضغط من اجل حل يوافقهم - فسنقول بأنهم بشر فلهم نفس الحقوق، لذلك فانهم يستحقون كلاهما المطالبة بحق تقرير المصير. وإنني اقر وأسلم بأن للمستوطنين الحق بنفس الحقوق كما هو الامر بالنسبة للسكان المحليين، ولا يجد العديد من الناس بأن ذلك واضح ولكن دعنا نسلم به.

ومن ثم فهناك عدد من الاحتمالات. ومن إحداها نشوء مجتمع علماني ديمقراطي. وعملياً، لا أحد يفضل ذلك. فالبعض يقولون بأنهم مع ذلك، ولكن اذا ما نظرت الى ذلك

بإمعان فانهم ليسوا كذلك. فهناك نماذج مختلفة لوجود مجتمعات عرقية متعددة، وسويسرا، تعتبر مثالاً على ذلك. ومن الممكن ان تكون هذه افضل فكرة على المدى الطويل، بيد انها غير واقعية. فالحل السياسي الواقعي الوحيد، في الوقت الراهن، ولعدة سنوات مضت، والذي سيرضي مبدأ حق تقرير المصير لكلا الطرفين هي حل وجود دولتين. وكل واحد يعرف ماذا سيكون عليه الأمر: وجود دولة اسرائيل بحدودها ما قبل حزيران ١٩٦٧ تقريباً، وانشاء دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، مع إعادة مرتفعات الجولان الى سوريا، او ربما يكون هناك ترتيب آخر بهذا الشأن. ومن الممكن ان يترافق هذا مع وجود مناطق منزوعة السلاح وضمانات دولية من نوع ما، بيد ان ذلك ما هو إلا اطار لتسوية سياسية محتملة.

وكما قلت، فلا اظن بأن ذلك هو افضل حل، إلا انه حل واقعي، واقعياً جداً. وهو مؤيد من قبل معظم دول العالم. مؤيد من قبل دول اوروبا، ومن قبل دول الاتحاد السوفياتي سابقاً، ومن معظم دول عدم الانحياز. كما انه حائز على موافقة الدول العربية الرئيسية، ومؤيد منذ وقت طويل من قبل منظمة التحرير الفلسطينية. حتى انه قد أُيّد من قبل الجمهور أو الشعب الأميركي، بنسبة اثنين الى واحد حسب ما اظهرته الاستطلاعات بهذا الشأن.

بيد ان هناك ايضاً فئات من الناس يعارضونه. فانه مرفوض من قبل جبهة الرفض في العالم العربي، والعناصر الثانوية في منظمة التحرير، ومن قبل ليبيا، وبضعة عناصر رافضة ثانوية. إلا أنه معارض وبصورة حاسمة من قبل زعماء جبهة الرفض، وبشكل رئيس من قبل زعماء الولايات المتحدة واسرائيل. فالولايات المتحدة لن تأخذه بعين الاعتبار. كما ان كل من الحزبين الرئيسيين في اسرائيل قد رفضاه تماماً. فهما يرفضان وجود اية حقوق وطنية لتقرير المصير للسكان المحليين في فلسطين السابقة. فبإمكان هؤلاء أن يذهبوا ويستقروا في اية دولة عربية، في نظر اسرائيل، ولكن ليس لهم الحق ان ينتقلوا الى الضفة الغربية وقطاع غزة.

وفي الواقع، فانهم واضحون بهذا الشأن. وهناك ايحاءات منتشرة هنا من ان حزب العمل مهتم بايجاد حل للمسألة. ولكن اذا ما نظرت بإمعان، فانه ليس بالحل المجدي. فموقف حزب العمل يظل بما كان يعبر عنه الرئيس الاسرائيلي السابق، حاييم

هيرتزوغ، الذي قال، «لا أحد يمكنه أن يكون شريكاً لنا في الأرض التي تعتبر مقدسة بالنسبة لشعبنا منذ الفي عام». فذلك هو موقفهم. انهم راغبون في اجراء تسويات ثانوية. وهم لا يريدون الاعتناء بسكان الضفة الغربية، لأن غالبيتهم من العرب. فهم لا يريدون ان يكون هناك عرباً حولهم. لذلك فما يريدونه هو الاستيلاء على الضفة الغربية ومصادرها الطبيعية، وترك السكان دون أن يكون لديهم دولة. وهذا ما أطلق عليه اسم «الحل الوسط». انه اقتراح أو حل سلبي، وحتى انه اسوأ من الضم في عدة نواحي.

بيد انه يطلق عليه هنا بالحل الوسط وبسبب اننا نعتبر من الفئات المتعلمة في الولايات المتحدة، فان النقاش حول ذلك يأخذ منحى عنصري بشكل متزمت. فالفلسطينيون لا يعتبرون بشراً هنا. فهم لا يستحقون الحقوق التي وافقنا عليها اوتوماتيكياً بالنسبة للمستوطنين او المهاجرين اليهود (في فلسطين) الذين حلوا محلهم. فتلك هي الأساسيات الواضحة للموقف الاميركي، الخالص في عنصريته. ومرة ثانية، فان هذا لا يشكل موقف الشعب الاميركي، كالعادة، وانما هو الموقف الرسمي الواضح للادارة الاميركية. فما دامت الولايات المتحدة واسرائيل ترفضان الحل السياسي، فلا يمكن ان يكون هناك حلاً.

وكان هناك بالتأكيد فرص مقبولة ومعقولة لحل سلمي سياسي على مدى السنوات السابقة. وسنذكر بعض منها، من التي اختفت من ذاكرة التاريخ، وذلك بسبب عدم ملاحظتها تماما:

١ – في شهر شباط ١٩٧١، عرض الرئيس المصري الراحل، انور السادات، معاهدة سلام كاملة على اسرائيل، تنص على الانسحاب الى حدود ما قبل حزيران عام ١٩٦٧. ووفقاً وانسجاماً مع السياسة الأميركية الرسمية، وعلى نحو متصادف، فان الخطة أو المعاهدة لم تطرح أي شيء بخصوص انشاء دولة فلسطينية، أو حتى تمنح أي شيء بالنسبة للفلسطينيين، لا شيء. ومع ذلك فان اسرائيل رفضت هذا الاقتراح، وساندتها الولايات المتحدة في هذا الرفض.

٢ – وفي شهر كانون الثاني ١٩٧٦، عرضت كل من سوريا، مصر والاردن، وما أطلق عليه «بدول جبهة الرفض»، اقتراحاً على مجلس الأمن الدولي، بأن يكون هناك حل مستند على وجود دولتين (اسرائيلية وفلسطينية) بضمانات دولية، وحقوق اقليمية

مؤمنة، وهلم جرا. وقد أُيّد هذا الاقتراح من قبل المنظمة، ومن الاتحاد السوفياتي سابقاً ومعظم دول العالم. إلا انه رفض تماماً من قبل اسرائيل، التي حتى انها قاطعت جلسة مجلس الأمن. بل انها، في الواقع، قامت بالإغارة على لبنان في عملية انتقامية، وقتلت حوالي خمسين شخصاً، دون أي سبب أو مبرر لذلك، وقد أيدت الولايات المتحدة ذلك.

وكانت هناك سلسلة من هذه العروض والاقتراحات منذ ذلك الحين وكانت الولايات المتحدة تعيقها دوماً أو تسد الطريق امامها، كما ترفضها اسرائيل على الدوام، وهذا يعني بأنه لن يكون هناك حلاً سلمياً. وبدلاً من ذلك فقد سادت هناك حالة دائمة من المواجهة العسكرية. وبعيداً عما يعنيه هذا بالنسبة للفلسطينيين، الذي يبدو واضحاً ومفزعاً، فإنه امر سيء جداً بالنسبة لاسرائيل. وانه سيؤدي الى دمارها، من وجهة نظري، وبالتأكيد الى انهيارها الاقتصادي وانحلالها الاخلاقي، ومن المحتمل الى دمارها المادي عاجلاً ام آجلاً. فلا يمكنها الإبقاء على حالة المواجهة العسكرية دون هزيمتها عاجلاً ام آجلاً. وسيؤدي ذلك بالعالم الى الاقتراب اكثر من خطر نشوب حرب نووية، وبشكل متكرر. والأمثلة على ذلك كثيرة في الماضي، في حالات التأهب النووي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي سابقاً، واحتمال حدوث مواجهة نووية بينهما. ومع ان منطقة الشرق الأوسط بعيدة جداً عنا، إلا انها تعتبر منطقة استراتيجية بالنسبة لنا، بسبب آبار النفط المتواجدة فيها. لذلك فاننا معنيون بذلك. وقد اقتربت الأساطيل الأميركية من حالة المواجهة العسكرية الى حد كبير جداً. ففي عام ١٩٦٧، اقتربت الى حد المواجهة النووية، وتكرر هذا الأمر مراراً. لذلك فانها منطقة خطرة جداً، واننا نعمل على إشعالها اكثر، بسبب عدم رغبتنا في ايجاد حل سياسي ناجع. فالولايات المتحدة تمعن في الإبقاء على المواجهة العسكرية.

- **سؤال: لقد ذكرت مبدأ العنصرية في مواجهة الفلسطينيين. فالى اي مدى، إذا ما كان هنالك قد مارس الاسرائيليون (اليهود) الاشكنازيم، الذين تعرضوا للأوضاع العنصرية الالمانية، تجاه الفئات الغير عربية بل حتى تجاه اليهود الشرقيين، السفارديم؟**

جواب: إنني لم ادعُ ذلك بالعنصرية الألمانية بشكل خاص.

■ سؤال : اعني بها الاوروبية ؟

جواب : نعم ، نعم انها جزء من الثقافة او الحضارة الاوروبية بأن تكون هناك مواقف عنصرية تجاه العالم الثالث. نحن نعتبر جزءاً من اوروبا في هذا المضمار. وبشكل طبيعي، فان المجتمع اليهودي الأوروبي قد شارك في مثل هذه المواقف للعنصرية الأوروبية، وهذا لا يدعو للاستغراب. وهناك بالتأكيد مثل هذه الأمور تحدث داخل اسرائيل. ولحساسي هو انه يمكن التغلب عليها عند او في وضع إحلال السلام. فأعتقد بأنها حقيقية، بيد انني لا اظن بأنها خطرة جداً. فمن خلال الاندماج فانهم من الممكن ان يتغلبوا على ذلك.

أما الأمر الذي من المحتمل ان لا يمكن التغلب عليه هو العنصرية أو التمييز العنصري ضد العرب، لأن ذلك يتطلب إخضاع شعب مهزوم ومحتل مما يؤدي ذلك الى حدوث العنصرية أو التمييز العنصري. فاذا ما دست بحذائك أو جزمتك على عنق أحد ما، فانك تكون مبغضاً له، لأنها الطريقة الوحيدة التي يمكن ان تبرر فيها ما تفعله، لذلك فان الاخضاع يؤدي الى العنصرية تلقائياً، ولا يمكنك التغلب على ذلك. علاوة على ذلك، فان العنصرية ضد العرب امر متفشي او منتشر في الولايات المتحدة والى حد كبير اكثر في الغرب. ولا توجد مشكلة حول ذلك. والنوع الوحيد للعنصرية والتي يعبر عنها بشكل علني وغاضب هي العنصرية أو التمييز العنصري ضد العرب. فانه لا يمكنك ان تنشر صورًا كاريكاتورية للزنوج في الصحف الاسرائيلية او الاميركية مثلاً، إلا أنه بإمكانك أن تفعل ذلك بالنسبة للعرب.

■ سؤال : ولكن اليس هم الذين يستخدمون صورة او نموذج اليهودي القديم، وشغوفه بالمال، وذقنه الطويلة، وانفه الطويل المعقوف؟

جواب : انني غالباً ما الاحظ بأن هذه الرسومات والصور الكاريكاتورية مشابهة جداً للتي وجدتها في الصحافة النازية فيما يتعلق باليهود، انها مشابهة جداً.

■ سؤال : ما هو الحجم الذي تلعبه المحرقة او حرب الإبادة النازية ضد اليهود بهذا الصدد؟ فهل هذه مناورة أو لعبة تقوم بها اسرائيل من اجل تعزيز او تحقيق مصالحها؟

جواب : انه أمر ملعوب جداً بشكل مدرك. اعني، إنها حقيقية تماماً بالتأكيد، فلا يوجد هناك شك بذلك، بل انه بدون شك أنهم يناورون ويتـلاعـبـون بذلك، وهم يقـولون ذلك بالحقيقة. فعلى سبيل المثال، ففي صحيفة الجيروزاليم بوست، ولا اتذكر بالضبط تاريخ ذلك العدد، ولكن حدث ذلك في إحدى مناسبات أو إحياء ذكرى «الكارثة» في واشنطن، كتب مراسل الصـحيفة في واشـنطن، وولف بليتزر، مقالاً قال فيه بأنه قد حقق نجاحاً كبيـرا، في الاجـتـمـاعـات والندوات التي جـرت هناك، اذ انه لم يتذكـر احدى صـفقـات الأسلحـة للعرب بيـد ان كافة اعـضـاء الكونغرس قد فـهمـوا بأن هناك رسـالة مـخفـية بخصوص ذلك. وتحدث احـد الزعمـاء الصـهاينة التـقليديين والمخلصين، وهو ناحـوم غولدمان، حول هذه المناورة والتلاعب السياسي بهذا الشأن. فلقد كان رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية، وقد مُقت وبُغض في اخر أيام حياته، لأنه كان مـخلصاً جداً ـ حتى انهم رفـضـوا ارسـال وفـد للمشـاركة في تشـيـع جنازته، كمـا اظن، أو حتى لم يرسلوا برقية تعزية. وهو واحد من مؤسسي الدولة اليهودية والحركة الصـهيونية، وواحد من رجـال الدولة القـدامى. فـقـبل مماته في عـام ١٩٨٢، أو نحـو ذلك، فـقـد أدلى ببـيـان أو تصريح بليغ وغير عـادي، قال فيه بأنه قد اعتاد أن يسـتخـدم كلمـة «تدنيس» بالعبرية ـ تدنيس ذكرى الكارثة أو حـرب الإبادة النازية ضـد اليـهـود كـتبـرير لقـمـع واضطهـاد الآخرين. فـقـد كان يشـير الى شيء مـا حقـيقي جداً، واسـتـغلال هذا الشيء الأعظم وحشية في العالم وذلك لكي يتم تبرير قمعهم (الاسرائيليون) للآخرين. فـهذا النوع من المناورة أو التلاعب السياسي لهو أمر يدعو للاشمئزاز حقيقة.

■ سؤال : وذلك مما ازعجك ... ؟

جــواب : انه أمر يثير الاستياء في الحقيقة. فـالعديد من الناس وجدوا ذلك عملاً غير أخـلاقي بشكل عـميق، بيـد ان مـعظم الناس خـشـوا ان يقـولوا أي شيء بـهـذا الشـأن. وناحـوم جولدمـان هو واحـد من القـلائل الذين كـانوا قـادرين على قـول أي شيء بهـذا الخـصـوص، وكـان هذا واحـداً من الأسـبـاب التي كُره او بُغض من أجلهـا. فـأي واحـد يحـاول ان يقول أي شيء حول ذلك فانه سيتعرض الى حملة تشهير ضـخمـة ومروعة. فالناس لا يجرؤون على التحدث بهذا الشأن.

■ سؤال : انني اسألك هذا السؤال لانني اعرف بانك لو حققت وتعقبت في ارجاء الولايات المتحدة، وبشكل معين حول مسالة الكارثة او حرب الإبادة لليهود. وقد قيل بان نعوم تشومسكي مشكك بمسالة إبادة اليهود من قبل النازي ، وفيما لو ان الكارثة قد حدثت ام لا ؟

جواب : لقد وصفت الكارثة اليهودية منذ سنوات مضت على انها اعظم عمل أخرق في التاريخ البشري، فحتى لو أننا وافقنا أن نبحث هذا الأمر فاننا سنحط من قدر أنفسنا. فتلك التصريحات وغيرها العديد هي تحت الطباعة الآن، إلا انها لا صلة لها بالموضوع لان عليك ان تفهم بأن هذا جزء من الأسلوب الستاليني لإسكات نقاد الدولة المقدسة، لذلك فان الحقيقة لا صلة لها بالموضوع تماماً، فعليك فقط ان تقول العديد من الاكاذيب ما بوسعك، وان تأمل بأن يلصق بعض الطين، اي أن تصيب بعضها. انه أسلوب قياسي استخدم من قبل الأحزاب الستالينية، ومن قبل النازيين وايضاً من قبل هؤلاء الاناس (اليهود).

■ سؤال : هناك دعم وافر لاسرائيل في الولايات المتحدة، وعلى الاقل من قبل جماعات النخبة. وهناك ايضاً مستوى او مجال اخر وهي موجة اللاسامية المحمومة التي تمضي باضطراد. فهل يمكنك التحدث حول ذلك ؟

جواب : لقد تغير مفهوم اللاسامية، خلال سنوات حياتي على الأقل. وحيث نشأت فقد كنا فعلياً العائلة اليهودية الوحيدة، واعتقد بأنه كانت هناك عائلة اخرى. وكونها كانت بالطبع العائلة اليهودية الوحيدة في مجتمع غالبيته تابع للكنيستين الكاثوليكية الايرلندية والألمانية.

■ سؤال : هل هذا كان في فيلادلفيا ؟

جواب : نعم في فيلادلفيا. وكان العداء للسامية حقيقياً تماماً. فقد كانت هناك طرق او ممرات معينة كان يجب عليّ أن أسلكها حتى امن الوصول الى المتجر دون أن أتعرض للضرب. فقد كان ذلك في اواخر الثلاثينات وكانت المنطقة موالية للنازية برمتها. وأتذكر

مجموعات الشبان عندما سقطت باريس وأمور مثل ذلك. ولم يكن الأمر كالعيش تحت حكم هتلر، إلا انه كان وضعاً غير سار تماماً. فقد كانت هناك موجة شعواء معادية للسامية في ذلك الجوار الذي ترعرعت ونشأت فيه. وعندما التحقت بجامعة هارفارد في اوائل الخمسينات، فقد كانت لا تزال هناك نزعة مضادة للنازية. الا انها لم تكن بمستوى أن تتعرض للضرب، وانت في طريقك للمدرسة او شيئاً من هذا القبيل، ولكنها بطرق أخرى مختلفة. فقد كان هناك بضعة أساتذة فقط من اليهود يدرسون في الجامعة في ذلك الوقت. وكانت هناك موجة من اللاسامية في المعاهد العلمية. بيد انه على مدى الثلاثين سنة الماضية فان ذلك قد تغير كلياً.

ولا شك بأن اللاسامية ما زالت موجودة، بيد انها الآن بمعدل وسط من وجهة نظري، مع أنواع أخرى من الأذى أو الضرر. فلا أعتقد بأن ذلك يتعدى كونه كمثل معاداة الايطالية او الايرلندية، وبذلك يكون هناك تغير مهم قد طرا على الجيل الأخير، الجيل الذي خبرته أو شهدته بنفسي وعشت من خلاله، وهذا أمر مرئي وملموس في كافة أنحاء المجتمع.

■ سؤال : كيف يمكن تقييم ذلك ؟

جواب : كيف يمكنني أن اقيم ذلك؟ فلأعتقد جزئياً بأن الكارثة أو المحرقة النازية لليهود كان لها تأثيراً. فقد جلبت معها نتائج مرعبة ومفزعة لنزعة اللاسامية بطريقة مدهشة بالتأكيد. وأفترض، ولا يمكنني أن اثبت هذا، إلا انه لا بد أن هناك، على الأقل، نوعاً من الشعور بالذنب المشترك، بسبب دور الولايات المتحدة خلال فترة الكارثة أو حرب الإبادة النازية لليهود، الذي كان بغيضاً أو كريهاً، قبل وخلال الكارثة. فهي لم تقم بأي شيء لانقاذ اليهود، وكان بإمكانها ان تفعل ذلك في عدة نواحي. كما ان دور المنظمة اليهودية لم يكن مناسباً ايضاً. وفي اواخر الاربعينات، كانت هناك عملية تفريغ كبيرة في معسكرات الاعتقال لليهود، لبعض الناجين. وظل الأمر بغيضاً. فقد لبثوا في معسكرات الاعتقال. وكانوا يموتون لمدة من الزمن وبنفس النسبة تقريباً عندما كانت تحت ادارة النازيين.

فالعديد من أولئك اليهود، فيما لو أعطوا الفرصة، ارادوا بالتأكيد أن يأتوا للولايات

المتحدة. وكانت هناك مداولات بهذا الشأن حول العدد الذي يريد ذلك، بيد ان ذلك لا يمكن تصوره أو تخمينه حسبما أُدعي، من انه فيما لو انهم منحوا فرصة فانهم لم يريدوا القدوم الى هنا. انهم لم يريدوا ذلك حسب ذلك التخمين، بل انهم أرادوا القدوم. وعدد قليل فقط قدم الى هنا. وكان هناك قانوناً للهجرة، قانون ستراتون، الذي اعتقد بأنه منح الهجرة لحوالي اربعمائة الف شخص، وأتذكر، بأنه كان يوجد هناك بضعة يهود فقط كانوا يرغبون بالهجرة للولايات المتحدة من بينهم. وقبل عدد كبير من النازيين، وعلى نحو متصادف، بعد أن تخلصوا من لباس الجستابو. والسبب الذي من اجله اصدر ذلك القانون، فاعتقد انه في عام ١٩٤٧، كان يشكل بداية الحرب الباردة، فمنحت الأولوية للنازيين، لانهم كانوا يريدون بعثرتهم في كافة أنحاء العالم. لذلك فقد أُحضر الكثير منهم الى هنا (الولايات المتحدة)، العديد من مجرمي الحرب النازيين احضروا الى هنا، وغيرهم، بيد أنه لم يكن هناك سوى عدد ضئيل من اليهود. فتلك ليست بالرؤيا المناسبة تماماً. فبوسعك أن تقول، انه خلال فترة الحرب يمكنك ان تقدم ذريعة أو حجة ما، ليست بالحجة المقبولة، ولكن يمكنك أن تقترح بأنه كان عليك ان تحارب وان لا تقلق بشأن الناس الذين ارسلوا الى غرف الغاز. إلا أنه بعد الحرب فلا يمكنك أن تقدم أية حجة. انها كانت مسألة انقاذ الناجين من المحرقة، بيد أننا لم نقم بذلك.

ويجب عليَّ القول ان المنظمة الصهيونية لم تدعم او تساند في هذا المجال. فهي حتى لم تقم بالحشد للاستفادة من قانون الهجرة الاميركي. والمنظمات اليهودية الوحيدة التي حشدت من اجل قبول اللاجئين اليهود الى الولايات المتحدة لم تكن بالمنظمات الصهيونية او حتى المنظمات المناوئة للصهيونية. وكان السبب في ذلك ان المنظمة الصهيونية ارادت إرسالهم الى فلسطين بدلاً من ذلك.

وسواء أرادوا الذهاب الى هناك أو لم يريدوا ذلك فانها قصة أخرى، فنفس الأمر هو متكرر اليوم، وبشكل مصادف، بالنسبة للمهاجرين الروس الى اسرائيل. فالمنظمة الصهيونية ارادت أن تجبرهم بالذهاب الى اسرائيل. ومعظمهم، وخصوصاً اولئك الذين كانوا ينتمون الى الأجزاء او الدول الاوروبية للاتحاد السوفياتي سابقاً، فقد أرادوا ورغبوا بالمجيء الى الولايات المتحدة، فمورست ضدهم كافة انواع الضغوطات ومنعوا من القيام بذلك. انه نوع من اعادة تكرار ذلك ولكن بشكل او بمستوى اقل سرية. فلظن

ان هنالك بعض الشعور بالذنب، بالتاكيد حول مسالة الكارثة اليهودية وربما حول مسالة حقبة ما بعد الحرب. اضافة لذلك، فان الجالية او المجتمع اليهودي قد تغير من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية. وقد أصبحت هذه الجالية اساسية الآن، ليست ضخمة في عددها، ولنما تمنح اعضاءها جزءاً أساسياً للنخب المختارة المهيمنة في كل منحى من النواحي الاجتماعية، المهنية، الاقتصادية، والسياسية، الخ. انه لا يشبه النموذج المناوىء للسامية، فهم لا يملكون المؤسسات، بيد انهم متنفذون تماماً وبشكل خاص في النظام الأيدولوجي، كالعديد من الكتاب والصحفيين والمحررين، الخ. وذلك هو العامل المؤثر.

علاوة على ذلك، فأعتقد بأن ذلك قد تغير بسبب ما حدث منذ عام ١٩٦٧. ففي عام ١٩٦٧ حققت اسرائيل انتصاراً عسكرياً مثيراً، واظهرت قوتها العسكرية، ففي الحقيقة فقد تغلبت على العالم العربي برمته، وهذا اكسبها سمعة عظيمة. فمعظم الاميركيين، وخاصة الفئات المتنفذة منهم، يحبون العنف ويرغبون بأن يكونوا في الجانب الذي يحمل السلاح. وهناك توجد دولة العنف والقوة التي سحقت اعداءها، واظهرت بأنها القوة العسكرية المهيمنة في الشرق الأوسط، واضعة تلك الدول التي تنتمي للعالم الثالث في مكانها او حجمها الطبيعي. وكان ذلك مثيراً بشكل خاص لان عام ١٩٦٧، كان الزمن أو العام الذي حققت فيه الولايات المتحدة نجاحاً ضئيلاً في غزوها انذاك للهند الصينية، فمن الجدير ان يذكر بأن وجهة نظر النخب، بما فيها وجهة النظر الليبرالية، كانت تساند بشكل غامر الحرب في فيتنام وكانت منزعجة تماماً من عدم مقدرة الولايات المتحدة لكسبها او الانتصار بها، وعلى الأقل بالمستوى الذي أرادته. فبرزت اسرائيل وأظهرت لهم كيف يتم ذلك، وكان لذلك مؤثر رمزي. فمنذ ذلك الحين فقد قدمت وأظهرت نفسها كنوع من حصان طروادة في الشرق الأوسط كقوة عسكرية متقدمة، وكفوءة من الناحية التكنولوجية، وكمجتمع قوي. فهذا هو المثال الذي اردناه.

كما ان اسرائيل اصبحت كحليف استراتيجي للولايات المتحدة. ومن احد الأسباب التي لم تبق فيها الولايات المتحدة على استمرار المواجهة العسكرية (ما بين اسرائيل والدول العربية) هو لتاكيد من انها ما زالت حليفاً يعتمد عليه ويوثق به ويقوم بما نرغب ونريده ان يقوم به كمثل، علينا القول، حالة غواتيمالا او غيرها، وهذا ايضاً زاد من

التقدير لاسرائيل حول غرضها لتقويض المعاداة للسامية. وأظن بأن ذلك كان عاملاً بهذا الصدد.

■ سؤال : بيد انك اشرت الى انه ما دامت مصالح الولايات المتحدة تخدم ويحافظ عليها، فان اسرائيل ستظل الدولة المفضلة لديها، ولكن في اللحظة التي تتعرض فيها تلك المصالح الى ... ؟

جواب : هذا صحيح، فسينتهي ذلك، ففي الواقع، فان موجة اللاسامية ستهمل. وبعيداً عن المستوى الأخلاقي، فانه تحالف هش جداً مبنياً على اسس وقواعد تكتيكية.

ديفيد بارساميان : هذا وماذا سيحدث بالنسبة للالتزام الأخلاقي بينهما (بين اسرائيل والولايات المتحدة)، والاهتمام بمبدأ العدالة في الدولة اليهودية وما الى ذلك؟

نعوم تشومسكي : من جانب من ؟

ديفيد بارساميان : من جانب الولايات المتحدة.

نعوم تشومسكي : لا يوجد هنالك قلق بالنسبة لمبدأ العدل، ولم يكن هناك مثل هذا الشيء ابداً. فالولايات المتحدة لا تهتم او تقلق بمبدأ العدل. ولا تتصرف الولايات المتحدة على اسس اخلاقية.

ديفيد بارساميان : ما عدا على المستوى البلاغي او الكلامي؟

نعوم تشومسكي : انهم جميعهم يفعلون ذلك على المستوى البلاغي او الكلامي، وحتى المانيا النازية ذاتها، في السابق، أما على الصعيد العملي فانها لا تقوم بذلك مطلقاً. فانها أدوات للقوة والعنف، هذا هو واقعَ الولايات الأميركية. انها تتصرف وفقاً لمصالح الجماعات المهيمنة عليها. فهي تتبع خطاً بلاغياً لطيفاً، إلا ان ذلك من متطلبات النظام الدولي.

■ سؤال : لقد كنت منتقداً جداً للمجتمع الليبرالي الاميركي، وقد قلت في الحقيقة بانه يساهم في تدمير اسرائيل ؟

جواب : ان المجتمع الاميركي الليبرالي قد عبىء منذ عام ١٩٦٧ وعلى مستوى متطرف

كان مؤيداً لتعظيم قوة اسرائيل العسكرية. واعتاد أن يستخدم مركزه للتأثير البارز في وسائل الاعلام والنظام السياسي لهزم والتغلب على أي تحدي لنظام المواجهة العسكرية مستخدماً كافة الوسائل القياسية للذم والتشويه، وفارضاً إشرافاً على وسائل التعبير، الخ. وبالتأكيد فقد كان لذلك تأثيراً بارزاً. ولا أعرف فيما اذا كان ذلك تأثيراً حاسماً، وانما فقد كان له تأثيراً ملحوظاً لدفع الادارة الاميركية لدعم ومساندة المواجهة العسكرية المستمرة، ومعارضة الادارة الاميركية للحل السلمي او السياسي. فهذا امر مدمر بالنسبة لاسرائيل. وفي الحقيقة، فان الحمائم في اسرائيل يستنكرون ذلك باستمرار. فهم يشيرون الى ذلك باستمرار على انه نهج للستالينية. فهم يشيرون الى الشخصية الستالينية للدعم الذي يقدم لاسرائيل من جانب ما يطلقون عليه اسم «الجالية اليهودية الاميركية»، بيد ان ذلك بسبب انهم لا يفهمون ما يتعلق بالولايات المتحدة بشكل كافٍ. فانه ليس بالجالية او المجتمع اليهودي، الذي ينظرون اليه، انه بشكل أساسي المجتمع او الفئة الفكرية ككل.

■ **سؤال : لقد اشار ادوارد سعيد، على سبيل المثال، الى انه يوجد هناك الكثير من التعددية (الأحزاب) في اسرائيل، اكثر مما يوجد بكثير في الولايات المتحدة، والتي تمارس النقاشات والمداولات ، فما هو رايك بذلك ؟**

جــواب : لا شك بذلك. فعلى سبيل المثال، فان رئيس تحرير صحيفة حزب العمل، قد طلب مني أن أقوم بالكتابة بشكل منتظم في الصحيفة المذكورة. فلم أرد أن أقوم بذلك لانني مرتبط بامور هنا. ولكن ان يطلب مني ذلك فانه امر غير ملائم او مناسب تماماً في الولايات المتحدة. انه امر نموذجي تماما. فالسمعة او الشهرة التي أتمتع بها، وخاصة على الصعيد العالمي، لا تحتل موقعاً كبيراً في اسرائيل، بيد انهم يعتبرون ذلك جزءاً من المجال السياسي وهذا امر محترم بالنسبة لهم. اما هنا، في الولايات المتحدة، فانهم يعتبرون ذلك امراً غريباً.

■ **سؤال : باية وسائل او مجالات ، اذا ما كانت هناك ، لمجالك في علم اللغة ، والقواعد ، وهل لذلك صلة في مجال تحليلاتك وتوقعاتك السياسية ؟**

جواب : ربما أشك بهذا قليلاً، لا أعلم، انني من المحتمل ان اكون شخصاً لا اسأل، إلا انني أعتقد بأن العمل في مجال العلم هو امر مفيد لأنك تتعلم بطريقة ما، كما تفهم وتستوعب ما هو الدليل والحجة من الناحية العقلانية، وتصل لتكون قادراً على تطبيق ذلك على المجالات والميادين الأخرى التي ينقصها الكثير، لذلك فانه من المحتمل ان يكون هناك بعض العون والمساعدة في تلك الناحية.

ومن المحتمل ان يكون هناك بمستوى عميق ومطلق بعض الجوهر المشترك لاستيعاب وفهم الطبيعة والحافز الانسانيين للحرية والحقوق لتكون حرة للسيطرة والإكراه الخارجيين، فذلك النوع من الصورة ينشط ويقوي اهتماماتي السياسية والاجتماعية. كما ان اهتماماتي ومصالحي الفوضوية، والتي تعود الى ايام طفولتي المبكرة، تدخل هنا بطريقة واضحة ودقيقة نسبياً الى مجال عملي في اللغة والفكر وهلم جرا، بيد انه ارتباط متحرر بشكل مناسب، وليس كنوع من الارتباط بحيث يمكنك ان تستنتج ارتباط واحد عن اخر او اي شيء مثل ذلك.

- **سؤال : ان لديك شهرة عالمية بالنسبة لعملك في فلسفة وفقه اللغة ومن الواضح انك لم تكن راضيا بذلك اذ انك اردت ان تدخل مجال او الحقل السياسي الاجتماعي ؟**

جواب : انه العكس تماما. انه واحد من عدة امثلة تظهر بأن الناس غالباً ما يقومون او يفعلون أشياء لا يريدون أن يقوموا بها او يفعلونها لأن عليهم أن يقوموا بها. ولقد اتخذت قراراً واعياً جداً بهذا الشأن. فمن الناحية العملية، ان وجهات نظري السياسية لم تتغير كثيراً منذ ان كنت في الثانية عشرة او الثالثة عشرة من عمري. فقد تعلمت الكثير، وأعتقد بأنها كانت في مجالات اكثر تقدماً، ولكن لم تتغير بصورة أساسية. ومع ذلك، فانني لم أكن نشطاً. فقد كنت، ولغاية أوائل الستينات، اعمل في حديقة منزلي، وبشكل أساسي، أمارس نوعاً من العمل احببته. انه مثير وممتع من الناحية الفكرية، مجدياً، ومرضياً، وتحرز تقدماً فيه. وكنت مسروراً جداً بأن انخرط فيه. ومن الممكن ان يكون ذلك من وجهة نظر شخصية ضيقة، افضل بكثير بالنسبة لي في كل ناحية يمكن تصورها.

تصورها.

وأنكر منذ أن انخرطت في النشاط السياسي بأنه لن تكون هناك نهاية لذلك، فمن الممكن ان تزداد المتطلبات الى ما لا نهاية، ولن تكون هنالك نتائج شخصية غير سارة، وهي غير سارة. واعني بأن هناك أموراً غير سارة قليلاً، فربما، على سبيل المثال، ان تقضي يوماً في زنزانة سجن واشنطن، او أن يحكم عليك لمدة خمسة سنوات بالسجن او ان تكون معرضاً للأكاذيب الغير منتهية لمنظمة مكافحة التشهير والقذف واصدقائها، الخ. ولم أعرف ذلك بالتفصيل، بيد انني عرفت بأن الأمر كان ماضياً ليكون اقل مسرة من العمل في المجالات التي كنت اشعر بأنني ساكون جيداً فيها وبإمكاني أن أحرز تقدماً فيها وهكذا. وعرفت بأنه كان عليّ ان أعود الى أمور أردت أن اقوم بها حقيقة، وانني تمتعت بالقيام بها، كثير من الأمور في الحياة الشخصية، وقد عرفت ان الحياة الشخصية ماضية لتغمرني. وعليك ان تقدم شيئاً ما، وفي عدة وسائل فقد عرفت بانه ستكون هناك نتائج سلبية. وقد فكرت بذلك طويلاً في الحقيقة، وتوصلت اخيراً للحل، ولكن ينبغي عليّ القول، بانه لم يكن بالأمر السار جداً.

ديفيد بارساميان :

اعتقد بان الكثير من الناس ممتنون بانك فعلت ذلك.

نعوم تشومسكي :

شكراً لذلك.

سلطة الدولة والعدو الداخلي

كانون ثاني، ١٩٨٨

ديفيد بارسامیان : في كتاب «حقوق الانسان والسياسة الخارجية الأميركية» الذي صدر عام ١٩٧٨، كتبت تقول، «إذا ما أملنا ان نفهم اي شيء عن السياسة الخارجية لأية دولة، إنها فكرة جيدة لأن نبدأ بالتحقيق في البناء الاجتماعي الداخلي». فهل لك أن تتحدث عن ذلك ؟

نعوم تشومسكي :

إن السياسة الخارجية، مثلها مثل كافة سياسة الدولة، تتدفق من المؤسسات الداخلية. ويعكس هذا مصالح واهتمامات أولئك الذين لديهم مقدرة على تنظيم المصادر سواء بالإشراف على الدولة بصورة مباشرة أو بالتأثير بسياسة الدولة. وفي حالة السياسة الخارجية، فإن تلك القطاعات في المجتمع الداخلي هي التي معنية بصورة خاصة بالمسائل الدولية والتي سيكون لها بصورة طبيعية الصوت الرئيس. لذلك فإذا ما اردت فهم السياسة الخارجية، فعليك أن تبدأ بالنظر الى التركيبات الداخلية للدولة.

وفي حالة مجتمعنا، فإن الأجوبة على تلك الأسئلة هي مباشرة نوعاً ما. فالسلطة الداخلية متركزة بشكل كبير في نظام متحد ومشترك، وقطاعات ذلك النظام المشترك المعني بشكل خاص بالشؤون الدولية تمارس بصورة نموذجية نفوذاً غامراً على تصميم (رسم) وتنفيذ السياسة الخارجية للدولة. وبإمكانك أن ترى ذلك تماماً من خلال الذين يقومون بتنفيذ السياسة في مواقع اتخاذ القرارات العليا. انها تصدر بشكل كبير من خلال المؤسسات الرئيسة ذات المصالح الدولية، وشركات الاستثمار، وعدد من الشركات أو المؤسسات القانونية التي تقوم بشكل رئيس بالتعاون في المصالح، ولذلك فإن لديها نوعاً من فهم متطلبات واحتياجات القطاع المشترك.

ومن فترة لأخرى، فانه يسمح لك ان تتسلل الى ذلك الحشد، اذا ما عتبرت

«خبيراً»، في المعنى الذي فسره هنري كيسنجر لهذا المفهوم. وبصراحة تامة، فقد بين بأن «الخبير» هو الشخص القادر على الحصول على اجماع الرجال الذين في السلطة، واذا ما كان لديك القدرة على ذلك، والذي كان لديه ذلك بالفعل، فانه عندئذ يمكنك ان تأتي كخبير وان تكون مسؤولاً في المسائل الخارجية. فذلك هو الجوهر. اضافة الى انه يوجد هناك تأثيرات اخرى، فهناك مراكز قوى داخلية وهكذا، بيد انني اعتقد بأن ذلك جوهراً اساسياً.

■ سؤال : هل هذا التحليل يتميز على انه « نقد راديكالي » ؟

جواب : أعتقد بأنه نقد محافظ جداً. وفي الحقيقة، فانه شعور مشترك ولا يوجد هنالك شيء يمكن ان يكون مدهشاً حتى بالنسبة لتلك الشخصيات التي تعود للقرن الثامن عشر، التي أسست الدولة. انه امتداد فحسب للمبدأ او العقيدة التقليدية للنوع الذي بني عليه مجتمعنا او دولتنا. انه يدعى «بالراديكالي»، بيد ان عليك ان تتذكر ان كلمة «راديكالي» هي فحسب واحدة من عدة مصطلحات سيئة ليس فيها معنى، مثل كلمة «الماركسي». فهناك تشويش تام للمصطلحات او التعابير السيئة والتي تستخدم لحماية انفسنا من فهم العالم الذي نعيش فيه.

■ سؤال : في كتابك «ثقافة الارهاب»، فانك تناقش نزعتين هما، «دور اليمين» و«ازمة الديمقراطية». فما هما، وهل لهما ارتباط بذلك ؟

جواب : انها مرتبطة بذلك بشكل وثيق. «فازمة الديمقراطية»، وهو تعبير ليس عائد لي فقط، وفقد حدث بأن كان عنواناً لكتاب مهم نشر في عام ١٩٧٥، من قبل الهيئة الثلاثية، وهو كتاب رئيسي كبير. وقد اسست الهيئة الثلاثية من قبل ديفيد روكفلر. وتحتوي تقريباً على عناصر نخبة ليبرالية من ثلاثة مراكز رئيسية للدول الصناعية: الولايات المتحدة، اليابان ودول اوروبا الغربية. فهذه هي الهيئة الثلاثية.

ويعكس هذا الكتاب نتائج لدراسة مكثفة قاموا بها للظواهر التي اشاروا اليها على انها ازمة الديمقراطية. فالازمة، كما أبرزوها، قد حدثت في الواقع خلال الستينات وأوائل السبعينات، بالنسبة للقطاعات الأساسية للسكان التي غالباً ما تكون سلبية ولامبالية، والتي أصبحت فيما بعد منظمة وبدأت بالدخول الى الساحة السياسية، كما

بدأت بالضغط في سبيل تحقيق مصالحها واهتماماتها الذاتية. وهذا خلق ازمة لأن تلك لم تكن الطريق التي من المفترض لن تعمل او تمارس بها الديمقراطية. وقد بين أستاذ أميركي كبير، وهو صموئيل هوينتغتون، من جامعة هارفارد، بأن ذلك يعود الى أيام الرئيس ترومان، قبل ان تكون هناك ازمة ديمقراطية، فالسياسة يمكن ان تنفذ ببساطة بمساعدة رجال القانون والمال في «وول ستريت». وهذا فيه قليل من المبالغة، الا انه يعبر عن فهم الهيئة (الثلاثية) للطريقة التي تمارس بها الديمقراطية.

وقد تعرض ذلك للتهديد في عقد الستينات، عندما بدات أقليات من الشبان، والنساء، والمسنين، ومجموعات من كافة الأنواع بتنظيم نفسها لدخول معترك النظام السياسي. فتلك الأزمة ذات المستوى العالمي، كما اتفق المشاركون على ذلك، كان يجب ان يتغلب عليها، وانه كان على السكان او الشعب ان يعودوا الى وضعهم الحقيقي بعدم المبالاة والجهل. وبشكل رئيس، ان تتخذ القرارات من قبل النخب في الدولة.

واقترحت عدة محركات او محفزات من اجل القيام بذلك. ومن احدى هذه المحركات، في الواقع، يتشكل او يتألف من «دور اليمين»، الذي هو يشكل ظاهرة بين النخب. ولم يلخذ له مكاناً بين عامة الشعب او السكان. ولكن بين النخب، فقد كان هناك دور بارز لليمين، او قوى اليمين، يعني دوراً باتجاه نوع الشوفينية الرجعية، التي غالباً ما توصف بالقوى المحافظة. ولا شيء يمكن فعله مع هذه القوى وهذا يعكس الاعتراف من انه يجب ان يفعل شيء ما من اجل اعادة مراكز الامتياز والتغلب على التهديدات التي قد تتعرض لها. فذلك هو مظهر محلي او داخلي ومظهر دولي ايضا. اما المظهر الدولية، فانه يكمن في مبدا ريغان، وهي عبارة فحسب تشير الى الارهاب الدولي، والى استخدام العنف، والتخريب، وغيرها من الاساليب للتغلب على ازمة الديمقراطية التي كانت تبدأ بالظهور في اي مكان اخر في العالم. فعلى سبيل المثال، فقد كان هناك تهديد خطر للديمقراطية في اميركا الوسطى، والمعني بها الديمقراطية الحقيقية وليست الاسمية، والاشتراك الفعلي للقطاعات العاملة للسكان او الشعب.

وعلى المستوى المحلي، فانه كان هناك تهديد ناشيء للاصلاح الاجتماعي الذي كان ينبغي لن يواجه، ولن مبدأ ريغان كان يعتبر جهداً لاحتواء ذلك بواسطة الأساليب

المألوفة للعنف والكبت. ففي الوطن، فانه لا يمكنك لن تستدعي فرق الموت من اجل تنفيذ ذلك، وانما ان تتخذ اساليب واجراءات اخرى. اكثر ذكاء اذا ما دعت الضرورة لذلك. لذلك فانه يكون هناك جهوداً رئيسة تقع على عاتق أجهزة التلقين أو الاعلام. وفي أقصى مستوى، فقد تجد مثل هذه المؤسسات المهتمة كالمكتب الدبلوماسي العام بوزارة الخارجية، والذي هو مكرس للاشراف على ما يطلقون عليه علناً السكان المحليون، «بأرض العدو».

وحيث ان ذلك يمثل اجماع نخبة عامة، فانه يتضمن ايضاً الحمائم، والمؤسسة الليبرالية أو الليبراليين. وقد تحقق الهدف من ذلك بشكل جزئي، وهو خلق اجماع يميني رجعي يمكن معه ان يدعم ويساند حق السلطة او الادارة الاميركية لممارسة العنف في العالم، وذلك من اجل تحقيق مصالح داخلية. كما انه يمكن ايضاً من إضعاف الحركة العمالية، والتصدي وشل الحركات الشعبية المتنامية، واعادة السكان أو الشعب الى موقف اللامبالاة، ودفعهم لقبول سياسات التقشف الداخلية المطلوبة من قطاعات كبيرة للسكان، إذا ما أراد سوق الانتاج أو العمل الاميركي ان يستعيد دوره المنافس في الاسواق العالمية، وهلم جراً. فكل ذلك يشكل دور نخبة اليمين في البلاد.

■ **سؤال : لقد اكدت بان جماعات النخبة يعتبرون السكان المحليين على انهم اعداء لهم، فما هو تعقيبك على ذلك ؟**

جواب : من الناحية النموذجية، نعم. فهذا صحيح في كافة الولايات المتحدة. وغالباً ما يمكن تجاهل العدو لأنه سلبي ولا مبالٍ بشكل كبير. ولكن اذا ما بدأ العدو الداخلي بالتذمر والتململ، فعندئذ لا بد من فعل شيء ما. وكما قلت، فإن الأسلوب أو النهج مختلف في الداخل والخارج. فمفهوم السكان أو الشعب على انه عدو هو واضح جلي. فعلى سبيل المثال، فهو واضح بالنسبة للجناح اليميني. وقد وصف ذلك بأنه من اعظم الانجازات التي حققتها ادارة الرئيس ريغان. وقد اشار اليه احد المسؤولين الكبار، على انه برنامج يمكن تنفيذه في «ارض العدو»، وهو امر صحيح بالضبط.

أما في الجانب الليبرالي، فلديك وجهة نظرعبر عنها في دراسة الهيئة الثلاثية والتي اهتمت ضمنياً باعادة وضع اللامبالاة، السلبية والطاعة ذلك ان الديمقراطية في المعنى المفضل يمكن ان يبقى عليها، وهذا يعكس ثانية مفهوم السكان أو الشعب على

انه العدو الذي يمكن لن يسيطر عليه ويقمع او حتى يهمش. ومن الممكن لن انكر في هذا السياق بلن نشوء العلميات السرية هو انعكاس لقوة العدو الداخلية واذا لم يمكن السيطرة على العدو، والشعب، بالقوة، ولا يمكن ان يلقن او يوجه، كما لا يمكن ان يهمش، فانها ستندفع الى العمل السري في الحقيقة. فالحكومة ستنفذ اعمالها في سرية لأن العدو الداخلي لن يتساهل معها. كما أن مدى وزن العلميات السرية هي غالباً ما تكون لجراءً جيداً للانشقاق الداخلي.

■ **سؤال : اود منك ان توضح وجهات نظرك بشان جماعات النخبة، ودعني اعمل حجة حول نلك هنا. فهل يمكنك حسم ضروراتهم هنا؟ فعلى سبيل المثال، فإن الميكانيكي الذي يصلح لك كوابح سيارتك - لا تريد منه ان يكون عضواً في نخبة ما، اليس كنلك؟**

جواب : إنك تريد من الناس أن يملكوا كفاءات متخصصة. فالمسألة هي فيما إذا كانت تلك الكفاءات المتخصصة يجب أن تمنح السلطة. فهل يجب ان تكون مقدرة الميكانيكي الذي يصلح لك سيارتك يمكن ان يتحكم في تقرير نوع السيارة التي يجب أن تشتريها؟ فالجواب هو لا. فدعني اقول - بلنني متاكد بلن هذا صحيح - ولكن افترض بلن هناك كفاءات مطلوبة من اجل الادارة. فنلك افتراض مشكوك فيه، ولكن دعنا نفترض نلك. فعندئذ يمكن ان أريد أناساً لديهم تلك الكفاءات المزعومة ليكونوا قادرين على ممارستها. وفي الوضع الديمقراطي الصحيح فانها سيمارسونها تحت اشراف الشعب، تماماً كما يمكن ان يفعل الطبيب أو الميكانيكي او أي واحد اخر. فلا يوجد هناك انسان عاقل يريد مجتمعاً بدون كفاءات او اشخاص اكفاء. والسؤال هو كم من السلطة يجب أن توزع. فهل السلطة تكمن او تسكن بين السكان او الشعب؟ أم أنها تكمن بين عناصر النخبة في مجتمعنا، بين العناصر التي تملك صنع القرار بشكل مطلق بواسطة امتلاكها للأجزاء المركزية أو الرئيسية للمجتمع، وللاقتصاد الداخلي، على نحو نمونجي؟

■ **سؤال : إنك غالباً ما تذكر حقيقة انه في عام ١٩٦٢، هاجمت ادارة الرئيس كنيدي فيتنام الجنوبية، وان هذه المعلومة هي غير معروفة، ولم تبحث او تناقش، فلِمَ حدث نلك ؟**

جواب : انه ليس صحيح بأن هذه المعلومة لم تناقش او تبحث. فقد كانت في الحقيقة، أو ظهرت على الصفحة الاولى لصحيفة نيويورك تايمز. إلا انه في هذا المجتمع الملقن بشكل جيد، فان المعلومات لا يكون لها اي معنى. لذلك فان صحيفة نيويورك تايمز يمكن ان تورد، كما فعلت، وأعتقد بأن ذلك كان في تشرين الأول ١٩٦٢، من ان ادارة الرئيس كنيدي قد أمرت الطائرات الأميركية أو الطيارين الأميركيين بشن غارات مباشرة، وليس مجرد الاشراف والمراقبة، في جنوب فيتنام، موجهة ضد غالبية السكان او الشعب هناك، الذين كان حوالي ثمانين بالمئة منم، يعيشون في المناطق الريفية. فذلك هو العدوان، بيد انه لم يفهم على انه كذلك. وعندما سربت الحقائق عبر جهاز تلقيننا (اعلامنا) الفعال جداً، فقد اصبح الامر بانه مجرد دفاع، او عمليات دفاع عسكرية. لقد أصبح دفاعاً بنظر ادلاي ستيفنسون، مندوبنا في الأمم المتحدة آنذاك، والذي أشار اليه على انه «عدوان داخلي»، وقد كان عدواناً ضد الفيتناميين بالفعل، وبشكل خاص ضد الفلاحين الفيتناميين، الذين كانوا يقفون ضد الولايات المتحدة في فيتنام الجنوبية. فدولة يمكنها ان تستخدم عبارات مثل «العدوان الداخلي»، ويمكن ان تفهم قصف القرى الريفية على انه دفاعاً سواءً عنّا ام عن عملائنا، وقد امتد في طريق طويل تجاه نوع من الديكتاتورية الفعالة.

■ **سؤال : باستخدامك للحرب في الهند الصينية كمثال، فهل بوسعك التحدث عن مدى ما قامت به الجماعات المنشقة (المعارضة) واثرت به في السياسة العامة الاميركية ؟**

جواب : انها قد أثرت بالتأكيد. انه كان نوع غير مباشر من التأثير. ولم يكن ذلك من خلال او عبر النظام الانتخابي بشكل واضح. ففي عام ١٩٦٤، فإن الشعب الأميركي صوت بنسبة اثنين الى واحد الى جانب ليندون جونسون،الذي وضع نفسه على انه «مرشح للسلام»، وكان ذلك على نطاق واسع لان جونسون بين علناً وبتكرار من «اننا لا نريد التوسع بالحرب». فقد كان ذلك استفتاءً ضد التوسع بالحرب. وكما نعرف، انه في تلك اللحظة تماماً، فقد كان مستشارو ليندون جونسون، الرئيس الأميركي آنذاك، يخططون من اجل تصعيد الحرب، تصعيد الهجوم ضد فيتنام الشمالية، والتوسع في الحرب لتصل الى فيتنام الشمالية، والذي حدث ذلك بالفعل عندما نجحوا في الانتخابات. فبوضوح، فإن التأثير لم يكن من خلال او عبر النظام الانتخابي.

ومع ذلك، وبعد وقت طويل، من فترة صعبة للتعليم، التنظيم، ومظاهرات الاحتجاج، فإن الشعب اصبح غير متأثر بشكل فاعل بحرب كانت ادارة جونسون غير قادرة على اعلان تعبئة وطنية. وعندما اصبحت الحرب واسعة في الحقيقة، نشأت من جراء ذلك مشاكل داخلية. فقد اصبح من الضروري القتال في حرب بتمويل عاجز، القتال في حرب «المدافع والزبدة» كما اطلقوا عليها ذلك. وكان السبب في ذلك ان الشعب كان غير متأثر تماماً في المضي قدماً بذلك. فإنها لم تكن حرباً كالحرب العالمية الثانية، عندما كان الشعب راغباً تماماً لقبول التقشف الداخلي بسبب الالتزام بالحرب. فإن ذلك لم ينطبق على حرب فيتنام، وكان ذلك نتيجة للأنشطة التي قامت بها حركة السلام. كما انه كانت هناك عوامل اخرى ايضا، بيد ان الجزء الاكبر كان من جانب حركة السلام.

لن تأثيرات ذلك كانت مهمة تماماً. ففي الوقت الذي شن فيه الهجوم الرئيس في فيتنام، عام ١٩٦٨، عندما اصبح هناك دليل من انها كانت او اصبحت لتكون حرباً طويلة الأمد، فان عناصر النخبة الحاكمة بدأت لتصبح غير متأثرة بذلك، وكان السبب، ضمنياً تماماً، من ان الحرب قد اصبحت مكلفة كثيراً.

■ سؤال: هل هذا في المجالات الاقتصادية ؟

جـــواب: نعم، في مجالات العلاقات ما بين الولايات المتحدة ومنافسيها الرئيسيين، اوروبا واليابان. فتأثيرات القتال في حرب المدافع والزبدة كانت مؤذية للاقتصاد الأميركي. فبينما كان يسود التضخم الاقتصادي هنا، فإن منافسينا كانوا يغنون انفسهم ويجنون الثروة من خلال تدمير الهند الصينية. فعلى سبيل المثال، فان كندا اصبحت اكبر مصدر لنا خلال حقبة تلك الحرب. فقد كان ذلك مساهمتها في تدمير الهند الصينية. وقد منحت تلك الحرب جرعة ضخمة لليابان. فاليابان لم تكن منافساً خطيراً للولايات المتحدة في اوائل الستينات. بيد انه في عام ١٩٦٥، فقد تحول الميزان التجاري لصالحها، واصبحت اليابان بعد ذلك منافساً خطيراً للولايات المتحدة. كما زاد الامر سوءاً استخدام حوالي ثلاثمائة الف من المرتزقة الكوريين للمحاربة الى جانبنا، ومدى الإنفاق الضخم عليهم. فكل هذا كان عاملاً مفيداً لمنافسينا، بل انه عامل مؤذٍ للولايات المتحدة. وحيث انه كان من الصعب او المستحيل خلق تعبئة وطنية هنا، فانه كان لا بد وان تستمر الحرب بطريقة ضارة تماماً للاقتصاد الاميركي.

واصبح ذلك واضحاً بحلول عام ١٩٦٨، فقد أدى الأمر بجماعات النخبة الحاكمة لان يبحثوا، وفي الحقيقة لأن يطلبوا ويلحوا، في سبيل اتخاذ تغيير مهم في السياسة الاميركية. فذلك كان تأثيراً مباشراً لحدوث الانشقاق الداخلي. وكان الوقع قوياً وانما غير مباشر، بسبب الدور الكبير الذي قامت به حركة السلام بطريقة أو بأخرى، نتيجة لنشاط الفئات التي اشتركت وساهمت فيها.

فالتأثيرات كانت اكثر من ذلك فعلياً. والسجلات السرية تزودنا بأكثر من ذلك. فهي تفيدنا بأنه في شهر أيار ١٩٦٧ تقريباً، او قبل ذلك، فان البنتاغون (وزارة الدفاع الاميركية) كانت بدأت تشعر بالقلق بشأن الانشقاق الدلخلي. فقد حذر روبرت مكنمارا، وزير الدفاع الاميركي آنذاك، الرئيس (الاميركي) في مذكرة أرسلها اليه في شهر أيار ١٩٦٧، من ان الأمور يمكن ان تخرج عن نطاقها ويفقد السيطرة عليها. فبعد الهجوم الكبير في فيتنام، أصبحت رئاسة الأركان المشتركة قلقة بشأن الخطر من حدوث ثورة حقيقية في البلاد. وأرادوا ان يتأكدوا من انه كانت لديهم قوات كافية من «حفظ النظام»، كما أشاروا الى ذلك. فقد كانوا قلقين بصورة خاصة بخصوص العصيان المدني الذي شمل العديد من القطاعات الشعبية، بما فيها بشكل خاص، القطاعات النسائية، الشبابية والفكرية. وبدأت الأقليات العرقية تنفجر، كما بدأ الجيش بالانهيار، كانعكاس للثقافة الشبابية في البلاد. فقد أصبح هناك جيش من المدنيين، وليس جيش من المرتزقة، ليس بعيداً عن مجرى التطورات في البلاد. فكل هذه العوامل كانت تعتبر بداية لخلق ازمة سياسية داخلية خطيرة، وأثر كثيراً على المسؤولين، الذين كانوا يديرون تلك الحرب العدوانية، والذين اجبروا على مواجهة التكاليف الباهظة لها، فقرروا تماماً بأنه لم يعد بمقدورهم ان يستمروا في ذلك. وبكل هذه الوسائل الغير مباشرة، فقد لعب الانشقاق الداخلي دوراً مهماً للغاية، واعتقد بأنه كان دوراً حاسماً سار ببطء شديد، ومع هذا البطء المؤلم، فقد اجبر الادارة الاميركية على التخلي عن فيتنام الجنوبية في نهاية المطاف.

■ سؤال : وبذلك نشأت « ازمة الديمقراطية » ؟

جواب : كانت تلك ازمة الديمقراطية التي كان لا بد من مواجهتها حينذاك. فقد كانت ازمة واسعة الى حد ما. فانها لم تكن ازمة ديمقراطية فحسب، فواقع ان القطاعات

الشعبية التي غالباً ما كانت غير مبالية، قد بدات بالاشتراك والمساهمة في النظام السياسي او المطالبة بان تستجيب حكومات الولايات لمطالبهم ومصالحهم. كما كان هناك ايضا تهديد خطير للمصالح المهنية والتجارية الاميركية كنتيجة لنتائج الحرب والطريقة التي اديرت بها. وأصبح التضخم ظاهرة رئيسة، وتطلب ذلك التعرض للنقابات، وتخفيض الأجور، وافلاس النقابات المهنية، وبوجه عام تفكك التركيبات والمنشآت الشعبية في الولايات المتحدة، التي تمكن المواطنين العاديين في الكفاح من اجل حقوقهم في مواجهة اولئك اصحاب وارباب الأعمال في المجتمع الاميركي.

لقد رأينا، بأنه، بشكل يدعو للدهشة، خلال ولاية الرئيس ريغان، من ان النخبة الحاكمة، كانت تقف وراء الهجوم على نظام الرفاه الاجتماعي، وعلى تحويل المصادر من الفقير الى الغني، والتي كانت ظاهرة بارزة في الثمانينات. فكل هذا كان جزءاً من نفس الجهد للجماعات الاجتماعية المهيمنة في الولايات المتحدة، من ارباب العمل والمديرين للنظام المشترك، وذلك لضمان مصلحتهم وامتيازهم الخاص وللدفاع عن انفسهم ضد العدو الداخلي المتنامي والمتصاعد.

■ **سؤال : لقد كنت نشطاً جداً في تلك السنوات في المقاومة ضد الحرب في الهند الصينية، وهذا ما اريد ان استعرضه معك، لانك تعتبر مصدراً تاريخياً وسجلاً ايضا في هذا المضمار. وكان هناك كثيراً من «الهندسة التاريخية» حدثت منذ تلك الحقبة. ويرد للخاطرة امران: واحد منه كان الادعاء من ان وسائل الاعلام هي التي قامت بالحملة الاعلامية والانشقاق الشعبي الذي حدث في الستينات ضد الحرب في فيتنام. فما هو تعقيبك على ذلك ؟**

جواب : هذا امر مزيف تماماً، فأية دراسة يمكن ان تجرى لوسائل الاعلام تفند هذا الامر تماماً، وتدحض وجهة النظر هذه. ولقد فرغت من تاليف كتاب بالاشتراك مع ادوارد هيرمان، وهو زميل لي، يتناول دور قطاع الاعلام في تغطية الحرب في الهند الصينية، منذ حوالي الخمسينات ولغاية اليوم. ولا يوجد هنالك شك من ان وسائل الاعلام كانت داعمة للحرب تماماً. ولغاية أواخر الستينات، فإنه لم يكن هناك حتى أية مداولة حول هذا الامر. فكل واحد يقر من كافة الجهات بأنه خلال عامي ١٩٦٦

و١٩٦٧، فقد كانت وسائل الاعلام مؤيدة جداً للحرب في فيتنام، وتعكس وجهة نظر الصقور تماماً. وقد أظهرت عدة دراسات ان تأثير التلفزيون بشكل خاص كان يهدف لجعل السكان او الشعب اكثر صقورة.

ومن السهل الإظهار انه حتى في كل مسألة رئيسية، فان وسائل الاعلام تسير تماماً مع سياسة الدولة. والناحية الوحيدة التي ليست صحيحة ان الصحفيين في وقت ما كان لهم مفهوم او موقف مختلف. فهم كانوا ينظرون بصورة رئيسية الى الحرب من وجهة نظر القيادة العسكرية الاميركية. وهم لم يوردوا ابداً أخبار الحرب من وجهة نظر المقاومة الفيتنامية، كما فعلوا بعد ذلك، بالنسبة لأفغانستان. وبدلاً من ذلك، فالحرب اخذت من قبل المراسلين الصحفيين من وجهة نظر القادة العسكريين الاميركيين في الميدان، وغالباً الضباط الصغار، كما عكسوا الى حد ما مفهوم مختلف عن ساحة الحرب من ان الأمور كانت مختلفة عن الطريقة التي كانت تصور أو تعرض في واشنطن. لذلك فان كل واحد كان بإمكانه ان يرى هذا الأسلوب في محاولة السيطرة على الشعب، بواسطة العنف، بأنه لم يكن مجدياً تماماً. اما واشنطن فقد كانت تدعي بذلك، والعسكريون عرفوا أفضل من ذلك بكثير، وان المراسلين الصحفيين، عكسوا وجهات نظر الضباط والجنود في بعض الاحيان الذين التقوا وكانوا معهم، كما عكسوا، الى حد ما، مواقفهم. وفقط في هذا المجال او الناحية الضيقة والمحدودة اختلفت وسائل الاعلام عن سياسة الدولة. وبحلول شهر كانون الثاني ١٩٦٩، عندما حدث الهجوم الكبير في فيتنام، أصبح هناك تغير مهم في الوضع. فلأول مرة أصبحنا قادرين على رؤية الحرب بعيداً عن الاشراف والمراقبة العسكرية الاميركية. وأصبحت هناك تقارير حية عن سير مجرى الحرب هناك، ولكن ضمن اطار جهاز الدعاية والاعلام الحكومي الاميركي، وعلى عكس ما كان يدعي.

فعلى سبيل المثال، فان وسائل الاعلام وصفت تدمير المدن والقرى في دلتا الميكونغ الى الجنوب من سايغون بشكل حي وفعال، وقد عرفوا، كما عرف كل واحد، بما فيه القيادة العسكرية الاميركية، من ان تلك المدن دمرت من اجل «انقاذهم»، كما خطط لذلك، من سكانها. فقد فهم بأنه لم يكن هناك فعلياً فيتناميين شماليين. فالأفراد الذين كانوا يقومون بالقتال هناك في جنوب فيتنام، هم ما كان يطلق عليهم بالفيتكونغ، قوات

جبهة التحرير الوطني. فالقوة الاجنبية الوحيدة التي كانت في الدلتا هي اميركية، وتايلاندية وكورية من المرتزقة الذين جلبتهم الولايات المتحدة لهناك. ومع ذلك، فان وسائل الاعلام وصفت كل ذلك على انه كان اجراءً دفاعياً. فقد كنا ننقذ «بن تري» عندما كنا نحتلها من سكانها. وكانت العبارة المشهورة التي حملناها هي «تدمير البلدة من اجل انقاذها»، وكان ذلك هو مفهوم وسائل الاعلام: فالولايات المتحدة كانت منخرطة في الدفاع، عندما كانت تدمر وتقتل وتهاجم الفيتناميين الجنوبيين. ولم يكن هناك مفراً من ذلك.

وعلى الرغم من ادعاءات عديدة، فإن وسائل الاعلام صورت الهجوم الكبير على انه كان انتصاراً عسكرياً رئيسياً. وإذا ما قارنت تصور وسائل الاعلام مع سجل الاستخبارات الاميركية الداخلي، فان وسائل الاعلام كانت اكثر تفاؤلاً بشكل بارز بشأن النجاح الاميركي من الاستخبارات الاميركية ذاتها. والسبب في ذلك كان ان وسائل الاعلام كانت تعكس بصورة كبيرة البيانات الرسمية العامة. فلم تكن تعلم او تدري ما كانت تفيد به وكالة الاستخبارات المركزية. فاذا ما اجريت هذه المقارنة فان الوضع سيكون مختلفاً بصورة دراماتيكية. وبعد ذلك، فان وسائل الإعلام استمرت في تصوير الحرب كما كانت تفهم في واشنطن بصورة كبيرة.

لذلك فما إن بدأت واشنطن بمحاولتها لايجاد حل سلمي باجراء مفاوضات، حتى تحول اهتمام وسائل الاعلام من تغطية أخبار الحرب في جنوب فيتنام الى مجال المفاوضات. وكان هذا أمر أمدهشاً بشكل خاص، لأنه كانت فترة من عمليات القتل الجماعي الضخمة تنفذها الآلة العسكرية الأميركية في فيتنام الجنوبية، وما اطلق عليه بفترة أو حملة ما بعد الهجوم الكبير، والتي دمرت تماماً حركة المقاومة في فيتنام الجنوبية ومهدت الطريق للاستيلاء على فيتنام الشمالية تماماً. كما وصف ذلك. وكان هناك بعض المراسلين في جبهة القتال كتبوا حول ذلك، كما كانت هناك حتى بعض التحليلات الجيدة بهذا الصدد، وبشكل خاص للصحفي كيفن بوكلي في مجلة نيوزويك. فقد كتب تحقيقاً حول إحدى عمليات القتل الجماعي بصورة عميقة، ومع ذلك فقد أُخِّر تقريره لعدة سنوات قبل ان يسمح بنشره. ولكن، وبشكل واسع، قامت وسائل الاعلام بتحويل الاهتمام العام بعيداً عن ذلك، وخاصة شبكات التلفزيون، وعولجت عمليات القتل الجماعي تلك بأدنى تغطية، فلم تفهم وتستوعب عملياً.

واستمر ذلك الوضع. فعند توقيع معاهدة باريس السلمية، على سبيل المثال، فإن وسائل الاعلام سارت تماماً جنباً الى جنب مع الجهود الاميركية ليظهروا الموقف الاميركي بانه كان ناجحاً، وهذا معروف تماماً لغاية هذا اليوم. ولا توجد اية نقطة تدل على تحول وسائل الاعلام الاميركية عن هذا الاطار او الخط ما عدا بعض الاستثناءات المحدودة جداً.

■ **سؤال : هنالك حكاية صغيرة تشركك مع تيب اونيل. ففي عام ١٩٨٧، كتب سيرته الذاتية (رجل البيت). وقد استعرض من قبل جون كينيث جالبريث. فهل لك ان تتحدث عن ذلك ؟**

جـــواب : لقد وصف تيب اونيل من قبل جالبريث، ووصف نفسه ايضا، على انه من الزعماء الأوائل لحركة معارضة الحرب (حرب فيتنام) في الكونغرس. والحقائق مختلفة قليلاً. فالحكاية الشخصية التي في ذاكرتك، كما أظن، حدثت في ٨ أو ٩ نيسان عام ١٩٦٥، وبعد يوم واحد من خطاب الرئيس جونسون، عندما ذهبت مجموعة من اساتذة جامعة «نيو انجلند»، وكنت واحداً منهم، وكان هوارد زن واحداً اخر، وبضعة آخرون، الى واشنطن ليحتشدوا هناك، وذلك من اجل التحدث مع تيب اونيل. وكا هو ممثلاً لجامعة كامبريدج، حيث درست وعشت وعملت هناك لفترة انا واخرين ممن كانوا معي.

وذهبنا لرؤية وفداً من جامعة ماساشوستس وللتحدث معهم فقط بشأن الحرب الدائرة وقتذاك في فيتنام. وكان الوضع الذي كنا نتحدث عنه ضيقاً ومحدوداً الى حد كبير.

فعليك ان تتذكر ان ذلك حدث في عام ١٩٦٥. فقد كان من المستحيل آنذاك ان تتحدث عن الحرب الاميركية في فيتنام الجنوبية، فلا أحد كان يمكنه حتى ان يسمع كلمات عما يمكن ان تتحدث عنه بهذا الصدد. لذلك فقد قيدنا انفسنا كثيراً للحديث عن قصف فيتنام الشمالية فحسب. وكانت ردة الفعل مختلفة بين أناس مختلفين. فقد كانت ردة فعل أونيل متطرفة. فحتى انه لم يدعنا ندخل الى مكتبه. ولم يكن على استعداد حتى لسماع من كان يعارض قصف فيتنام الشمالية. وقد كان هناك آخرون يرغبون بدعوتنا الى مكاتبهم. كما كان هناك بعض الأعضاء الجمهوريين في الكونغرس

متعاطفين تقريباً بهذا الشأن. أما اونيل فقد كان اكثر تطرفاً. واستمر ذلك لغاية عام ١٩٦٧ تقريباً. فلم يكن هناك معارضة عملية في الكونغرس للحرب الدائرة في فيتنام.

وكمجموعات نخب، فقد بدأت تصبح غير متأثرة بالحرب، ومضت قطاعات من الكونغرس مع هذا المسار، وخصوصاً في أوائل عام ١٩٦٨، عندما أصبح هناك موقف غير متأثر في الحقيقة. فعقد اجتماع شهير لمجموعة من «الرجال الحكماء»، كما أطلق عليهم وهم كل من - دين اشيسون، ماكجورج بوندي، وجون ماكلوي - وكما أعتقد، فقد كانوا شخصيات متنفذة مارسوا ومثلوا السلطة التنفيذية والعسكرية على حد سواء.

وذهبوا فعلياً الى واشنطن ليقدموا تقييماً للحرب ويبلغوا الرئيس الاميركي بأن عليه أن يغير من النهج القائم انذاك. وفي الواقع، فانه عندما استقال جونسون، عندها اطلق على العملية اسم «الفتنمة»، وبدأت تحدث اثرها. وكانت عندئذ ان بدأت هناك بعض المعارضة في الكونغرس للحرب في فيتنام. وهي مشابهة جداً للمعارضة الحالية لمساعدة ثوار الكونترا. فالعنف لن يلقى نجاحاً، لذلك فقد كان من الأفضل بأن نتحول نحو طريق ما من اجل انجاز اهدافنا. وعند تلك النقطة، فقد كان بإمكانك أن تستميل اشخاصاً مشهورين من «معارضي الحرب»، ومن ضمنهم، مثلاً، جين مكارثي. فقد كان غير ظاهراً في معارضته للحرب. فمعارضة الحرب لم تكن شيئاً مألوفاً في عامي ١٩٦٦، ١٩٦٧، ولذلك فاننا لم نسمع شيئاً بخصوص أو من جين مكارثي. فمكارثي يعتبر مثالاً مثيراً بشكل خاص. وقد عرفه أو وصفه جالبريث «كبطل حقيقي» لحركة مناهضة الحرب.

وستحصل على فهم التفكير السياسي للنخبة الليبرالية من خلال ذلك. وكانت هناك معارضة مبكرة في الكونغرس للحرب: وكان كل من واين مورس، وارنست غرونينغ الشخصين الوحيدين اللذان صوتا ضد قرار خليج تونتكين، وكان هناك اخرون ساعدوا في ذلك وتحدثوا بهذا الصدد، إلا أن جين مكارثي لم يكن من بينهم. فقد انضم لمعارضة الحرب في طريقة غامضة جداً. واذا ما عدت لتدقيق خطاباته واحاديثه، فانه سيبدو لك غير واضح تماماً عما كان يقوله. وإنما كان راغباً في ان يضع نفسه قدماً كزعيم في نقطة ما عندما يفكر ويظن أن بإمكانه استغلال الحركة

الشعبية، التي لم يساهم بأي شيء في تنظيمها. فقد ظن أن بإمكانه استغلال ذلك من اجل سلطته السياسية الشخصية. وعندما تبين له بأنه لم يكن بإمكانه تحقيق ذلك، انسحب من امام الانظار. وهذا واضح جداً في حالة مكارثي. فقد ظهر، لمدة قصيرة فقط ولبضعة شهور ولغاية انعقاد المؤتمر الديمقراطي في شهر آب ١٩٦٨، فقد أراد أن يظهر نفسه كزعيم معارض للحرب، لأنه احتاج لدعم من اجل ترشيحه. ولكن عندما لم يرشح، فقد اختفى وتلاشى عن الأنظار.

ويمكننا ان نروي تماماً كم كان حديثه بالنسبة لمسألة الحرب، وذلك بالنظر وتدقيق ما فعله بهذا الشأن. وقد نال الكثير مما لا يستحقه في هذا المجال، ولقد كان شخصية عامة بالفعل، وكان باستطاعته ان يستخدم ذلك فيما لو اهتم قليلاً بمسألة معارضة الحرب في الهند الصينية. فلو انه اهتم ولو بشكل قليل بشأن ذلك، فقد كان بإمكانه ان ينال السمعة والشهرة المناسبتين، ليكون ناطقاً شعبياً ضد الحرب. وكل ما علينا ان نفعله هو ان ندقق بذلك لنعرف ما فعله بالضبط والجواب بالفعل، هو لا شيء. وفقط انسحب واختفى عن الساحة. اذ انه فقد مصداقيته السياسية، لذلك فقد اختفى، وهو الآن يعتبر من بين الشخصيات الليبرالية العظيمة التي عارضت حرب فيتنام. وهذا يعطيك شيئاً ما بشأن الثقافة السياسية.

- **سؤال : بحديثك عن الثقافة السياسية الاميركية، فانك غالباً ما تشير الى ان الولايات المتحدة تنقصها الاحزاب السياسية المتعددة، وهناك نقص في الصحافة المعارضة، او صحف المعارضة، وتسييسها بشكل اساسي. فهل هذا يمكن ان يفسر حقيقة ان عشرات الملايين من الاميركيين لا يصوتون في الانتخابات، ولا يشاركون في العملية السياسية ؟**

جواب : أعتقد بأن هناك شك ضئيل حول ذلك. فقد أجريت عدة دراسات حول مسألة الذين لا يصوتون. وكان والتر دين بورنهام، وهو عالم سياسي، واحد من الذين قاموا بذلك وعلى افضل وجه، وكانت الحقائق واضحة تماماً. واذا ما قمت بتحليل اجتماعي - اقتصادي، فان الصورة الجانبية تكون للأشخاص الذين لا يصوتون، وبذلك فإن الأمر يتحول ليشابه كثيراً لتلك المجموعات في بعض الدول الديمقراطية الصناعية الأوروبية،

والذين يصوتون لحزب واحد من الاحزاب العمالية. ففي هذه الدول يوجد تقريباً حزب سياسي له جذور في الطبقة العاملة، او الفقيرة، وهكذا. ولهذا الحزب اسماء مختلفة. فيطلق عليه احياناً حزب العمل او الحزب الشيوعي او الاجتماعي او الاشتراكي وغير ذلك، بل ان مثل هذا التشكيل السياسي موجود منذ زمن. وقد بدأت هذه الأحزاب بالركود او الأفول في أي مكان من العالم، ولكن كان لها وجود في الماضي في بعض الدول الديمقراطية الصناعية. وهناك استثناء رئيس هي اليابان، وحتى هناك فانه موجود في نطاق محدود. وبالطبع فنحن الذين أوجدنا النظام السياسي الياباني. وانما الاستثناء الواضح جداً هو الولايات المتحدة، حيث يوجد هناك حزبان فقط مرتكزان على المهن والاعمال. فاذا ما نظرت الى الغير مصوتين، فانهم يكونون من الاشخاص الذين كانوا سيصوتون لأحزاب مثل، حزب العمل، الشيوعي، الاشتراكي، اي أحد تلك الاحزاب الموجودة في الدول الديمقراطية الصناعية. والتصويت في الولايات المتحدة مرتكز بشكل كثيف على عنصر الطبقة. فهو منحاز تجاه العمال الأكفاء بدلاً من الغير اكفاء، وتجاه الياقات الزرقاء بدلاً من الياقات البيضاء، وتجاه المستخدم بدلاً من غير المستخدم، وتجاه الغني بدلاً من الفقير، تجاه المحترفين بدلاً من المشردين، وهلم جراً. فذلك يعكس نفس الواقع او الحقيقية.

وقطاعات كبيرة من السكان، لا يشترك نصفها تماما في انتخابات الرئاسة، وثلثيها تقريباً في انتخابات الكونغرس. وهناك عدد من الاسباب لذلك، بعضها اسباب فنية مثل وجود صعوبة في التسجيل، بيد ان السبب الرئيس يبدو ليكون بانهم لا يشعرون بأن لهم دور في النظام السياسي. وهذا واضح ايضا بطرق اخرى. فقد كانت هناك بعض الاستطلاعات المدهشة والتي اجريت بعد اخر انتخابين لرئاسة. فبعد انتخابات عام ١٩٨٤، سُئل المنتخبون فيما اذا كانوا يأملون بتطبيق برنامج ريغان التشريعي، وكانت نتيجة التصويت ٢ - ٣، أملوا بأن ذلك سيتحقق. انهم أولئك المنتخبون الذين صوتوا لصالح ريغان، والذين لم يكونوا يأملون بتطبيق البرنامج التشريعي لريغان. وهذا يعني بانهم كانوا يصوتون ضد مصلحتهم الخاصة، وذلك يشير الى سلبية تامة فيما يتعلق بالنظام السياسي. فهم كانوا يصوتون لسبب ما اخر، وليس لأنهم كانوا يعتقدون من ان لهم تأثير سياسي. وتساعد استطلاعات اخرى في تفسير ماذا كانت تلك الاسباب.

وفي نفس الوقت، فـان نصف عـدد السكان تقـريبـاً، عند سـؤالهم، «من يدير الحكومة؟» فقد أجابوا بكلمة «نعم»، عند سؤالهم، «هل الحكومة تدار من قبل مجموعة تسعى وراء مصالحها الخاصة؟» فقد كان ذلك هو راي نصف السكان تقريباً حول هذا الموضـوع، هذا على افـتراض انه لم يؤخذ راي أولئك الذين لم يشـتركوا بالانتخـابات الرئاسية أو لم ينتخبوا. وهذا من وجهة نظري يعكس نوعاً من الفهم للنظام السياسي، أو لوضع ذلك في قالب اكثر حيادية، فانه نوع من السلبية بخصـوص النظام السياسي، وهذا امر منتشر بشكل واسع، خاصة بين اولئك الذين هم اقل تعليماً، والذين ينزعون ليكونوا اكثر تقدما واستيعاباً وفهما لمثل هذه الأمور. والسبب لهذا التقدم هو ان التعليم منبثق من جهاز التلقين او الاعلام، ومن هم أقل تعليماً هم الذين يكونون اقل تلقينا.

عـلاوة على ذلك، فـان المتعلمين يميلون ليكونوا متنفذين وان يكون لديهم دعماً في النظام التلقيني او الدعـائي الاعلامي، لذلك فانهم يميلون بصـورة طبيـعية لجعله امراً ذاتياً يؤمنون به. وكنتـيجة لذلك، فانه ليس بشكل غير مألوف وليس في الولايات المتحدة لوحدها فحسب، فانك ستجد مقداراً كبيراً من التقدم بين أناس قد قراوا او علموا حول العـالم من خـلال تجـاربهم بدلا من اولئك الذين علمـوا عن العـالم من خـلال الإطار العقـائدي أو المبدأي الذي تعـرضـوا له، وانهم توقـعـوا ان يكونوا جـزءاً من التـزامـهم الحرفي لينشروه ويذيعوه.

- **سؤال : في الـثمـانينات، كـان المرء يسمع كـثيراً من التـحـدث عن المستوى الاجتماعي «للعلاقات الشبه تبعية». فقد اوحيت بانه كانت هناك مثل هذه العلاقات ما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي (سابقاً) ، فما هو تعليقك على ذلك ؟**

جـواب : انها كانت علاقة مثيرة للاهتمام تطورت منذ الاربعينات. وبدون الرجوع الى تفـاصيل كيف نشـأت الحرب البـاردة، فـان الحـقيـقة ان تلك الحرب البـاردة كان لهـا استـخدام وظيفي لكلا القوتين العظميين. وانني مقتنع بأن ذلك كان من احد الاسبـاب التي دامت من اجله. فقد كانت من اجل مصـالحهم، مصـالح اولئك الجماعات النخبية التي كانت تدير القوتين العظميين. وهذا صحيح، رغم التكليف الباهظ والخطر الذي كان يحدق من فترة لأخرى، بما فيه الخطر من حدوث كارثة نهائية. فبإمكانك ان ترى ذلك

واضحاً تماماً، اذا ما نظرت الى الأحداث الفعلية للحرب الباردة. فمن الجانب الروسي، فما هي احداث الحرب الباردة التي جرت من جانبه؟ فمثل تلك الأحداث هي ارسال الدبابات السوفييتية الى برلين الشرقية في عام ١٩٥٣، وغزو هنغاريا في عام ١٩٥٦، وتشيكوسلوفاكيا، وأفغانستان فيما بعد، وهكذا. فإنها تلك أحداث الحرب الباردة.

وفي كل حالة من تلك الحالات، فان الاتحاد السوفياتي كان يهاجم واحدة من الدول السائرة في فلكه، وبشكل فعلي في المنطقة التي احتلت من قبل الجيش الأحمر، او في حالة افغانستان، في منطقة اكتسب ونال فيها نفوذاً اساسياً، ونفوذاً مهيمناً في الحقيقة. فقد هاجم بشكل فعال دولة عميلة له، مما جعل شعبها يعبأ. فعليك ان تفعل ذلك، فأية دولة، سواء كانت ديمقراطية أم ديكتاتورية او مهما كانت، عليها ان تنظم وتعبىء شعبها من اجل القيام بأعمال مكلفة وعنيفة. وتفعل ذلك من اجل مواجهة تهديد الشيطان الاكبر. وكل هذه الأعمال هي دفاعية. فقد اتخذت دفاعاً عن التهديد الذي فرضته الولايات المتحدة، التي كانت تهدد لتسحق وتدمر الاتحاد السوفياتي، فتلك هي الطريقة لتعبئة الشعوب. وذلك بإقناعها ان عليها الدفاع عن أوطانها ضد عدو كبير ما. وبالنسبة للتعبئة الشعبية، فان الحرب الباردة كانت توظيفية تماماً بالنسبة للنخبة الحاكمة السوفييتية. وبالضبط كان هذا نفس الشيء هنا. فمن جانبنا، فان أحداث الحرب الباردة كان لها تدخلات منتظمة، والتخريب والعدوان. فعندما أطحنا بحكومة غواتيمالا الديمقراطية في عام ١٩٥٤، على سبيل المثال، فقد كنا ندافع عن أنفسنا من الاتحاد السوفياتي. وعندما غزونا جنوب فيتنام. فقد كنا ندافع عن أنفسنا من عميل (دولة عميلة) لروسيا او الصين. وهكذا الأمر لغاية اليوم. وعندما هاجمنا نيكاراغوا، فقد كنا ندافع عن أنفسنا من التوسع السوفياتي. فتلك هي الطريقة التي تبعأ الشعب بواسطتها، ويجب ان تفعل. فلا يوجد هناك نهج او طريقة اساسية اخرى.

ويمكن ان يفعل ذلك حتى على نحو سخيف. على سبيل المثال، فغزو غرينادا وصف فعلياً في الولايات المتحدة على انه دفاع عن الولايات المتحدة ضد تهديد ما. فهذا البلد بالكاد لن يلاحظ على الخارطة، وعدد سكانه مائة الف نسمة، كان يشكل تهديداً لوجود الولايات المتحدة. فهذا امر لن يقنع ابداً شعب الولايات المتحدة ولكن إذا ما امكنك التظاهر او الادعاء أنها قد اصبحت موقعاً لصواريخ سوفييتية، مما يشكل

تهديداً خطيراً على الولايات المتحدة مستقبلاً، فعندئذ يصبح الأمر مقبولاً اكثر. لذلك علينا لن ندافع عن انفسنا بغزو ولحتلال هذه البقعة الصغيرة الموجودة في البحر الكاريبي.

وهذا النوع من الاستخدام التوظيفي مطلوب من اجل فرض اشرافات ومراقبات داخلية. فذلك هو النهج او الاسلوب الرئيسي. فمن الناحية النموذجية، فإن أي ولاية اميركية ستحاول ان تدافع عن نفسها ضد عدوها الداخلي بواسطة اثارتها الخوف لتنال من عدوها الداخلي، السكان المحليين، وذلك ليقبلوا بالسياسات التي عارضوها سابقاً، السياسات التي يعانون من اجلها. وهناك طريقة واحدة فقط من اجل القيام بذلك، وذلك بإثارة الخوف. وبواسطة إثارة الخوف، فانك ستحتاج الى عدو، وإذ ما نظرت الى تاريخنا، فقد كان هناك عدد من الأعداء. ففي القرن التاسع عشر، فقد كنا ندافع عن انفسنا من البريطانيين والإسبان. وخلال الحرب العالمية الاولى، أرسل الرئيس ودرو ويلسون قواته الى جزر هايتي وجمهورية الدومنيكان، حيث قامت بارتكاب عمليات قتل وحشية، ودمرت النظام الدستوري هناك، وأعادت الرق، وهلم جرا. ولم يكن هناك في ذلك الوقت الاتحاد السوفياتي موجوداً بعد، فقد كان ذلك قبل حدوث الثورة البلشفية. لذلك فقد كنا ندافع عن انفسنا ضد شعوب الهانز (من الجنس المغولي). وبعد قيام الثورة البلشفية، فقد كان علينا الدفاع عن انفسنا ضدها. فقد كنا بحاجة لعدو للدفاع عن انفسنا ضده.

وكان هناك انحراف بسيط مثير للدهشة خلال عهد الرئيس ريغان. فقد كان الشعب يعارض بقوة اندفاع كبير لبرنامج ريغان. وأظهرت الاستطلاعات ذلك بصورة مثيرة، لذلك فقد كان لدينا الكثير من «امبراطورية الشر». وكان علينا الدفاع عن انفسنا ضد الروس، وهكذا. ومع ذلك، فان المواجهة مع الروس كانت مسألة خطيرة جداً ولو كان الأمر بشكل ضئيل جداً، لذلك فقد كان من الضروري ايجاد عدو ضعيف تماماً، ذلك حتى يمكنك الهجوم عليه لتدميره وقتله دون اية تكلفة، ولكن مع ذلك لا بد لن يكون قوياً بما فيه الكفاية ذلك حتى يمكنك ان تستخدمه في إخافة السكان المحليين.

وسرعان ما وجدت اجهزة العلاقات العامة في ادارة ريغان الحل لهذه المعضلة: وهو الارهاب الدولي. لذلك فقد أوجدوا «شياطين صغيرة»: مثل: ليبيا، منظمة التحرير،

الساندونيين، غريناداء وهلم جرا ـ لدول وحتى اشخاصاً يكونوا ضعيفين بشكل مناسب، ذلك حتى يمكننا مهاجمتهم دون حدوث اية خسائر بيننا. فيمكننا ان نقصف طرابلس وبنغازي ونقتل مئات الأشخاص دون أية خسائر تلحق بنا. ولكن مع ذلك فهم يهددوننا لأنهم معروفون على انهم عملاء «امبراطورية الشر». فقد كان ذلك انقلاباً لامعاً للعلاقات العامة. وقد أصبحت صعبة الآن بسبب التكاليف الضخمة للحماقات الريغانية، التي خربت بشكل خطير الاقتصاد الداخلي. وأصبح من الصعب جداً ممارسة هذه السياسة العدوانية الخارجية. وكنتيجة لذلك، فقد اكتشفنا ان الروس هم اقل خطورة وتهديد لنا، وان الارهاب الدولي قد تضاءل. ولم يطرأ تغيير كبير في العالم، ولكن قد تغير شيء ما في البلاد. والنقطة العامة من خلال كل تلك الفترة هي ان الاتحاد السوفياتي وعملائه المزعومين كانوا ملائمين جداً لاثارة الخوف والرعب وتعبئة السكان المحليين. وكان هناك بعض الشيء صحيح من جانبهم. فذلك هو الاستخدام الوظيفي او العملي للحرب الباردة.

■ سؤال : كيف ترى البريسترويكا وسياسات غورباتشوف، وهل يمكن أن لا يرحب بها في دوائر اميركية معينة ما زالت بحاجة لان تحافظ على خوفها كما قلت عنها ؟

جـواب : اعتقد بان هذه السياسات ترعب كثيراً دوائر النخبة الحاكمة في الولايات المتحدة. وذلك ما يوضح من انه لا زال هناك جهد متواصل للتقليل من شأنها والاستخفاف بها. فانها تضر وتؤذي بوضع ومركز الولايات المتحدة في أوروبا. وقد لقيت سياسات غورباتشوف الكثير من الترحيب في اوروبا، ليس من النخب الحاكمة هناك، وانما على المستوى الشعبي، فالنخب ما زالت تخشى منها كموقف النخب الحاكمة في الولايات المتحدة. بيد انه لا يوجد هناك شك ان الحركة الشعبية العامة التي تفضل ان ترى هناك تقليصاً في التوتر، وتقليصاً في مظهر البرج المحصن او الستار الحديدي للاتحاد السوفياتي ودول اوروبا الشرقية، لذلك فقد رحب بهذه السياسات على المستوى الشعبي. وغورباتشوف شخصية مشهورة جداً في اوروبا الغربية، كما هو في الحقيقة مشهور هنا في الولايات المتحدة. فبعد قمة «ريكجافيك»، قامت وكالة الاعلام الاميركية بعمل دراسة سرية عن ردة الفعل في اوروبا عن تلك القمة. وقد سربت هذه الدراسة ونشرت في اوروبا. وكما اعلم، فانها لم تنشر في اية صحيفة

اميركية. وقد ذكرت في مقالات الاعمدة من فترة لأخرى، إلا انها لم تنشر مطلقاً كخبر، على حد علمي. ونشرت في اوروبا على شكل لخبار، وكان ما اظهرته هو حصول غورباتشوف على شعبية غامرة اكثر مما حصل عليه ريغان وبنسبة اربعة الى واحد، وهذا مفزع بالطبع. فعلى الولايات المتحدة لن تضمن السيطرة على عملائها، وخاصة في اوروبا الغربية، فهذا امر مهم جداً، ويشكل تهديداً لسياسة الانفراج الدولي التي اخذت على نحو جاد تماماً.

وفي الوقت ذاته كان يوجد هنا نزاعاً. فقد كان من المهم الاعتراف كم أضرّت السياسات الريغانية بالاقتصاد بشكل خطر. انه امر خطير الى حد كبير، ويمكن ان تكلف ثمناً حقيقياً يجب دفعه. ونتيجة لذلك، فان الولايات المتحدة لن تكون قادرة على رمي ثقلها في المسائل الدولية الى المدى الذي يريده الجناح اليميني فيها، وهكذا فانه من الضروري للولايات المتحدة ان تتحرك وفق موقف اقل مواجهة. وفي هذه الناحية فان هناك عوامل هنا تدفع البلاد تجاه اتخاذ نوع محدد من سياسة الانفراج. وفي نفس الوقت، فإن خسارة هذا النموذج من السيطرة والاشراف على السكان المحليين، والسيطرة على الدول العميلة والحلفاء، فذلك أمر خطير. فسيكون من المدهش رؤية كم هذه المتطلبات المتنازعة تلعب بنفسها في السنوات القادمة.

■ **سؤال : لقد دفعت قدماً بفكرة ان المديرين لسيسة الامن الاميركية ليسوا في الحقيقة مهتمين في الامن الوطني، فما هو تعليقك على ذلك ؟**

جـــواب : اعتقد بأن ذلك ليس صحيحاً في الولايات المتحدة فحسب، بل انه بصورة عامة. وعليك ان تكون متنبها قليلاً هنا. فاذا ما نظرت الى ذلك بشكل عام، او بالنسبة لتلك المسألة التي حتى تحتوي على وثائق سرية لاية دولة كانت، فانهم يصفون ما يقومون به بلغة الامن، ولا اقول دوماً لانه يوجد هناك في الغالب مناقشة صريحة في وثائق سرية، وحتى أحياناً بصورة علنية. ولكن بصورة عامة، فان المسؤولين يرون انفسهم كمدافعين عن الامن، هل الولايات المتحدة تدافع عن نفسها من هجوم ما؟ فدعنا نقول، انه في عام ١٩٥٠، عندما قمنا بأول استعداد عسكري رئيسي، اربع مرات تقريباً

عما أقره نظام البنتاغون، فهل كنا ندافع عن أنفسنا ضد تهديد بالهجوم؟ إنه أمر مضحك.

لقد كانت الولايات المتحدة في وضع أمني لم تكن في مثله أو اكتسبته أية دولة أخرى في التاريخ. ولم يكن لدينا أعداء بالقرب. وكنا نسيطر على محيطين. كما كنا نسيطر على الجهات المقابلة لكل المحيطين. ولم يكن هناك تهديد ممكن تصورة أو تخيله لهجوم محتمل. فقد كنا على نحو ساحق أقوى دولة في العالم، أقوى بكثير من الاتحاد السوفياتي. وفي الواقع، فان اوروبا الغربية، كانت من الممكن ان تقارن اقتصادياً وعسكرياً مع الاتحاد السوفياتي، الا انها كانت اكثر تقدماً في تركيبتها المؤسساتية وتلاحمها السكاني. لذا فقد كان من الواضح اننا كنا ندافع عن أنفسنا ضد هجوم متوقف. وكان التفسير التقليدي لذلك هو ردة الفعل للحرب الكورية، والذي كان يفهم على أنه توسع سوفياتي. بيد انه كانت هناك نقطتان هما: انه لم يكن هناك أي دليل من ان الروس كان لديهم أي شيء ليفعلونه تجاه اي هجوم ضد كوريا الشمالية، ولا حتى يوجد مثل هذا الشيء اليوم. والأمر الاكثر اهمية، اننا نعلم تماماً وجيداً بأن قرار زيادة الموازنة العسكرية قد سبق نشوب الحرب الكورية.

وكانت وثيقة التخطيط الحاسمة هي مذكرة مجلس الأمن القومي ٦٨، وصنفت في عام ١٩٧٥. انها وثيقة مهمة جداً. وكان ذلك قبل شهرين من إندلاع الحرب الكورية، عندما دعا المجلس الى توسع ضخم في الموازنة العسكرية، وذلك بسبب الشعور بالتهديد بالدمار على أيدي الاتحاد السوفياتي. واذا ما دققت بعناية في الوثيقة، فانك ستكتشف بأن الولايات المتحدة كانت أقوى بكثير من الاتحاد السوفياتي، وحتى لو استثنينا اوروباوكندا. ومع ذلك، فقد كنا نخشى من التدمير. حتى انه كان لذلك تفسيراً. وتفسيره كان ان الاتحاد السوفياتي كان متخلفاً جداً ذلك انه كان بإمكانه أن يفعل «الكثير بالقليل» لذلك فإن عنفه كان يكمن في ضعفه، ولذلك فقد كان علينا ان ندافع عن أنفسنا منه.

وكان هناك ايضا شيئاً من الحقيقة فيه. فقد أشار تقرير مجلس الأمن القومي بأن الولايات المتحدة يمكن ان تتجه نحو الركود الاقتصادي. وأشار التقرير ايضا بأن الانفاق العسكري سينهك الاقتصاد، كما حدث خلال الحرب العالمية الثانية. علاوة على

نلك، فقد كانت هناك حاجة لحماية الأجزاء البعيدة جداً التابعة للولايات المتحدة، والتي تتطلب وضعاً رادعاً. فعلينا ردع اية مقاومة للتدخل الاميركي، وهي فكرة واضحة جداً في السجل السري. وكنتيجة لذلك، فقد كانت تهيئة القوة العسكرية الاميركية، لاسباب محلية ودولية على حد سواء، إلا ان عنصر الدفاع لم يكن بين هذه الاسباب.

والشيء ذاته يعتبر صحيحاً اذا ما نظرت الى الفترات الاخرى للاستعدادات العسكرية الكبيرة، ولنقل إبان فترة حكم كنيدي. ففي اوائل سنوات حكم كنيدي كانت هناك تعبئة عسكرية كبيرة، وهي في الحقيقة كانت المرحلة الاولى من سباق التسلح وكان السبب في ذلك الوقت هو ازمة الصواريخ، إلا اننا نعلم ان ازمة الصواريخ ما هي إلا خدعة، وقد عرفت جماعة او المحيطين بكنيدي انها كانت عبارة عن خدعة. ومن المحتمل انهم عرفوا ذلك حتى قبل مجيئهم للحكم، ولكن عندما جاءوا للحكم فقد عرفوا ذلك بالتأكيد. فالوثائق الداخلية هي مهمة في هذا الصدد.

فعلى سبيل المثال، فقد اوصى مكجورج بوندي، بأن الادارة الاميركية قد ابقت على عبارة «ازمة الصواريخ» وحتى مع انها لم تكن هناك ازمة، لانه، كما قال، «انه مختصر مفيد للتعبير عن وضعنا العسكري الاساسي». ولنكون اكثر دقة، فانه كانت هناك ازمة صواريخ في ذلك الوقت، ولصالحنا بشكل ضخم، اي حوالي واحد الى عشرة، لصالحنا. فقد كان لدى الروس اربعة صواريخ عاملة نصبت على مهبط للطائرات في مكان ما. بيد انه كان من الضروري تنفيذ برنامج انفاق عسكري كبير ولأسباب مألوفة: لتحفيز الاقتصاد الداخلي، ولتنفيذ سياسة التدخل الخارجي العدوانية. اذ انه لم يكن هناك شيئاً بخصوص الأمن.

ونفس هذا الشيء صحيح بالضبط في عهد ادارة ريغان، عندما تستذكر، الحجة او الذريعة للانفاق العسكري الكبير وذلك لمواجهة الثورات التي يثيرها الروس في كافة انحاء العالم، او ما دعيت «بالنافذة» القابلة «للسقوط». ولا يجدر بنا ان نناقش هذا، لان لجنة الرئيس الاميركي الخاصة اشارت بأنه لم تكن هناك ابداً «نفاذة قابلة للسقوط او الاختراق». وقد تأكد هاذ مؤخراً بأنه كان امرا مزيفا وخدعة، في الواقع. ومهما تجد بأن الذريعة لم تكن السبب، فانك تعرف بأن شيئاً ما اخر كان مستمرا. فإذا ما نظرت

الى تفاصيل السياسة الأمنية الاميركية، فإنك سترى أن الامن في معناه الدفاعي عن البلاد أو الدفاع عن دول عميلة أو الدفاع عن اخرين، هو لم يكن هماً او اهتماماً ابدا. فالاهتمامات الفعلية هي مختلفة تماماً.

فالاهتمامات هي استخدام قوة البلاد لتنظيم مساعدة شعبية من اجل تكنولوجيا متقدمة للنظام العسكري، او خلق نظام دولي يمكن ان نخيف ونرعب بواسطته الدول الأخرى بفعالية، وذلك حتى يمكننا التدخل مباشرة بدون تهديد او ببساطة ممارسة التدخل المباشر. وجزء كبير من الموازنة العسكرية هي من اجل التدخل تماما. ومع ذلك، فان كل ذلك يفهم على انه من لجل الضرورة الامنية.

ولا أقول بانهم يكذبون. فالأناس الأكثر ذكاء هم يكذبون تماما، بيد ان الاقل ذكاء يصدقونه، ويصدقون ذلك بآلية نفسية مألوفة جدا. وكل واحد يعرف ذلك من حياتهم الشخصية، كما انه يعمل في الحياة السياسية. ففي حياتك الشخصية، فانك تريد ان تفعل شيئاً ما . وانت تعلم بانه ليس بالشيء الصحيح لأن تفعله، ولكنك ترغب به لأنه من مصلحتك لن تفعل ذلك، لذلك فانك تفعله، وانك تجد نظام تبرير ليفسر بالضبط لماذا كان ذلك شيئاً صحيحاً وحقيقياً لتفعله. وكل واحد مخلص يعرف تماماً بانهم يفعلون هذا طيلة الوقت.

إنها ظاهرة نموذجية تماماً للحياة السياسية. فانت تقرر بانك ستمضي للإطاحة بحكومة غواتيمالا، لأننا لا يمكننا أن نتسامح في الاصلاح الاجتماعي والديمقراطية، بيد أنك لا تستطيع ان تقول ذلك، لذلك فان عليك ان تبتدع ان هنالك تهديد ما. واذا ما نظرت بعناية الى الوثائق السرية، والتي كشف عنها الآن، فانها مليئة بكل انواع الاتهام ضد غواتيمالا، ففي الحقيقة ان السياسة الفعالة كانت في وثيقة لمجلس الأمن القومي تتعلق بأحداث غواتيمالا. فقد كانت غواتيمالا تشكل تهديداً مثلها مثل غرينادا ونيكاراغوا. وكانوا يعزون، مثلاً، ان الإضرابات التي كانت تحدث في هندوراس سببها غواتيمالا. فهذا نوع من التهديد او العدوان كانوا قلقين بشأنه. فنظام غواتيمالا الديمقراطي والاصلاحي كان يعتبر تهديداً للمؤسسات الاميركية، وهذا بالطبع يعتبر عدواناً، لذلك فان علينا ان ندافع عن أنفسنا ضده، وذلك بالعمل العسكري للإطاحة بنظام الحكم في غواتيمالا، وهذا يعتبر نموذجاً، لذا ما تمعنت فيه.

وفي هذا المعنى انه في حين ان المسؤولين الأمنيين قد يعتقدون تماماً بأنهم يدافعون عن أمن البلاد، فان الحقائق تشير بوضوح بأنهما يدافعون عن شيء ما مختلف تماماً. انهم يدافعون عن نفوذهم وسلطتهم الداخلية. وانذكر مثال واحد آخر، حيث سيكون ذلك اكثر وضوحاً، فهناك دراسات على نحو متكرر لرجال اعمال سُئل فيه المديرون المتحدون لشرح وتفسير ما يقومون به. وعلى نحو نموذجي، فما قالوه هو انهم ملتزمون بعمق بأعمال الخير الانساني. وحقيقة الأمر انهم يجنون من ذلك أقصى منفعة ومقاسمة السوق التجاري، وانهم يفعلون ذلك ليس بسبب الخير او الشر، وانما لأن تلك هي طريقة عمل المؤسسات. فاذا لم يفعلوا ذلك، فانهم لن يكونوا مدراء أو رؤساء مجالس ادارات بأية حال. وبما ان المنفعة القصوى ومشاركة السوق يمكن ان تكون متعقلة، ومبررة لأهداف متغطرسة، فانهم سيؤمنون بأهداف متغطرسة. ولكن فيما اذا تصارعت هذه الأهداف المتغطرسة مع المنفعة القصوى ومشاركة السوق، فانهم سيقومون بالعمل الأخير. فنحن جميعاً نعرف هذا، ولا أحد يجب ان يكون مخدوعاً به. وهذا نفس الشيء تماماً بالنسبة للحياة السياسية، حيث ان الناس ينخدعون أحياناً، وحتى أولئك الناس الذين يجب عليهم ان يعرفوا بصورة أفضل.

■ سؤال : يوجد تناقض هنا يحيرني. فأنت تتحدث عن مديري الدولة، الذين عملهم او وظيفتهم هي الإبقاء على السلطة والنفوذ والامتياز. فإذا ما كان الحال كذلك، فكيف يمكنهم خلق جهاز الانطفاء او الانقراض هذا ؟

جـواب : السبب انه في هذا الجهاز التنافسي فانك تقوم بتخطيط قصير المدى فقط وهذا نفس الشيء بالضبط بالنسبة لعالم الاعمال. ولنأخذ مثلاً هيئة المديرون المتحدون، حيث لا يكون هناك تشويش حقيقي بشأن ما يفعلونه. فانهم يتشاركون في المنفعة القصوى وفي السوق ايضاً في المدى القصير. وفي الحقيقة، فاذا لم يقوموا بذلك، فانهم لن يكونوا موجودين. ولنكن اكثر موضوعية. ولنفترض مثلاً ان شركة سيارات، ولنقل مثلاً شركة جنرال موتورز، تقرر تكريس مصادرها للتخطيط لشيء ما سيكون قابل للمنفعة والفائدة لعشرة سنوات من الآن. وافترض انهم عندما يحولوا مصادرهم، ارادوا ان يفكروا في مفهوم ما طويل الأمد للهيمنة على السوق. فان منافسيهم يتجهون

لجني اقصى المنفعة والسلطة بطريقة قصيرة الأمد، وانهم يتجهون ليسيطروا على الأسواق، فلا تكون شركة جنرال موتورز عندئذ لها اي وزن في السوق. وهذا امر صحيح بالنسبة لأصحاب الأملاك والمديرين ايضا. فالمديرون يريدون ان يبقوا مديرين. فانهم يمكن ان يقاتلوا من اجل الحفاظ على صفقاتهم، ومن اجل الحفاظ على مراكزهم، ما داموا يساهمون في المنفعة قصيرة الامد. وكنتيجة لذلك، فان الاعتبارات قصيرة الامد هي نادراً ما تعتبر في الانظمة المتنافسة. وتسود نفس هذه المواقف بالضبط عندما ينتقل نفس المديرون الى نظام او جهاز تخطيط الدولة. والذي هو، الى حد ما، نظاما تنافسيا. وما تجده بصورة معينة هو الكسب الأقصى قصير الأمد وقليل من الاهتمام بالأمد الأطول. وهذا شيء واضح في كل مكان. ولنلخذ مثالاً اخر، مثالاً بعيداً عن الدمار النووي، ولنقل، استنزاف مصادر الطاقة الاميركية. ولنعد الى الأربعينات واوائل الخمسينات، فانه كان معروفا تماما اين كان احتياطي الطاقة يوجد، ولم يكن هناك كثير من المفاجئات. فقد كان من المعروف ان الاحتياطيات الاميركية ستنضب اذا ما استخدمت بكثافة، وان الاحتياطي الرئيس في العالم ما زال يوجد في الشرق الاوسط. فإذا ما كان أي واحد مهتم بالأمن الأميركي طويل المدى، فما كان عليهم ان يفعلوه سيكون حماية احتياطي المناطق الشمالية، منطقة خليج المكسيك وغيرها، لتوفير ذلك واستغلال احتياطي الشرق الأوسط. إلا انهم فعلوا العكس بالضبط. فقد استنزفوا الاحتياطي الاميركي، ولأسباب منفعية قصيرة الأمد. ونحن الآن في وضع بحث ابار لويزيانا وتكساس التي تنتج قليلاً جداً من النفط وعلينا ان نستورد النفط من الخارج لنملأ الحفر الضخمة في الارض (الخزانات) كاحتياطي استراتيجي. وكان كل هذا متنبأ به تماماً. وكأنه تماماً بأن لا احد اهتم بذلك بصورة اساسية. لأنهم قاموا بعمل حسابات قابلة للمنفعة على المدى القصير. فاذا في المدى الطويل ذلك يعني بأنك ستدمر مؤسستك، او تدمر العالم، فذلك شأن احد ما آخر.

ولقد رأينا نفس وجهة نظر المدى القصير في ادارة الرئيس ريغان. وكان واضحاً ان التصرفات الريغانية ماضية لتؤدي الى تراكم دين كثيف وعجز شديد في الميزان التجاري، انها كانت ماضية لتؤذي وتضر البلاد بشكل خطير جداً. بيد انهم كانوا مهتمين في الكسب قصير الأمد من اجل الثراء والتمتع بالامتيازات. فذلك أمر نموذجي

تماماً للراسمالية المشتركة، راسمالية الدولة، الى المدى التنافسي، والنموذجي تماماً لمديري الدولة.

■ **سؤال : انك من فترة لاخرى تسمع في مقابلات تبث من الاذاعات، في برامج معينة. فهل لديك اية ملاحظات حول مدى التقييدات التي تفرض عليك بشان التعبير عن وجهات نظرك ؟**

جــــواب : هذا يعتمد من اين تبث المقابلة. ودعني أجري مقارنة. ففي اوروبا، كندا، واميركا اللاتينية، وفي اي مكان أكون فيه خارج الولايات المتحدة، فان الوضع يكون مختلفاً بصورة دراماتيكية عما هو عليه هنا بصورة اساسية لاعتبارين: فالأمر الأول، انه من السهل الوصول هناك الى وسيلة اعلام من اجل التعبير عن وجهة نظر منشقة او مخالفة. بل وعندما اذهب الى كندا او اوربا او الى اي مكان اخر، فانني أقضي كثيراً من الوقت مع وسائل الاعلام الرئيسية، والتلفزيون الحكومي، والاذاعة الحكومية، وهكذا، في حين انه لا تجد هنا مجالاً مفتوحاً لذلك. فهذا وجه من الاختلاف.

والاختلاف الثاني هو بنيوي. فخارج الولايات المتحدة، فان بحث المسائل يمكن ان تكون طويلة ومتفرعة وممتدة. أما في الولايات المتحدة فهناك نظام مختلف. والبلد الوحيد الآخر الذي اعرفه يشبه هذا، هو اليابان. ففي الولايات المتحدة، اذا ما قوبلت باذاعة تجارية او تلفزيون، فانه يسمح لك بدقيقة او دقيقتين، فبإمكانك ان تتفوه ببضعة كلمات بين فاصلين دعائيين، وهذا ما يجري، أو تُسال للتعبير عن رأي ما. وهذا ينطبق الى حد كبير على الصحافة الحرة، أما في الصحافة الحكومية فانه صعب او مستحيل، بيد انه في الصحافة المحلية فانه من الممكن للمنشقين ان يكتبوا بضعة مئات من الكلمات المعارضة. ومع ذلك، فمن اجل الوصول الى الصحف الرئيسية المعبرة عن الآراء، هو امر صعب جداً.

وهنالك شيء منطقي في ذلك. ففي دقيقتين، ما بين فاصلين دعائيين، أو في بضعة مئات من الكلمات، يمكنك ان تقول بعض الأشياء التقليدية. فعلى سبيل المثال، فاذا ما أُعطيت دقيقتين في بث اذاعي وأردت أن أشجب الروس لغزوهم افغانستان، فإن ذلك يكون سهلاً. فلا حاجة لي الى اي دليل لذلك، ولا حاجة لي لأية حقائق، فبإمكاني أن اقول أو ادّعي ما اريد، فأي شيء يمر ويمضي لأن ذلك عبارة عن فكر تقليدي، فذلك ما

يعتقد به أي واحد على أي حال، ذلك انه ليس كلاماً مدهشاً، وليس عليّ لأن ادعمه بأقوالي.

ومن جهة أخرى، افترض أنني سأحاول خلال دقيقتين أن أشجب الغزو الاميركي لجنوب فيتنام، او الهجوم الاميركي ضد نيكاراغوا. فذلك يبدو جنوناً. فالولايات المتحدة لا تهاجم الشعوب! لذلك فانه سيبدو مضحكاً ان اعبر عن ذلك خلال دقيقتين وما بين فاصلين دعائيين والسبب انه اذا ما قلت اي شيء، بأقل وسيلة، غير تقليدي فانك بصورة طبيعية، وبحق، يتوقع منك بأن تعطي سبباً لذلك، لتقدم بينة او دليلاً على ذلك، ولتقدم حجة، ولتقول لماذا تعتقد بأن ذلك شيئاً غير تقليدي. فإن بنية وتركيب اجهزة الاعلام في الولايات المتحدة تمنع ذلك، وتجعله مستحيلاً. والنتيجة هي انه ما يمكن التعبير عنه هي الأفكار التقليدية والمبدأ أو العقيدة التقليدية. فهذا أسلوب فعال جداً من اجل سد وإعاقة التفكير والنقد. وبالطبع، فان الحياة تكون دوماً اسهل بكثير عندما تعبر عن مبدأ تقليدي فقط فلا يترتب عليك أن تبذل اي جهد. بل ان لا يسمح لك بأن تقوم بالعمل، وحتى اولئك الذين يرغبون القيام به. فهم لا يمنحون الفرصة لدعم افكارهم الغير تقليدية، وحتى في المناسبات النادرة، عندما يمكنهم الوصول لوسائل الاعلام. فذلك هو المظهر اللامع لجهاز «الاعلام الجماهيري الاميركي».

■ **سؤال : اود منك ان تتحدث عن شيء ما ادعوه بـ «التفاح العفن في مقابل البراميل العفنة» ويبدو هذا ليكون واحداً من اساليب مدراء الدولة ليركزوا عليه، ولنقل، خلال فضيحة ووترغيت او فضيحة ايران ـ كونترا، وذلك ليجعلوا الشر شخصياً او فردياً، وليحولوا الانتباه عن المؤسسات. فما هو قولك ؟**

جواب : انك على حق تماماً. فعندما يحدث اي شيء خطأ ولم يكن بإمكانك أن تكبت هذا المدة اطول، وعندما تبرز فضيحة ما للعيان، فانه يكون من الضروري منع الناس من فهم ما يجري في الحقيقة. فعند سماع شهادات فضيحة ايران ـ كونترا، على سبيل المثال، فانه من المهم ان تنظر الى ما كان يجري التحقيق بشأنه. وما كان يحقق حول أعمال خاطئة مزعومة لأشخاص معينين. ولنأخذ مسألة ارسال السلاح الى ايران. فذلك مفترض ان يكون امرا خاطئاً ليفعل، ويبدو ان هناك اتفاقاً حول ذلك. فماذا كان

التركيز حوله؟ لقد كان متركزاً حول ما دعي «بالصفقة»، مع أولي نورث ووليام كيسي وهلم جرا، والذي حدثت من منتصف عام ١٩٨٥ ولغاية ما ووجهت (نشرت) في الصحف في خريف عام ١٩٨٦. وبرز تساؤل واضح هو: ماذا كانت تفعل الحكومة قبل عام ١٩٨٥ فيما يتعلق بارسال السلاح لايران؟ والجواب سهل جداً إذ انها كانت ترسل السلاح لايران عن طريق اسرائيل، وهذا بالضبط ما كان يجري خلال «الصفقة». واصبح ذلك معروفاً بشكل عام منذ عام ١٩٨٠. وأول ملاحظة حول ذلك ظهرت في مجلة «الاعمال الاسبوعية»، واعتقد بأن ذلك كان في شهر كانون اول ١٩٨٠. وفي أوائل الثمانينات، فقد نشر الخبر على نطاق واسع.

وفي شهر شباط ١٩٨٢ اصبح خبراً عاماً تماماً. وفي شهر اذار او نيسان ١٩٨٢ كتب ليسلي جيلب عن قصة ذلك على الصفحة الأولى لصحيفة نيويورك تايمز، ووصفت فيها تدفق السلاح لايران. وقال ان حوالي خمسين بالمائة من السلاح جاء من اسرائيل والكثير مما تبقى عبر تجار السلاح الذين لهم ارتباطات مع اسرائيل. فالسلاح القادم من اسرائيل يعني سلاحاً من الولايات المتحدة. فاسرائيل هي دولة عميلة. فلا يمكنها ان ترسل سلاحاً لأية جهة ما لم نوافق على ذلك. ففي الحقيقة، فإنه سلاح اميركي بصورة رئيسة. واستمر ذلك، وبصورة علنية. علاوة على ذلك، وفي العلن تماماً، فإن المسؤولين الاسرائيليين المتورطين بذلك شرحوا وفسروا لماذا كانوا يفعلون ذلك.

وفي هيئة الاذاعة البريطانية، وعلى سبيل المثال، في شهر شباط ١٩٨٢، أُجريت مقابلة مع نفس اولئك المسؤولين الاسرائيليين الذين استجوبوا في قضية ايران - كونترا. وشرحوا بأنهم كانوا يبيعون السلاح لايران بنية أو بقصد ايجاد ضباط عسكريين يمكن ان يقوموا بتنفيذ انقلاب عسكري، في ايران. وكان هناك على نفس البرنامج مسؤولين اميركيين كبار، منهم ريتشارد هيلمز، الرئيس السابق لوكالة المخابرات المركزية، والذي كان ايضاً سفيراً سابقاً للولايات المتحدة لدى ايران، وروبرت كومر من وزارة الدفاع. حيث قالا، «نعم، انها كانت فكرة جيدة»، فقد اعتقدوا انه من المحتمل ان ذلك ما هو جدير ان نفعله. وصرح السفير الاسرائيلي لدى الولايات المتحدة علناً في عام ١٩٨٢ بأن اسرائيل كانت تزود ايران بالسلاح بالتنسيق مع الحكومة الاميركية وعلى «مستويات عالية تقريباً»، فمن خلال تصريحه، يستشف بأن الغرض من

ذلك كان لمحاولة تنفيذ عسكري. ولم يذكر ذلك خلال الإدلاء بالشهادات. وبالتأكيد فإن الذي لم يبحث هي تلك السياسة الاميركية النموذجية، السياسة التنظيمية النموذجية. فعلى سبيل المثال، عندما كنا نحاول الإطاحة بحكومة الليندي في تشيلي في أوائل السبعينات. فانه ليس سراً أن الولايات المتحدة كانت تفعل كل ما بوسعها للإطاحة بتلك الحكومة، وكنا ايضاً نرسل السلاح لهذه الغاية، وقد كوفئنا بذلك، وأعني بذلك انقلاب بينوشيت.إن الطريقة لايجاد عناصر داخلية من اجل الاطاحة بحكومة ما هي تكمن في تسليح الجيش. وقد قمنا بنفس هذا الشيء في اندونيسيا في اوائل الستينات. حيث كنا معادين جداً لحكومتها. وارسلنا السلاح للجيش هناك، فكوفئنا بانقلاب وحدوث مجزرة ضخمة راح ضحيتها ما بين سبعمائة الى ثمانمائة الف شخص، وتدمير الحزب الحاكم هناك. وقد استقبل نبأ الانقلاب بحرارة في الغرب. وهناك عدة امثلة أخرى على ذلك.

وللنظر الى هذه المسائل فيمكن التركيز على حقائق مؤسساتية. كما يمكنك اتحدث عن «المجالس والزمر العسكرية» و«عناصر ثورية خارجة عن السيطرة» و«فئات متشددة ومتطرفة جداً». أو شيء ما من هذا القبيل.

ويجب عليَّ القول بأن المنشقين ايضا يساهمون في ذلك. ويقود هذا للحديث عن «الفرق السرية» وكل انواع الاعمال المضللة أو المخادعة. فالفرق السرية والعمليات السرية تعتبر سياسة حكومية عادية، عندما تجبر الدولة للعمل بصورة سرية من قبل شعبها. فعندما لا يتسامح السكان مع اعمال معينة، فان الدولة تجبر وتدفع للعمل السري وللقيام وتنفيذ العمليات السرية. فذلك ما حدث في الثمانينات، وقد حدث ذلك من قبل ايضاً . وهناك مؤشر صغير جداً، من وجهة نظري، من انه يوجد هناك اية «مدافع طليقة» أو «ضجيج» حولنا أو بالقرب. وربما من فترة لأخرى يفقد السيطرة على مجموعة ما لمدة قصيرة، بيد انها تكون ظواهر هامشية. وما يحدث ما هو إلا تصرف تنظيمي، واضحاً جداً في مجالات المؤسسات الأساسية. إلا أنه لا يمكنك ان تنظر أو تنبه لذلك. وكانت سماع شهادات فضيحة ايران - كونترا ما هي إلا تغطية. فلنأخذ حقيقة ان الولايات المتحدة كانت تزود ثوار الكونترا بالسلاح بطريقة غير مشروعة. وكل ما قيل على انه كان امراً سرياً فهو شيء مضحك.

وقد بحثت هذا الامر في كتاب «تحول المد»، الذي صدر في عام ١٩٨٥. ولم أستخدم فيه أية معلومات او سجلات سرية، فقد استخدمت سجلات عامة. وحتى انني عرفت اوليفر نوثر على انه شخص متورط في الفضيحة، لان كل شيء كان معروفاً وعاماً. كما انني كتبت حول ذلك مرة ثانية حول مبيعات السلاح لايران عبر اسرائيل في عام ١٩٨٣، وبحثته في كتاب المثلث المحتوم، الذي صدر في عام ١٩٨٣. فكل شيء كان عاماً بيد انه للتعامل مع السجل العام ولإظهار ما يحدث باستمرار، فإن ذلك سيقودك الى انتقاد مؤسساتي، وذلك امر غير جيد. فما عليك ان تفعله هو ان تجعله شخصياً.

وكان الشيء ذاته صحيحاً إبان فضيحة ووترغيت. وكان امراً مثيراً جداً. خلال الإدلاء بالشهادات في فضيحة ووترغيت. وفي الحقيقة، فكر فقط ماذا كان يدور حول ووترغيت؟ وماذا كانت الجريمة الكبرى لووترغيت؟ فالجريمة كانت ان الحزب الجمهوري قد قام بنوع من التنصت على مركز قيادة الحزب الديمقراطي ولاسباب ما زالت غامضة لغاية اليوم. فتلك كانت هي الجريمة. كما كانت هناك بعض الامور الإضافية ايضاً.

وتماماً ففي وقت سماع شهادات المتورطين بفضيحة ووترغيت، فقد عرضت القضايا امام المحاكم، وعبر قانون حرية المعلومات، فقد قام مكتب التحقيقات الفيدرالي، بتنفيذ عمليات السطو وبشكل منظم لحزب العمال الاشتراكي، الذي يعتبر حزباً قانونياً وذلك من اجل تعطيل نشاطاته، وسرقة قوائم العضوية فيه، واستخدام هذه القوائم لتخويف الاشخاص المنضمين للحزب، ولإخراجهم من وظائفهم وأعمالهم، الخ. فذلك امر اكثر خطورة بكثير من فضيحة ووترغيت. فهذا ليس بعملية تنصت او اختراق تافهة. انها الشرطة السياسية الوطنية التي قامت بذلك. ولم يكن ذلك قد حدث بواسطة بعض «المدافع الطليقة». فقد فعل بواسطة ادارة نظامية. وعطل ومزق بشكل خطير حزباً سياسياً قانونياً، في حين ان ووترغيت لم تفعل اي شيء للحزب الديمقراطي. وهل هذا الامر ذكر خلال الإدلاء بشهادات ووترغيت ؟ انه لم يذكر ابداً.

وما هو الفرق في ذلك؟ ان الفرق هو ان الحزب الديمقراطي يمثل سلطة او قوة ديمقراطية، في حين ان حزب العمل لا يمثل ذلك. لذلك فما هو الذي اظهرته الادلة او

سماع شهادات ووترغيت، فالمسؤول الكبير كان في حالة دفاع، فقد كان الأشخاص الكبار في حالة دفاع عن النفس. فذلك ما كان عليه الأمر. بيد انه لا يمكنك قول ذلك. فاذا ما كان عليك ان تقول ذلك، فانك ستبدأ بفهم كيف يعمل الجهاز القانوني هنا، وكيف يعمل جهاز كبت الدولة. فقد أطرت وصممت فضيحة ووترغيت وذلك لكي يمكن التركيز على جرم رتيشارد نيكسون، بشكل فردي وخاص. والذي قام بخطأ تكتيكي خطير في مهاجمة الاناس ذوي السلطة. ولنأخذ مثالاً آخر، «فقائمة اعداء نيكسون»، كانت تشكل فضيحة كبرى.

■ سؤال: هل تعني اناساً مثل توم واطسون ممن كانوا على القائمة ؟

جــواب : نعم. وبالفعل، فقد كنت على قائمة الأعداء، ايضا. واعرف تماماً وجيداً من خلال تجاربي بانه لن يحدث اي شيء مطلقاً لاي واحد كان موجوداً على قائمة الأعداء. وحتى انهم لم يحسبوا عائدات ضرائبنا، وكان ذلك امراً مدهشاً بالنسبة لحالتي لانني قد نظمت علناً عملية مقاومة للضرائب. فلم يحدث اي شيء لاي واحد ممن كانوا على قائمة الاعداد. ومع ذلك فانها كانت فضيحة. لماذا؟ ليس لانني كنت ضمن القائمة، ولكن لان اناساً مثل توم واتسون كانوا ضمنها، وأيضاً كان هناك كل من ماكجورج بوندي، وجيمس روستون. وبمعنى اخر فانها فضيحة لتطلق على السلطويين او رجال السلطة اسماء سيئة في السر.

ولكن في الوقت الذي ظهرت فيه قائمة الاعداء، فقد تم كشف النقاب من سماع اقوال الشهود في المحكمة بان مكتب التحقيقات الفيدرالي كان متورطاً في عملية الاغتيال السياسي لرئيس تنظيم النمر الأسود، فريد هامبتون. هل هذا ظهر عند سماع شهادات فضيحة ووترغيت ؟ لا، مع ان ذلك حدث إبان عهد ادارة نيكسون. ولماذا؟ لانه اذا ما كانت الدولة متورطة في عملية اغتيال رئيس تنظيم النمر الأسود، وعلى غرار اغتيالات الجستابو، فذلك أمر جيد. فهو لم يكن له لا حول ولا قوة، وكان عدواً على اية حال. ومن ناحية أخرى، فان اطلاق اسماء سيئة على رجال السلطة بالسر، فان ذلك يهز ويضعضع المؤسسات العامة. ومرة أخرى، فقد كان على رجال السلطة ان يدافعوا

إن الأمر برمته كان مركزاً على شخص أو فرد بوجه خاص، والذي تصادف بأنه كان غير مشهوراً بين دوائر النخبة، والذي كان بعيداً تقريباً عن النظام الاقتصادي العالمي خلال اخر سنتين من ادارة نيكسون، والذين نالوا فيهما منه. وبالطبع، فحينما ترمي تفاحة عفنة خارجاً عن الهيئة السياسية، فاننا نعود مباشرة الى نقائنا التقليدي. والجرائم المؤسساتية ستستمر. وحتى ان قصف كمبوديا لم يكن جزءاً من الاتهام.

لقد دخلت الى مجال سماع اقوال الشهود. فهذا لم يكن شيئاً صغيراً، انها عملية قصف بلد اخر ويقتل فيها عدة مئات الآلاف من الناس. بلداً محايداً يفترض ان يكون صديقاً. انه عمل خطير تماماً. انها دخلت في عملية سماع الشهادات، ولكن من ناحية واحدة فقط فهم لم يعلموا الكونغرس بذلك، ولذلك فقد اعتبر عديم الأهمية، وحتى انه لم يدخل مجال الاتهام. ومرة اخرى، فان ذلك يعني بأنه لا بأس من مهاجمة بلد آخر، فالعدوان هو امر جيد، ولكن عليك فقط ان تشعر رجال السلطة بذلك . فلا يجب ان تنتهك او تتجاوز امتيازاتهم. ولاظهار أي من هذه الأمور فانه سيلقى بعض الضوء على كيفية اعمال النظام. وهذا امر لا يطاق. وبوضوح، فان أي نظام سلطوي سائر ليدافع عن نفسه ضد فهم الآخرين. وهذا ليس بالأمر الغامض.

سلطة النخبة ومسؤولية المفكرين

شباط ١٩٨٨

ديفيد بارساميان : إنك غالباً ما تستخدم عبارة «النخبة». فاعتقد بانه سيكون من المفيد اعطاء تعريف عملي لهذا ؟

نعوم تشومسكي : هنالك قطاعات مختلفة من الجماعات التي من الممكن أن نطلق عليها اسم «النخب». ففي المقام الاول، فهناك أولئك الذين هم في موقع اتخاذ القرارات التي تؤثر بصورة حاسمة بما يحدث في المجتمع العام. وهذا يمكن ان يتضمن القرارات السياسية، قرارات تخص الاستثمار، الانتاج، التوزيع، وهلم جرا. ومن ثم فان هناك جماعات في مواقع مديرية (مدراء) لمؤسسات سياسية واقتصادية، ومدراء دولة، ومدراء متحدين أو مشتركين، هلم جرا. وهناك ايضا نخب لمؤسسات ايدولوجية، وفي مواقع صحفية عليا وغيرها من مواقع الاشراف في اجهزة الإعلام، الصحف الخ. فهذه الجماعات، التي هي ليست مترابطة ومتشابكة بشكل وثيق فحسب، بل انها ايضا تتشارك في مجموعة من القيم والترابطات، وتنتمي لطبقة متنفذة وذات امتياز عالٍ وهي ثرية تماماً بوجه عام. وهذه الطبقة تقرر الإطار الأساسي لما يحدث داخل المجتمع على أساس سلطتها، المتجذرة بشكل مطلق في القوة الاقتصادية، وفي الملكية البسيطة للمرافق الأساسية خارجاً عن نطاق ما يتشكل منه المجتمع.

■ **سؤال : وماذا عن دور الاشراف على الاعلام وعمليات صنع القرار؟**

جواب : ما دام الإشراف على الاعلام هو المعني، فانه مسيطر عليه بصورة كبيرة من قبل مجموعة صغيرة تماماً بيدها مصادر الاعلام. وهناك عدد من الدراسات حول هذا، بيد أنه بدون المضي بتفاصيل، فان الامر سيكون ضيقاً تماماً. وهذا بصورة اساسية يتألف من مجموعة من المؤسسات الرئيسة: مؤسسات اخبار ومعلومات، بما فيه الشبكات التلفزيونية، التي هي جزءاً أوسع لتكتلات مالية وصناعية، والصحف الرئيسية، وعدد من المؤسسات الأساسية ايضا، والخدمات اللاسلكية التي هي مترابطة

معها، الخ. فهذه هي مؤسسات تبيع انتخابها لجهات وحقول أخرى.

وكما أشرنا في بحث آخر، فإن الانتاج الذي يبيعونه هو المشاهدين والمستمعين. فالصحف والمجلات لا تمولهم بشكل نموذجي من خلال مبيعاتها. فهم غالباً ما يفقدون اموالاً من خلال الاشتراكات، وبشكل واضح، فانه اذا ما شاهدت برنامجاً تلفزيونياً فإنك لن تدفع لقاء مشاهدتك لتلك القناة. ولكن الانتاج الذي يباع هو القراء، والاكثر من ذلك، هو نخبة القراء. كما ان صورتك الدعائية ترتفع مع مقدار المشاهدين الذين يمكنك ان تقدمهم للدعائي أو رجل الدعاية. فإذا ما كان هناك مشاهد من الطراز العالي فإن مستويات دعايتك ترتفع اكثر.

إن جهاز الاعلام، من وجهة النظر الاقتصادية على الأقل، هو نظام أساسي لمؤسسات رئيسية تحاول بيع انتاجها، أي مشاهدين من المتنفذين والمعتبرين نسبياً، الى مؤسسات أخرى. لذلك فانها جميعها مطوقة بإحكام ضمن نفس النظام من الهيمنة والسيطرة اللتان تنظمان الاقتصاد وتديران الدولة بشكل كبير.

■ سؤال: هل هناك تفاهم جماعي غير معلن لمصالح مشتركة؟ ام ان هناك اجتماعات في الغرف الخلفية مع الرجال الذي يدخنون السيجار ويقررون ما سيجري مستقبلاً ؟

جـــواب : لقد حدث ذلك بالطبع. إلا انه لا يوجد اي شيء تآمري بشكل خاص بهذا الشأن. ونفس الامر يحدث في عالم الأعمال، لذلك فانه ليس من المدهش رؤية رئيس مؤسسة يمارس الأعمال وفي نفس الوقت يتشارك مع نظرائه بالشراب ولعب الجولف وعقد الصفقات في الغرف الخلفية. وفي الحقيقة فاننا جميعاً نعلم بأنه لا يوجد هناك انفصام ما بين النشاطات الشخصية والتفاعلات الثقافية في الممارسات العملية. ولا يوجد هناك أعمال تآمرية على الأقل. فهذه مجموعات صغيرة جداً نسبة الى عدد السكان الذين لا يركزون سوى القليل جداً على الامتيازات العالية. وهنالك قيم مشتركة، واضحة في الغالب، وغير معلنة في الغالب، وتنطبق التفاعلات على كل المستويات، ابتداء من حفلات العشاء في واشنطن الى عقد الاجتماعات لمجالس العلاقات الخارجية الى ارسال الوفود من الشركات القانونية المشتركة الى المسؤولين

الرسميين أو ببساطة تزويد المراكز التنفيذية العليا في الحكومة بممثلين لشركات استثمار رئيسية، ومؤسسات تجارية، ومؤسسات اعلامية. وهناك تدفق كبير ما بين المستويات الاعلامية العليا وبين الحكومة. وهنالك تفسير طبيعي عائد الى مصالح مشتركة، امتيازات مشتركة، وببساطة هناك الرغبة لاستخدام السلطة بفعالية.

■ **سؤال : في هذه «الديمقراطية الاجرائية» كما عبرت عنها في الماضي، فهل تعتبر النخبة دور الجمهور عنصر اساسي في إقرار الاستطلاعات.**

جـواب : هذا رأي واعٍ جداً. وهو يعتبر بشكل مدرك ليكون واجباً للجماهير. وأعتقد بأنه كان ماكسويل تايلور، وهو تعوينة كنيدي، هو الذي قال مرة بأن دور الجماهير هو المعرفة الكافية ليكونوا قادرين على القيام بواجبهم، والذي يعتبر تصديقاً او إقراراً للقرارات في عمليات الاستطلاعات. ولا يترتب عليهم معرفة اكثر من ذلك. والموقف العام لاي نظام للسلطة تجاه الجماهير هو كاتجاه ضد عدو، لانه يجب عليهم أن يبقوا تحت السيطرة. فاذا ما خرجت الجماهير عن نطاق السيطرة فمن الممكن ان تقوم بشتى انواع الأمور الخطرة، كما تعتبر الدولة السكان المحليين كأعداء محتملين لها. وذلك كان صحيح على نحو سيء في الولايات المتحدة ولمدة طويلة.

وبإمكانك أن تتبع هذه المسألة لدور الجماهير والنخبة الحاكمة على مر كافة المراحل التاريخية للجمهورية (الولايات المتحدة). ويحبذ جون جاي، وفقاً لما جاء في سيرته الذاتية، الحكمة القائلة بأن «الشعب الذي يمتلك البلد يجب أن يحكمها». فتلك هي في الواقع بالضبط الطريقة التي أنشيء عليها النظام الدستوري. انه كان نظاماً اعتبر فيه الرجال البيض مالكين وحاكمين للبلاد. وكانت لهم كافة الامتيازات.

وعندما تغيرت الأمور على مر السنين ومع نشوء السلطة المشتركة من جهة، التي قيدت إمكانيات الديمقراطية، وامتداد الامتيازات من جهة ثانية، والتي امتدت بصورة نظرية. فهذا النضال ما بين السلطة المتركزة في نطاق ضيق والجماهير العدوة لها ما زال مستمر بالطبع.

■ **سؤال: هل رؤيتك او وجهة نظرك الاجتماعية تقع خارج نموذج او مثال الدولة الحالية ؟**

جـواب : اعتقد بأن مثال أو نموذج الدولة هو امر غير طبيعي جداً. فإذا ما نظرت الى التاريخ، فـانه يمكنك أن ترى ذلك بسهولة. وكان من اجل انشاء نظام دولة في اوروبا ان تطلب الأمر مئات من سنوات القتل والحروب الوحشية، وان السبب الوحيد لوقفها كان عندما وصلت لآخر مراحلها في اوائلها الأربعينات، وكان من الواضح ان المرحلة التالية ستكون لإبادة الحضارة الانسانية. وعند تلك النقطة، فان الصراعات الداخلية في اوروبا انتهت، ولبعض الوقت على الأقل. فقد كانت هناك عقود من الحروب الوحشية، عمليات القتل، التدمير، وان ذلك يعكس عدم طبيعة النظام. وفي كل مكان أو بقعة وصلت اليها اوروبا في جميع انحاء العالم، فقد وجدنا بما يمكن ان نطلق عليه، اذا ما كنا مخلصين، «وباء او طاعون للحضارة الأوروبية». ففي كل مكان انتشرت فيه ووصلت اليه في شتى انحاء العالم فقد قاد وادى الى نفس الشيء بالضبط ففي المناطق المستعمرة، حيث فرض الغزو (الاستعمار) الأوروبي رؤيا او فكرة لنظام الدولة، كما انه ادى الى صراع وحشي لا متناه.

وكانت المشاكل ان هذا النظام كان له اثراً ضئيلاً ليتفاعل مع الناس او الجماهير ومصالحها وحاجاتها المفهومة، ولذلك فانه كان عليه أن يفرض عليه بالقوة والعنف. وقد حدث ليكون نظاماً عالمياً حاكم منذ حين. وشكراً للغزو الاوروبي لمعظم اجزاء العالم. بيد انه على المدى الطويل فانني يمكن ان اعتقد بأنه يجب ان يستبدل بأشكال وانماط اكثر ترابطاً بالنسبة للاحتياجات والاهتمامات الانسانية الفعلية. ومع ذلك، فذلك مدى طويل.

- **سؤال: في الولايات المتحدة، ما هي انواع المقومات، وما هي انواع الحالات التي يمكن ان تكون ضرورية بالنسبة لتطور بديل، او بالنسبة للحاجة لتعبير افضل، وهو «الثقافة المتقدمة» ؟**

جــواب : إن التحدث عن تآكل نظام الدولة هو امر بعيد جداً، ذلك انني لا اعتقد بأنه مفيد حتى للتفكير بشأن ما يمكن ان يحتاج اليه. فما هو مطلوب ومحتاج اليه في المدى القصير هو ما تخشاه جماعات النخبة بالضبط فأي شيء تخشاه من المحتمل ان يكون جيداً، وما يخشونه فهو ما يدعونه «بأزمة الديمقراطية»، وهذا ببساطة هو انخراط للشعب في الساحة السياسية. والساحة او للمجال السياسي ليس كافياً، بل حتى ان انخراط الشعب في المجال السياسي سيكون تطوراً مفيداً تجاه الديمقراطية في

الولايات المتحدة. واعني بذلك ليس بمشاهدة المرشحين على التلفزيون والتصفيق لهم، وانما بالاشتراك الفعلي، الاشتراك الحقيقي في تشكيل وتنظيم البرامج، في عملية اختيار ذو هدف ومعنى واعادة نظام الممثلين، الخ. وهذا، ليس موجود فعلياً في الولايات المتحدة، فستكون خطوة كبيرة تجاه تفعيل الديمقراطية. ولكن عندئذ، وحتى لو انجز بطريقة ما، فانه سيكون محدوداً فقط.

والحقيقة انه ما يمكن ان يحدث في النظام السياسي تماماً، ومدى القرارات السياسية المعلنة في النظام السياسي، هو مقيد بصورة حادة بواسطة قوة أو سلطة خاصة. وهذه ليست مشكلة ظهرت وبرزت في الولايات المتحدة، لأن النظام السياسي هو ضيق جداً ويقع بشكل كبير تحت سيطرة مجال العمل بحيث لن يكون هناك اية خيارات سياسية رئيسية فعلية ابداً. بيد انه في دول تمارس فيها ديمقراطية اكثر تفعيلاً، وحيث تكون هناك خيارات سياسية حقيقية، ولنقل في امريكا اللاتينية مثلاً، فإنك ترى ذلك طيلة الوقت.

واذا ما جاء مرشح مصلح الى السلطة او الحكم ومع خيارات سياسية، فمن الممكن ان يكون هناك انقلاب عسكري، بل اذا لم تكن هناك اضرابات أو غيرها من الضغوطات لمالكي المجتمع وذلك لضمان ان لا تتواصل هذه السياسات. ومرة ثانية، فان هذا لم يظهر حقيقة في الولايات المتحدة لأنه لا توجد هناك بصورة أساسية مسائل سياسية رئيسية في النطاق او المجال العام او الشعبي. ولكن يمكن ان يحدث ذلك اذا ما عُرِّيَ وتكشف النظام السياسي. وما يعكس ذلك فهو حقيقة انه في نظام مؤسسة خاصة، مع وسائل اشراف خاصة على وسائل الانتاج والتوزيع والقرارات حول الاستثمارات وهلم جرا، فان مدى الخيارات السياسية تكون مقيدة. وأنها تتأثر بشكل كثيف بالمصادر المتوفرة لأولئك الذين يملكون مؤسسات اساسية في المجتمع او البلاد، ولكنها مقيدة ايضا وببساطة بطاقاتها على التوجيه والاشراف فيما اذا كان المجتمع سيبقى، وكم سيبقى، وكم سيعيش فيه من الناس، الخ. فذلك يعني ان الديمقراطية ذات المعنى والأهمية ستشترك في صنع القرار الشعبي الفعلي في المؤسسات الأساسية، وهذا يشمل وبصورة حاسمة المؤسسات الاقتصادية. فهي التي تقرر وبصورة أساسية ماذا ستكون عليه حياتنا.

■ سؤال : ماذا تعني «بالفاشية» ؟ فإنني وبصورة خاصة قد أثرت بتعليقك الذي ادليت به من ان: «الفاشية هي متجذرة وبشكل عميق في فكر كل واحد في الولايات المتحدة ؟

جواب : عندما نتحدث عن الفاشية، فإن أول كل شيء، فإننا نتحدث عن نظام سياسي، اقتصادي، اجتماعي، وتنظيم ثقافي. واذا ما أردنا التحدث عنها وبصورة متعقلة، فان علينا ان نجردها من معسكرات الاعتقال وغرف الغاز. فقد كانت هناك فاشية قبل ان تكون هناك معسكرات الإبادة، وكانت سيئة تماما انئذ. وقد عنت الفاشية من وجهة نظر اجتماعية ـ ثقافية، انها كانت هجوماً على مثاليات عصر التنوير، وهجوماً على مفاهيم ما يطلق عليه في تلك الأيام بـ «أخوة الإنسان». واننا يمكن ان نضعه اليوم في قالب أو شكل ربما اكثر مدنية. بيد ان هجوماً على الفكرة من ان الناس كانت لهم حقوقاً طبيعية، وانهم كانوا متساوين من الناحية الأساسية، وأن ذلك كان خرقاً لحقوق الانسان الأساسية اذا ما تبعت انظمة السلطة بعض الأنظمة الأخرى، والاصرار على انه كانت هنالك روابط الوحدة والتضامن بين الجماهير عبر الثقافات والحضارات، الخ. فكل ذلك كان يتعرض لهجوم. وأفكار التضامن كانت تتعرض لهجوم تحت مبدأ أو عقيدة «نقاء الجنس والدم»، وعلى نحو نموذجي من خلال النظام النازي المتفرع عن الفاشية. وكان النظام الاقتصادي متكوناً من طبقة متعاونة واحدة ما بين اصحاب العمل والعمال، فالجميع يعمل من اجل هدف أو قضية مشتركة، قضية الأمة والدولة، وتحت اشراف دولة قوية، والتي يمكن أن تنسق وتتدخل وبصورة مؤثرة في الحياة الاقتصادية للإبقاء على السلطة، وتركيبات السلطة، الخ. وهذا مرتبط باشراف الدولة وهيمنتها على وسائل الدعاية والاعلام، وفرض رقابة اعلامية مكثفة، وإعطاء الحق للدولة في أن تقرر ما هو صحيح، أو هي حقيقة تاريخية، وذلك لفرض تلك القرارات، الخ.

وكافة هذه الأفكار او المبادىء، المترابطة بشكل متهلهل، كشفت عن نفسها في الحركات الفاشية والتي انتشرت في كثير من بقاع العالم الصناعي في العشرينات والثلاثينات. وقد اتخذت اشكال مختلفة في مجتمعات أو بلدان مختلفة، بيد ان عناصرها يمكن ان تفهم بطريقة عملية في كل مكان. وكثير من هذه المبادىء متجذرة بشكل عميق لسوء الحظ فعلى سبيل المثال، هناك رغبة او ارادة قوة الدولة لفرض،

وبالتنسيق مع قوة خاصة، سيطرتها على مظاهر الحياة الرئيسة. وهناك اعتراض بسيط على هذا، سواء من حياتها الثقافية، أو تدفق المعلومات، أو من المنظمات السياسية، الخ. وعلى مستوى جذور الاعشاب في الولايات المتحدة فهناك كثير من الاعتراض على ذلك. فتجد مقداراً كبيراً من الاستقلالية والفردية العنيفة الضارة بين السكان، بيد انها لا تظهر الكثير في الثقافة المهيمنة، ذلك لن، الثقافة تتخذ القرارات والتوجيهات فعلياً.

■ سؤال : لقد قلت بان الطبقات الغير متعلمة في المجتمع الاميركي هي ليست ملقنة بايديولوجية الدولة كما هو الحال بالنسبة للطبقات المتعلمة. اليس في ذلك قليل من الرومانطيقية . وما هو نوع الدليل الذي تثبت فيه ذلك ؟

جــواب : انه ليس رومنطيقياً فحسب، وانما قريباً جداً من كلام الحشو (متكرر بغير معنى). والتعليم هو شكل من أشكال التلقين، لذلك فاننا نجده على نحو نموذجي في اي مجتمع أو بلد تكون فيه الطبقات او الفئات المتعلمة اكثر تلقيناً. وانهم يمثلون الفئات التي تخضع لتدفق مستمر لوسائل الاعلام والتي توجه مباشرة لهم لأنهم الاكثر اهمية، لذلك عليهم ان يكونوا اكثر انضباطاً. علاوة على ذلك، فإن الفئات المتعلمة أصبحت ادواتاً لوسائل الاعلام. ووظيفتها في المجتمع هي لنشر وتطوير المبادىء الايديولوجية.. ونتيجة لذلك فقد غرسوها وطبعوها في اذهانهم، واذا لم يفعلوا ذلك، فانهم غالباً ما يغربلون أو ينتقون وما يلبثوا ان يصبحوا جزءاً من النخبة المتفننة. وهي ليست على اية حال غير عادية لتكتشف المبادىء الأساسية للنظام الأيديولوجية في أي مجتمع محصن بشكل عميق واقل قبولاً وبشكل خطير من قبل الفئات المتعلمة.

وسيكون رومانطيقياً الافتراض بأن المستوى الاقل من التلقين لجزء من السكان المتعلمين يؤدي الى نوع ما من الروح الثورية أو الحافز التقدمي او اي شيء آخر. انه لا يتفاعل على اية حال. ويمكن ان يؤدي الى اي شيء تقريباً. وعلى سبيل المثال، فهذا يمكن ان يساعد في خلق قاعدة شعبية لحركة فاشية. ومن عدة نواحي، فإن المبادىء الفاشية هي غير مترابطة مع متطلبات النخبة المثقفة ونظام السلطة والامتياز. وذلك هو لماذا تجد في الولايات المتحدة وبشكل نموذجي هجوماً على النزعات الفاشية تقودها

لمصالح وطبقة رجال الاعمال. ويمثل اتحاد الحريات المدنية الاميركي، على سبيل المثال، منظمة محافظة جداً بشكل أساسي، في هذا المجال. انها منظمة قيمة جداً، وانني مسرور لاكون عضواً فيها، ولكن لا يجب ان نخدع أنفسنا حول ذلك. فانها بصورة اساسية تدافع عن الحقوق المتطلبة من قبل الاثرياء والمتنفذين. فهم لا يريدون حالة تكون قادرة على خرق امتيازاتهم، وكنتيجة لذلك، فإن هذه الحقوق مدافع عنها.

وبإمكانك أن ترى ذلك في صيف عام ١٩٨٧، ومن خلال ظاهرة أولي نورث. فهناك نوع صغير وتافه من الفاشية هناك. فقد كشف النقاب عنها، وبإمكانك رؤية ذلك في المقالات الافتتاحية لصحيفة نيويورك تايمز. وحتى ان صحيفة وول ستريت جورنال نشرت مقالاً لمراسلها في واشنطن حول أخطار الفاشية. وكانت فئات رجال الاعمال سريعة لالتقاط عبير او نسيم الفاشية القادم ولم يستسيغونها. ومن الممكن ان يتحولوا اليها في أوقات الأزمات، إلا أنهم من الناحية النموذجية فهم يريدون من الدولة لتكون قوية بما فيه الكفاية من اجل ان تعمل وفقاً لمصالحهم، ولكن ليس قوية تماماً، لتخرق او تنتهك امتيازاتهم. ولقد وجدنا ذلك حقاً عند جذور القوة او السلطة بعضاً من الدفاعات عن الفاشية. بيد انه بين الجماهير العامة، الاقل تعليماً، والجزء الاكثر انخفاضاً وكبتاً بين السكان، فانك تجد مناشدة في بعض الأوقات من قبل شخصيات ساحرة تعد بقيادة الجماهير للخروج من مشاكلهم، ولمهاجمة سواءً القوي او بعبع ما آخر، مثل اليهود أو الشواذ، أو الشيوعيين، أو أي شيء آخر يُعَرِّف بانه مسؤولاً عن متاعبهم. فهذا النوع من المناشدة غالباً ما يكون نشطاً قوياً. ونحن نراه في كثير من الأوقات في العصر الحالي.

وفي الولايات المتحدة، التي تحتوي على مجتمع غير مسيَّس بشكل كبير، فان هنالك احتمالية خطيرة جداً. وبشكل خاص مع نشوء التطرف الديني، فقد أصبحت ظاهرة مهددة جداً. إلا أنه لحسن الحظ فإن الشخصيات القيادية في هذه الحركة كانت فاسدة الى حد كبير، وهو أمر جيد تماماً. ففي كل مرة أجد ان كل واحد منهم لا يريد شيئاً سوى سيارات الكاديلاك الذهبية والحرية الجنسية، الخ، وصفقت لذلك استحساناً. فما داموا سيئين الى هذه الدرجة، فانهم لن يكونوا خطيرين جداً. ولانهم سينشقون عن أنصارهم. ولكن اذا ما اراد واحد منهم السلطة، فانهم من الممكن ان

يكونوا خطرين جداً. واذا ذهب لحد ما قدماً مع تلك الحركات الدينية المتطرفة ولديه رغبة جامحة للسلطة، وليس للحصول على امتياز او مصدر فساد، فعندئذ يمكن ان يكون الامر خطيراً جداً في بلد مثل هذا، وبشكل خاص في فترة يمكن ان تكون فيها الجماهير مكرهة جداً على قبول درجة او حالة كبيرة من التقشف. فكما حدث في عهد ادارة ريغان من حماقات اقتصادية، بل انه اكثر عموما، في الفترات التي تكون فيها الدولة في حالة ركود نسبي في القوة، ركود في مقدرتها أو قدرتها للسيطرة على العالم، وتؤدي الى كافة انواع الارتياب والقلق من الطعن في الخلف، ومن الخوف من الأعداء في الخارج والداخل على حد سواء.

وذلك النوع من الربط جعل الأمر ممكناً من اجل وجود اقل قطاعات ملقنة من السكان من ان تنحرف عن الأيديولوجية الرسمية وتبتعد عن التوجه للفاشية. وفي الوقت ذاته، فإن هذه الجماعات كانت وما زالت مستمرة لتكون اساساً لمقاومة فعالة ضد الدولة والسلطة المشتركة وعنفها. ولنأخذ اميركا الوسطى مثلاً. وهي تشكل مصادر لمعارضات شعبية رئيسية للأعمال الوحشية الاميركية التي تمارس في اميركا الوسطى، وهي ليست من ضمن دوائر النخبة في تلك البلاد، بأية وسائل كانت. فهذه الجماعات تتألف من السكان العامة، من قطاعات سكانية لم تكن منخرطة كثيراً، وربما تكون حتى معادية للحركات التي نشأت في الستينات. لذلك فانها مسألة معقدة، فقليل من التلقين (الاعلامي) هو ليس بالضرورة عنصر مساعد لذلك. فربما يكون اساساً من اجل المزيد من التطورات المساعدة، بيد انها لم توفر ذلك.

■ **سؤال : في مقالك «مسؤولية المفكرين» فانك بحثت دور المفكرين والحاجة لقول الحقيقة. واتهمك ستيف واسرمان، بانك لم تتبع نصيحتك بالنسبة للعلاقات مع نيكاراغوا، فهل كتمت انتقاداتك للساندنيين بهذا الخصوص ؟**

جــــواب : هل كتمت انتقادي للساندنيين ؟ لا ، لا اعتقد ذلك. فما الذي يدور بخلدك بالضبط؟ فلقد قرأت وجهة النظر تلك وما تم من استعراض للأمور، إلا انني لا أتذكر ذلك التعليق.

■ **سؤال : لقد اوحى (ستيف واسرمان) بانك كنت معارضاً جداً لانتقاد حركات التحرر الثورية في العالم الثالث . فما هو رايك ؟**

جواب: بالفعل، فإن ذلك كان واحداً من الأخطاء العديدة للاستشهادات والاقتباسات في ذلك الاستعراض. وكان هناك جزءاً استثناه، كما يفعل العديد من الناس، والذي أشرت اليه من ان المفكر، مثله مثل أي انسان كان، له مسؤلية أخلاقية ليقيم ويخمن النتائج الانسانية. فتلك هي حقيقة بديهية. فاذا كنت كاتباً او كتبت شيئاً ما، فانه يكون عليك مسؤولية اخلاقية لتخمن وتقيم نتائج ما تكتبه، وما هي النتائج التي يمكن ان تكون من اجل او في مصلحة الانسان، ومن ثم فانني اقدم عدد من الأمثلة،، التي استثناها لانها لم تلتق مع أهدافه السياسية.

لذلك فقد قلت، وعلى سبيل المثال، تصوروا وضع المفكرين الروس الآن. فهل يجب ان يقوم احد المفكرين الروس بكتابة نقد دقيق لأعمال الارهاب والوحشية للمقاومة الأفغانية في الصحف الروسية، عارفاً بأن ذلك النقد الدقيق سيمكن الاتحاد السوفياتي من تعبئة جماهيره او شعوبه من اجل القيام بالمزيد من الاعمال الوحشية والعدوانية؟ فهل سيكون ذلك امراً اخلاقياً مسؤولاً؟ انني لم اجب عن ذلك السؤال، ولكن اذا ما اردت جوابي على ذلك، فانني سأقول «لا»، انه ليس أمرا اخلاقياً مسؤولاً ليفعل، فذلك المثال لم يذكر في استعراضه. بيد انني اشرت ايضا بأننا نواجه نفس المشكلة بالضبط وعلينا ان نتساءل فيما اذا أردنا ان نتصرف او نقوم بمثل هذه الطريقة وذلك لكي نزيد من الأعمال الوحشية والعنف لدولتنا.

ولنأخذ مثالاً آخراً، فلنفترض انني كنت مواطناً المانياً في عام ١٩٣٨. فهل سيكون امراً اخلاقياً بالنسبة لي لكتابة مقالة في الصحف النازية حول الأعمال الوحشية التي كانت تنفذ من قبل الارهابيين اليهود في فلسطين، او الكتابة حول جرائم رجال الاعمال اليهود، وحتى لو كان ذلك كل ذلك دقيقاً؟ فهل سيكون ذلك امراً اخلاقياً بالنسبة لي لكتابة مثل تلك الحقائق في الصحافة النازية؟ حسناً، ومرة ثانية، فإنني لم اجب على ذلك السؤال هناك، بيد ان جوابي سيكون «لا»، فسيكون «لا». فهذه ما هي إلا حقائق بديهية. فاذا ما كنا قادرين على ادراك والتحقق من الحقائق البديهية التي تتعلق بالآخرين، فعندئذ انه سيكون من الجبن وعدم الصدق اذا ما رفضنا تطبيق هذه الحقائق البديهية

على انفسنا. وهذا يؤدي الى مـأزق. انه يؤدي الى مـأزق اخـلاقـيـة في حـالة المفكرين الروس وأفغانستان، كما يؤدي الى نفس المأزق الاخـلاقية في حـالة المفكرين الأميركيين في الولايات المتـحدة. فـالطريقـة التي يحل فـيـهـا المرء المأزق هي مـشكلة بحـد ذاتهـا يواجهها الاشـخاص.

■ **سؤال : هناك في الولايات المتحدة اليوم مقداراً جيداً من الادراك والمصلحة في اميركا الوسطى، حيث توجد هناك جماعات التضامن، ومـشـاريع تـاخي المدن، وتبـادل الوفـود. وهنـاك ايضـاً المؤتمرات، الندوات، المحـاضـرات، والكثـيـر من الكتب والمقـالات. وقـد اطلق الكسندر كوكبيرن على ذلك «بالحركة الناضجة المتقدمة جداً». ولكن يبـدو ان مـسـالة التـقـدم والنضـوج في العـلاقات لم تمتـد بعـد الى الناحية الاسرائيلية / الفلسطينية . فما هو تعليقك على ذلك ؟**

جــواب : اول كل شيء، فإن هذا التقدم والنضوج يمتد الى لا شيء عملياً. والظاهرة النموذجية هي معاكسة بالضبط لما يذكر ويدعى دوماً. فما يظهر التاريخ هو انه حتى حركة السـلام مـسيطر عليـها جداً بواسطة جدول أعمـال رسمي. ولهـا اوهام محـددة ومعرفة ونقاط اخلاقية، وأعني بذلك الأعمال الوحشية المسؤولة عنها الولايات المتحدة. فتلك هي الظاهرة النموذجية لذلك. وهذا لا تقـراه اليوم وذلك لأن هدف مـا تقـراه هو لتقويض وتدمير عملية السلام، لذلك فان هناك تدفق لوسـائل الدعاية والاعلام، معظمـها مفبـرك وملفق، حول كيف ان حـركة السـلام لهـا أوهام وبقع عميـاء بالنسبـة لاعدائنا وديكتاتوريات العالم الثالث.

وبالضبط فإن العكس هو ممكن إثباته بسهولة. وتعتبر منطقة او ولاية تيمور شاهداً على ذلك. فـخـلال الأعمـال الوحشـية في تيمور، والتي مـا زالت مسـتمـرة والتي يمكن مقـارنتها بالمجـازر التي قام بهـا بول بوت، وبالنسـبة للسكان، فانه كان يوجـد هناك حركة سـلام ساكنة وشبه تامة تقريباً. والسبب في ذلك ان مذبحة تيمور لا تتطابق مع أجندة او جدول أعمـال الدولة، إذ أن الولايات المتـحدة مسؤولة عن ذلك. وقد ازيلت هذه المسألة او ابعدت عن الانتباه، كما ان حركة السلام لها بقع عمياء أيضاً.

وهناك ايضا عدد اخر من الامثلة. وفيما يتعلق بأميركا الوسطى، فإن الأمور كانت

مختلفة، وهي مدهشة جداً. ولنأخذ مؤشراً او مثالاً على ذلك، مثل زاوية «رسائل الى المحرر». فانظر الى شتى أرجاء البلاد، فالشيء المثير ان زاوية رسائل الى المحرر في الصحف هي اكثر تقدماً، واكثر قابلية للعلم والمعرفة، واكثر تركيزاً، اكثر توازناً ودقة من المواد الصحفية أو المقالات التي تظهر على أعمدة الصحف لابداء وجهات النظر المختلفة، ومن التحقيقات والتقارير الصحفية، الخ. وقد افترضت بأن الصحف لن تنتقي وبشكل معين الرسائل التي تقوض من مركزها. إلا انه من الواضح انها تعالجها. وهذا يعكس اختلاف في الشعور والإدراك. بيد أن ذلك حدث ليكون متركزاً على هذه المسألة، ولاسباب معينة. والصراع العربي - الاسرائيلي مثله مثل غالبية المسائل، خارج عن هذا النطاق تماماً. فهنالك أسباب خاصة لذلك. عليهم أن يعملوا بصورة كبيرة مع ما حدث في عام ١٩٦٧، كما تحدثنا عن ذلك من قبل.

وفي نفس الوقت فقد كانت هناك ردة فعل مثيرة للانتصار الاسرائيلي بين النخب او الفئات الفكرية التي تسيطر على اجهزة الإعلام، وهم ينتمون للجناح الليبرالي اليميني. وكان هناك شعوراً مفعماً بالنشاط بشأن الانتصار الاسرائيلي، وحببت اسرائيل نفسها حقيقة بالعناصر الليبرالية والمفكرين في ذلك الوقت، وذلك بسبب نجاحها في استخدام القبضة الحديدية. وكانت تلك ظاهرة لا بد وأن تفسر. وكان واضحاً لماذا انحازت لاسرائيل القوى اليمينية المتطرفة، بل إن الأمر كان مثيراً بشكل خاص أيضاً بالنسبة للمفكرين الأميركيين الليبراليين. وأعتقد بأن عليك ان تنظر الى ما كان عليه المجتمع الاميركي لفهم هذه الظاهرة. وكان في تلك النقطة ان اسرائيل أصبحت مصدراً للخشية والحب. وستجد ذلك في ذلك الوقت، وحتى بين المفكرين اليهود في نيويورك، فاسرائيل والصهيونية هما ظاهرتان ثانويتان تماماً. ويمكنك ان تدقق ذلك بالعودة الى صحف ومجلات مثل «الانشقاق» في السنوات المبكرة الماضية من عمر الصهيونية، فتجد انه لا يوجد هناك شيئاً حول هذا الأمر (الصهيونية)، وان المحررين الصحفيين لم يعتبروا انفسهم صهاينة في ذلك الوقت. اما في عام ١٩٦٧ فقد اختلف الأمر كلياً.

وأعتقد بأن السبب في ذلك كان في التغير بشكل كبير للأحداث الداخلية. فعليك أن تفهم ماذا كان يحدث في الولايات المتحدة في ذلك الوقت. وفي المقام الاول، ما حدث

في عـام ١٩٦٧. فـالولايات المتـحـدة لم تنجح في تدمـيـر المقـاومـة الداخليـة في الهند الصينية. فقد كنا غير قادرين على الدفاع عن فيتنام الجنوبية، وكما رتب الأمر، اي الهجوم وتدمير فيتنام الجنوبية. ومن المهم تذكر ان الرأي او وجهة النظر الليبرالية كانت قوية جداً والى جانب الحرب ايضا. وكان هناك مقداراً كبيراً من القلق من ان الولايات المتحدة لم تكن لتربح الحرب.

انئذ برزت اسرائيل، واظهرت كيف يمكن استخدام العنف ضد دول العالم الثالث المغرورة، وكان ذلك امراً مثيراً. علاوة على ذلك، فإن الفشل لكسب الحرب في فيتنام قد ربط بالتهديد المتنامي للامتيازات في البلاد. وجاء هذا من عدة قطاعات في المجتمع، وخاصة من قبل الحركة الطلابية ـ فالطلاب لم يكونوا يطيعون السلطات، وكانوا يسألون الأسئلة الخاطئة، وكانت هناك اشارات لاستقلالية فكرية، ولحكم او تقييم اخلاقي مستقل، الخ. كما انه كان بإمكانك أن ترى ان الحركة النسائية كانت قائمة، كما ان الاقليات العرقية كانت تمارس ضغطاً من اجل الحصول على حقوقها. وكان هناك نوعاً من شعور عام بتهديد طبقة الامتياز والسلطة من قبل الفيتكونغ، ومن منظمة النمور السود، والحركة الطلابية، والثوريين الكوبيين الملتحين، ومن قبل الماويين (نسبة الى ماوتسي تونغ)، ومن فئات أخرى، بيد انه لم يثر ذلك سوى اعترافاً جزئياً لحقيقة وجود اهتياج وقلق شعبي يهدد السلطة والامتياز في البلاد. ومرة ثانية، فإن اسرائيل برزت واظهرت كيف يمكن استخدام العنف وبفعالية لإعادة الامن والنظام، وكان ذلك إظهاراً مثيراً للدهشة. وكان ذلك امراً مهماً وخصوصاً بالنسبة للعلماء الانسانيين الليبراليين، لان اسرائيل كانت قادرة على ذلك، وبكل وسائل اعلامها الفعال، لتصوير نفسها على انها كانت ضحية، في حين انها كانت تمارس وبفعالية تماماً القوة والعنف لتحطيم اعدائها.

إن هذا الربط كان غير قابل للمقاومة بشكل مطلق. فالعالم الانساني الليبرالي يفترض ان يكون الى جانب الضحية، وفي هذه الحالة فانه يمكنه ان يذرف الدموع من اجل الضحية المزعومة، في حين انه وبصورة سرية يصفق ويهلل لنجاحات الضحية في استخدامها للعنف الفعال. فهذا ربط لا يمكن مقاومته وظل قائماً بهذه الطريقة. واثار ذلك موجة من النقاش داخل الولايات المتحدة الى درجة ان البحث السليم لهذه المسألة

قد اصبح صعباً الى حد كبير بين الفئات المتعلمة، وفي داخل اجهزة الاتصالات والاعلام التي تشرف وتسيطر عليها. وكانت هناك عوامل اخرى ايضا. فعلى سبيل المثال، كان هنالك اناساً، مثل ايرفنغ هاو (من صحيفة الانشقاق) سيء الصيت، والذي استغل تماماً وعلى نحو سلبي الحماس العاطفي لاسرائيل، والذي طوره لكي يقوض ويهاجم العناصر النشطة لحركة السلام وللحركة الطلابية. فقد كتب عدة مقالات شريرة ومغرضة في صحيفة نيويورك تايمز وفي صحف اخرى ادعى فيها بأن عناصر غير معروفة لحركة السلام لن تكون راضية لغاية ما تدمر اسرائيل من قبل الارهابيين العرب المتعطشين للدماء، والذين ارادوا فرض الفاشية في اسرائيل، الخ. وكانت تلك اداة فعالة في ذلك الوقت. وانني لن ادعو ذلك بالكارثية، لانه يسير بعيداً جداً عن خط مكارثي، إلا ان ذلك النوع من الوسائل من اجل محاولة تقويض حركة السلام النشطة والمنظمة، وللعناصر المنشقة التي كان لها موقع ومركز شعبي بين فئات النخب. وذلك هو السبب الذي أمكنه (ايرفنغ هاو) من كتابة هذه الأمور في صحيفة نيويورك تايمز.

وكانت هذه فترة انصب فيهاجهد النخبة العام لمحاولة استعادة السيطرة على الجماهير، ولمحاولة تقويض الحركات الشعبية التي كانت بدأت بالتطور. وكان لاستخدام الأسلوب الاسرائيلي فعالية في هذا المضمار. وقوى مرة ثانية من الارتباط الطبيعي ما بين المفكرين الليبراليين، الذين كانوا يعتبرون كمفوضين من المفترض بهم ان ينفذوا ذلك، وبين اسرائيل. ولكل هذه الأسباب، والتي كان بعضها موضوعياً، اصبح دور اسرائيل كمساعد استراتيجي فعلي بالنسبة للولايات المتحدة، وكان بعضها الآخر اكثر تعقيداً، لا يتفاعل مع الثقافة والمجتمع المحلي الاميركيين، لذلك فان هذه المسائل اخرجت من نطاق البرنامج او جدول الأعمال.

وهنا يكمن الفرق ما بين الجماهير العامة او السكان وبين النخب بشكل مثير جداً. وكما أشرت من قبل، فان الاستطلاعات ـ والاستطلاعات اعتبرت بشكل حذر قليلاً، إلا انها تؤدي شيئاً ما ـ بينت بشكل منتظم انه حوالي ثلثين من الاميركيين كانوا الى جانب قيام دولة فلسطينية ومع ان ذلك لم يكن جزءاً من السياسات الامركية. ولذلك قد تجد سياسي اميركي يمكن ان يدعو الى ذلك. انه ليس جزءاً من البحث والمداولة. وما كان يدهش انه حتى بدون أي تمثيل واضح فعلياً، فانه ما زال الموقع او المركز محتل من قبل

غالبية الشعب الاميركي، مطابقاً ومماثلاً للاجماع الدولي الذي أعيق وسد من قبل الولايات المتحدة لمدة سبعة عشرة عاماً على الاقل.

■ سؤال: هناك سؤال حول اليسار الاميركي، وانني اعرف بانك لم تكن مرتاحاً جداً لاستخدام مثل هذا التعبير: فقد تحدثت سابقاً عن تهميشه، وبعدم وجود مصادر له، وعدم الاستمرارية. فماذا عن هذه الظاهرة لحرب اليسار الضروس، وما اطلق عليه انا باليسار يسحق اليسار ؟ فهل ذلك من نتاج عملية التهميش هذه ؟

جـواب : انه كذلك بشكل جزئي، الى الحد الذي لا نحب معه الاعتراف من ان القوة الخارجية والامتياز قد رتبا برنامجاً او جدول اعمال من اجل اليسار. فعلى سبيل المثال، لنأخذ مجلة «نيو انجلند بيس وورك»، وهي من المجلات الجيدة تماماً لحركة السلام المحلية. اما الآن فإنها تكرس صفحة اثر صفحة من صفحاتها لبحث ومداولة ما يقرره بصورة اساسية مكتب الدبلوماسية العام، وهي في الوقت نفسه لا تعترف به. فهناك مداولة أو مناقشة تجري لكل مسألة، ونصف المسألة تكرس لذلك، حول فيما اذا ما كان يدعى باليسار، قد اتخذ بالضبط مركز او موقع اليمين فيما يتعلق بمسألة كمبوديا، في اواخر السبعينات. وحقيقة الامر هي ان اليسار، الذي بالكاد يكون موجوداً، قد اتخذ تقريباً موقعاً اتخذ من قبل كافة السلطات المؤهلة فعلياً، مثل استخبارات وزارة الخارجية، والبعثة التعليمية لكمبوديا، الخ. وفي الوقت ذاته، فإن اليسار وحركة السلام كانتا تتجنبان الاعمال الوحشية الكبيرة في اي مكان اخر. ومع ذلك، فلا يوجد هناك بحث أو مناقشة تدور حول ذلك، ولنقل، بما يتعلق بفشلهما للاستجابة بما حدث في تيمور الشرقية، أو بفشل اليسار في القيام بردة فعل ضد القصف الاميركي لكمبوديا، في أوائل السبعينات، والذي قتل من جرائه عشرات الآلاف من السكان الكمبوديين، أو بفشل اليسار في القيام بردة فعل للأزمات العنيفة المتزايدة التي تحدث او حدثت في اميركا الوسطى. فلم يوجد هناك بحث او نقاش حول ذلك. وكان هناك نقاش وبحث فقط حول الفشل المزعوم لحركة السلام في ردة فعلها لما قام به «بول بوت».

وما تجده من جهة واحدة فهو الاكاذيب، والتلفيق والخداع التي لا تتطلب أي دليل

لانها مركزاً او موقعاً للسلطة المؤسسة، وهناك من جهة ثانية الاعتذارات او الاستجابات التي ما هي إلا مضيعة للوقت بشكل كبير. وفي الحقيقة، فإن اي جهد للاستجابة للاكاذيب هو تدمير للذات لأن الاستجابة للاكاذيب وكشف الاكاذيب تبرهن ببساطة بأنك معتذر عن الاعمال الوحشية، وضمن اطار العقيدة او المبدأ الرسمي، الذي يتحكم ايضا بالفكر المنشق الى درجة كبيرة. انه وضع غير مريح، اذ ان البرنامج او جدول الاعمال يقرر من قبل السلطة المؤسسة.

لقد قدمت هذا المثال من اجل توضيح انه حتى اكثر العناصر تقدماً لحركة السلام هي مخدوعة بواسطة جهاز التلقين وتتبع املاءاتها الى ابعد مدى، وان ذلك عامل آخر يؤدي الى اتهام مضاد. واضافة لذلك، يوجد هناك كافة انواع العاب السلطة، والالعاب الشخصية، والعاب المجموعات، الخ. وكل واحد كان اشترك في الحركات الشعبية لعدة سنوات، فانه يعرف تماماً وبشكل جيد بأن كل فئة او جماعة لها أسلوبها أو طريقتها الخاصة من اجل محاولة السيطرة على اي تطور أو حركة شعبية تحدث او تقوم. وتوجد هناك فئات طفيلية، تحاول جلب الناس اليها وتعبئتهم وإدخالهم في منظماتها الخاصة أو في مجموعاتها او فئاتها الخاصة او اي شيء كان. وكل ذلك يسير قدماً، ما دام لا يوجد هناك استقرار ومؤسسات شعبية صحية او صحيحة يمكنك ان تعول على استمرارها وتواصلها.

■ **سؤال : هل تود ان تتحدث عن مسيرة السلام التي جرت في شهر حزيران ١٩٨٢ في نيويورك ، حيث كنت ستشترك فيها مبدئياً، ومن ثم اخترت بان لا تشترك فيها ؟**

جــواب : كانت تلك قصة مختلفة. انه صحيح، بأنني لم اشترك في ذلك. وكانت تلك مسيرة ضمت مئات الآلاف، وربما ضمت مليون شخص، في وقت جرت فيه جلسات الأمم المتحدة فيما يتعلق بنزع السلاح. وحدث هذا بعد حوالي اسبوع من الغزو الاسرائيلي للبنان. فالغزو الاسرائيلي للبنان، اضافة الى انه مزق ذلك البلد ودمره، الا انه كان من الممكن ان يؤدي بالعالم الى حافة حرب عالمية، وجرت هناك اتصالات محمومة بهذا الشأن. وهاجمت اسرائيل سوريا. ولم تكن سوريا تتوقع مثل ذلك الهجوم، وحتى بعد بدء الحرب، فان السوريين ظنوا بأن اسرائيل كانت تلاحق

الفلسطينيين. إلا ان اسرائيل هاجمت سوريا، التي كانت حليفاً للاتحاد السوفياتي. وقتل من جراء ذلك بعض الخبراء الروس، فتوجه الاسطول الروسي الى شرقي المتوسط وكان هناك تهديد حقيقي لنشوب حرب عالمية، إذ ان الولايات المتحدة كانت تدعم وتساند الهجوم الاسرائيلي. فلا يمكنك تصور مسألة حرجة وخطرة اكثر من ذلك.

وقرر منظمو المسيرة بأن يستثنى ذلك من هدف المسيرة، اي ان لا يوجه أي نقد او لوم لاسرائيل. فذلك هو جزء من الطريقة أو الوسيلة التي تحمى فيها حركات اليسار اسرائيل. فهي، كما رأيت ذلك، وكما عبروا عن موقفهم، من ان نشوب حرب نووية لهو امر اقل أهمية من تعرض اسرائيل لحملة نقد او احتجاج. إنه كان امراً فاضحاً ومزعجاً قررت معه أن لا اظهر في تلك المسيرة شخصياً. ومرة ثانية، فان ذلك كان امراً خاصاً، انها حالة التي تقرر فيها مراكز القوى الداخلية الى اي مدى يمكن ان يكون عليه التفكير، وما يُفعل حتى في حركات الانشقاق أو المعارضة.

■ سؤال : هذا سؤال مختلف حول طبيعة الشر. بما انك عالم تجريبي ، عالم عامل بالمادة الموضوعية، فقد بحثت في الاعمال الوحشية الاميركية في الهند الصينية في الستينات والسبعينات، والاعمال الوحشية الاميركية ايضاً في الثمانينات. فعلى سبيل المثال، فقد كتبت حول الجنود الذين كانوا يقذفون الاطفال الرضع في الهواء ثم يتلقفونهم بحراب بنادقهم. فالسؤال الذي يبرز هو : ان هؤلاء الجنود هم اباء واشقاء يقومون بحمل اطفالهم بايديهم. فكيف انحدروا الى ذلك الوضع ؟ اضافة الى انك قد قلت بان الافراد هم ليسوا عناصر للشر وانما هي المؤسسات او الدوائر الرسمية. اليس ذلك تناقض ؟

جواب : اول كل شيء، فانني نادراً ما اتحدث عن اعمال وحشية مورست من قبل جنود. ولقد شرحت ذلك. فالسبب هو ان الجنود، في وضع النزاع او القتال، يكونون في حالة فزع او رعب. لذلك فالخيارات المتاحة امامهم تكون ضئيلة جداً. ومن الممكن ان يكونوا ساخطين او ناقمين. وهذه اوضاع لا يمكن ان يستخدم فيها الناس أو الاشخاص غرائزهم الانسانية العادية. ويمكنك ان تجد بضعة جمل استشهدت فيها

بهذا النوع من الأمور من جماعات او منظمات حقوق الانسان، بيد انني لم أعزف على ذلك الوتر، كما انني لم ابحث ذلك أبداً.

ولأخذ حالة من الحالات، فقد طلبت مني صحيفة «نيويورك ريفيو» مرة بأن أكتب مقالاً عن عوامل الحوادث. وقمت فعلاً بكتابة المقال، إلا انه كان عليّ ان ابيّن بالضبط ثلاثة امور مهمة. وكان السؤال الأكثر خطورة، كما اعتقد، هو كيف ان الناس الذين لا يكونون معرضين لتهديد ما، والذين يكونون مرتاحين، ومتعلمين، واذا لم يعرفوا ماذا يحدث حولهم فإن ذلك عائد الى قرار واعٍ منهم بأن لا يعرفوا ماذا يجري، فكيف ان مثل هؤلاء الناس يمكنهم ان يتسامحوا ويساندوا ويؤيدوا، من خلال حياتهم الهادئة، الأعمال الوحشية، وان يخططوا لها في مكاتبهم. فهذا شر حقيقي بحد ذاته، أسوأ بكثير مما يفعل بواسطة الجنود في ميدان المعركة. وكيف انه يمكن للجنود ان يفعلوا او يقوموا بذلك: فبمعزل عن أوضاع أو حالات القتال او المعركة، والتي هي لن تكون أوضاع مريحة وجميلة مطلقاً وهي في الواقع تشكل تهديداً للحياة، وبمعزل عن ذلك، فانك تتحدث عن شبان صغار، مراهقين، هم في الحقيقة ملقنين من قبل الأجهزة الحكومية ويمكن ان يحولوا الى قتلة. وخذ هذا المثال حول جيش السلفادور. وهو جيش مكون من افراد مكرهين على الخدمة، وليس جيشاً محترفاً. انهم من العناصر المُكرهة او التي اكرهت على التجنيد وهم ينتمون للمناطق الفقيرة. فهم يأخذون الشبان من المناطق الفقيرة، ويعطونهم السلاح، ويدربونهم، ومن ثم يلقنونهم، ويمكنهم بعد ذلك ان يحولوا الى قتلة محترفين. ولقد كانت القوى أو الدول الامبريالية تفعل ذلك على مر القرون الماضية، ونحن أيضاً (الولايات المتحدة) نقوم بذلك ايضاً. اما فيما يتعلق بالتساؤل حول الشر، فاننا لن نذهب بعيداً. فيمكننا النظر الى انفسنا ونسأل انفسنا عن ذلك. وأنت تسأل أو تقول أنها مسألة مؤسسات، وليس افراد. فلا أعتقد ذلك. فالأفراد هم قادرون بالتأكيد على فعل الشر. وليس علينا التطلع بعيداً جداً لنرى ذلك. إلا ان الأفراد هم قادرون على القيام بكافة أنواع الأمور. إذ ان الطبيعة الانسانية لديها الكثير من الوسائل لتحقيق ذاتها، والانسان لديه الكثير من الطاقات والخيارات والعناصر التي تكشف عن نفسها تعتمد الى حد كبير على تركيبات المؤسسات. فإذا ما كان لدينا مؤسسات تسمح بوجود قتلة مصابين بمرض نفسي، فانها ستوجههم

ليصولوا ويجولوا. والطريقة الوحيدة لبقائها ستكون في السماح لتلك العناصر بأن تظهر طبيعتها الخاصة.

واذا ما كانت لدينا مؤسسات تقوم بتشجيع الجشع الانساني على حساب العواطف والالتزامات الانسانية الأخرى، فاننا سنكون عبارة عن مجتمع مرتكز على الجشع، وما يتبع ذلك من امور أخرى. ومجتمع مختلف يمكن ان يكون منظماً بطريقة تكون معها العواطف والمشاعر الانسانية وغيرها من العناصر، مثل التضامن، الدعم، التعاطف، كعناصر مهيمنة. وعندئذ فانه سيكون لديك مظاهر مختلفة من الطبيعة الانسانية والشخصية.

■ سؤال : ما الذي يلهمك ويؤثر فيك من الناحية الفكرية ؟

جواب : هنالك العديد من الناس يمكن ذكرهم. فيمكنني ان اذكر امثلة على ذلك، بيد ان ذلك يعني بأن نعود الى الماضي الشخصي. والشيء الذي يلهمني اكثر هو بالضبط الذي كان يلهم جان جاك روسو، أي ان ما اعنيه هو حسب تعبيره «الهمجيات النصف متعرية»، والناس العاديون الآخرين، الذين يكافحون بشجاعة ووقار من اجل نيل حريتهم واستقلالهم. فهذا امر ملهم اكثر من كتابات الحكم.

■ سؤال : هل تعترف او تقر بالحياة الروحية، وهل يعتبر ذلك عاملاً يؤثر فيك ؟

جواب : هل تعني بالحياة الروحية حياة الفكر والادب والتفكير، أو الحياة الدينية؟ فانه سؤال مختلف.

■ سؤال : اعني به البعد الروحي بالتعابير الدينية. فهل ذلك يشكل عاملاً على اية حال ؟

جــــواب : بالنسبة لي، فانه لا يشكل ذلك. فإنني ابن عصر التنوير. فانا اعتقد بأن العقيدة اللاعقلانية هي ظاهرة خطرة، لذلك فانني احاول تجنب الحياة اللاعقلانية بشكل واعٍ ومدرك. ومن جهة أخرى، فانني اعترف بأنها بالتأكيد ظاهرة رئيسة بالنسبة للناس بوجه عام، ويمكنك ان تفهم لماذا من الممكن ان تكون كذلك. انها لكذلك، فعلى ما يبدو فانها تمنح مؤازرة او مساندة شخصية، بل تتيح ايضاً روابط الاتحاد والتضامن

ووسائل من لجل عناصر تعبير المرء عن شخصيته التي غالباً ما تكون عناصر قيمة. وتفعل ذلك للعديد من الناس. فمن وجهة نظري، فانه لا يوجد هنالك شيئاً خاطئاً مع ذلك. فمن الممكن ان تكون وجهة نظري خاطئة، بالطبع، إلا أن موقفي هو اننا لا يجب علينا الاستسلام للعقيدة الغير عقلانية.

■ **سؤال : هل تستمد اي قوة من التقليد اليهودي ؟**

جواب: إنني جزء منه تماماً وبوضوح. وقد نشأت وترعرعت فيه بعمق وما زلت اشعر بذلك، بيد انه من الصعب عليّ القول فيما اذا كان مصدر القوة مستمد منه. ولا يمكنني تعريف اية طريقة او وسيلة يكون ذلك فيها صحيحاً.

■ **سؤال : من هم بعض الاناس الذين تعجب بهم اليوم وتتعلم منهم ايضا ؟**

جـواب : يوجد هنالك الكثير من الناس. ولا يمكنني القول. ولناخذ، على سبيل المثال، صديقي روبين زامورا، الذي لديه الآن شجاعة فائقة للتعبير عن رغبته لكشف الدولة الارهابية التي انشأتها الولايات المتحدة في السلفادور، وهو في الوقت ذاته يواجه احتمالية قوية لاغتياله ومحاولة استغلال بعض الانفتاح السياسي لالتزامه بشكل مبدئي بالحزب الديمقراطي المسيحي اليساري. ولقد وجدت ذلك امراً ملهماً تماماً، وبوسعي ايضا ايراد أمثلة عديدة اخرى. وأعرف بأنه ليس ذلك السؤال الذي سألته، وقد تجنبت ذلك عمداً، واعرف بأنه يوجد هنالك اناس قالوا اشياء عنيفة او قاسية، فليس من الصعب قول مثل هذه الاشياء.

■ **سؤال : إنك تعتبر شخصية متحدثة كبيرة وعامة. ولقد تجولت معك خلال الاسبوع الاخير من عام ١٩٨٨، في كل من كولورادو وكاليفورنيا، وفي كل مكان ذهبت اليه، فانك كنت تلقى ترحيباً واحتراماً من قبل المستمعين الذين كانوا يحتفون بك. فإلى اي شيء تعزو ذلك ؟**

جـــواب : كما تعلم ومن خلال سماعي اتحدث، فانني لست بمتحدث ساحر بشكل خاص، واذا ما كان لدي طاقة على فعل ذلك فإنني لن استغلها. فانا في الحقيقة لا اهتم

في اثارة وحث الناس. فـلا أريد ذلك وأحـاول أن تكون هذه النقطة واضـحـة بالنسـبة للجميع. وما أود ان أقوم به هو مساعدة الناس لإقناع انفسهم. فأقول لهم ما أعتقد به، وأمل بشكل واضح بأنهم سيقنعون انفسهم بأن ذلك هو صـحيح، بل فضـلاً على ذلك اجعلهم يقنعون انفسهم بصحة ما يقتنعون. وأعتقد بأنه يوجد هناك مقداراً كبيراً من التوقعات التحليلية، ومن المعلومات الصحيحة، التي لم يتعد عليها الناس. إذ ان الشيء الوحيد الذي أود أن اكون قادراً عليه للمساهمة به هو ذلك الأمر. وأعتقد بأن الكثير من المشاهدين يعترفون بذلك. واعتقد أيضـا بأن السبب في ان الناس يحضـرون لأنهم يريدون سمـاع ذلك. وهناك الكثير من الناس في ارجاء البلاد، ومن كافة الأنواع أو الفئات، الذين يشعرون بأنهم ببساطة لا يصلون الى مقدار كبير من المعلومات، التحليلات، التفسيرات البغيضة او السيئة، التي تتعلق بفهم العالم الخارجي، واعتقد بأنها ردة فعل صحية لمحاولة كسب مثل هذا النجاح.

■ **سؤال : لقد لاحظت ان نعوم تشومسكي مختلف جداً عندما تكون تتحدث عن علم وفقه اللغة والفلسفة. فتكون اكثر استرخاءً، ومتمتعاً بروح الدعابة . وبوضوح ، فعندما تكون متحدثاً عن المسائل السياسية والاجتماعية، فإن المؤثرات تكون بادية عليك . فما هو تعليقك على ذلك ؟**

جـواب : لا يمكنك التحدث عن المعاناة الضخمة التي يعاني منها الناس دون ان يكون لديك مقداراً كبيراً من العاطفة، سواء المنضبطة منها او المعبر عنها فعلياً. وانني أحاول أن ابقي ذلك تحت السيطرة.

■ **سؤال : لديك موقعاً او مركزاً فريداً في الحياة الفكرية للبلاد اليوم، سواء رغبت بذلك ام لا. وانت تعتبر «مخزناً حياً» للعديد من الناس، والمنظمات، والمكتبات، ومحطات الاذاعة. والجماهير تعتمد عليك من اجل الحصول على المعلومات والتحليلات. فانت تعتبر نوعاً من «المحور الفكري». فهل هذا يشكل عبئاً عليك ؟**

جواب : أول كل شيء، دعني اقول ذلك الى المدى الذي يكون صحيحاً، لانه ليس تعليقاً خاصاً يتعلق بي. وانما هو تعليق يتعلق بطبقة او فئة المفكرين بوجه عام. التي هجرت

وتخلت تماماً عن هذه المسؤولية للاستعلام أو للعلومات الصادقة، وفقدت بعض درجات الخدمة العامة لصالح السلطة والامتياز، واصبحت تابعة لقوى خارجية. وهذا صحيح الى مدى بعيد. ولوضع ذلك في نطاقه الصحيح، فانه لا يتوفر هنالك متحدثين كافين. فاذا ما ارادت جماعة في مكان ما من البلاد متحدثاً حول موضوع كذا وكذا، فإن فئة قليلة جداً من المفكرين يمكنهم ان يذهبوا الى ذلك المكان. والأشخاص القلائل الذين يجيئون تكون لديهم مطالب خارقة. فذلك هو التعليق بشأن الفئات الفكرية، بما فيها الفئات اليسارية، التي لا تتيح أو توفر مثل هذا النوع من الخدمات للجماهير العامة، او اذا ما حدث ذلك فانه يكون في نطاق محدود جداً. فكل جماعة او منظمة في اي مكان بالبلاد تحاول الحصول على مفكرين متحدثين تدرك هذه الحقيقة فهل هذا عبء؟ نعم انه عبء ونوع من الامتياز على حد سواء. انه عبء في المعنى انه يوجد هناك اربعة وعشرون ساعة في اليوم وبإمكانك ان تفعل الكثير من الأمور، لذلك فانه يكون عبئاً بشكل واضح، بيد انه امر واحد بالتاكيد سوف اختاره واختاره دوماً.

■ **سؤال : لجابة على الاسئلة فيما يتعلق بنتاجك او اعمالك الانتاجية الهائلة، وانت تقول بانك شخص «متعصب». فهل تحب اطلاق ذلك على نفسك ؟**

جواب : انني لا احب ذلك ولا اكرهه على حد سواء، بيد انني اعترف به. وهو يتطلب درجة من التعصب حتى تكون قادراً على خرق صوت الطبل المستمر للايديولوجية وجهاز التلقين (الاعلام)، وحتى تحصل على المعلومات المتعلقة وذات الصلة وتنظمها. وحتى ذلك الالتزام المحدود فانه يتطلب درجة من التعصب، والسعي وراء ذلك، والسفر المستمر، والتحدث والقاء المحاضرات، الخ. وبالتاكيد، فذلك شكل اخر من التعصب.

■ **سؤال : اين ترى او تجد نفسك وعملك ؟**

جواب : في هذه النطاقات، وبقدر ما انا مدرك ذلك، فانا اعرف ما احاول ان اقوم به. ويمكن للآخرين ان يحكموا او يقيموا كم هو عملي متقن، او الى اي مدى هو متقن. وما احاول ان افعله هو ببساطة يتيح نوعاً من الخدمة للحركات او المنظمات المنشقة الشعبية، وبالنسبة للافراد المتفرقين ايضا. ذلك ان اي شخص لديه المصادر، الامتياز، التدريب، الخ. يجب ان يؤدي دوره، ولا شيء اكثر من ذلك.

التخطيط الاقتصادي للدولة

كانون اول، ١٩٨٩، مقابلة اجريت في الاذاعة.

ديفيد بارساميان : اود ان اسالك بضعة اسئلة ومن ثم افتح الخط مع مستمعينا، ان الاقتصاد الاميركي في فترة ما بعد الحرب بُني على ما اطلقت عليه وبشكل لختياري «بنظام البنتاغون» او «بالنظام العسكري» وذلك يعني، مساعدة الدولة في نشوء صناعة تكنولوجية عالية. وفي ضوء التقارب الاميركي - الروسي، فما هي الخطوات، اذا ما كانت هنالك خطوات، التي ترى ان على الدولة والمديرين المتحدين للاقتصاد في الولايات المتحدة ان يتخذوه للحفاظ على سلطتهم وامتيازاتهم ؟

نعوم تشومسكي : أعتقد بأنهم معنيون ومهتمون بذلك. وبإمكانك أن تقرأ في صحيفة «وول ستريت جورنال»، على سبيل المثال، مقالات تحمل عناوين مثل «اوهام السلام، شبح مقلق للمحللين الاميركيين». وهذا صحيح فعلاً. وكان هذا أسلوب رئيس للادارة الصناعية للدولة منذ عام ١٩٥٠، وهو الأسلوب الذي تجبر بواسطته السياسة الحكومية القطاع العام للمساهمة والمساعدة في أعمال البحث والتطوير من اجل قيام صناعة تكنولوجية عالية. بل وايضاً، وعلاوة على ذلك، فان ذلك شمل شركات الأدوية وغيرها. ولا يوجد هناك بديل واضح متوفر. ولفترة ما، فقد أصبح هناك نوعاً من الإنفاق العسكري المضطرد. وبصورة فعلية، فإن الموازنة العسكرية لهذا العام تعتبر من اكبر الموازنات حتى الآن. ومن المفترض ان يستمر ذلك باضطراد لفترة من الزمن. وبالنسبة للمستقبل المرئي. فهناك حديث حول حدوث تخفيضات، ولكن اذا ما تمعنت في ذلك، فانها ليست تخفيضات في الحقيقة، انها فحسب عدم التوسع في المشاريع. وحتى تلك التعديلات التي أُجريت فإنها سارت بصورة عامة لتمس الإنفاقات، حيث انها ستخفض مستوى القوة، على سبيل المثال، في حين تبقي على مستوى المشتروات بنفس الدرجة.

ولذلك ولفترة ما، على الأقل، فإن الخطط تجري للإبقاء على تلك الاجزاء من النظام او الجهاز العسكري التي لها تأثير في تغذية صناعة عسكرية متقدمة. إلا انه نشأت هناك مشاكل خطيرة جداً. فادارة الرئيس ريغان، التي دفعت بهذا التدخل للدولة في الاقتصاد قدماً حتى الى ما وراء المعدل. ومع ذلك فقد بدأ البنتاغون في السنة الماضية بتنظيم قواعد متناغمة.

وبالأمس جرى سماع شهادات أمام الكونغرس أدلى بها وزير الدفاع السابق مكنمارا وآخرون، ودعوا فيها الى تخفيضات رئيسية في الانفاق العسكري. واقترح مكنمارا أن يكون ذلك بحدود خمسين بالمائة، حاثاً بشدة على القيام بذلك، وعلى أسس وقواعد عسكرية غير مشكوك فيها، وما أطلق عليه حتى بالأسلوب المحافظ العالي. ولكن بقدر ما بوسعي أن أدركه من اوراق العمل التي قدمها، فإنه لم يعالج هذه المشاكل، التي تعتبر مشاكل مركزية أو هامة.

■ **سؤال: لقد قلت بانه إذا ما كان هنالك تحرك تجاه التحول، ذلك انه، ليجري التحول عن نظام البنتاغون، فذلك سيسير باتجاه شيء ما يشبه الثورة الاجتماعية، فما هو تعليقك ؟**

جواب : انه لمن الصعب فهم كيف يمكن ان يُفعل أو ينجز ذلك. ومن الصحيح ان دول صناعية ديمقراطية (غربية) اخرى فعلت ذلك. فألمانيا واليابان، على سبيل المثال، لديهما أقل نسبة او نسبة منخفضة جداً للانفاقات العسكرية، واستنبطتا طرق ووسائل اخرى من اجل تنسيق ومساعدة او مساهمة حكومية للنظام أو القطاع الصناعي.

■ **سؤال : إن وزارة التجارة والصناعة الدولية، في اليابان، مثلاً، تعتبر الأداة أو جهاز الدولة الذي ينظم الاقتصاد . فما هو رأيك بذلك ؟**

جواب : نعم. ففي اليابان، تقوم وزارة التجارة والصناعة بدور كوكالة منسقة. إذ ان الاقتصاد الياباني هو مختلف جداً في تركيبه حيث يوجد مؤسسات مالية وصناعية كبيرة مختلطة، ومن خلال التنسيق مع وزارة التجارة والصناعة الدولية، فانها تقوم بوضع الخطط والتخطيط وتوزيع الاستثمارات، الخ، للفترات القادمة او المستقبلية. وذلك يعطي أو يقدم مستوى عالٍ تماماً من التخطيط. فالثقافة مختلفة تماماً هناك

والسكان هم قابلون أو راغبون بالتعليم تماماً، وهم يؤدون بشكل اساسي ما يطلب منهم تماماً. انها تعني الاستقامة بالنسبة للحكومة اليابانية وللصناعة. ومن البساطة ان نقول، انظروا، فهنا يكمن مستوى الاستهلاك للسنة القادمة وهنا تكمن الاسعار. ولا اعتقد بانه من الممكن ان نشاهد هذا في الولايات المتحدة. فالسكان او المواطنون هنا مستقلون او بعيدون جداً عن ذلك.

■ **سؤال : هل لاحظت اي عداء او اثار للعرقية او التمييز تجاه اليابان ؟ فلقد لاحظت انا ذلك ولهذا ساسالك. ويمكنك ان ترى ذلك عبر افلام الكرتون والمقالات الصحفية وافلام هوليوود الجديد مثل فيلم «المطر الاسود» . وهناك ايضاً تعليقات مثل: العمل الياباني قاسٍ جداً، انهم يقتصدون ويوفرون كثيراً جداً، ولديهم ممارسات وتعاملات تجارية غير جيدة او لطيفة، الخ . فما هو تعليقك ؟**

جواب : بالطبع هنالك الكثير من ذلك. وهناك الكثير من القلق تجاهه. وانه صحيح أن مستوى توفيرهم هو عالٍ جداً. بل إن خاصية وجودة بضائعهم وانتاجهم اكثر جودة ودقة. وانهم يشترون وبكثافة كثيرة الشركات في القطاعات الاقتصادية المركزية الاميركية في الوقت الحاضر. وهناك لأول مرة استثمارات يابانية كبيرة في الولايات المتحدة وخاصة في الصناعة والتكنولوجيا العالية، والتي هي اخر الأشياء التي لا تزال تتفاعل هنا، وبشكل رئيس من خلال تسهيلات البنتاغون. والأمر الاكثر اهمية هو شرائهم لشركة كولومبيا السينمائية ولمركز روكفلر، بل إن اختيارهم للقطاعات الرئيسية للصناعات التكنولوجية العالية لهو امر في غاية الاهمية على المدى الطويل. فعما قريب سيكون اليابانيون في وضع يقيد الانفاقات العسكرية الاميركية، اذ انهم سيسيطرون على قطاع كبير متقدم من التكنولوجيا المتطلبة في الصناعات العسكرية العالية، وقد بدأ بعض اليابانيين بتهديد هذا القطاع أو اختراقه فعلاً.

■ **سؤال : هل من وجهة نظرك ان وسائل الاعلام تلعب دورها التقليدي في حجب الحقيقة عن الجمهور الاميركي، وفي هذه الحالة فانه في الواقع سيتاكل نظام البنتاغون الاقتصادي بشكل خطير في الولايات المتحدة وستتاكل مقدرة هذه البلاد على انتاج صناعات استهلاكية ؟**

جـواب : هذا بالتاكيد لم يكن موضوعاً كبيراً بحد ذاته. واشك بانك قد قرات مقالاً ما حول ذلك. انها قصة مختلطة. فبدون نظام البنتاغون لكنا بحاجة الى نظام اخر لادارة الصناعات الحكومية. وحقيقة ان هناك مسالة الحديث الكثير حول الراسمالية والمؤسسات والاسواق الحرة، فلا أحد من المنخرطين فعلياً في عالم العمل يؤمن بكلمة واحدة من ذلك. فلولا مساهمة الحكومة الفعالة في القطاع الاقتصادي الخاص ومساعدته لما نجحت هذه القطاعات الصناعية. ورجال الاعمال الذين يلقون الخطب العاطفية حول التجارة الحرة يتحتم عليهم الذهاب لواشنطن للتاكد ولضمان تدفق المساعدات الحكومية لهم. فالسؤال هنا ما هو النظام البديل الذي يمكن ان ينشأ.

■ **سؤال : هل لديك شيء ما بمخيلتك بهذا الصدد ؟**

جـواب : ان ما أفكر به هو انه يجب ان تكون هناك ثورة اجتماعية. ويبدو لي بأن هذه القرارات يجب ان لا تتخذ من قبل رجال الاعمال الذين سيدعون الحكومة للمشاركة فيها. إذ يجب ان تكون هذه قرارات شعبية. كما يجب ان تبدأ من قاعدة المجتمع، وهذا سيعني قيام اشراف اجتماعي على الاستثمارات. فهذه هي الثورة الاجتماعية.

■ **سؤال : وهذا يقود الى سؤالي التالي وهو: هل تعتقد بان نشوء الديمقراطية الشعبية في اوروبا الشرقية يمكن ان تعتبر مصدر خوف وذعر لبعض النخب الاميركية ؟ وماذا لو امتد ذلك الى هذه البلاد ؟**

جـواب : كما تلاحظ فانها قد امتدت في كافة الاتجاهات ولأسباب مختلفة في تلك البلدان. ولشيء واحد، فانه غالباً ما تكون الحركات الشعبية مخيفة دوماً، وخاصة عندما يطيحون ببعض الأعداء، بسبب انتشار وامتداد تاثيرها. وانه ليس بالشيء الذي يجب ان يحدث هنا. لانه سيؤدي الى تلك «الأزمات الديمقراطية» التي تخشاها هذه النخب (نخب الحكم والسلطة) دوماً. وهناك تاثير معد محتمل لذلك. وايضا، ففيما يتعلق بالتغييرات التي حدثت في اوروبا، فإن النخب الاميركية كانت قلقة تماماً بشانها. فقد تحركت اوروبا الغربية تجاه تنسيق وتكامل اكبر، كما اتجهت نحو استقالية اكبر، وبدأت تتطلع نحو وضع هو شبيه في تاثيره بالعلاقات الامبريالية مع دول اوروبا الشرقية. ومن المحتمل ان اليابان لديها نفس الفكرة فيما يتعلق باستغلال سيبيريا.

فهذا النوع من التكامل الاقتصادي الاوروبي الآسيوي، مع جزء واسع من دول الكتلة السوفيتية سابقاً، قد أصبح الأمر معه كنوع من دول العالم الثالث ليستغل من قبل كل من اوروبا واليابان. مما سيحول الولايات المتحدة للعب دور اقل شأناً على الساحة الدولية. ولا بد أن الولايات المتحدة قلقة جداً ومهتمة للتأكد من الإبقاء على نظام الاحلاف، حلف وارسو وحلف الأطلسي. فوظيفة حلف الأطلسي هو فرض النفوذ الاميركي على اوروبا مع درجة من السيطرة، وفي الحقيقة، فإن المواجهة تجعل أوروبا تعتمد الى مدى ما على الولايات المتحدة. كماحاولت الولايات المتحدة ان تعيق تجارة اوروبا الشرقية لتعزلها بهذه الطريقة. وبوجه عام، فانه يوجد هناك مقداراً كبيراً من النزاع يتكون ويتشكل، مع اوروبا.

■ سؤال : يبدو بان هناك الكثير من التعزيز لنظام البنتاغون داخل الولايات المتحدة بسبب توقــع ما من «امبراطورية الشر» او مـن عدو مـا : فالروس قـادمـون ، والارهابيـون قـادمـون ، الليبيـيون ، النيكاراغويون، كما يوجد حالياً اسياد المخدرات. واصبح كل ذلك عنصراً عدواً يوقد هذا النظام ؟

جـواب : أعتقد بأن الأمر سيكون صعباً جداً مع التهديد الروسي الذي يتضاءل شيئاً فشيئاً. وكان هناك دوماً مقداراً كبيراً من المبالغة والإيمان بشأن التهديد الروسي، بيد انه يوجد هناك على الاقل بعض الاسباب التي تكمن وراء ذلك. فهناك. على أية حال، كانت توجد امبراطورية الشر. ولم يكن ذلك امراً مزيفاً. فقد كانت متوحشة ولديها صواريخ، وقد قامت بأشياء فظيعة. وكان لذلك تأثيراً او علاقة ضئيلة لأي تهديدات مزعومة ضدنا، بيد ان ذلك كان حقيقياً جداً.

وكانت هناك محاولة في الثمانينات لمحاولة ايجاد بدائل: ارهاب دولي، وعناصر عربية تجوب العالم من اجل قتلنا. ولا تنسى بأنه كانت هناك درجة من النجاح في ذلك، بشكل كافٍ تقريباً لقتل صناعة السياحة في اوروبا عام ١٩٨٦، لأن الاميركيين كانوا يخشون الذهاب الى اوروبا بسبب وجود ليبيين هناك. وحتى مؤخراً، فانه كان هناك جهداً لخلق نوع من الهستيريا من جراء حرب المخدرات التي افترض بأنها حلت محل امبراطورية الشر (الاتحاد السوفياتي سابقاً). إلا ان هذه الأمور تعتبر قصيرة المدى.

ويمكن ان تعمل وتنشط لفترة ما، بيد انه من الصعب ان تستمر او تبقى لمدة طويلة. ولا اعتقد بانه سيكون من السهل جداً ايجاد عدو «موثوق». وربما سيكون اليابانيون ذلك العدو.

■ **سؤال : كتب جويل برينكلي في صحيفة نيويورك تايمز مقالاً مطولاً حول الانتفاضة الفلسطينية، وقد استعرض نشاطها على مدى اربعة وعشرين شهراً، وقال بان العديد من الفلسطينيين بدا نشاطهم يفتر ويتضاءل. وسؤالي هو، ما هي انواع الاجراءات التي اتخذتها السلطات العسكرية والتي ساهمت في التقليل من النشاط الفلسطيني ؟**

جواب : هناك، في المقام الاول، زيادة في العنف. والاسرائيليون يطلقون الرصاص بكثافة على السكان. وازدادت نسبة الاصابات. كما ازداد قتل الاطفال. والتقييدات التي كانت مفروضة على استخدام الذخيرة الحية قد قلصت. بيد ان تلك كانت ادنى الاسباب. فالذي قام به الاسرائيليون فعلاً هو امتدادهم وانتشارهم على الاراضي المحتلة، واعتقد بان ذلك اعظم سيطرة للنظام الديكتاتوري. واسوأ شيء يحدث الآن هو القيام باعمال اعتباطية. فهناك ما يطلق عليه، على سبيل المثال، «بالترحيل الخفي». فخلال اشهر قليلة تم ابعاد مئات من السكان، غالبيتهم من النساء والاطفال، وبالقوة عن قراهم، ابعدوا عبر النهر الى الاردن. فقد اتت القوات الاسرائيلية بعد منتصف الليل بطائرات الهليوكبتر الى القرية، مستخدمة عملائها المتعاونين معها، واتجهت الى بيوت محددة في القرية، وايقظت العائلات بمكبرات الصوت، ودعت كافة الرجال بان يتجهوا الى ساحة القرية. ومن ثم دخلت قوات الاحتلال البيوت، واخبرت النساء بان لديهن فقط خمسة دقائق لحزم امتعتهن واخذ اطفالهن معهن، ومن ثم اخذ سيارات اجرة على حسابهن والاتجاه نحو جسر نهر الاردن، حيث سيعبرن الجسر من هناك وعلى حسابهن. واذا لم يقمن بذلك، فان قوات الاحتلال على استعداد لان تفعل ذلك. وتقول لهن بانهم سيلقون بالاطفال في سيارات اجرة ويرسلوهم عبر الجسر. وعندما يعود الرجال الى بيوتهم يجدون بان عائلاتهم قد غادرت وذهبت. فمثل هذه الامور تتكرر باستمرار سواء بشكل فردي ام جماعي ويتم ذلك سواء بطرق مذلة او بواسطة عقوبات اعتباطية وذلك من اجل السيطرة على كل منحى من مناحي الحياة هناك.

ولقد احيوا مؤخراً، على سبيل المثال، روابط القرى القديمة. وكانت هذه محاولة جرت في عام ١٩٨٢ من اجل السيطرة على السكان من خلال شبكات المتعاونين الفاسدين فيما دعي بروابط القرى. فمعظم السكان المحليين ضبطوا بواسطة المتعاونين المحليين، بطريقة مشابهة لما كانت تقوم به حكومة جنوب افريقيا العنصرية تجاه السكان السود، ووضعهم في غيتو خاص بهم. وفي الحقيقة، فإنها نفس الطريقة التي كان يستخدمها النازيون في غيتو وارسو لليهود. إلا ان روابط القرى لم تستطع ان تستمر في ذلك الوقت، بيد انهم يحاولون الآن إحياءها. وهذا سيعني بأن عدد من المسؤولين الفاسدين من المتعاونين مع الاسرائيليين سيسيطرون على كل نواحي الحياة. فإذا ما أردت رخصة قيادة سيارة، او اذا ما اردت ان تقطع الشارع، او اذا ما اردت ان تتزوج، فان عليك ان تدفع لهؤلاء. وتماماً، فانه توجد هناك شبكة من الضوابط المشددة، ومضايقات اعتباطية، وإذلال يومي، وعقوبات شديدة، واعمال ضرب وأذى، انها شبكة كاملة من اعمال العنف والوحشية لجعل السكان يفهمون من ان الحياة تسير لتكون غير قابلة للتحمل او الحياة تماماً، ما لم يستسلمون تماماً للسلطات الاسرائيلية. وحتى لا يمكنهم ان يعبروا عن مشاعرهم، وحتى ان لا يرفعوا رؤوسهم.

■ سؤال : لقد غطيت بعضاً من هذه الأمور في مقال كتبته عام ١٩٩٠ تحت عنوان «فن المراوغة: دبلوماسية الشرق الأوسط». وكنت اتساءل فيما اذا كان بإمكانك ان تتحدث حول حملة مقاومة الضرائب الغير عنيفة والتي جرت في بلدة بيت ساحور بالضفة الغربية، وخصوصاً تعليقك الذي اخبرتني به قبل فترة وجيزة من ان خطوة السلام الاميركي قد فشلت حقاً في هذه الناحية ؟

جواب : لقد كانت حملة احتجاج غير عنيفة تماما في هذه البلدة «المسيحية» في الضفة الغربية. وكان الاحتجاج بسبب الضرائب، ورفض دفعها. وهو يعتبر عملاً مشروعاً. فالضرائب لن تستخدم من اجل منفعة السكان. انه نوع من الابتزاز، في الحقيقة، وسيستخدم المال من اجل عملية سجن السكان وبشكل فعال فحسب. لذلك فقد رفضوا دفع تلك الضرائب. فاعلن وزير الدفاع الاسرائيلي انذاك، اسحق رابين، وبوضوح تماماً بأنهم، اي القوات الاسرائيلية، ستقوم بفرض عقاب شديد من اجل ذلك. فوضعت البلدة

تحت نظام منع التجول. وحدثت اعتقالات اعتباطية وعشوائية واعمال ضرب وأذى. وانتهى الأمر بمصادرة معظم الأملاك في البلدة، أو سرقة معظمها. إلا أن كل ذلك ووجه بثبات تام من السكان وصمود.

وللعودة للنقطة التي أثرتها: فلا توجد هناك حركة غير عنيفة في الولايات المتحدة تحض الشعب على القيام بمقاومة غير عنيفة. والناس الذين يتحدثون عن مقاومة غير عنيفة يمكن ان يؤخذوا على نحو جاد. ومدافعين اكثر جدية عن عدم العنف، اذا لم يفعلوا ذلك بالكلام فقط وانما بالفعل حقيقة، ويساهمون كأفضل ما يمكن في دعم المقاومة المستمرة الغير عنيفة. بيد ان أنشطة المقاومة غير العنيفة لا يمكن ان تنجح ضد عدو قادر على استخدام العنف بحرية. وهذا واضح جداً. فلا يمكنك القيام بمقاومة غير عنيفة ضد النازيين في معسكر للاعتقال مثلاً.

ويمكن للمقاومة الغير عنيفة أن تنجح اذا ما كان هنالك تآكل لقدرة الاضطهاد أو القمع، وذلك يعني الاشتراك ضمن معسكر المضطهد. ونحن جميعاً منخرطون مباشرة في هذا. إذ أن الولايات المتحدة تمول ذلك، وتدفع من اجله، وتشجعه. ولم تكن هناك ردة فعل لاحظتها هنا، ولا ايضاً ردة فعل واضحة لدعم هذه الأنشطة الغير عنيفة للمقاومة. وكان هذا قائماً لعدة سنوات طويلة قبل قيام الانتفاضة حيث كانت هناك أحداث وجهود مقاومة غير عنيفة في الضفة الغربية، والتي قمعت بالقوة بسهولة. ومنها على سبيل المثال، الاضرابات التجارية، او اضراب التجار واصحاب المحلات التجارية. فعندما كان التجار في الضفة الغربية يضربون احتجاجاً على الاحتلال، تأتي قوات الجيش الاسرائيلي وتقوم بلحم اقفال محالهم، أو كسرها وإجبارهم على فتح محالهم، أو اعتقالهم. وبشكل طبيعي، فهذا يتجاوز القيام بأي عمل غير عنيف للمقاومة. وحيث انه لم يكن أو يصدر هنا أية ردة فعل على ذلك، وبالطبع فلم تكن هناك اية ردة فعل في اسرائيل ذاتها، لذلك فالقمع يمكن ان يستمر. وهذا يبين لنا بأن دعوة الشعب للإبقاء على الوسائل الغير عنيفة لن تؤخذ على محمل الجد. وربما يكون أمراً صحيحاً لفعل ذلك أو ربما لن يكون أمراً صحيحاً للقيام به، بيد انه لا يمكنك ان تأخذ اولئك الناس الذين يدعون الآخرين للقيام بمقاومة غير عنيفة، على محمل الجد، بل انهم، اولئك الناس، لا يشاركون في مساعدتهم عندما يقومون بذلك.

■ سؤال : لقد اشرت في مقالك المذكور بان خطة بيكر ما هي إلا خطة شامير ذاتها، فما هو تعليقك ؟

جــــواب : إن خطة بيكر هي بالفعل خطة شامير - بيريز، ولان كلا الشخصين او الفريقين هما متواجدان في اسرائيل، على عكس ما يقال هنا، فهما في وفاق تام بهذا الصدد. ولا يوجد هناك أي فرق بينهما بصورة أساسية.

■ سؤال: هل هناك اي مكان لممثلين فلسطينيين ضمن هذه الصيغة ؟

جــواب : لا، وهنالك اختلاف تماماً بشأنهم. وبقدر ما انا مدرك لذلك، فان بنود خطة بيكر - شامير - بيريز لم يعلن عنها هنا مطلقا، كما نه لم يعلن عنها في اي مكان آخر، وهذا امر مثير للدهشة، اذ ان هذا الامر يخص الحكومة الاميركية مباشرة كما يخص وسائل الاعلام الاميركية ايضا. لا سيما وانها الخطة الوحيدة المطروحة في الوقت الراهن، وهم (الاسرائيليون) الذين يطبلون بها امامنا، ولم يبلغونا بفحواها بعد. وقد بدأت خطة بيكر - شامير - بيريز بما اطلق عليه بفرضياتها الأساسية الثلاث: الفرضية الأولى، هو انه لا يمكن «ان تكون هناك دولة فلسطينية تقع بين كل من اسرائيل والاردن. كما انه لن يكون هناك حق تقرير المصير للفلسطينيين. فهم قد حصلوا عليه حالياً. ولن يكون هناك تقرير مصير آخر.

والفرضية الثانية هي انه لا يمكن ان تكون هناك مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية، وما توافق عليه اسرائيل هو التفاوض مع ممثلين فلسطينيين من المناطق المحتلة. ولقد اوضح السبب لعدم اجراء مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية. فاسحق شامير صرح في الكنيست بأنه كان يرغب في التحدث مع الشيطان على ان يجري مفاوضات مع منظمة التحرير. والسبب ان منظمة التحرير تعتبر «منظمة ارهابية»، على حد تعبيره. ومضى يقول، «ولكن اذا ما تحدثنا الى منظمة التحرير، فاننا سنتحدث عن دولة فلسطينية، وهذا امر لن نقبله ابداً». وهكذا فان النقطة الثانية في هذه الفرضيات الثلاث، هي عدم قبول اجراء مفاوضات مع ممثلين سياسيين للفلسطينيين، والسبب في ذلك يكمن بأنه لن يكون هناك انخراطاً بمسألة الدولة الفلسطينية.

والفرضية الثالثة هي انه لن يكون هناك تغيير في وضع قطاع غزة، ويهودا

والسامرة»، أو الأراضي المحتلة، باستثناء ما ينسجم مع الخطوط الرئيسة للحكومة الاسرائيلية، وتلك الخطوط الرئيسة تستثني امكانية حق تقرير المصير الفلسطيني. فتلك هي الفرضيات الثلاث للحكومة الاسرائيلية.

ومع مثل هذه الشروطات، فان الخطة لا تبدو على انها جادة في هدفها، بل ان الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة في العالم التي ساندتها ودعمتها. حتى ان صحيفة «التايمز» نفسها قد أشارت الى انه لا توجد أية دولة سوى الولايات المتحدة قد وافقت على هذه الخطة. بيد انه في هذه الناحية يجب عليّ القول انه من مصلحة وسائل اعلامنا ممارسة التحيز الفكري. ولنلخذ صحيفة نيويورك تايمز، مثلاً، فانها لم تشر الى بنود الخطة مطلقاً. فقد قالت فقط انظروا، فهذه هي الخطة الوحيدة فقط موجودة هناك، ولا يوجد بديل غيرها مطروح. كما أشارت بوضوح الى انه لم تؤيد هذه الخطة من دول العالم سوى الولايات المتحدة، إلا أن الصحيفة ذاتها كتبت مقالاً فيما بعد بعنوان «السوفييت يحاولون ان يصبحوا طرفاً لاعباً في الشرق الأوسط». انهم يحاولون لأن يصبحوا طرفاً لاعباً في الشرق الأوسط فما يعني هذا؟ انه قد تحول من دعمه للمواقف الراديكالية وسياسة المواجهة مع الولايات المتحدة، وانه (الاتحاد السوفياتي) الآن يريد الانضمام للولايات المتحدة من اجل هذا الغرض. ذلك انه حتى يصبح فريقاً لاعباً هناك فإن هذا يعني الانضمام مع الولايات المتحدة لتحقيق تأييد دولي بهذا الصدد.

فماذا كانت تلك المواقف الراديكالية التي كان الاتحاد السوفياتي ينتهجها سابقاً؟ فقد كان يدافع عن وجود دولتين، اسرائيلية وفلسطينية، كغيره من الدول الأخرى في العالم. ولا يمكنك تصور ماذا سيجول في أفكار الناس الذين يمكنهم ان يكتبوا حول ذلك الامر. فهم سيقولون من ان الولايات المتحدة ستعزل تماماً في حين يحاول الروس ان يصبحوا فريقاً لاعباً بانضمامهم لنا. وبمعنى اخر فإذا لم يكن العالم بصفنا، فان العالم على خطأ تماماً، وحتى لو كان العالم برمته على الجانب الآخر.

■ **سؤال : كما تشير غالباً، فان عملية السلام ستسير وفقاً لما تقترحه الولايات المتحدة، فكيف ذلك ؟**

جواب : تلك هي الطريقة التي تعمل بموجبها، الا انه لا بد لي من القول انه ضرب من الغرابة لنرى مستويات مفرطة من الخداع الذاتي والتضليل يصل الى مجتمع ايدولوجي عالٍ كمجتمعنا. بحيث ان الجماهير يمكنها ان تقرأ عنواناً مفاده ان «الاتحاد السوفياتي يحاول ان يصبح طرفاً لاعباً في الشرق الأوسط، لينضم الينا في معارضة بقية أرجاء العالم، وان لا يتملكها الضحك من جراء ذلك.

■ سؤال : دعنا نتحدث عن اميركا الوسطى. لقد اصدر رؤساء جمهوريات اميركا الوسطى اعلاناً في مؤتمرهم الذي عقد في كوستاريكا في شهر كانون اول ١٩٨٩، عبروا فيه عن «دعمهم الحاسم للرئيس السلفادوري الفريدو كريستياني ولحكومته كإظهار مخلص لسياستهم الثابتة في دعم الحكومات الناجمة عن عمليات الديمقراطية والتعددية والمشاركة السياسية. وقد طالبوا بقوة بان ينبذ ثوار نيكاراغوا علناً كافة انواع واعمال العنف التي تؤثر بصورة مباشرة وغير مباشرة على السكان المدنيين. وانني مهتم لان اعرف لماذا وقع دانييل اورتيغا مثل هذا الاتفاق ؟

جواب : ان ظهره مسنود الى الحائط فهم يحاولون بيأس بأن يضموا الولايات المتحدة لاتفاقهم المبكر من اجل تشتيت او تفكيك ثوار الكونترا، وهم مستعدون لان يوقعوا على اي شيء على ما يبدو. فهذا انتصار عظيم للولايات المتحدة، للتوقيع على تلك المعاهدة. وان التضمين الوحيد الذي ذكر في الاتفاق هو انه ينبغي على الولايات المتحدة ان توقف فوراً أي تمويل لثوار الكونترا، ويجب ان ترسل الاموال عبر الامم المتحدة، بيد انه بالطبع ان كل واحد يفهم ان الولايات المتحدة ستستخف بذلك، لأنها لا تلتزم بأية قوانين او معاهدات دولية. لذلك فان هذا الاتفاق الموقع لا يعني شيئاً تماماً. فلقد اعلنت واشنطن للتو بأنه لا معنى او اهمية له. لذلك فانه يمكننا ان نضع ذلك جانباً.

ومع ذلك، فان السبب في ان الولايات المتحدة قد نالت نصراً كبيراً من جراء ذلك لعدة سنوات لأنها كانت تحاول عمل مقارنة ما بين ثوار السلفادور وثوار الكونترا. وانها لمقارنة سخيفة ومضحكة. فثوار السلفادور هم قوة من الثوار المحليين تتألف بشكل رئيس من ابناء الشعب الذين أجبروا على النزوح الى الجبال من قبل الولايات

المتحدة، او بواسطة الارهاب المنظم. وهم يقاتلون داخل بلادهم وبدون أي دعم خارجي، في حين ان ثوار الكونترا، من جهة أخرى، هم من المرتزقة الأجانب او جيش من المرتزقة شكل من قبل الولايات المتحدة، هي القوة العظمى التي تدير تلك المنطقة، ووضع هذا الجيش في دولة اجنبية، وزود بمختلف انواع السلاح الاميركي بشكل يفوق ما لدى أيّ جيش من جيوش دول اميركا الوسطى، وهو بعيد عن كونه قوة ثورية. وليس له اي برنامج سياسي. حتى انه ليس له اية ميزة من ميزات حرب العصابات أو صفة الثورية. لذلك فإن عقد اية مقارنة ما بين ثوار السلفادور والكونترا لهو أمر سخيف.

إلا أنه عبر استخدام العنف والارهاب، فان الولايات المتحدة قد نجحت في انشاء تلك المقارنة، كما انها قد نجحت في انشاء شرعية تلك الدولة الارهابية والتي لا يتمتع سكانها باي نوع من الديمقراطية الفعلية. فلدى السلفادور انتخابات وعمليات اقتراع. إلا انها لم تذكر هنا بسبب نتائجها الخاطئة، ولكن على مر السنوات عندما كانت الولايات المتحدة تهذي بالديمقراطية السلفادورية، كانت الاستطلاعات تظهر ان حوالي عشرة بالمائة من السكان كانوا يرون انها كانت عملية ديمقراطية. والمهم أنه لا أحد في تلك الحكومة او الأوضاع التي انتخبت فيها وقال كلمة «ديمقراطية» دون أن يرتعد او يرتجف. بل إن الولايات المتحدة، وبواسطة إشرافها على وسائل العنف والارهاب، قد نجحت في خلق هذه الأوضاع. وبالطبع فان متطلبات الاتفاقات التي من المفترض أن تحافظ عليها الولايات المتحدة قد اعتبرت على الفور عديمة الأهمية لأن الولايات المتحدة لا تحافظ على الاتفاقات او المعاهدات.

> ■ **سؤال : لناخذ ما قلته الآن، وايضاً على الهجوم المطول والمدهش الذي قام به ثوار سلفادور في شهري تشرين ثاني وكانون اول لعام ١٩٨٩ في العاصمة سان سلفادور، فكيف كان دور وسائل الاعلام الاميركية والقيادة السياسية في حث واقناع الجمهور بمساندة الديمقراطية في السلفادور مقابل هذه الديكتاتورية المرعبة في نيكاراغوا ؟**

جواب : كيف عملوا على إقناعهم؟ اعتقد بأن ذلك قد نفذ منذ سنة. وكان هناك اجماعاً فعلياً في وسائل الاعلام الاميركية ـ وهذا يعود الى اوائل عام ١٩٨٠ ـ من ان السلفادور

هي بلد ديمقراطي فتي، وان نيكاراغوا هي دولة ديكتاتورية لم تشهد اية انتخابات ديمقراطية. وهنا تكون وسائل الاعلام الاميركية عاقدة على الاجماع بشكل أساسي. فكما تعرف، فقد قمت بكتابة تحليلات مفصلة كثيرة حول ذلك. وفي مثل هذه المسائل فان الولايات المتحدة تعتبر افضل دولة ديكتاتورية منظمة

ديفيد باراسميان : علينا استقبال بعض المكالمات الهاتفية.

- **سؤال من احد المتصلين : إن سؤالي يتعلق بعدم الاستجابة التامة للحكومة الاميركية بالنسبة للمسائل الحاصلة في امريكا الوسطى، الشرق الأوسط، ولمشاكلنا الداخلية الذاتية ايضا، سواء كان من قبل الديمقراطيين ام الجمهوريين على حد سواء، وما يتعلق بتمويل فرق الموت في السلفادور والاعمال الوحشية في الضفة الغربية، وقد نفذ ذلك من جراء اصوات الحزب الديمقراطي، ويبدو لي باننا نحتاج في الحقيقة الى بعض التغيير الاجتماعي. اذا لم تكن ثورة اجتماعية سريعة. وسؤالي هو كيف يمكن عمل ذلك. ويبدو لي بانه مهما فعلنا فان علينا انهاء الذهاب عبر الساحة السياسية. ولا اريد ان اجعل هذا خياراً مجبراً، واذا ما رايت او فكرت بطريقة ثالثة فاني اود ان اسمعها. فيبدو لي باننا حصلنا في الحقيقة على خيار سواء بالعمل ضمن الحزب الديمقراطي او محاولة ما يمكن ان تدعوه بطريقة ثالثة او بشكل صحيح حزباً ثانياً. وكلا هاتين الطريقتين او الوسيلتين قد جربتا في الماضي ولم تنجحا. فهل لديك اي تعليق حول اي من هاتين الطريقتين من المحتمل ان تنجح ؟**

جـواب : أعتقد بانه من نوع من خيار فُرض او أُجبر. والحقيقة هي انه ليس لديّ اي مانع ضد العمل من خلال نظام حزبين اذا ما وجد ذلك. والمهم هو ان الأحزاب السياسية لا تنشأ وتنمو من فراغ اجتماعي. لأنها تعكس الواقع الاجتماعي. والواقع الاجتماعي في الولايات المتحدة هو انه مجتمع عملي. وأولئك الذين يسيطرون على القرارات والمصادر فانهم يسيطرون وبشكل ساحق على النظام السياسي. لذلك فنحن لسنا بحاجة الى نظام الحزبين في الولايات المتحدة. نحن بحاجة الى نظام الحزب

الواحد، وكان لنا ذلك من خلال معظم التاريخ الاميركي. فذاك الحزب الواحد يتألف من قطاعات او فصائل متغيرة لطبقة أو فئة الاعمال، «طبقة الملاك» كما أطلق عليها رايت ميلز. فذلك لماذا، كما قلت، توافق على الأحزاب، أو الحزبين في اميركا: لأنها تمثل نفس القطاعات الاجتماعية. إنهم يمثلون أولئك الذين يمولوهم. وانهم يمثلون مصالح اصحاب الأملاك، المدراء، القطاعات المتنفذة نسبياً، الخ. إلا ان هنالك استثناءات لذلك، بيد انها مرة ثانية، تعتبر نوعاً من الهوامش. إن هناك مشاركة سياسية ضئيلة جداً في الولايات المتحدة. واصحاب المناصب غالباً ما يفوزون في الكونغرس. ففي الانتخابات الأخير كما اعتقد كانت نسبتهم تشكل حوالي (٩٨) بالمئة، وهي تعادل النسبة التي كانت موجودة في المكتب السياسي قبل عهد غورباتشوف، وهذا يعني بأنه لا تعرض هنالك قضايا على بساط البحث في الحقيقة. كما ان الجماهير لا تكترث لذلك لأنها تمثل قطاعات مختلفة من السكان ولها قضايا مختلفة ايضاً. وفي الانتخابات الرئاسية، فانه حتى لا أحد يتظاهر من ان هنالك أية قضية أو مسألة موجودة. ففي انتخابات عام ١٩٨٨ كانت المسألة الوحيدة التي اثارت التساؤل، هي كل ما كان باستطاعة دوكاكيس أن يتفادى رجمه أو قذفه بالطين من قبل لي أتووتر. فقد كانت تلك القضية في انتخابات عام ١٩٨٨. وفي الانتخابات المبكرة التي جرت كانت المسألة التي اثيرت: هل كان بإمكان رونالد ريغان تذكر الخطوط التي طلبت منه أن يعلمها. إلا ان المسائل لم تثار. وعندما يحدث ذلك، فإن الشعب لا يعبأ بها. لذلك فان الحديث عن التفعيل داخل النظام السياسي خادع بعض الشيء. فليس لدينا نظام سياسي بمعنى الكلمة، ما عدا بشكل هامشي.

وإذا ما استطعت اعادة صياغة سؤالك: كيف يمكننا خلق نظام سياسي متفاعل؟ فذلك يعني، كيف يمكننا خلق قاعدة اجتماعية يمكن ان تبرز من خلالها قضايا سياسية، وان يصبح الشعب مشتركاً وبصورة فعالة في صياغة المواقف السياسية، وفي وضعها على جدول الأعمال، وفي توضيحها، وتقرير أي منها مرغوب فيها او غير مرغوب فيها، ومن ثم الكفاح من اجلها. فذلك سيكون ثورة اجتماعية. وعندئذ ان تفعل ذلك من خلال النظام الرسمي الحالي. فذلك نوع من التغيير المطلوب.

إن ذلك لا يحدث هنا لأنه لا توجد هناك وسائل للناس أو الجماهير لأن تتجمع مع

بعضها البعض وعلى مستوى فعال لدخول هذه العملية. وربما يمكنك ان تفعل ذلك في الانتخابات الداخلية في «بولدر» لأن المجتمع هناك صغير تماما، ولذلك يمكن ان ينجز. ولكن لانجاز ذلك في مجتمع كبير العدد او على مستوى الدولة او مستوى الامة، فان ذلك يتطلب تنظيماً ومصادر. ففي العديد من الدول الصناعية الغربية او الديمقراطية، فان ذلك ينجز من خلال الاتحادات او النقابات العمالية، الا ان الولايات المتحدة لا تحتوي على نقابات بشكل أساسي. فلدينا طبقة ورجال اعمال واعية، وهذا كل ما لدينا. وهناك أهداف هذه الطبقة الواعية. والتي اعتبرت ان النقابات العمالية ضعيفة جدا، وحتى عندما تؤدي وظيفتها، سوى في فترة قصيرة، فانها تكون نقابات او اتحادات عمل بصورة اساسية.

ومن المؤلم التذكر الآن بأنه كان هناك كفاحاً طويلاً فيه مقدار كبير من البطولة ومقاومة ضخمة وتكريس لمحاولة جعل ساعات العمل في الاسبوع (٤٠) ساعة فقط واستمر العمل بهذا النظام لمدة عامين بعد تحقيقه وانجازه. إلا انه اصبح حلماً الآن. فبالنسبة للعائلات (افراد العائلة) في الوقت الراهن فان عدد ساعات العمل يتجاوز مائة ساعة عمل في الاسبوع، لأن اجر أو راتب واحد في العائلة لا يكفي لمعيشة العائلة. بل حتى أن العمال لا يتوقعون أن تكون عدد ساعات العمل (٤٠) ساعة اسبوعياً. لذلك فان انجازات الحركات النقابية، والتي لم تكن غير حقيقية، هي متآكلة جداً وبشكل عشوائي. وكان هناك ركوداً أو هبوطاً في معدل الأجور الحقيقية في الولايات المتحدة منذ عام ١٩٧٣. وذلك بشكل لم يسبق له مثيل. وهذا عائد الى النجاحات التي حققتها طبقة رجال الاعمال وطبقة الرفاه الاجتماعي، والتي حطمت اية مقاومة منظمة ضدها. وهذه ناحية رئيسة لتسييس المجتمع. وقد قام الحزب الديمقراطي سابقاً بنشاط جيد في هذا المجال. ولا اعتقد بأن برنامج الاصلاحات هو مهم جداً.

والسؤال هو، هل يتفاعل هذا النظام؟ والجواب هو: انه يتفاعل كانعكاس لواقع المجتمع، إلا أن ذلك الواقع قد همش او أبعد عن عملية صنع القرار كلياً، باستثناء قطاع صغير جداً لأجزاء أو نخبة من السكان أو الشعب المتنفذة وصاحبة الامتيازات، أي الطبقة أو الفئة الحاكمة.

■ سؤال من احد المستمعين : إنه يبدو يا بروفيسور تشومسكي، انك ناقد للمجتمع فحسبه ولكن ليس لديك برنامج محدد او بديل سياسي او نظام سياسي معين تدافع عنه بوضوح. وان في كل ما تكتبه او ما تقوله، فانك تقدم فقط حلولاً غامضة وغير واضحة تماماً. فانك تتحدث بشكل غامض عن ثورة اجتماعية او شيء من هذا القبيل، إلا انك لا تقول بشكل ملموس ما هو اعتقادك بالضبط وسؤال اخر، أود ان اساله لك حول موازنة البنتاغون، والتي تشكل فقط حوالي ستة بالمائة من الناتج القومي العام، وان المشتريات العسكرية تشكل ما بين اثنين الى ثلاثة بالمائة فقط من الناتج القومي العام. فاذا ما كنت تعتقد بان ذلك يشكل فائدة للصناعات التكنولوجية العالية، فانه يبدو كما لو انه يقدم تشجيعاً للحكومة بان تقدم دعماً وتمويلاً مالياً مباشراً للصناعات التكنولوجية العالية، إذا ما ارادت ان تقوم بذلك. وحتى من المحتمل ان الشعب سيكون داعماً لذلك كما يحدث الآن في اليابان. وثالثاً، فانني اسمعك تنتقد وتنتقد وتتحدث عما لا تحبه او لا تريده بالنسبة للنظام السياسي والاقتصادي في الولايات المتحدة. فهل هناك اي شيء، اي شيء اخر تود ان تقوله الآن فيما يتعلق بالنظام السياسي والاقتصادي الاميركي توافق عليه، وتعتقد بانه يشكل انجازاً، او نجاحاً ؟ فاود ان اسمع إذا ما كان بإمكانك أن تقول اي شيء إيجابي حول سياسات واقتصاديات هذه البلاد ؟

جواب : النقطة الاولى، إنك تقول بأنني لم اكتب حول ما أعتقده بأنه كان يشكل خياراً بديلاً. فذلك ليس صحيحاً. فلقد كتبت كثيراً حول ذلك. ومن المحتمل انك لم تقرأه، او ان ذلك لم يكن سهل الوصول اليه، بالنسبة لك. وقد كتبت كثيراً عما اعتقده بشأن وجود مجتمع حر، وما ينبغي ان يكون عليه، وما يمكن ان يعني الأمر في اتباع المثاليات الديمقراطية الراديكالية لحركة التنوير، على سبيل المثال، وترجمتها الى شكل من الاشكال يمكن تطبيقه على مجتمع صناعي حديث. كما أمكنني ان امضي وأصف ذلك. وساكون مسروراً بأن اقدم لك مصادري بهذا الشأن.

والنقطة الثانية: فإن الأرقام التي تتعلق بالنسبة المئوية للناتج القومي العام هي لا قيمة لها أو عديمة الأهمية تماماً. فالنقطة أو الشيء المهم هو ان مدراء المؤسسات او الشركات في عملية الصناعة المتقدمة - وهذا ينطبق على الصناعات الالكترونية، اجهزة الكمبيوتر، الأجهزة الطبية، الخ - باستثناء ان الحكومة، واعني بذلك القطاع العام، سيتحمل التكاليف الباهظة لعملية الانتاج، وخاصة المراحل التي لا تكون قابلة للنفع والفائدة - مثل عمليات الأبحاث والتطوير. فهذا يمكن أن يدفع من قبل الحكومة او القطاع العام. علاوة على ذلك، فان القطاع العام، ومن خلال البنتاغون، يوفر سوقاً أو تسويقاً مضموناً لذلك، وهو أمر متوفر لاستيعاب الانتاج الفائض اذا لم تستطع الأسواق التجارية استيعاب ذلك. فهذه تعتبر هبة بالنسبة للمؤسسات أو الشركات. وانها تعتبر كبطانة او قاعدة من اجل عملية التخطيط. فعندما يمكن ان يباع اي شيء في السوق، فانه يمكنك لن تبيعه او تسوقه. وإذا لم يكن كذلك، فان المشتريات العامة، او مشتريات القطاع العام ستفي بهذا الغرض. علاوة على ذلك، فان القطاع العام او الحكومة ستدفع التكاليف في حين تجني المؤسسات الفائدة. وإذا ما نظرت الى الصناعات او المؤسسات الصناعية فانك سترى كيف هذا يسير. فلنأخذ، مثلاً، صناعة اجهزة الكمبيوتر، وهي تشكل جوهر الصناعة الحديثة في الاقتصاد.

ففي الخمسينات، فإن هذه الصناعة لم تكن قابلة للتسويق، لذلك فإن الحكومة او القطاع العام كان يدفع مئة بالمئة من تكاليف عمليات الابحاث، التطوير والانتاج من خلال البنتاغون. أما في عقد الستينات، فقد بدات هذه الصناعة لتكون قابلة للتسويق في الأسواق التجارية، لذلك فقد انخفضت نسبة مشاركة القطاع العام فيها الى حوالي خمسين بالمئة. فالقصد هنا أن القطاع العام يدفع التكاليف، في حين أن المؤسسات والشركات تستفيد من ذلك. فالمساعدة الحكومية، والاستفادة الخاصة، هي ما ندعوه بالمشاريع الحرة. وفي الثمانينات، اصبحت هناك اتفاقات أساسية مطلوبة من اجل انتاج أجهزة كمبيوتر متقدمة او من الجيل الخامس المتقدم. لذلك فان مشاركة القطاع العام قد ازدادت بالنسبة للتكاليف الاساسية، وذلك من خلال حرب النجوم والبنتاغون، الخ. فتلك هي الطريقة التي تسير بها الامور. لذلك فإن نسبة الناتج القومي العام لا تعطيك اي شيء له صلة بهذه العملية.

وبالنسبة لسؤالك من عدم توجه الحكومة للشعب أو القطاع الخاص للعب هذا الدور، وحسب الطريقة أو النمط الياباني، فان الجواب هو من وجهة نظري، وكان هذا هو الجواب الذي تقدم به القطاع الخاص ايضا وهو محق في ذلك، من ان القطاع العام او الحكومة لن يكون متساهلاً في ذلك. فلا يوجد هنا، في الولايات المتحدة، شعب طيع أو مطيع كما هو الحال في اليابان. فليس بمقدورك أن تأتي وتقول للناس هنا: انتبهوا، في العام القادم ستخفضون من استهلاككم نسبة معينة من اجل ان تحقق جهة ما منفعة أو فائدة أكثر، ومن ثم فانه ربما بعد عشرة سنوات من الآن فإن ابنك أو ابنتك سيحصل او تحصل على عمل. فهذا لن ينطبق هنا. فان ما يمكنك ان تبلغ الناس هنا هو: ان الروس قادمون، لذلك فان من الأفضل أن نرسل عدداً كبيراً من الصواريخ الى الفضاء الخارجي، ومن ثم فان ذلك سيأتي بالمنفعة والفائدة، وربما بعد عشرة سنوات فان ابنك سيحصل على وظيفة أو عمل. فهذه الأمور لا تزعج نفسك بالحديث عنها.

■ سؤال : من ايـن التبست او جئت بهذا ؟ فهل هـذا من بعض تحليلاتك في الشؤون العسكرية ام ماذا ؟

جواب : إن ما أقوله هو ما يقوله السياسيون في الولايات المتحدة بالضبط.

■ سؤال : إنني لم اسمعهم يقولون ذلك من قبل ؟

جـواب : الم تسمع اي سياسي في الولايات المتحدة يقول، إن الروس قادمون، وعلينا أن نمتلك المزيد من الصواريخ ؟

■ سؤال : وإنني لم اسمعهم ابداً يقولون اننا بحاجة الى ذلك لان علينا تمويل بعض الصناعات التكنولوجية العالية ؟

جـواب : إنك لم تسمع ما قلته للتو. لقد قلت بأن آخر جملتين أضفتهما لم تكونا مما يقال علناً. فما يقال في الولايات المتحدة هو، انتبهوا، علينا ان ندافع عن أنفسنا، فنحن بحاجة لحرب النجوم، ونحن بحاجة لنظام البنتاغون، وان تأثير ذلك هو لانجاز وتحقيق ما وصفته للتو فيما يتعلق بصناعة الكمبيوتر، او بالصناعات الشبه موصلة، او أية صناعة كانت. وذلك لأن لدينا نظاماً حراً نسبياً. واذا ما اتجه السياسيون نحو الشعب ليقولوا له، انتبه، فقد قررنا في العام القادم أن نخفض من استهلاكك، ذلك حتى تحقق

صناعة ما منفعة أو فائدة اكثر، فان ردة الفعل في الولايات المتحدة ستكون قوية ومريدة قائلة: من أنتم حتى تبلغوننا أمر التخفيض ومن هو ذلك القطاع الصناعي الذي سيجني الفائدة من ذلك؟ واذا ما كان ذلك سيكون قراراً اجتماعاً من ذلك النوع، فانني أريد ان أشارك فيه. وهذا بالضبط لماذا لا يريد قطاع العمل لن يكون موضوعاً بمثل تلك الشروط. فرجال الأعمال لا يريدون أن تكون هناك سياسة اجتماعية ما، تهدف الى تنظيم الشعب، ليكون مشاركاً في قرارات الاستثمار. وهذه مسألة طرحت على مدى سنوات، ولعدة مرات، في صحافة مجالات العمل. وبالعودة الى حقبة الأربعينات، فإنه من المعترف به، وبوسع اي اقتصادي كان أن يبلغك، انه يمكنك ان تحصل على نفس التأثير الرئيس بالنسبة للصناعة، وربما حتى اكثر تأثيراً، من خلال الأشكال الأخرى لتفاعل الحكومة خارج نطاق الانتاج الحربي او الصناعات العسكرية.

المستمع : صحيح . فذلك هو ما قصدته.

تشومسكي : بالتأكيد يمكنك ان تفعل ذلك، بيد ان ذلك لاصلة له بالموضوع، وسوق العمل يفهم بالضبط لماذا لا صلة له بالموضوع. وبوسعك ان تعود الى مقالات مجلة «بزنيس ويك» (الاعمال الاسبوعية) التي كتبت في اواخر الأربعينات، حيث انها كانت تشير الى انه كان يوجد هناك اسلوبان: الاول، هو النظام العسكري، والأسلوب الآخر لا بد وانه سيكون الانفاق الاجتماعي، وتطوير البنية التحتية، والمستشفيات، وقطاع الخدمات، الخ، او الانتاج المفيد بيد ان الأمر الاخير ليس عملياً. فسيعمل من خلال وجهة نظر اقتصادية وفنية، بل وانه سيحتوي على كافة انواع المؤثرات الغير مرحب بها. فعلى سبيل المثال، فانه يهدف الى تنظيم دوائر انتخابية. فاذا ما ارادت الحكومة الاشتراك في تنفيذ النشاطات التي تؤثر في وجود الشعب مباشرة، فإن الشعب يكون على استعداد للمساهمة فيها ايضاً.

سؤال من مستمع اخر : بروفيسور تشومسكي، إنه لمن دواعي سروري ان اسالك هذه الاسئلة: إنني من كندا، حيث كتبك متوفرة في كل متجر للكتب هناك. وفي كتابك الاخير بعنوان «الأوهام الضرورية»، فإنني لم ار وجوداً لافكارك في اميركا. ولِمَ ذلك؟ هذا هو السؤال الاول. اما السؤال الثاني فهو:

هل لديك اي تعليق على موقف وتغطية وسائل الاعلام للوضع في السلفادور فيما يتعلق بمقتل ستة من رجال الدين الجزويت؟ والسؤال الثالث يتعلق بالشرق الأوسط: فقد سمعت تعليقاً إثر تعليق من اناس مثل مارتن بيرتز وغيره فيما يتعلق بالفلسطينيين، فهل هم من المسلمين، وانهم ينتمون لقبائل متوحشة، وانهم يعيشون في عصر ما قبل عصر التنوير، وانهم يشكلون تهديداً لاسرائيل، واسرائيل هي دولة ديمقراطية. فلمَ يجب علينا السماح بوجود خنجر اخر يطعن بوجود اسرائيل؟ اود ان اسمع تعليقاتك او اجاباتك على هذه الأسئلة الثلاث ؟

نعوم تشومسكي:

بالنسبة لتوفر الكتب، فان وصفك هو صحيح، ولكن ذلك الكتاب هو جزء واحد فقط من ذلك. فعلى سبيل المثال، فإن هذا الكتاب الذي ذكرته مرتكز على محاضرات ألقيت عبر هيئة الاذاعة الكندية حول المشاكل التي تحيط بالمجتمعات الصناعية. وسيكون من المستحيل تقريباً ان يقارن ذلك مع ما يحدث في الولايات المتحدة لأية مشكلة عامة رئيسية. فالولايات المتحدة مختلفة عن اية دول اخرى في هذه الناحية. ومعظم مجتمعات الدول الصناعية، حتى المشابهة جداً لمجتمعنا، منفتحة اكثر بكثير في وسائل اعلامها العامة بالنسبة للآراء المعارضة. وهناك أسباب عديدة لذلك.

والسائل السابق سأل فيما اذا قلت اي شيء جيد عن الولايات المتحدة من قبل. وكان جوابي هو غالباً جداً. ومن إحدى الأمور الجيدة تماماً في الولايات المتحدة هو مقدار درجة الحرية التي تتمتع بها هناك. انها تحتوي على مجتمع حر، اكثر بكثير من أي مجتمع اخر، وان هذه الحرية العالية تؤدي الى حدوث مشاكل. واذا لم تستطع السيطرة على الناس بالقوة، فان عليك انئذ ان تجد وسائل اخرى للسيطرة عليهم. وبالنسبة للحرية الاميركية، والتي هي ظاهرة غير عادية، فانها تخلق مشاكل بسبب الاجراءات المتقدمة جداً. ومن بين هذه المشاكل ان اراء المعارضة او المنشقين لا تسمع، مع انها لا تقمع بالطبع، من جراء هبة الحرية الاميركية. لذلك فان ما تصفه هو صحيح، وبإمكاني ان اتوسع في الشرح اذا ما رغبت بذلك.

وبالنسبة للسؤال الثاني، وهو تغطية أخبار مقتل رجال الدين او القساوسة: فإن قتلهم اعتبر عملاً فظيعاً وشائناً هنا، لذلك فان ذلك العمل قد غطي من قبل وسائل الاعلام بشكل معقول جداً. وقد اعتبر ذلك دوماً على انه خطأ من قبل حكومة صديقة لأن تمارس اعمال وحشية وبشكل رئيسي امام أعين كاميرات التلفزيون. فيجب ان تقترف هذا عندما لا يشاهد أي واحد ذلك، وان قتل القساوسة من قبل العسكريين، لهي أخبار سيئة. لذلك، فقد كانت هناك بعض التغطية الاعلامية لهذا الحدث. بيد ان تلك التغطية أخفقت، فتحت ضغط من الولايات المتحدة اتُخذ قرار ما بهذا الشأن. فإذا ما كانت حكومة السلفادور ذكية، فانها ستجد كبش فداء، وكان ذلك ضابطاً برتبة ملازم، فقدمته للمحاكمة ومن ثم أبعدته عن مسرح الجريمة ليقيم في منزل ريفي. إلا أن الظروف شاءت أن تُكشف السلطات او الجهات التي كانت وراء تلك الجريمة. وما يمكن ان يستخلص من ذلك، انه لا يجب ان يكتم مثل هذا الفعل ويتم التعتيم عليه من قبل وسائل اعلامنا.

اما فيما يتعلق بالفلسطينيين، فإنني متأكد بأن ما سمعته هو ما يقوله العديد من الناس، وان الشيء الوحيد الذي يمكنني أن أرد عليه، وبغض النظر عن التصريحات أو البيانات الزائفة التي تصدر، هو مستوى العنصرية التي تعكسه. فذلك يعكس الافتراض من انه يوجد هناك بشر، هم من اليهود، أو الاسرائيليون، وهم من البشر ولديهم حقوقهم، ومن ثم فهناك السكان المحليون، الذين لا يعتبرون بشراً وليس لديهم حقوقاً. فذلك ليس شيئاً غريباً او فريداً في التاريخ الأوروبي او الأميركي. انه يعتبر نفس الوضع المشابه للذين قاموا بغزو واحتلال الولايات المتحدة، من المستوطنين الأوروبيين، والذين قاموا بصورة أساسية بإبادة السكان المحليين، الذين وصفهم جورج واشنطن مرة، على انهم لم يكونوا بشراً في الحقيقة، وانهم كانوا عبارة عن ذئاب يبدون وكأنهم بشر. فما دام هذا صحيح برأيك، فانه يمكنك ان تقوم او تفعل أي شيء تريده تجاههم. فلعتقد ان تلك هي المواقف والأوضاع التي تعكسها او تعبر عنها، نفس المواقف والأوضاع التي تعبر عنها الفئات البيضاء في جنوب افريقيا. فلا مجال للبحث معهم بهذه الأوضاع، تماماً كما لو ان الامر يمكن ان يناقش مع النازيين، الذين كانوا يقولون بأن اليهود لم يكونوا بشراً.

■ **سؤال: لديّ سؤالين حول اوروبا الشرقية. الاول هو: هل انت قلق بخصوص بعض القوى التي يمكن ان يطلق لها العنان، وخصوصاً فيما يتعلق بالقومية، مع تلك الحركات الديمقراطية الحالية ؟ ثانياً، هل ترى اية نتائج سلبية لإعادة توحيد المانيا ؟**

جـــواب : اعتقد بأن كلا الامرين خطير جداً. فالامبراطورية السوفياتية (الاتحاد السوفياتي سابقاً) قد خلفت مظاهر استبدادية بشعة. والقومية الاوروبية الشرقية ايضاً مظاهر غير سارة تماماً. وهذا ليس شيئاً فريداً او مقتصراً على اوروبا الشرقية. فانه كان منتشراً في جميع انحاء العالم. إذ ان تاريخ اوروبا الغربية ايضاً تألف من عدة قرون بربرية، اتسمت بالعنف والقتل، من اجل سيطرة جماعة عرقية على جماعة اخرى وتدميرها وإبادتها. واستمر هذا الوضع لغاية عام ١٩٤٥. والسبب الوحيد في وقف ذلك حينئذ انه لو تمت الخطوة التالية لدُمِّر العالم من جرائها. لذلك فان تأسيس نظام الدولة في اوروبا مر عبر مراحل دموية وعمليات قتل طويلة. بيد ان هذه العملية لم تكن مكتملة بعد في اوروبا الشرقية بعد. فما إن بدأ نظام الامبراطورية الروسية (الاتحاد السوفياتي) يتآكل، حتى بدأت الأزمات والصراعات تبرز وبشكل عنيف. وهذا ما حدث في ارمينيا وأذربيجان، وسترى ذلك يحدث في امكنة أخرى.

واعتقد بأنك على حق تماماً في اشارتك الى تلك المشكلة الخطيرة جداً. وهذا مشابه في بعض النواحي لما حدث عندما أخرجت الدولة العثمانية من اجزاء كبيرة من آسيا الغربية. وكانت مسألة الامبراطورية العثمانية فظيعة تماماً، بيد انها عكست حقائق واوضاع المنطقة بطريقة لم يكن من الممكن فرض نظام الدولة فيها. هذا مع انها سمحت ببعض درجات سيطرة المجتمعات المحلية، ولكنها لم تفرض حدوداً قاسية بينها. فقد كان بإمكانك أن تتنقل او تسافر من اقصى نهاية الدولة العثمانية الى نهاية الجزء الآخر دون المرور عبر حواجز او مراكز جمركية او قوات حدود. ولم يتطابق او يتوافق نظام الدولة الأوروبي المفروض مع حقائق واوضاع المنطقة ككل، وكانت مسألة وقضية عنيفة ووحشية. وحدث نفس الشيء في افريقيا. ونفس الشيء ايضاً في كل بقعة من بقاع العالم. وهناك فرص لأن يحدث ذلك في اوروبا الشرقية. وفيما يتعلق باعادة توحيد المانيا، فهذا شيء يقلق كل واحد. فقد سخر رجل فرنسي مرة بأنه يحب المانيا، يحبها كثيراً جداً الى درجة انه مسرور بأنه يوجد هناك المانيتين. فتاريخ المانيا ليس مريحاً، ووجود ألمانيا موحدة يفزع كثير من الناس. وان قصة تقسيم المانيا قصة

معقدة جداً. فبعد الحرب مباشرة، كانت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا في مركز قوة ونفوذ بحيث فرضتا تقسيماً للبلاد. وكان السبب في ذلك هو القلق من وجود حركة عمالية موحدة في المانيا، وحدوث تأثيرات من المنطقة الشرقية (المانيا الشرقية)، وبشكل رئيس من تأثيرات الأيديولوجيات، والتي ستقوي بالتالي العناصر الاشتراكية، وعناصر الطبقة العاملة في المانيا الغربية، ومن ثم تقويض المشروع الاميركي والبريطاني من اجل اعادة النظام التقليدي المحافظ القديم. وذلك لماذا ان هناك أناساً، مثل جورج كنان، دعوا في أوائل عام ١٩٤٦، الى عزل المانيا الغربية عن المانيا الشرقية، ووقف ما وصفه وزير خارجية بريطانيا «العدوان السياسي الروسي» ويعني بذلك التأثيرات الأيديولوجية والسياسية الآتية من الشرق. فكان ذلك عاملاً في تقسيم المانيا.

وفي عام ١٩٥٢، قدم ستالين عرضاً مثيراً - ولم نعرف فيما إذا كان جاداً أم لا، لأنه قد رفض على الفور - داعياً الى اعادة توحيد المانيا تحت اشراف الدول الكبرى الأربعة مع اجراء انتخابات حرة، وكان شرطه الوحيد في وجود المانيا موحدة هو عدم انضمامها لحلف عسكري غربي معاد. فأي زعيم روسي، مهما كان توجهه، كان سيصر على ذلك، ولأسباب تاريخية واضحة. وقد رفضت الولايات المتحدة ذلك العرض. وفي الحقيقة، فاننا لم نعلم فيما اذا كان (ستالين) كان جاداً أم لا في ذلك . وقد فضلت الولايات المتحدة انقسام اوروبا الى معسكرين، حلف الأطلسي، الذي تأسس في ذلك الحين، وحلف وارسو، الذي تأسس بعد ذلك بسنتين. كما انه كانت هناك عدة عروض أو مقترحات روسية أخرى من هذا النوع على مر السنين، إلا أنها رفضت جميعها . وانه حتى الآن فانك ستلاحظ بأن الولايات المتحدة ما زالت متناقضة بهذا الصدد. وإذا ما قرأت خطاب جيمس بيكر الذي ألقاه في برلين، والذي نقل في الصحف، فانك ستلاحظ بأنه كان مسهباً في كلامه حول الديمقراطية في اوروبا، وتوحيد المانيا، الخ. بيد ان الخط الاساسي كان نفسه وهو: بأن تكون المانيا الموحدة جزءاً في حلف الاطلسي، كما قال، وعنى بذلك بأن تكون عضواً في حلف عسكري غربي تهيمن عليه الولايات المتحدة. ومن الغير المحتمل أن أية قيادة سوفياتية او اية جمهورية اوروبية شرقية سابقة كانت ستقبل ذلك. ومن الغير المحتمل أيضا بأن تقبل ذلك بقية الدول الغربية أيضاً، إلا ان ذلك هو الخط الأساسي. وأبعد من ذلك، على الأقل، فاننا لم نكن نرغب او نريد بأن نتصور امكانية بأن تكون المانيا حيادية، فتلك هي الامكانية المعقولة لتوحيد المانيا.

التدخل الاميركي
وزوال الخطر السوفييتي

شباط، ١٩٩٠.

ديفيد بارساميان : دعنا نتحدث عما دعاه هنري ستيمسون «بعالمنا الصغير هنا الذي لا يقلق اي واحد»، وهي امريكا الوسطى، واميركا اللاتينية. وانك تابعت ولاحظت اصول واسباب الأزمات في اميركا اللاتينية، فيما يتعلق ببرنامج كيندي في أوائل الستينات، وقد وضعته على انه «واحد من اكثر القرارات شؤماً في التاريخ الحديث». فلِمَ يعتبر «التحالف من اجل التقدم» حيوياً وبالغ الاهمية الى هذه الدرجة ؟

نعوم تشومسكي : إنني لم اتتبع ذلك الى هذا الحد. فاعتقد ان التحالف من اجل التقدم قد كثف نظاماً للاستغلال والقمع ظل موجوداً لمدة طويلة. ولو أن برنامج التحالف من اجل التقدم لم ينشا اصلاً لما اختلفت عليّ الأمور كثيراً. فالتحالف من اجل التقدم كان جزءاً من برنامج كيندي فحسب. وكان يعتبر الجزرة (الإغراء)، حسب سياسة العصا والجزرة. أما العصا فقد كانت عبارة عن تغير مهمة او بعثة اميركا اللاتينة العسكرية، والتي تهيمن عليها الولايات المتحدة بصورة اساسية، وتغير مهمتها من الناحية الدفاعية الى الأمن الداخلي. وقد تلاعبت ادارة الرئيس الاميركي السابق ايزنهاور بتلك الفكرة إلا انها لم تكن قادرة على الوصول لنتيجة. بيد ان ادارة الرئيس كنيدي فعلت ذلك في عام ١٩٦٢، بعد الفشل في ازمة خليج الخنازير.

ويعني الأمن الداخلي بصورة اساسية شن الحرب ضد شعب بلدك. وقد فهم من قبل ادارة الرئيس كيندي على انها البرامج التقليدية التي تدعمها الولايات المتحدة، والتي تتطلب اعتماداً كلياً على القوة. وانها غير مقبولة بالنسبة لعامة الناس او الشعب. وقد فرض التحالف نموذجاً معيناً للتطوير. إلا انه كان تطويراً موجهاً بصورة اساسية

باتجاه متطلبات للمستثمرين الاميركيين. وقد جاء لتقوية وتعزيز واطالة نموذج التصدير الحالي المتواجد والذي اصبح دافعاً وحافزاً قوياً لاميركا اللاتينية للانتاج من اجل التصدير والإبقاء على مصادر للمحاصيل. لذلك وعلى سبيل المثال، فان ذلك يعني انتاج اللحم المعلب من اجل التصدير للاسواق الاميركية بدلاً من انتاج المحاصيل من اجل الاستهلاك المحلي. فالفكرة العامة هي تحويل اميركا اللاتينية، وخصوصاً اميركا الوسطى، الى منطقة تقوم بوظيفة توفير المصادر والأسواق والأيدي العاملة الرخيصة وغيرها من ميزات العالم الثالث للمستثمرين الاميركيين بصورة رئيسة. وهذا وضع تقليدي، منحه برنامج التحالف من التقدم بشكل جديد ودفعة للامام. واذا لم يقبله السكان او الشعب، فانه يكون لديك قوة بوليسية لاستخدامها. واذا لم يجد ذلك، فانه سيكون لديك ايضاً قوات الجيش . فهذه هي تركيبة السياسة الاميركية الضمنية جداً تجاه اميركا اللاتينية منذ امد بعيد، غير انها اصبحت بشكل حاسم منذ الحرب العالمية الثانية. وان القرار المشؤوم لادارة الرئيس كنيدي، من وجهة نظري، كان ذلك الارتباط للتحول الى الأمن الداخلي، وهو السيطرة المشددة على السكان المحليين بواسطة القوة، الى جانب ترسيخ نموذج التصدير الذي يسمح بزيادة الناتج القومي العام، والنمو الإحصائي إلا انه ايضاً يزيد من درجة البؤس والتبعية لقطاعات واسعة من السكان. وان تفقير وعزل الفلاحين في اميركا الوسطى، على سبيل المثال، والذي أدى بصورة مباشرة الى نشوء وضع خطير في اواخر السبعينات وأوائل الثمانينات، كان ذلك الى أقصى مدى نتيجة لبرنامج التحالف من اجل التقدم. والشيء ذاته صحيح بالنسبة لانتاج المخدرات ولأسباب واضحة نوعاً ما.

وعندما تتقوض زراعة البيرو بسبب التصديرات الزراعية الاميركية مع ضغوطات أخرى لدفع المزارعين في البيرو تجاه تصدير منتوجاتهم، ومحاولة الهائهم بلعبة الراسمالية، فانهم سيقومون بذلك. وانهم سينتجون انواعاً من محاصيل التصدير قابلة للاستفادة والمنفعة منها. وان الانتاج الذي يشكل اكثر منفعة للتصدير هو محصول نبتة الكوكايين، لذلك فانهم تحولوا بشكل طبيعي لانتاج نبتة الكوكايين. وهذا بالضبط ما دفعناهم لان يقوموا به. ومن ثم ذهبنا الى هناك، وقمنا بإتلاف ذلك، بالطبع، مما جعلهم يصبحون بلا شيء.

■ **سؤال : لقد وصفت المصالح الاميركية المزدوجة والمتشابكة في المنطقة على انها من «اجل الحفاظ على المنطقة امنة من اجل الاستثمارات الاميركية» من ناحية، «ولمنع قيام عملية تطوير مستقلة» من ناحية ثانية. فهل هذا الوضع سيستمر لغاية التسعينات ؟**

جــــــواب : بالطبع، فإن السياسة الاميركية، اية سياسة، ترتكز على التركيبات المؤسساتية. وهناك بعض التقلبات التي تعتبر تغيرات شخصية، بيد انها تنعكس على الكثير من المؤسسات. وإن المؤسسات مستقرة جداً، لذلك فإن السياسات كانت مستقرة جداً. إلا انه كان هناك تحد داخلي صغير ضدها. ولم يكن هناك تحد خارجي خطير بسبب القوة الغير عادية للولايات المتحدة. لذلك فإنه يوجد هناك سياسات مستقرة تجري منذ وقت طويل. فالسياسة الأميركية تجاه أميركا اللاتينية كانت مترابطة بوضوح وعلى مستويات عالية من التخطيط بعد الحرب العالمية الثانية. ولم يكن هناك سبب لتوقع ذلك التغيير. وتلك السياسة، كما تكررت من خلال الوثائق، والتي شكلت تهديداً لمصالحنا هو نشوء الأنظمة الوطنية والتي كانت مستجيبة لضغوطات الجماهير من السكان، وذلك من اجل تطوير مستوى المعيشة المنخفض وتنوع الانتاج تلبية للمتطلبات المحلية. وكان علينا سد او إعاقة ذلك. فذلك شكل اندفاعاً الكبيراً من اجل إعاقة ذلك لمصلحة توفير مناخاً للاستثمار الخاص لرؤوس الأموال المحلية والخارجية ولإعادة المنافع والانتاج من لجل التصدير. وتلك هي الفكرة الرئيسة المتكررة مرة إثر الأخرى، لهذا فإنه من الواضح بانها لم تكن خاضعة لأي تحدٍ ولم تناقش او يكشف عنها علناً. إنها في نوعها مثل الهواء الذي تتنفسه. فذلك ما يدعى «بالحرية». إذ اننا كنا في صف الحرية، كنا في صفها بشكل واضح.

وإن هذا مفهوم أيضاً من كافة الطرق والوسائل التي لن تكون مقبولة بشكل مرغوب فيه من قبل السكان المحليين. لذلك فانك اذا ما قرات نشرات وتقارير وزارة الخارجية الاميركية حول ما يدعى ببرنامج ادارة الاستخبارات الاميركية، فانها تبين لك مدى مجال تدريبات القوى البوليسية وجديتها وخطورتها لأنها يمكنها ردع عدم الرضا الناشيء بين السكان او الشعب وبصورة مبكرة. فقوات الشرطة هي الاداة الرئيسة

التي يمكن للحكومة بواسطتها أن تطلب وتسيطر، وتفرض القبول والإذعان على السكان أو الشعب. فهذه الدراسات تكشف عن ذلك تقريباً، من ان قوات الشرطة يمكنها ان تتحرك لكي تقوم بقمع المعارضة بصورة مبكرة قبل ان يصبح الأمر بحاجة الى «جراحة أو عملية كبيرة». إذ أنه يمكنها تجنب الحاجة للقيام بعملية كبيرة أو رئيسة. فإذا ما كان الامر يتطلب عملية كبيرة، فانه ستستخدم قوات الجيش عندئذ. والتي كانت مكرسة في عهد كنيدي من اجل القيام بمهمة حفظ الأمن الداخلي.

واذا لم يستطع الجيش النظامي في ذلك البلد أن يقوم بمهمته، فانه يتم ارسال قوات اميركية لهذا الغرض. وحيث ان الجيش في بلدان اميركا اللاتينية، وخاصة في اميركا الوسطى، لا يمكن ضبطه أو السيطرة عليه من قبل الولايات المتحدة، فانه لا بد عندئذ من الإطاحة بالحكومة هناك. وهذه واحدة من المشكلات في نيكاراغوا. فقد حاولت ادارة الرئيس كارتر وبصعوبة كبيرة للإبقاء على قوات الحرس الوطني سليمة هناك، عندما لم يكن بإمكانها الاحتفاظ بسوموزا لمدة أطول. فهذه هي الأداة التقليدية: فإذا لم يكن بالإمكان السيطرة على الحكومة، فانه يمكن السيطرة على الجيش، لأنه يمكنه بدوره ان يسيطر على الحكومة بالقوة. وعندما رفض الساندينيون (في نيكاراغوا) السماح للولايات المتحدة السيطرة على الجيش، فان ذلك كان عاملاً خطيراً في حدوث الانهيار مع الولايات المتحدة.

وفي حالة بنما، فانه مع ان وزير الدفاع البنمي انذاك كان عبارة عن اداة للقوة الأميركية، فان نورييغا أصبح مستقلاً اكثر ولم يعد تحت السيطرة، لذلك فقد كان لا بد من استبداله، ومن ثم تم إعادة بناء الجيش مع الابقاء على ضباطه بصورة أساسية، وتم الابقاء على نفس مصادر المخدرات، وأي شيء آخر، وهي الآن تحت سيطرة واشراف الولايات المتحدة. وهنالك عوامل جديدة، دون شك، وانها ستغير الطريقة او الوسيلة التي انجزت بها هذه الالتزامات، بيد ان الالتزامات ظلت كما هي، لأنها انبثقت عن تركيبات مؤسساتية، ولا يوجد هناك تحدٍ لها.

■ **سؤال: إن تلك الدول، وخصوصاً الواقعة في الجزء المخروطي الجنوبي من اميركا اللاتينية، مظهرة الآن نماذج تقليدية اكثر. فإلى ماذا تعزو ذلك؟**

جـــــواب : إن ادارة الرئيس كنيدي دعمت بقوة قيام انقلاب عسكري في البرازيل وقتذاك، ليفرض فيها نظام حكم شبيه بأسلوب الحكم النازي من حيث عمليات التعذيب والقمع، الخ. وذلك من اجل تدمير الديمقراطية البرازيلية التي كانت أصبحت مستقلة جداً. وذلك، كما نقول، أدى الى حدوث تطورات طائشة ومتهورة في ذلك العالم او المنطقة حدثت فيها فترة من الأحداث الدموية الشديدة. ودمر العسكر الاقتصاد. كما حدث انحلال اجتماعي وكارثة اقتصادية، وعند وضع معين قرر العسكر ان يتخلوا عن الحكم للمدنيين ليحاولوا معالجة الفساد والفوضى وتسلم المسؤولية. وكانت متوفرة هناك عناصر اخرى لضمان السيطرة على الحكم بواسطة النخبة التقليدية، او حكم الأقلية، وخاصة من طبقة رجال الأعمال والعسكريين، وتلك هي الجماعة الحاكمة المهيمنة وهي نفس تلك المجموعة التي حصلت على دعم الولايات المتحدة.

وهناك الآن وسائل اخرى تتضمن اموراً لم تكن موجودة من قبل. فهنالك، على سبيل المثال، صندوق النقد الدولي وازمات الديون. فتقييدات صندوق النقد الدولي، الذي فرض وجود السوق الحرة، وعدم دعم المواد الغذائية، وعدم فرض حماية على الصناعات المحلية، فتلك الوسائل كانت تضمن دعم الطبقة الغنية الميسورة والمتنفذة لمسك زمام الحكم والإبقاء على طبقتين في المجتمع كضرورة معتبرة وهما: فئة نخبة الأغنياء وفئة أصحاب الحرف والمهن التي تخدمها، من ناحية، وهناك طبقة عامة فقيرة وجائعة، من ناحية ثانية. فنظام صندوق النقد الدولي يلائم ويفي بالغرض ذاك، وان المديونية والتشوش الاقتصادي الذي خلفه العسكريون قد هيىء وخمن لأحكام وشروط صندوق النقد الدولي من ان تتبع وتنفذ، وتبع ذلك ثورة كبيرة، عاد العسكريون على اثرها للحكم مرة ثانية. وهذا يفسر لماذا أتحدث عن التغييرات التكتيكية، التي تعكس التغيرات في الوضع العالمي وعلى الساحة الاقتصادية المحلية.

ولنأخذ مثلاً بلداً مثل البرازيل، وهي تعتبر دولة غنية وموفورة المصادر، وذات كثافة سكانية كبيرة، وصناعة متطورة عالية، وفي الوقت ذاته تحتوي على نسبة كبيرة من الفقر والغنى في آن واحد. وان نسبة كبيرة من السكان فيها تتساوى في المعيشة مع سكان اثيوبيا، وقد يكون معظم السكان يعيشون في وضع أسوأ مما كان عليه سكان اوروبا الشرقية، على سبيل المثال. ومن وجهة نظر العسكريين والفئات التي

خصومها، وهم بصورة كبيرة يتمون للنخب التقليدية، او حكم الاقلية ورجال الأعمال، فانه ليس من الملائم ان يظل هناك حكم عسكري من اجل الابقاء على ذلك النظام. وانه لا بد من التركيز على التذمر الشعبي. فهذا يعطي صورة دولية سيئة، اضافة الى ان العسكريين سيديرون انئذ شؤون ومسؤولية الاقتصاد، الأمر الذي لا يتقبله انسان عاقل. وانطبق ذلك الوضع الى حد كبير على الأرجنتين، فيما بعد.

■ سؤال : إنني اتذكر مقولتك من انه اذا نام احد الفلاحين في السلفادور وصحا ليجد نفسه في بولندا، فانه سيعتقد بانه موجود في الجنة. فهل هذا صحيح ؟

جواب : ليس هناك شك بذلك.

■ سؤال : هل يختلف الغزو الاميركي لبنما في ٢٠ كانون الاول ١٩٨٩ عن التدخلات الاميركية الاخرى ؟

جواب : حسنا، انه يختلف، انه اختلف في الطريقة التي تمت بها والتي عكست وضعاً متغيراً. ففي الواقع، فقد كان حدثاً تاريخياً في حد ذاته. انه كان غزواً تقليدياً في معظم نواحيه، في الواقع، تقليدياً جداً بحيث اصبح هامشياً في التاريخ، إلا انه كان مختلفاً في ناحية واحدة، وهو الإطار الدعائي. ولغاية الآن، فانه كان من الممكن تبرير كل استخدام امريكي للقوة كدفاع ضد التهديد السوفييتي (السابق). لذلك، فخذ على سبيل المثال، بالأحداث التي وقعت مؤخراً. عندما غزت الولايات المتحدة جزيرة غرينادا في عام ١٩٨٣، فقد كنا بذلك ندافع عن انفسنا ضد الجهد الروسي لمحاولة خنقنا بواسطة الاستيلاء على مثل هذه القواعد الخارجية في غرينادا واليمن الجنوبي، الخ. وأتذكر بأنني قد سمعت رئيس هيئة الاركان المشتركة يشرح من خلال الاذاعة انه في حالة هجوم سوفياتي على اوروبا الغربية، فان غرينادا قد تمنع التزود بالنفط من ترينداد وتوباغو ليصل الى اوروبا الغربية، وانه لن يكون بمقدورنا الدفاع عن حلفاؤها المحاصرين. وأنت تعرف بأن هذا أمر مضحك، واكثر من مضحك، بيد ان مثل هذا النوع من القصص كانت كافية لتثير دعماً شعبياً من اجل القيام بالغزو.

وقد برر الهجوم على نيكاراغوا بالادعاء بأنه اذا لم نوقف الروس هناك فانهم

سوف يتسللون عبر الحدود ليصلوا الى هارلنجن، بولاية تكساس، التي تبعد مسافة يومين فقط عن طريق البر. فأنت تتذكر تلك الهراء. فبالنسبة للفئات المتعلمة فقد كان الأمر يبدو خطيراً او ذو اهمية من عدة نواحي. كما ان الإطاحة بالحكومة الديمقراطية الراسمالية في غواتيمالا: فقد كنا بذلك ندافع عن انفسنا ضد الروس، لأن وجودنا كان مهدداً، الخ.

ومع حلول شهر كانون الثاني ١٩٨٩، فانه لم يكن هناك حتى خيال وزارة الخارجية وكتاب الافتتاحيات في الصحف يمكنهم الوصول الى ذلك البعد تماماً. لذلك فقد احتجنا الى تبرير اخر. وكنا بحاجة الى ذرائع وحجج جديدة. فالذرائع لم تجد نفعاً مع الاسباب السابقة، بيد اننا الآن لا يمكننا استخدام تلك الذرائع القديمة. فقد كان مطلوباً اطار جديد. فهذه المشكلة كان متنبا بها. فقد كان من الواضح بعد سنتين بانه سيكون من الصعب جداً ان نتذرع بالتهديد الروسي. وفي الحقيقة، فانه خلال الثمانينات فقد طور بديل لذلك؛ وهو الارهاب الدولي، وتحركت بعض الفئات العربية هنا وهناك في محاولة لقتلنا، وذلك لانهم يكرهون الاميركيين. إلا ان ذلك لم يكن مداه سوى قصير الأمد. ومع انه بالتاكيد اوجد موجة من الهستيريا والتمييز العنصري، كما خُفِف منها، إلا انه لم يكن مقنعاً جداً. وادى ذلك الى عملية قصف ليبيا دامت يوماً واحداً، وليس شيئاً اكثر من ذلك.

وفي عام ١٩٨٦ و١٩٨٧، ولاسباب مثيرة للاهتمام، فان الولايات المتحدة حولت انتباهها نحو «نوريغا»، الذي كان يتلقى أموالاً من وكالة المخابرات المركزية لعدة عقود، بعد ان قرروا بان جيوبه قد امتلات كثيراً وان عليه ان يذهب. واخذت الصحافة زمام المبادرة بسرعة. فهي تفهم هذه الأمور، وبدات على الفور بتحويل نوريغا الى شيطان، والى جعله اسوا شخص متوحش. اما في الواقع، فقد ظل نوريغا عبارة عن سفاح ثانوي، اذ انه كان يسير وفقاً لما ترسمه له المخابرات المركزية، التي كانت تدفع له لقاء ذلك، غير ان موقف الحكومة الاميركية قد تغير تجاهه. لذلك فان موقف الصحافة قد تغير تجاهه تلقائياً. وعند حدوث الغزو الاميركي، فقد وصف نوريغا على انه متوحشاً ينتمي لمجموعة ستالين وهتلر والخميني وغيرهم، من الذين أحب الأميركيون كرههم، ولذلك فقد كان علينا ان ندمره. وكان سعيداً بذلك ووصفه كل من دان راذر وبيتر جيننغ بانه واحد من اكثر المخلوقات بغضاً في العصر الحديث. لذلك فقد هيىء المزاج

العام بذلك، وأصبح أمراً واقعاً من ان الأميركيين كرهوا نوريغا بحلول عام ١٩٨٩. فهم (الصحافة الاميركية) قد استطاعت ان تقوم بدور غامر واسلوب دعائي استبدادي ولعدة سنوات، لغاية ما كره الناس نوريغا.

كما استخدمت حرب المخدرات من اجل هذه الغاية. فحرب للمخدرات اضحت خدعة وسائل الاعلام الحكومية. إلا انه كان هناك الشيء القليل ليفعل بالنسبة للمخدرات، ولكن كان هنالك الكثير ليفعل من جراء تنظيم والسيطرة على الشعب وفرض الخوف لعدو أصبح مكروهاً آنذاك. فكل هذه الأمور جاءت لتمهد وتخلق ظروفاً ملائمة وضمن اطار دعائي للغزو. فالاختلاف ما بين ردة الفعل في الولايات المتحدة وأي مكان آخر في العالم كان مميزاً. وكنت اقرأ مقتطفات من صحافة هندوراس في تلك الأيام. فهندوراس، هي دولة حليفة لنا، بالطبع، وعميلة لنا، في الواقع. ولم تكن كتابات الصحافة سيئة، بل إنها راديكالية ومعارضة بشدة ومرارة للغزو الأميركي. وقد وصفت ذلك «بالاستبداد الدولي» تحت مظهر الديمقراطية، وانه يعتبر يوماً من العار واليأس بالنسبة لأميركا اللاتينية، «فأميركا اللاتينية تتألم» من عدم قدرتها على حماية نفسها واستقلالها من العدوان والظلم الآتي من الشمال، وغير ذلك من الأوصاف.

وكان ذلك يجري بينما كان الكونغرس الأميركي يمنح الرئيس بوش تأييداً كاملاً وترحيباً بالغزو الأميركي، كما ان الصحافة الأميركية كانت غارقة في نشوة شوفينية. وبين مقال نشر في صحفية «تورنتو غلوب» بوضوح تام الى انه اذا أردت أن تسمع في الولايات المتحدة نوعاً ما من الرأي او وجهة النظر التي تهيمن في معظم انحاء العالم، فان عليك ان تمضي أو تذهب في نقاشات ثانوية، في مسائل ثانوية بعيدة جداً قد لا تعتبر جزءاً من المسألة السياسية. كما ان الصحيفة عقبت على الهستيريا الشوفينية (المغالاة) التي كانت واضحة وبشكل مثير في الولايات المتحدة. فذلك كله صحيح، وكان ذلك إطاراً نفذ من خلاله الغزو الأميركي لبنما وبرر.

■ **سؤال : إذن فمن وجهة نظرك هل كان هناك نجاحاً لتلفيق موافقة غزو بنما ؟ وبالمناسبة، فعندما تتحدث عن تلفيق الموافقة، فانك تتحدث عن ان الشعب قد همش ولم يهتم بالأمر في الحقيقة، وانهم لم يشتركوا في العمليات او القرارات السياسية التي جرت بأية طريقة كانت. فما هي الموافقة التي لفقت ؟**

جواب : حسناً، اذا ما نظرت الى ذلك بإمعان ومنذ البداية، فقد كانت هناك مجموعتان مختلفتان. فعلى المستوى الأول للتقريب، فقد كان هناك هدفان للدعاية ووسائل الاعلام. واحد ما يطلق عليه احياناً «بالطبقة السياسية». فهناك ما يقارب عشرين بالمئة من السكان هي طبقة متعلمة نسبياً وواضحة تقريباً كما انها تلعب دوراً ما في صنع القرار. وهم من المفترض ان يشتركوا في الحياة الاجتماعية، كونه يوجد منهم مديرون سياسيون واقتصاديون وثقافيون، مثل المدرسون والكتاب وما شابه ذلك، ومن المفترض ان يشاركوا باتخاذ القرار. كما أنهم من المفروض ان يلعبوا دوراً ما، ليس دوراً مقرراً، ولكن القيام بدور ما نشط في المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية. فموافقتهم حاسمة، لأن عليهم القيام بتنفيذ السياسات. فهم يعتبرون مدراء واداريون. وان عليهم صنع قرارات متماسكة نسبياً لشد انتباه العالم، لذلك فهي مجموعة تكون ملقنة بشكل عميق.

ومن ثم، فإن هناك ثمانين بالمئة من السكان تكون وظيفتهم الرئيسة هي فقط اتباع الأوامر، وليس التفكير او لفت الانتباه لاي شيء كان. لذلك فان عليهم أن يكونوا مهمشين. غير ان عليهم ان يقبلوا ويذعنوا. فهم الاناس الذين غالباً ما يدفعون الثمن.

وعلى سبيل المثال، فإن إدارة الرئيس بوش منحت هذه المساعدة السخية لبنما. فنحن سنمنح بليون دولار لبنما، بعدما دمرنا اقتصادها ومن ثم سيطرنا عليها. فذلك هو الهدف الرئيس. ثم عليك أن تنظر الى ما لم تكتبه أو تفيد به الصحف. انك تنظر الى البليون دولار التي ستمنح لها كمساعدة وتخصيص أربعمائة مليون دولار منها على شكل شراء بضائع أميركية أو تصدير بضائع اميركية لبنما. وما يعني ذلك هو ان اربعين بالمئة من المساعدة الممنوحة لها تعتبر كهبة من دافعي الضرائب الاميركيين لمصلحة سوق العمل الاميركي او بالأحرى لرجال الأعمال، وتخصيص حوالي مائة مليون دولار كضمانات بنكية للتصدير والاستيراد وانواع غيرها من المساعدات التي تعتبر شكلاً اخر للمساعدة من دافع الضرائب الى سوق العمل الاميركي. والباقي يعتبر معظمه كفوائد للبنوك. فذلك ما دعوه «باستقرار الاستقرار»، ولكن إذا ما وضعت ذلك جانباً، فانها عبارة عن فوائد بنكية على القروض تؤخذ من قبل الحكومة البنمية خلال تلك الفترة التي تقوم بها الولايات المتحدة بتدمير وتخريب الاقتصاد البنمي.

لذلك فانه من المفترض لدافع الضرائب الاميركي ان يعيد دفع ذلك، وهذه الطريقة بالضبط من المفترض بدافع الضرائب أن يعيد دفع مئات الملايين من الدولارات على شكل توفيرات وقروض مخادعة. فذلك ما يدعى ببرنامج المساعدة. فهذا شكل نموذجي، من ان ثمانين بالمئة، هم الذين يدفعون الثمن، ولن عليهم أن يقبلوا ذلك شاءوا ام ابوا. ومع ذلك، ايضاً، فإن قبولهم لا يكون مرتكزاً على اي فهم حقيقي - حتى انه ليس عليهم ان يعرفوا اين تقع بنما. فقد يظنون بأنها تقع في افريقيا، ما دام انهم قبلوا بأن هذا الاجراء هو ضروري، اذ اننا راغبون بأن نتحمل العبء. فتلك الشريحة الواسعة من الشعب او الأغلبية، هي التي تقوم وسائل الاعمال بالتأثير فيها وأعني بذلك كافة انواع الصحف وغيرها من وسائل الاعلام. فان عليهم ان يقوموا بتحويل الناس، وان يقوموا بعزلهم أو الإبقاء عليهم معزولين، ومنفصلين، ويقبلون القيم الأساسية للمجتمع (الأميركي) وهي: الجشع، الكسب الشخصي، وعدم الاهتمام بالناس الآخرين، الخ. فان أي فهم حقيقي حول ما يجري في العالم يعتبر امر زائد وغير ضروري، وحتى انه يقابل بسلبية.

لكن بالنسبة للقطاعات الاكثر تعليماً بين الشعب، القطاعات التي يمكنها أن تميز وتفرق، اولئك الاناس الذين يقرأون صحيفتي النيويورك تايمز وواشنطن بوست، فان عليهم أن يكونوا مدركين وعالمين نسبياً بأمور وشؤون العالم الخارجي، او انهم سيتخذون قرارات سيئة قد تؤذي وتضر بمصالح الفئة التي تمسك بزمام السلطة. وهكذا فالمبدء بذلك، فانه يوجد هناك على الأقل نظامان متعبان من أسلوب التلقين، ومن ثم فلو اننا نظرنا في ذلك بمزيد من التفصيل، فاننا قد نجد اكثر من فارق بسيط. إذ أن تلفيق الموافقة ليست عبارة عن عملية رسمية، انها عملية متنوعة فحسب.

وبالنسبة للغزو الأميركي لبنما، فإن معظم الاميركيين قد اثيروا الى درجة الهستيريا الشوفينية، لانهم قد نالوا أخيراً من هذا الولد الشقي (بنما)، ولا بد من وضع نهاية للصوص والسارقين. فلم نعد بحاجة لذلك لوقت أطول. اما الشرائح الأكثر تعلماً فقد كان لها دوراً مختلفاً لتلعبه، ومن المثير ان نتفحصه. فالمثال النموذجي لذلك كان ديفيد بوردر، الذي يعتبر معلقاً حراً معتبراً بصحفية واشنطن بوست، وواحداً من المراسلين الرئيسيين فيها. وكان له عامود ثابت في الصحيفة يمتدح فيها باستمرار

الغزو الاميركي لبنما ولكن بطريقة حكيمة، وبشكل مختلف عن أسلوب جورج ويلبز الذي اتسم بالعدائية. وبدأ كتاباته بالقول بأنه كان يوجد هناك بعض العتاب من جهة «اليسار» حول «الاحتراس والحذر من اعمال وقرارات الرئيس بوش». فهذا التعبير يعكس بلطف الأيديولوجية الحرة. وانه يعني بتعبير «اليسار» اليمين الوسط: أي المجلس القومي للكنائس، الخ. فأي شيء أبعد من ذلك بالنسبة لتعبير اليسار هو غير قابل للتفكير، وخارج عن نطاق المناقشة. وانه امر لا يدعو للتفكير من انه لا بد ان تكون هناك اية معارضة اكثر من كونه مجرد «حذر واحتراس» من ذلك العمل. فهذه هي الأيديولوجية الليبرالية. فهو نطاق مقيد باليمين الوسط واقصى اليمين. وعليك التأكد بأنه لا يوجد هناك انشقاق في المجتمع. وثانياً، فان الأسئلة الوحيدة التي يمكن ان تُسأل هي تتركز حول النجاحات فحسب. لذلك فما يدعون بنقد «اليسار» هو فيما اذا كانت الافعال والقرارات متهورة أم لا، وهل هي قابلة للعمل أم لا، أم هل هي ستكلف كثيراً ؟ الخ.

■ **سؤال : إنها نفس المسائل التي اثيرت حول الهند الصينية، المسائل العملية، اليس كذلك ؟**

جـواب : بالضبط فهو يقول عندئذ، حسناً، فهذا العتاب يأتي من اليسار، وعلينا أن نزيله، ونتغلب عليه. وانه عبارة عن هراء تماماً. ومن ثم يقول بأن الاهمية التاريخية للغزو هي انها ساعدت في انشاء ما أطلق عليه تعبير «الإجماع الوطني الجديد» فيما يتعلق بالتدخل الاميركي. ومن ثم فانه يصف هذا الاجماع الجديد للتدخل. ويقول بأن أول من خطط ووضع ذلك هو كاسبار واينبرغر، الذي قدم ستة مقاييس لذلك. اربعة منها تقول بأن التدخل يجب ان ينفذ عندما يكون قابلاً للتنفيذ فقط والمقياس الخامس يقول بأنه يجب تنفيذ ذلك عندما نعتبره حيوياً لمصالحنا. أما المقياس السادس فيقول بأنه يجب علينا محاولة تجريب وسائل أخرى أولاً، واذا لم نجد نفعاً، فعندئذ نستخدم التدخل. فتلك هي المقاييس. تلك المقاييس التي يمكن ان تثار وتقاس من قبل هتلر فقط وفي الحقيقة، فان أي واحد يمكنه ان يثيرها. فيمكن تنفيذ التدخل عندما يكون قابلاً للتنفيذ، وعندما تريد وترغب ذلك، ولا تستخدم القوة بشكل واضح ما لم تكون بحاجة لذلك. ومن ثم يدعي (برودر) بأن دوكاكيس قد قبل تلك المقاييس، وذلك هو الاجماع الجديد للتدخل، وذلك هو الأمر المهم.

وما يعني ذلك فهو ان شرائح النخبة المتعلمة التي تحدث عنها «برودر» والتي تشكل جزءاً كبيراً من وجهة نظر الليبراليين والمتعلمين، والذين نجحوا أخيراً في التغلب على ما كان يدعى بـ «اعراض فيتنام». وتلك هي، معارضة استخدام القوة والعنف من اجل تحقيق أهدافنا.

واعتقد بأنهم مخطئون بشأن ذلك. ولقد تحدثنا طويلاً عن الطبقة السياسية، والطبقة المتعلمة، وطبقة أو فئة صناع القرار، بيد انه في الواقع، فإنه توجد هناك شرعية كبيرة من الشعب لا تشكل جزءاً من هذا. فقد كنت أقرأ زاوية رسائل الى المحرر في الصحف من كل أنحاء البلاد، وفي مختلف الصحف وعلى شتى أنواعها. إنه كان شيئاً مشوقاً. ولا أريد أن أطرح هنا مثالاً على ذلك، إلا أن انطباعي القوي هو أن زوايا رسائل الى المحرر في الصحف كانت معارضة وعلى شكل واسع للغزو الاميركي، علاوة على انها كانت على مستوى من الاطلاع. فهي كانت تحتوي على تحليلات ومعلومات تجعل المحترفين يعتنون بها ويستثنون منها الفقرات الكثيرة التي تعبر عن العار والازدراء للتدخل الاميركي. وقد بينت بأن رؤساء التحرير يستثنون وبشكل مغرض الرسائل التي تجعلهم يبدون كالاغبياء. لذلك فإنني أتصور بأن هذا يمثل ما يعتقدونه، كما انه يعكس آراء قطاع رئيس من الشعب التي لم يكن من الممكن السيطرة عليها بواسطة جهاز التلقين (الجهاز الاعلامي او وسائل الاعلام). انهم أولئك الناس الذين لا يعتبرون مفوضين أو مشتركين في أجهزة الحكم. كما انهم لا يعتبرن من كتاب الزوايا أو الاعمدة في الصحف. وليسوا أيضاً من صناع القرار، وإنما هم خارج هذا النطاق. ومن هنا تأتي حركة التضامن. وتأتي حركة المعارضة والانشقاق، ولا أرى أي سبب للاعتقاد من ان نظرية «اعراض فيتنام» قد كان متغلباً بين قطاع كبير او غالبية الشعب وليس اكثر من انها كانت مظهراً من مظاهر انتصارات الدعاية ووسائل الاعلام للسنوات المبكرة. فهذا يبدو كمثل نواة قوية للمقاومة او المعارضة. لذلك، فان بورنر، مثله كمثل الآخرين من قبله، قد يستحسن حقيقة اننا استطعنا اخيراً من ترويض النمر او الشرس، بيد اني لا اعتقد بأنه على حق بذلك.

■ **سؤال : إن وسائل الاعلام (الاميركية)، من خلال دورها العدائي التقليدي لهذه المسائل، كانت معارضة جداً على سبيل**

المثال للتحدث عن او مقارنة سجل حقوق الانسان لنظام نوريغا في بنما «بالديمقراطية الفتية» فما هو تعليقك على ذلك ؟

جـواب : ان سجله (نوريغا) واضح تماماً ولا يحتاج للكتابة عنه كثيراً. واذا ما كانت هناك اية كتابات للصحفيين حول هذا الموضوع، فإن اول شيء يمكن ان يفعلوه هو التحول او النظر الى اخر تقارير حقوق الانسان في بنما. ففي عام ١٩٨٨ اصدرت هيئة المراقبة الاميركية تقريراً حول حقوق الانسان في بنما، وكان يعكس صورة غير سارة بهذا الصدد. حيث انه كان هناك بعض عمليات القتل قد يظنها المرء بانها مقبولة بالنسبة لنظام نوريغا. كما ان بعض السكان قد تعرضوا لعمليات تعذيب. وكانت هناك موجة من الظلم والتعسف تتطلب مراقبة بالتاكيد. فدعنا نقارن ذلك مع الوضع في هندوراس، التي لا تعتبر كدولة ارهابية مثل السلفادور وغواتيمالا. فبنما تبدو افضل بكثير من هندوراس. وهناك كتيبة تدريب واحدة في هندوراس، الكتيبة ٣١٦، على ما أعتقد، والتي هي لوحدها نفذت اعمال وحشية اكثر بكثير مما قام به نوريغا. ففي الحقيقة، فان نوريغا مجرد سفاح ثانوي بالنسبة لهم. كما انه لم تذهب هيئة المراقبة الاميركية للتفتيش على مجال واعمال المخدرات الى هناك كثيراً.

فانظر الى الاتهام الذي وجهته محكمة ميامي ا لى نوريغا. فاعتقد بانه كان هناك اتهام واحد فقط بعد عام ١٩٨٤. فذلك هو امر مدهش، لانه لغاية عام ١٩٨٦ كان يعتبر رجلنا. وبعد ذلك الحين فانه اصبح شيطاناً بنظرنا. بيد ان الاتهامات ضده اصبحت غامرة خلال فترة نزاعه مع جورج بوش. ففي الحقيقة، فان بنما كانت تعتبر مركزاً رئيساً لتهريب المخدرات، بل انه كانت هناك ايضا مشكلة البنوك بصورة رئيسة. وهناك ايضا الاشخاص الذين تسلموا زمام السلطة. فقد كان لبنما سوق حرة ونظام مصرفي حر ومفتوح والذي كان اساساً لاقتصاد مزيف بصورة كبيرة. فلا توجد هناك انظمة ولا قوانين بهذا الشأن، الخ. وبذلك كانت تجتذب الاموال الغير قانونية والاموال المهربة من البرازيل على كافة اشكالها، الخ. فذلك هو الاساس للاقتصاد البنمي. وبالعودة الى عام ١٩٨٣ عرفت لجنة من الكونغرس لتقصي الامور البنكية والمخدرات في بنما بانها لربما تعتبر مركزاً رئيسياً في العالم الغربي لتمويل وتهريب المخدرات. ومن المسؤول عن ذلك، انهم اولئك الاشخاص الذين وضعوا في السلطة. وبالتاكيد فإن نوريغا كان

متورطاً في ذلك، انه يعتبر مجرماً. وكان له حصة في ذلك. ولكن فيما يتعلق بالأعمال الوحشية، فانه قد لا يقارن مع ما كان يحدث في غواتيمالا والسلفادور. فذلك أمر مضحك ومستهجن. وهناك مظهر اخر للغزو الأميركي لبنما عالجته وسائل الاعلام بطريقة مدهشة. فادارة الرئيس بوش تذرعت تقريباً بحقوق الانسان عند غزوها لبنما. وكان ذلك مناقضاً لما قامت به تلك الادارة. ففي الوقت الذي غزت فيه الولايات المتحدة بنما وذلك بذريعة عدم التزامها بحقوق الانسان، فانها اختارت تلك اللحظة لتعلن بأنها قد رفعت أو انهت العقوبات الاقتصادية ضد الصين، وانها ستبيع الصين معدات تكنولوجية بقيمة ثلاثمائة مليون دولار والتي كانت بالطبع، تشمل معدات لاستخدامها في المجال العسكري. وكانت هناك بعض التساؤلات حول هذا، وصرحت مارلين فيتزووتر، الناطقة باسم البيت الأبيض انذاك، بقولها، «حسناً، فهذه الثلاثمائة مليون دولار عائدة لمنفعة رجال الأعمال وسوق العمل الأميركيين». وبما انه يعود بالفائدة على سوق العمل، لذلك فان علينا السكوت، وسكتنا. اضافة لذلك، فان وزارة الزراعة اعلنت بأنها ستستأنف مبيعات الأغذية للصين. ومن ثم أعلن البيت الأبيض فيما بعد عن عدم السماح لدخول باحثين وعلماء صينيين الى الولايات المتحدة، كانوا دعوا من بعض الجامعات الأميركية، وذلك استجابة لرغبات أولئك الأشخاص الطيبين الذين نفذوا مذبحة ساحة تانامين. كما انهم أعلنوا ايضاً بأن الاتصالات مع الصين استؤنفت بعد المذبحة مباشرة. اضافة لذلك، فانهم اعلنوا، وهذا أُبقي سراً، كما اعلم، بأنهم قد أزالوا القيود التي كانت مفروضة على القروض للعراق. ولم تحدث أية ضجة بهذا الخصوص.

فماذا يعني ذلك؟ فبمقارنة رفقاء بوش في كل من بغداد وبكين، فإن نوريغا يبدو كمثل الأم تيريزا. ومن المتوقع ان تتناول الصحف كل هذا وتقبله وتمضي بحملتها الهستيرية الشوفينية حول حبنا وشغفنا بحقوق الانسان وان مما يدهش بأنهم قد فعلوا ذلك. فمقارنة نوريغا بالسلفادور أو غواتيمالا أو صدام حسين او دينغ كسياو بينغ لهو أمر سخيف. فنوريغا لا يزيد عن كونه تافه، تماماً كما كان أمره عندما كنا ندعمه.

■ سؤال : في أواخر عام ١٩٨٧، كان جون لاون، مدير ادارة مكافحة المخدرات، يقوم بكتابة رسائل الاطراء والمديح لنوريغا، أليس كذلك ؟

جواب: يوجد لديّ نسخة لرسالة يعود تاريخها الى شهر أيار عام ١٩٨٦ بهذا الصدد. فقد كتب جون لاون، في ذلك التاريخ، رسالة امتدح فيها نوريغا لنضاله النشط ضد المخدرات واشتراكه المتحمس في حرب المخدرات. وكتبت رسالة أخرى في عام ١٩٨٧. وفي أيار ١٩٨٧، تولى ادوين ميس، النائب العام الاميركي آنذاك، ادارة التحقيقات بقضية نوريغا في فلوريدا. وبعد ذلك أصدر الكونغرس قراراً دعا فيه نوريغا بأن يتنحى جانباً لغاية ما يتم الاستعلام عن نشاطاته الاجرامية. إلا أن بعض الفئات المتنفذة عارضت ذلك. فهم كانوا لا يزالون يحمونه.، ومن المحتمل ان تعليقات لاون حول نوريغا وتعاونه في مجال حرب المخدرات كانت دقيقة تماماً. فمن المحتمل انه كان يتعاون في هذا المجال. ولِمَ لا؟ فلِمَ لا يتعاون مع الجهود الأميركية في حين انه يحصد الأموال من جراء بيع الكوكايين؟ فلا يوجد هناك تناقض فكل هذا يعكس سياسة التناقض الأميركية.

وعلى نحو مصادف، فان ذلك اعتبر صعباً ثانية لرؤية كم لا يمكن لوسائل الاعلام ان تفهم وترى ماذا يحدث بالفعل. فهذا بالضبط ما يحدث مع كل قاطع طريق ومحتال تدعمه الولايات المتحدة. فاستعرض القائمة التالية:

تروجيلو، سوموزا، ماركوس، دوفالبير - الذين دعمتهم الولايات المتحدة وبحماس. فهم جميعهم أسوأ من نوريغا. ومرة أخرى، فإنهم ليسوا بنفس العصبة أو المستوى كما هو للحال بالنسبة لهذا المحتال التافه، نوريغا. إنهم قاطعو طرق ورجال عصابات بالفعل. ولقد دعمتهم الولايات المتحدة بحماس من خلال أسوأ ممارسات الارهاب ما دام كل شيء كان يسير بنظام والمنافع تتدفق وتجنى.

بيد انه تأتي هناك نقطة في المسار المنحني، وبشكل نموذجي، عندما يتجاوزون حد الاعتدال ويصلون حد التطرف. وبدلاً من سرقة الفقراء، كما يفترض بهم ذلك، فقد بدأوا بالتدخل مع الأغنياء. وعند ذلك الحد فقد بدأت معارضة رجال الأعمال تتطور، وحتى انهم بدأوا بالتدخل مع الامتيازات الأميركية. كما انهم بدأوا لان يصبحوا مستقلين جداً او أنهم يتدخلوا مع المستثمرين الأميركيين. وهذا ما يحدث غالباً. وبدأنا عند تلك النقطة بسماع اخبار حول انتهاكات حقوق الانسان وأصبح شوقنا او توقنا

الفوري للديمقراطية مهيمناً، وارتفعت كافة العلامات والملاحظات حول المثاليات الأميركية، الخ. ومن ثم جاءت فترة من التناقض. ومع ذلك، فإنه لم يكن بالإمكان قلب الوضع بشكل فوري. فكانت هناك فترة من الوقت ليجري تقرير ماذا يمكن فعله. ففي حالة تروجيلو، فبعد دعمه لعدة عقود من الزمن ومن خلال الأعمال الوحشية الفظيعة، فإن وكالة المخابرات المركزية حاولت اغتياله. اما في حالة سوموزا، فإن إدارة الرئيس كارتر حاولت انقاذه، ولكن عندما اصبح واضحاً بانه من غير الممكن انقاذه، فقد حاولوا ازاحته بطريقة ما، وقاموا بذلك. فقد أبعدوه الى ميامي، بيد انهم حاولوا حتى النهاية بأن يبقوا الحرس الوطني او الجيش في بلاده مسيطراً على زمام السلطة وذلك حتى يبقوا على نظامه قائماً. وفي حالة ماركوس، فقد انتظروا لغاية ما تحول الجيش ضده، ومن ثم تحولت واشنطن ضده. اما في حالة دوفلير، وعندما تحولت فئة رجال الأعمال ضده، فعل البيت الأبيض الشيء ذاته، ايضا.

وهذا ما حدث بالنسبة لنوريغا. ففي عام ١٩٨٧، نشأت معارضة مدنية في بنما، وخاصة من قبل طبقة رجال الاعمال الأوروبيين، وهي طبقة كبيرة في بنما. فهناك نخبة تقليدية بيضاء، تتكون من عشرين عائلة تدير شؤون البلد منذ مدة طويلة. إلا أن الوضع قد تغير في عام ١٩٦٨، عندما قام الجنرال توريجوس، وهو ديكتاتور مشهور، بانقلاب، واصبح هناك تغيراً في السلطة، حيث شارك في الحكم السكان السود المهجنين من نسل اوروبي وهندي اميركي، أحياناً بشكل رمزي، وأحياناً بشكل فعلي. أما المعارضة المدنية التي نشأت في عام ١٩٨٧، فقد كانت من قبل فئة من الأغنياء، من العنصر الأبيض الذين يركبون سيارات المرسيدس ويرتادون الفنادق المخملية. وكانت بدأت إشارات معاداة نوريغا من خلال الكتابات اليدوية على الجدران. إنهم كانوا من حلفاء الولايات المتحدة. واستغرق الأمر سنة او اثنتين بينما كانت الولايات المتحدة تسوي سياستها. وبدأت اشارات التذبذب والاضطراب في اواخر شهر آب ١٩٨٧. وكانت هناك ايضا عدة عوامل اخرى اشتركت بذلك. وكان هذا متوقعاً مع كل قاطع طريق او محتال كنا ندعمه، سواء كانوا من الكبار مثل ماركوس وسوموزا او من الصغار مثل نوريغا. انها عبارة عن توالٍ أو تعاقب طبيعي، يمكنك ان ترى او تستنتج لماذا تحدث. وانها فقط مسألة وقت.

وكان هناك عامل واحد بالنسبة للموقف الأميركي تجاه نوريغا، بيد انه كانت هناك عوامل اخرى ايضا. فالعامل الحاسم، كان في الأول من شهر كانون الاول عام ١٩٩٠، وهو اليوم الذي عادت فيه معظم شؤون ادارة قناة بنما ليد حكومة البلاد. وبعد سنتين، اصبحت ادارة القناة كلها بيد البلاد. علاوة على ذلك، فهناك خط أنابيب نفط اميركي يمر عبر بنما وتمتلك الحكومة البنمية ستون بالمئة منه، وأعتقد بأنه ينقل ما يقارب عشرة بالمئة من النفط الاميركي. لذلك فانه يعتبر شيئاً حيوياً مهماً. وكان لا بد من تأمينه، لذلك فقد اصبحت بنما في الأول من كانون الثاني ١٩٩٠ تدار من قبل حكومة عناصرها من البيض الأغنياء. فقد كان ينبغي أن توضع او تعاد الأقلية البيضاء الثرية للسلطة، ولم يكن هناك مزيداً من الوقت.

ثانياً، وكما ذكرت من قبل، فان نوريغا اصبح مستقلاً جداً. وهو لمدة طويلة، كان ينفذ الأهداف الأميركية. وكانت بنما عبارة عن قاعدة لشن الحرب ضد نيكاراغوا، إلا انه خرج عن الخط في اخر الأمر. ولأمر واحد، لأن بنما كانت تؤيد معاهدة «كونتادورا». وكانت الولايات المتحدة تعارض بشدة الجهود الدبلوماسية التي كانت تقوم بها الدول الديمقراطية في اميركا اللاتينية مفضلة الإبقاء على ساحة العنف هناك، التي كانت مهيمنة عليها. اما بنما فقد كانت تدعم معاهدة كونتادورا بقوة، والتي ادت في نهاية المطاف الى عقد معاهدة سلام. لذلك فقد كانت تلك نقطة سوداء كبيرة ضد نوريغا. كما انه كان على ما يبدو يجر قدميه او يتجه نحو حرب الكونترا، ويلعب على جانبي الشارع (على الجهتين) في لعبة المخابرات، الخ. وبذلك فقد اصبح نوريغا مستقلاً جداً، وغير موثوق به من جانب الولايات المتحدة. وهذه العوامل المختلفة عنت بأنه كان عليه ان يذهب.

وكانت المسألة الوحيدة هي اختيار التوقيت فقط. وبإمكانك أن ترى ماذا حدث فيما بعد. ففي شهر تموز ١٩٨٧، اصبح هناك معارضة قوية من قبل الطبقة البيضاء هناك. وجرى قمع المظاهرات باستخدام الغازات والضرب والتعذيب، الخ. ونفذ ذلك من قبل صديق نوريغا الحميم الكولونيل ادواردو هيريرا حسان، والذي كان محبباً للولايات المتحدة. وفي الحقيقة، فانه قد وضع في مركز القيادة العسكرية لبنما، فقط لنوضح حبنا لحقوق الانسان. وهو الرجل الذي أصبح مسؤولاً الآن تحت الاحتلال العسكري

الاميركي. وهو نفس الرجل الذي نفذ عمليات القمع في عام ١٩٨٧. وجرت حادثة اخرى في نفس الوقت. فقد مات توريجوس او قتل في عام ١٩٨١. لا أحد يعرف كيف جرى ذلك. وكان لا يزال هناك بعض العناصر المؤيدة له في الجيش، والتي اعتبرت من الفئات اليسارية والغير مقبولة من قبل الولايات المتحدة. وكان يأتي في المرتبة الثانية بالقيادة بعد نوريغا رجل يدعى دياز هيريرا، والذي كان ابن عم توريجوس وكان من المفترض أن يصبح زعيماً ذا نزعة شعبية. وكان امراً لا جدوى منه فيما لو استبدل نوريغا بهذا الرجل العسكري ذو الشعبية، وما دام دياز هيريرا يتولى المنصب الثاني في القيادة، فانه لن يكون بالإمكان الإطاحة بنوريغا وضمان ولاء القوات المسلحة في بنما.

وفي شهر تموز ١٩٨٧ طرد دياز هيريرا، مما جعل الأمور مهيأة. وعند هذه النقطة فقد كان من الممكن التحرك قدماً للاطاحة بنوريغا، وفي نفس الوقت الحفاظ على قوات الدفاع البنيمة واعادة الفئات الأرستقراطية البيضاء للسلطة فتلك كانت النقطة التي تغيرت عندها السياسة الأميركية بصورة دراماتيكية في تموز ١٩٨٧. واستغرق الأمر بعض الوقت قبل ان تترسخ الأمور، بيد ان ذلك بدا ليكون تغييراً حاسماً، كما إشار لذلك كل من جون ويكس واندرو زيمباليست. ومن ثم جاءت العقوبات الاقتصادية، والتي دمرت بصورة رئيسية الاقتصاد في بنما. فقد صممت الأمور بعناية. صممت لتحاول تجنب فرض عقوبات على الشركات الأميركية، وانما لوضع العبء على السكان الفقراء السود هناك. وهم من الموالين لنوريغا. وكان الافتراض ان هذا سيؤدي الى تآكل الدعم والتأييد لنوريغا. واثمر هذا بعد سنة او سنتين. فقد تآكلت شعبية نوريغا. وبنهاية عام ١٩٨٩، فقد اصبح مكروهاً، لانه كان بنظر كل واحد انه كان هو المسؤول عن تجويع شعبه. وبتلك الطريقة تقوم الولايات المتحدة بشنقنا. إنها كانت خطة محكمة. ومن ثم دعمت الولايات المتحدة قيام انقلاب عسكري هناك. واخيراً، وعندما لم يجد ذلك نفعاً، فقد جاء من بعده الغزو، وبشكل رئيس في وقت لضمان اقامة حكومة موالية للولايات المتحدة مؤلفة من النخبة البيضاء (الفئة البيضاء) في بنما قبل بداية عام ١٩٩٠.

وكان يوجد هناك مقداراً كبيراً من السخريات في هذا الحدث، اذا ما أراد أي واحد أن يتمعن في الامور التي لم يورد ذكرها. فالرئيس الذي نصبناه هناك وهو

جيوليرمو اندارا، فقد فاز بالفعل في الانتخابات بشهر أيار ١٩٨٩. إلا أنه طرد من منصبه، لأن نوريغا سرق الانتخابات منه، وذلك باتباع اساليب العنف والاضطهاد.

ديفيد بارساميان :

ولقد ذهب جورج شولتز الى بنما في ذلك الوقت.

نعوم تشومسكي :

لقد أرسل ريغان برقية تهنئة قبل سبعة ساعات من الاعلان عن نتيجة الانتخابات. وذهب جورج شولتز الى هناك من اجل تدشين الديمقراطية البنمية. فماذا حدث في عام ١٩٨٤؟ لقد سرق نوريغا الانتخابات. واعتبر ذلك امراً جيداً في ذلك الوقت، لانه سرق او زور الانتخابات من اجل منع اندارا ورئيسه، ارنولفو ارياس، من الوصول الى السلطة. وكانت المشكلة تكمن في ارياس، الذي كان من السياسيين القدامى في بنما، وكان ايضا من الجناح اليميني الوطني هناك. بيد ان الوطنية هي ما كانت تعتبر امراً سيئاً. ولا يهم فيما اذا كانت تنتمي لليمين او لليسار. وأرياس كان وطنياً، وان الولايات المتحدة لم ترده لهذا السبب.

وكان اندارا يعتبر قديسه، فقد كان الناطق باسمه ووزيره. واصبح العنف اكثر شدة من سرقة أو تزوير الانتخابات في عام ١٩٨٩، فقد قتلوا عدداً من الناس جراء ذلك. لذلك ففي عام ١٩٨٤، فقد شجعنا نوريغا على تزوير الانتخابات بحماس. ووضع مرشحنا بواسطة العنف والاحتيال وتم سرقة وتزوير الانتخابات.

وفي عام ١٩٨٩، قام نفس الشخص بنفس العمل، وكنا مروعين من جراء ذلك لانه جرى بأقل مستوى من العنف والاحتيال. ففي الحقيقة، فإن اندارا نفسه، ومع انه لا أحد استشهد بأقواله خلال فترة الغزو الاميركي، لأنه كان عبارة عن رئيس صوري، ومع ذلك فقد اعلن بنهاية شهر كانون الأول ١٩٨٤ عن شجبه «لانتخابات عام ١٩٨٤ الخادعة». ولم يورد هذا التصريح لانه كان سيؤدي الى حدوث التبصر للوصول الى الحقيقة. ولكن اذا ما كانت عواطفنا قد أوذيت كثيراً بواسطة نوريغا في عام ١٩٨٩ للإبقاء على اندارا خارجاً، فكيف كان كل ذلك جيداً عندما وقع نفس الشيء الأسوأ في عام ١٩٨٤، للإبقاء على اندارا خارجاً؟ وكانت هناك تغطية فعلية لوسائل الاعلام

للانتخابات التي جرت في عام ١٩٨٤ من قبل كين سيلفرستين نشرت في عام ١٩٨٨ في صحيفة «كولومبيا جورناليزم ريفيو». ومن ثم استعرض ذلك في صحف رئيسة مثل التايمز والبوست وميامي هيرالد، الخ. ولا أحد تحدث بكلمة واحدة عن عملية الخداع وتزوير الانتخابات فقد كان الأمر جيداً بالنسبة لهم.

ديفيد بارساميان :

اذكر ان شولتز في ذلك الوقت قد انّب الساندينيين في نيكاراغوا، قائلاً بانه يجب عليهم ان يحاكوا او يقلدوا الديمقراطية البنمية.

نعوم تشومسكي :

هذا صحيح، فهو قد ذهب لهناك ليدشن الديمقراطية وليتحدى الساندنيين بأن يفعلوا الشيء ذاته. وبالطبع، فقد اموا باجراء انتخابات، لانتخابات حرة، وبالطبع فقد كانت انتخابات موفدة. وانها ادهشت فقط جهاز الدعاية والاعلام والذي لم يستجب او يغطي ذلك. فلم يورد أي شيء بهذا الصدد. وكان بالإمكان سماع ذلك من هنا وهناك لاستنتاج ما كان يجري. فهذه الأمور ليست غامضة. والسؤال الواضح الذي يتبادر للذهن هو عندما عبرت الحكومة الاميركية عن غضبها حول سرقة او تزييف الانتخابات التي جرت في عام ١٩٨٩، ، فماذا حدث في الانتخابات السابقة التي جرت في العام السابق عندما كان نوريغا لا يزال يعتبر رجلنا او محتالنا؟

إنه ليس سؤالاً معقداً. فإنك ستكتشف ذلك على الفور بانها كانت اسوأ من السرقة او التزوير، وقد جندنا ذلك. فالرئيس الذي وضع أو نصب هناك، وعلى نحو مصادف، كان تلميذاً سابقاً لجورج شولتز، وهو مصرفي ينتمي للجناح اليميني واسمه اردیتو بارليتا، والذي كان يدعى باسم «فروديتو» في بنما منذ وقت طويل.

■ سؤال : في شهر كانون الثاني عام ١٩٩٠، كتبت مقالة في صحيفة «الأمة» قارنت فيها ما فعله الاتحاد السوفياتي سابقاً في دول اوروبا الشرقية في اخر سنة له قبل انهياره مع ما فعلته الولايات المتحدة في عالمها الذي تسيطر عليه. فما هو تعقيبك على ذلك ؟

جـواب : إنه أمر مـناقض تماماً، ومرة أخرى، فإنه نوعاً من المفاجأة بحيث انه لا أحد في شمـال «ريو جراند» قد فـهم ذلك. فـمـا يجـري في عـالمنـا مـا هو إلا عـبـارة عن حـرب باردة. فنحن (الولايات المتحدة) نقمع الاستـقـلال والديمقراطية والاصـلاح الاجتمـاعي، ونفـعل ذلك بواسطة العنف لأنه لا توجد هـناك وسيلة أخـرى. فذلك امـر أصـبـح أسـوأ. وهذا مـا فـعله الاتحـاد السـوفـيـاتي في منتـصف فـتـرة حربه البـاردة ولوقت طويل. وكـان عالمه (الدول السـائرة فـي فلكه) أضيق جداً، لأن الولايات المتحدة تـعتبر قوة عـالمية، وانها تستخدم قوتها مباشرة في عالمها او محيطها الـخـارجي، بيد ان الـحـرب الـبـاردة بالنسبة للاتحـاد السـوفـيـاتـي (سـابقـاً) كـان يعـتـمـد على الدبابات، سـواء كـان الأمـر فـي برلين او بودابست أو براغ. أما بالنسبة للولايات المتحدة فانها اعتـمدت على الإطاحة بالـحكومات في شـتى انحـاء الـعـالـم وتعـذيب رؤسـاء النقـابات المهنية، الـخ، وهـنـاك كـثـيـر من الـحـالات يمكن ذكرهـا. واسـتمر ذلك قـائمـاً في عالمها او الدول السائرة في فلكهـا، وبشكل مدهش في أميركا اللاتينية، والتي هي عبارة عن مقبرة بالنسبة لنا.

ومـا هو بارز بشـأن اوروبا الشـرقـيـة هو انه تم وقـف القـوى الامـبـريـالية عند حـدهـا. كـمـا أنها (اوروبا الشـرقـيـة) سـمـحـت بقـيـام الـحـركـات الشـعـبـيـة وتنشيطها وتفـعيـلهـا وتشـجـيـعـهـا فـعليـاً. وتعـتـبـر هذه سـابقـة تاريخـيـة. ولم يحـدث هذا لأن الروس كـانوا أشـخـاصـاً لطيفين، وانمـا حدث لأسـباب داخلية. لذلك فـان الـحـركـات الشـعـبـيـة الكبيـرة في اوروبا الشـرقيـة هي قـادرة فـعلياً على جني المكاسب. حيث انها لم تواجه ذلك العنف والارهاب التي واجهته مثـيلاتها في امريكا اللاتينية. وانني لا أشـوه صـورة الـحـركـات الشعبية في اوروبا الشـرقية، فهي حركات معبرة تمـاماً. غير انها لا تواجه نفس العنف الذي يحـدث هنـا، في الأمريكتين. فهناك، تآكلت القوات المسلحة وانهارت. كما انها حلت بشكل لم يسبق له مـثيل من قبل تاريخـيـاً. عـلاوة على ذلك، فـان الاتحـاد السـوفـيـاتي، وهذه ثانية سـابقة لم يحدث لها مـثيل، قد اعتذر عن العنف الذي مارسه سـابقـاً. فظهرت العناوين الصحفية الكبيرة على صدر الصـحف الأميركية لتعلن بأن الروس قد انضـمـوا أخيراً الى العالم المتحضر لانهم صرحوا بأن غزو افغانستان قد انتهك القانون الدولي وكان غزواً غير مشروعاً.

فذلك امر مدهش. فعليك أن تفكر لبعيد لتجد اي واحد يقترح بأنه من الممكن ان

تحاول الولايات المتحدة لتكون على مستوى ما قام به الكرملين، وتقول او تصرح بأن العدوان على جنوب فيتنام قد انتهك القانون الدولي وكان لا اخلاقياً. ففي الواقع، فانه لا يمكننا ان نصرح بذلك، لأن ذلك سيكون اعترافاً بأنه قد حدث. حتى انه لا يمكننا القول بأن ذلك قد حدث بالفعل. او ان نقوم بالاعتذار لغزو كل من جمهورية الدومينيكان، او لغرينادا، او غزو بنما. ودعنا الا نعود للوراء كثيراً، فهناك العديد من الحالات التي قد نتصورها أو نذكرها.

واعتقد بأن الحرب الباردة بمجملها قد اسيء تفسيرها سواء من قبل اليسار او اليمين على حد سواء ومنذ بدايتها. فإذا ما نظرت الى الأحداث الفعلية للحرب الباردة، فانك ستجد، ومن وجهة نظري، نوعاً من الاتفاق الضمني بين الاتحاد السوفياتي سابقاً والولايات المتحدة ليتسنى لهما المشاركة في ادارة العالم. ولم يكن الخط الرئيس له زائفاً تماماً، إلا أن جزءاً كبيراً من الحرب الباردة كان عبارة عن الية يمكن للولايات المتحدة بواسطتها شن حرب ضد العالم الثالث والسيطرة على حلفائها في اوروبا، ويمكن ايضا بالنسبة للاتحاد السوفياتي سابقاً من الإبقاء على امبراطوريته الداخلية وحتى بشكل أكثر فعالية.

إن توقعات حدوث حركات تحرير اشتراكية في الغرب، هي قائمة، كما أعتقد. ومن إحدى الأساليب الأكثر فعالية للسيطرة على الشعوب في الغرب كانت من خلال الارتباط بالاشتراكية والاصلاح مع الاتحاد السوفياتي. وذلك من المفترض لتكون «اشتراكية حقيقية متواجدة». إلا ان اليسار واليمين قد تعاونا او تحالفا في عملية خداع ضخمة. وقد ارتبطت هذه القيم، قيم التضامن والمساواة والعدالة الاجتماعية وغيرها من الأمور الأخرى، ارتبطت من الناحية التقليدية بالاشتراكية، ولكن اذا ما ربطت هذه بالأنموذج الأوروبي الشرقي، فاننا عندئذ لا نريدها بتاتاً. فإن اي انسان عاقل سيقول، «انني لا اريد ذلك». فذلك كان اسلوباً رئيساً كانت تحتوى من خلاله الحركات الشعبية ويسيطر عليها وتحول عن أهدافها، وكانت تدمر في الغرب في بعض الأحيان. انها عبارة عن خدعة تماماً. فالبلاشفة في انقلابهم الذي قاموا به في عام ١٩١٧ قد دمروا الاشتراكية، فماذا بقي منها في الاتحاد السوفياتي سابقاً.

■ سؤال : ولكنها حملت اسمه، اسم الاتحاد السوفياتي ؟

جـواب : بالتأكيد انها كانت تحمل اسمه، تماماً كما نستخدم نحن عبارة الديمقراطية لنشير بها الى السلفادور، ايضا. ففي الحقيقة، فانهم (السوفييت) كانوا يدعون الدول التي كانت سائرة بفلكهم «بالدول الديمقراطية الشعبية». انها كانت تدعى بالدول الاشتراكية وبالديمقراطية ايضا، على حد سواء. وكنا نضحك ونطلق النكات على هذه التسميات، الاشتراكية والديمقراطية لأنه كان من الضروري القيام بذلك من لجل تشويه الاشتراكية والحط من شأنها. والدول السائرة في فلكه، بشكل ظاهر فقط. فذلك هو الجزء الأكبر من وظيفة الحرب الباردة. وهناك وظائف اخرى، إلا ان ذلك هو الجزء الاكبر منها. ومن وجهة النظر هذه، فان نصف الحرب الباردة ما زال مستمراً. وهو مكثف، في الحقيقة. فما زالت الولايات المتحدة تلعب لعبتها. اما الجزء الآخر من اللعبة فقد انتهى. فذلك تغير، إلا انه لا يعتبر انتهاء للحرب الباردة. فما هو موجود الآن، ان طرف واحد قد أنهى اللعبة، في حين ان الطرف الآخر ما زال ماضياً فيها قدماً وكما كان من قبل (الولايات المتحدة).

ومما يدعو للدهشة، ان هناك اناساً مثل اليوت ابرامز وغيره مدركون تماماً لهذا ومسرورون به وتوصلوا لاستنتاج واضح: فابرامز، أصبح منتشياً بعد غز وبنما، وبين بوضوح تماماً بأنه يوجد هناك اختلافاً الآن عما قبل. فالآن لا يمكننا القلق بشأن تدخل او ردع سوفياتي. فهو يقول ان الولايات المتحدة مطلقة الحرية الآن لاستخدام القوة، لأننا لن نقلق بأن يؤدي ذلك الى تفجر نزاع بين قوتين عظيمتين، لأن الروس قد أخرجوا عن الساحة واوقفوا. واصبح الوضع بأننا قد احتوينا الروس وردعناهم. فقد كان الواقع السابق: بأنهم كانوا يحتوون مخططاتنا الدولية ويردعوننا، وكان ذلك امراً بيعياً لأننا قوة عالمية، ومخططاتنا ومشاريعنا موجودة في كل مكان من العالم، وليس فقط من خلال طرق الغزو التاريخية. وعمليات الغزو السوفياتية، باستثناء غزو افغانستان، الذي كان من خلال طرق الغزو التاريخية الآتية من الغرب ضد الروس. فلا يوجد شيء من هذا القبيل فيما يتعلق بتدخلاتنا او غزواتنا. فابرامز يفهم بشكل صحيح ان الردع قد ازيل، أو انه قد قلص، لذلك فإن لنا الآن مطلق الحرية في استخدام القوة. ويمكننا ان نلعب لعبة الحرب الباردة. والآن، وبعد انهيار النظام السوفياتي، فإن ذلك الأسلوب في

السيطرة على الشعوب هو ايضاً، ربما، انهار معه. وكانت هناك جهوداً كبيرة للإبقاء والحفاظ عليه. وذلك يفسر لماذا أُثيرت كل تلك الضجة حول الانتصار الذي حققته الراسمالية على الاشتراكية، الخ. إلا ان الأمر قد أصبح أصعب. وذلك يعني بأنه ما زالت توجد هناك فرص لإحياء التفكير والمثاليات الاشتراكية التحررية التي دمرت وحطمت من قبل الثورة البلشفية، كما انها دمرت في الغرب بسبب ربطها بالثورة البلشفية ايضا. فهناك يكمن الأمل كما اعتقد. ولا اعرف مدى كبر هذا الأمل. إلا انه قد ازيل عائق واحد على الأقل.

■ سؤال : كيف يمكن للمخططين ومجموعات النخب هنا منع الفساد من الانتشار كما حدث من قبل؟ وماذا لو أن الجماهير في الولايات المتحدة ارادت وجود احزاب سياسية حرة والوصول الى اجهزة وسائل الاعلام، الخ ؟

جواب : إنهم يعترفون بأنها تشكل مشكلة. وهذه من إحدى الأسباب لماذا ان النخب الحاكمة الاميركية والأوروبية هي ليست سعيدة جداً مع هذه التحركات باتجاه الانفراج والانفتاح. فهذه قصة . تعود الى منتصف الأربعينات. حيث كان للولايات المتحدة دوراً رئيساً في تقسيم المانيا، لانها كانت معنية من انه كان من الضروري تحطيم الحركة العمالية الالمانية ولمنع ما كان يدعى «بالعدوان الأيدولوجي» الآتي من الشرق. فقد كان ذلك يعتبر نوعاً من العدوان الذي كنا نخشاه في الحقيقة. وقال جورج كينان في عام ١٩٤٦، انه كان من الضروري عزل المانيا الغربية عن التأثيرات القادمة من الشرق اذا ما اردنا اعادة النظام التقليدي القديم والتاكد من عدم وجود نزعات اشتراكية ديمقراطية او حركة عمالية قوية، الخ. فذلك كان جزءاً مما كان يجري في العالم جميعه انذاك. وما كان يجري منذ ذلك الحين ولغاية اليوم.

وعلى سبيل المثال، فعندما ألقى بريزنسكي (مستشار مجلس الأمن القومي في عهد ادارة الرئيس كارتر) خطاباً في موسكو حول الانتصار الرائع الذي حققته الراسمالية، واختتم فيه خطابه ذاك، بيد انه دعنا لا نذهب بعيداً جداً في هذا. ودعنا نبقى على كل من حلفي وارسو والاطلسي، لأن ذلك يساهم بما نطلق عليه اسم «الاستقرار»، وهو يعني واحد من تلك الكلمات الشيفرية التي تعني «الحكم بواسطة

الأشخاص الصحيحين». وكان يوجد هناك خوفاً دائماً مما قاله رئيس وزراء جنوب افريقيا السابق، جان سموتس، عندما قال لصديقه انذاك، ونستون تشرشل، في عام ١٩٤٣ «دع السياسة تضيع بين هؤلاء الناس» في اوروبا.

■ سؤال : ولقد نشأ عن ذلك ازمات في الديمقراطية، اليس كذلك ؟

جواب : بالتأكيد، فعليك أن تتأكد بأن لا تدع السياسة تضيع وتتحلل بين هؤلاء الناس، وان نظام الحلف يساعد في منع ذلك. وهذا سبب لماذا تكون النخب الأوروبية الحاكمة سعيدة تماماً به، وحتى انها تريد الحفاظ على وجود القوات الأميركية هناك. فهم يريدون الإبقاء على بعض المواجهة قائمة، لأن ذلك يبقي السياسة بان تصبح ضائعة ومفككة بين هؤلاء الناس وبكل أنواع الأفكار المضحكة. وهنا عليك ان تلقي نظرة على البدائل الأخرى. وتلك في الحقيقة وظيفة رئيسة لحرب المخدرات وهستيريا الارهاب الدولي. وامور اخرى يمكن ان تبتكر. ويصعب القول كم ستبقى من الزمن. ولا أعتقد بأنها ستكون لها دعاية كما كان لامبراطورية الشر، والتي كانت، مع ذلك، شريرة ومتوحشة. فلا يهم كم تكون الفكرة غير عاقلة حتى يختنقوا بها الغرب، وانه كان صحيحاً بأنهم كانوا بشعين. ولا أعرف اذا كان بإمكانك أن تجد بديلاً لذلك بسهولة. فتلك هي أنواع الصراعات الناشئة الآن ضمن النظام الأيديولوجي.

بدائل امبراطورية الشر

جرى هذا النقاش في شهر شباط ١٩٩٠

ديفيد بارسامیان : في شتاء عام ١٩٩٠ ظهرت مقالة صحفية بعنوان «الى ضريح ستالين». وقد جذبت هذه المقالة انتباه وسائل الاعلام المركزية. كما ظهرت مقتطفات منها في صحيفة نيويورك تايمز. فهل لديك فكرة عن ذلك ؟

نعوم تشومسكي :

أول كل شيء، فهناك اطار مفاهيمي الذي يمكن أن نتجاهله تماماً كما أعتقد. وانه مليء بمثل تلك التبصرات أو الاعتقادات من ان اليسار اعتبر ستالين كبطل، ووصفت الستالينية على أنها حركة ديمقراطية ومجد رئيسها، الخ. ويمكننا ان نطرح ذلك جانباً، ونتناول فقط جوهر المقالة، ونأخذ منها ما نشر في صحيفة «التايمز» اللندنية، والتي تحتوي على فرضية عامة وعلى توصية سياسية تتبعها. والفرضية العامة هي انه لا يوجد هناك طريق أو وسيلة ثالثة ما بين اللينينية والسوق، ما بين البلشفية والحكومة الدستورية. لذلك فإن أي جهد لايجاد أي شيء بين تلك الأمور هو مستحيل. فتلك هي الفرضية العامة. اما التوصية السياسية فهي ان المساعدة الأميركية للاتحاد السوفياتي سابقاً يجب ان تكون مقيدة الى الحد الذي أطلق عليه الكاتب عبارة «التركيبات المتوازية»، التي ترتكز على الاستثمار الخاص والسوق الحرة، وذلك الذي يقع ضمن نطاق روسيا، في دول البلطيق، الخ. كما انه يجب على الولايات المتحدة ان ترفض قيود بنك النقد الدولي عليها، مع انشاء مناطق حرة، ويجب ان يمتد ذلك تدريجياً الى داخل الاتحاد السوفياتي سابقاً. فهذه هي التوصية السياسية.

ولنعد الى الفرضية السابقة، والتي تحتوي على خلل ثانوي. فالجزء الأول منها ينفي وجود كل مجتمع في العالم عملياً. حيث تقول بأنه لا يوجد مجتمع يلتزم بثبات بمبادىء السوق الحرة وهناك الشيء القليل من اللينينية في أسلوب ادارتها، خصوصاً وأن ادارة هذه الاقتصاديات أصبحت متآكلة. وان هذا لا ينطبق بالتأكيد على

الديمقراطيات الصناعية، او الدول الصناعية الديمقراطية. وبشكل واضح على الدول التي لم تحرز نجاحات كبيرة بعد في مجال الصناعة مثل كوريا الجنوبية وتايوان. أما فيما يتعلق بالادعاء من انه لا يوجد هناك أساس او ارضية ثالثة ما بين البلشفية والحكومة الدستورية، وهو الشق الثاني من هذه الفرضية، انه ينفي وجود معظم مجتمعات العالم، التي ليست بلشفية ولا حتى التي يوجد فيها حكومات دستورية. فالفرضية الرئيسية ليست زائفة فحسب، بل انها مضحكة وسخيفة جداً لتناقش حتى. ومن هنا يمكنك ان تفهم لماذا اراد كاتب المقال ان يظل اسمه مجهولاً، معطياً مستوى فكري لمناقشة مقاله، سواء الجزء الذي أشرت اليه من قبل او الفرضية التي طرحها. ومع ذلك، فان كل هـذا عبارة عن عـرض في الحقيقة. وما هو مهـم ومجدي للمقالة لا يكمن في الاطار المفاهيمي فيها، وانمـا في التوصية السياسية، لذلك دعنا نعود الى ذلك.

فالتوصية السياسية تقول بانه يجب على الولايات المتحدة والغرب عموماً محاولة تحويل اوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي سابقاً الى دول عالم ثالث جديدة. ونحن بالطبع، لا نقبل مبادىء السوق الحرة والتركيبات الراسمالية لانفسنا. فلا يوجد رجل اعمال واحد يمكن ان يتساهل ليكون خاضعاً لخرابات الراسمالية المتنافسة والسوق الحرة من دون وجود حكومة تحميها ووجود مساعدة عامة، الخ.

بيد اننا نصر على ذلك من اجل ضحايانا. فسيجعلهم اكثر سهولة للاستغلال. وذلك ما فرضته شروط البنك الدولي وهو: لا مساعدات، لا حماية، ولا حافز حكومي للاقتصاد او التدخل بالاستثمارات الأجنبية، الخ. فإذا ما امكنك فرض مثل هذه الشروط على دول العالم الثالث، فان ذلك يجعلهم بسهولة اكثر قابلية للاستغلال. فالعرض السياسي يكون بسيط جدا: فدعنا نحاول تحويل الامبراطورية السوفييتية المنهارة الى امريكا لاتينية جديدة يمكن سرقتها واستغلالها بنفس الطريقة والنمط كما يستغل عالمنا الثالث القديم. فذلك ما يعوّل عليه. أما البقية فهي عبـارة عن العاب فكرية لتجعل الامر يبدو جدياً.

■ سؤال : لقد انزعجت بإصلاحات غورباتشوف بسبب قلب الأمور راساً على عقب. فهل تعتقد انه كانت لديه خيارات كثيرة ؟

جـــواب : انه لم يكن انتقـاداً لغورباتشوف. وانما هو انتقـاد للنظام اللينيني الذي دمر المجتمع المدني. وقدم القليل جداً للتركيب او القاعدة الشعبية. ويعود ذلك أيضـا الى ما قبل الثورة البلشفية. وقد قـارن الشعب الروسي ذلك مـع عهدي بطرس الأكبر والكسندر الثاني. لذلك فقد كان النظام يتطلب تغييرات أسـاسية، وربما اجراء حل شـامل للنظام، إلا ان غورباتشوف بدأ من القمـة، أي انه اسـتهل الأمور من الأعلى. لذلك فقد تحـركت بالطبع كافة الحركات الشعبية. وذلك انعكاساً لطبيعة المجتمع السوفياتي. وليس تعليقاً على غورباتشوف.

■ **سؤال : إن نظام البنتاغون الصناعي في هذه البلاد يتطلب وجود عدو.. فمن الذي سيكون بديلاً عن الاتحـاد السـوفـيـاتي ؟ فـوسـائل الاعـلام سـتـقـدم وتبـرز كل من امـراء المخـدرات ومنظمـة التـحـرير الفلسطينيـة وفصائل الساندنيين والليبيين. إلا ان هذه العناصر لن تستمر وتطيل عملياتها. فما هي وجهة نظرك ؟**

جـــواب : تلك كـانت مشكلة في حقبة الثمـانينات برمتـها . وكـان من الواضـح منذ بادية الثمـانينات انه من الصعب الإبقاء على موجة الهستيريا ماضية فيمـا يتعلق بالامبريالية السـوفـيـاتيـة. وجـاءت ادارة الرئيس ريغـان للحكم وهي ملتـزمـة بتنفـيذ توسـع ضـخـم وبسـرعـة للبـرامـج العـسكرية التـي اقتـرحت من قـبل ادارة الرئيس كـارتر. وهم الآن مـاضـون في انجـاز ذلك بسـرعـة. ويتطلب هذا مقداراً كبيراً من الهسـتيريا الشـوفينية والخـوف، الخ.

وبالطبع، يوجد هناك احـاديث كثيرة حـول امبراطورية الشر، التي تطوف العـالم، وهناك امـور اخـرى ايضـاً. فـوزير الخـارجـيـة الأسـبق، الكسندر هيغ، قـال في إحـدى تصـريحـاته بأن الارهاب الدولي سيسـتبدل بحقوق الانسـان كمظهر مـركزي للسياسـة الخارجية الأميركية، اي سيولي الأولوية في المعالجة. وشنت حملة كبيرة حـول الكرملين الذي كـان يرعى الارهـاب الدولـي، وشـمـل ذلك ايضـا بـعض العنـاصـر العـربيـة والسـاندنيين، الخ. وظهرت هسـتريا محمومة حـول ذلك الأمر. فعلى سبيل المثال، ومع حلول عـام ١٩٨٥، كان الارهـاب في الشرق الأوسـط ودول حوض المتـوسط على جـدول الأولويات فعلياً بالنسبة للصحافة الأميركية في ذلك العام.

وأدى ذلك الى وقوع أحداث وحشية مثل قصف ليبيا بواسطة الطائرات الاميركية. وكانت تعتبر هدفاً مختاراً، وقد قيل الكثير بهذا الخصوص، إلا انه لم يكن ذو جدوى. فمن الصعب جداً ان تبقي الناس معبئين بسبب الارهاب الدولي. وكان هناك ايضا جهداً حثيثاً لمحاولة تشويه وفبركة ما كان يجري. ولذلك الأمر قصة طويلة.

والأمر التالي، كما قلت، هي حرب المخدرات. لذلك فهي بديل طبيعي عن الاتحاد السوفياتي، وانها يمكن العمل بها ولو بشكل مؤقت. ولا أعتقد بأن لديها القوة للاستمرار كما كان الأمر بالنسبة للاتحاد السوفياتي وتهديده. ومع ذلك، فانها بالتأكيد ذات فعالية. ويكفي ان تنظر الى عمليات الاستطلاع. فعلى سبيل المثال، هناك الحملة الكبيرة لأجهزة الاعلام الحكومية حول حرب المخدرات التي بدأت فعلياً منذ شهر ايلول عام ١٩٨٩، وكان تأثير ذلك مباشراً على الشعب او الرأي العام. وقد قمت برصد النشرات الصحفية المرسلة، وذلك من اجل الاستمتاع فقط ورؤية كم كان يوجد هناك من أقاصيص تروى حول ذلك. ولم تكن تلك عبارة عن تحليلات صحفية علمية، وانما عبارة عن عينات من الأخبار والروايات. ففي نشرات وكالة الاسوشيتدبرس كانت هناك قصص وروايات كبيرة حول المخدرات اكثر منها حول اميركا اللاتينية، وآسيا، والشرق الأوسط، وافريقيا مجتمعة. إنها طغت على أخبار كافة هذه الدول. فاذا ما شاهدت التلفزيون، فان كل برنامج اخباري فيه احتوى على فقرات كبيرة عن المخدرات وكيف انها تدمر مجتمعنا. وانها الاكبر خطراً في التاريخ، الخ. وقد عكست الاستطلاعات ذلك. لذلك فعندما فاز بوش بالانتخابات في شهر تشرين الثاني ١٩٨٨، وعندما استطلع الشعب بسؤال معلن مفاده: ما هي المشكلة الرئيسية التي تواجه البلاد؟ وكالعادة فإن النسبة القصوى التي يمكن ان تحصل عليها لهذا السؤال هي عشرة بالمائة، لأن الناس يكونون أحراراً في تقديم او اقتراح اي شيء يريدونه كمشكلة رئيسية. وكان الخيار الأعلى هو عجز الموازنة. واعتقد بأن ثلاثة بالمئة من المواطنين فقط قالوا بأن المخدرات كانت هي المشكلة الرئيسية. غير انه بعد حملة شهر أيلول الاعلامية، فقد أصبحت المخدرات على مستوى نسبة أربعين أو خمسين بالمئة، وهي نسبة عالية جداً، وانخفضت معها نسبة عجز الموازنة. فهذا التغير عكس مدى تأثير وفعالية وسائل الدعاية والاعلام. ولم يحدث أي شيء جديد حول المخدرات يمكن ان يحسب له حساب في تلك الفترة.

وكانت هناك أيضاً بعض السخريات البارزة خلال تلك الفترة. فعلى سبيل المثال، فلا شك أن المخدرات تشكل مشكلة رئيسية. بل إن أيضا الكحول والسجائر تشكل مشلة خطيرة جداً، وكل واحد يعرف ذلك على الأقل. ذلك ان عدد الوفيات سنوياً نتيجة للكحول والسجائر تبلغ حوالي نصف مليون شخص. أما الوفيات نتيجة للمخدرات فربما يكون عددها حوالي خمسة الاف شخص، ولا شيء نتيجة لتعاطي أنواع أخرى من المخدرات، مثل الماريجوانا مثلاً.

ففي الواقع فإن حرب المخدرات على مدى السنوات قد انحرفت من استخدام المخدرات الأقل ضرراً نسبيا مثل الماريجوانا الى مخدرات اخطر بكثير مثل الكوكايين، فذلك ضرب متلازم او متأصل في اساليب الردع أو المنع. ولكن حتى مع ذلك، فان الأرقام الاتحادية حول ذلك، والتي هي ربما تكون مفهومة، يمكن ان تكون اقل من خمسة الاف من الوفيات سنوياً نتيجة لتعاطي المخدرات، وحوالي نصف مليون ضحية سنوياً نتيجة للكحول والتدخين وحتى لو أن تلك الأعداد قد أصبحت ثابتة بفعل عامل كبير، فان التفاوت يظل ضخماً.

وتماماً في وسط مثل هذه الحملة الاعلامية الكبيرة حول حرب المخدرات، فإن وزارة التجارة الاميركية قد تلقت شكاوي من شركات التبغ من أن تايلاند قد رفضت قبول شحنات التبغ الاميركي، وفرضت قيود مختلفة على التبغ وعلى اعلانات السجائر، وذلك في جهد منها لمنع اضرار التدخين في تايلاند. وقد طلبت شركات السجائر الاميركية من الحكومة ان تفرض عقوبات تجارية على تايلاند وذلك لإخضاعها لقبول التبغ الأميركي ولإخضاعها ايضا لقبول الدعاية للسجائر. وقد فرضت عقوبات تجارية مشابهة في عهد ادارة الرئيس ريغان لاجبار اليابان وكوريا الجنوبية على قبول تدفق التبغ الاميركي عليهما. فقد شهد بذلك الطبيب الجراح العام، ايفريت كوب. وشجب هذا العمل تماماً ووصفه بأنه فضيحة، وقال بأنه كان فضيحة تامة لأن نطلب من دول اخرى وقف ارسال (تهريب) المخدرات الينا في حين اننا نجبرها على قبول مخدرات اكثر ايذاءً من قبلنا مهددين بفرض عقوبات تجارية عليها. وقد قارن شهود عيان ذلك مع حرب الأفيون التي حدثت في اربعينات القرن التاسع عشر، عندما أجبرت بريطانيا الصين على قبول الافيون لانها لم تستطع ان تبيعها اي شيء منه ونشرت وباء الأفيون

هناك بعد ان اجبرتهم على قبوله بواسطة الحرب. وقد جرى ذلك دون الاعلان رسمياً عن ذلك. واعتقد أن صحيفتي وول ستريت جورنال وكريستيان سينس مونيتور قد كانت لهما ملاحظة بشأن ذلك فقط ولا أحد حتى قد غطى فحوى ذلك. فان ذلك لم يورد تماماً. إذ ان الحدث له قصة طويلة. والقصة هي ان «الولايات المتحدة تعتبر اكبر مهرب ومروج للمخدرات في العالم»، أو «ان الحكومة الأميركية تجبر الدول الأخرى على قبول المخدرات». بيد ان كل ذلك مر بهدوء تام.

وعلى اية حال، فان تأثير كل ذلك كان مهماً. فان صحف اليوم، عل سبيل المثال، تنقل وتقتبس عن الفريدو كريستياني، رئيس السلفادور، يشكو فيها من ان الحكومة الاميركية لا ترسل له اموالاً كافية. فما يقوله هو انه «اذا لم تعيدوا تمويلنا، فانه سيكون من الصعب علينا التعامل مع مشكلة المخدرات الغير قانونية». وعندما كان كويل (مسؤول اميركي) في جامايكا، فان رئيس وزرائها قال له، «ان عليكم ان تدفعوا لنا المزيد من المال او اننا لن نكون قادرين على مكافحة المخدرات». والسؤال المطروح هو، حسناً كيف يمكنك ان توقف المخدرات؟ فقد أصبح هذا التساؤل كمثل، كيف يمكننا ان نوقف الروس؟ وأصبح الشعار الآن، كيف يمكننا أن نوقف المخدرات؟ انها تغطية جيدة. فلول عمل أو وظيفة لهم هو تعبئة الجماهير بالخوف، لأن مشكلة المخدرات هي مشكلة شديدة جداً، مع ان الجزء الذي ينظرون اليه هو جزء صغير الحجم جداً، وان الطريقة التي يعالجون بها لا تهدف بالتعامل مع المشكلة. ومن المحتمل ان تكثفها. ومع ذلك فانها تعتبر مشكلة بدون شك.

ثانياً، فهذه المشكلة توفر قاعدة صلبة للتدخل الاميركي. وانها تمنح قاعدة للإبقاء على القوات الاميركية في المنطقة (اميركا اللاتينية)، حيث توجد هناك حركات تمرد وعصيان. فالمساعدة الاميركية لكولومبيا، كما تدعي، سارت على شكل مساعدة عسكرية، كانت تهدف للقضاء عل تهريب المخدرات، كما يعرف ذلك كل واحد، فاستخدمتها المؤسسة العسكرية هناك من اجل أغراضها، وشكلت فرق الموت، وقامت بالأعمال الوحشية، وقتلت زعماء الفلاحين، وارتكبت المجازر ضد زعماء الأحزاب السياسية المستقلة، والتي فقدت على مدى سنتين الآلاف من زعمائها من خلال عمليات القتل والاغتيال، وعمليات التمرد والعصيان، الخ. فذلك بالضبط ما استخدمت به المساعدة العسكرية الأميركية.

فعندما تريد الولايات المتحدة ان تتحرك في هذا المجال فانه سيكون هناك غطاء تقوم فيه بالعمل من خلاله. فعلى سبيل المثال، عندما طلبت كولومبيا من الولايات المتحدة تقديم مساعدة في انشاء محطة رادار لرصد عمليات تهريب المخدرات الغير قانونية من دول «الأنديز» الى الجنوب، فان الولايات المتحدة قامت ببناء هذه المحطة، بيد انها قامت ببنائها على ارض كولومبيا، التي تعتبر نقطة ابعد، واكثر انعزالاً، من المنطقة التي تهرب أو تأتي منها المخدرات. فقد قامت ببنائها في الشمال على جزيرة تشرف على ساحل نيكاراغوا، وبالطبع فانها ستستخدم لمراقبة نيكاراغوا، بدلاً من رصد عمليات تهريب المخدرات.

وايضا عندما طلبت كوستاريكا من الولايات المتحدة نفس المساعدة، اذ انها طلبت عقد صفقة لقاء ذلك. ولم يكن لكوستاريكا طريقة في تدقيق ذلك. لذلك فقد دققت ذلك مع الحكومة البريطانية، التي قيمت ذلك على انها عملية مضادة لحركة عصيان وليس لها شأن مع مكافحة المخدرات. فذلك ما جرى بالضبط وحدث نفس الشيء مع بيرو وبوليفيا وفي اي مكان آخر. انه غطاء للتدخل. وانها طريقة لتعبئة الجماهير. واصبح فيما بعد اسلوباً لضخ ما يدعى بالمساعدة سواء كانت على شكل مساعدة داخلية، ام من خلال البنتاغون، الخ. وفيما اذا كان ذلك سيستمر فهذا سؤال اخر. إلا انني أعتقد بأنها عبارة عن طريقة مهلهلة تماماً. فهي تستمر لمدة من الزمن فقط. وانها استخدمت، على سبيل المثال، في غزو بنما. فمن إحدى الذرائع التي استخدمت لغزو بنما هي اننا كنا ندافع عن انفسنا بطريقة ما ضد تهريب المخدرات. لقد كان امراً مضحكاً، بيد انها استخدمت بالتأكيد كعنصر دعائي ببعض الفعالية.

■ **سؤال : هل تعتقد ان تجريم مسألة المخدرات هي طريقة خارجة عن هذا النطاق ؟ وهل تفضل ذلك ؟**

جـــواب : أعتقد بأنه يجب ان يستطلع شيئاً ما. فلا نريد أن نكون اعتباطيين بهذا الشأن. اذ انها مسألة معقدة. فبعض أشكال التجريم من المحتمل ان يكون منظم جداً. وتجربة التجريم هي معقدة عملياً في حالات أخرى. فلنأخذ جرم الكحول مثلاً. انه يعتمد على اي مظهر او وجه لتحسب فيه كيف يستخدم. فلا احد يمكنه ان يدافع عن تجريم الكحول. وعليّ مع ذلك ان اسمع اي واحد يقول بأنه يجب علينا لن نعيد تحريم

الكحول. فهناك اسباب ملحة لذلك. الا انني لا اعتقد بأنه يجب علينا ان نعيد تحريم الكحول. ولكن يجب أن يفعل ذلك بالنسبة للمخدرات، كما تقول ذلك نفس المصادر. فلا يوجد هناك فرق اساسي. والسؤال هو فيما ذا كان يمكن ان يكون هناك بعض اشكال للوصول المرتبط بالأنظمة الحكومية والاجراءات الأخرى التي تولي اهمية لزيادة العقوبة بالنسبة للمخدرات المؤذية وتخفيض العقوبة بالنسبة للمخدرات الخفيفة. فتلك هي الفكرة الأساسية. وقد فعل ذلك في انجلترا على مر القرون فيما يتعلق بالكحول. وكانت نظريتهم هي تحبيذ أو تشجيع شرب البيرة وتقليص تناول المشروبات الشديدة. فذلك ما توصلوا اليه عموماً. وهذه بوجه عام سياسة اجتماعية حكيمة. وينطبق مثل هذا الأمر على قضية التبغ. فسيكون من الخطأ ان تضع الناس في السجن بسبب التدخين. بيد انه من الممكن استخدام او فرض قيود عليه، مثل ان يحرم بيع السجائر للذين تبلغ اعمارهم ستة سنوات مثلاً. وهناك ايضا عملية فرض الضرائب وتقديم البرامج التثقيفية، التي تعتبر ذات اهمية قصوى، ويمكن ان تحدث تأثيراً فعالاً، بحيث يكون الناس في وضع أمام خيارات.

ولمواصلة هذا، فإن التأثير الواضح لسياسات الحكومة فيما يتعلق بالمخدرات، والتي اشير اليها مراراً، كانت متناقضة تماماً. فقد اعتبرت الماريجوانا من المخدرات الكثيفة الانتشار، ويمكن بسهولة منع استيرادها. فتأثير حرب المخدرات كانت تنحصر في تحريم وليس بمنع الماريجوانا بل وبتقييد انتاجها محلياً.

■ سؤال : وذلك مما يرفع من اسعارها، اليس كذلك ؟

جواب : ليس يرفع الأسعار فقط. وانما ايضا بتحويل الناس لاستخدام مخدرات عالية التصنيع، مثل الكوكايين، والتي يمكن ان تحضر او تهرب بإحكام وحتى من ان تصنع في المختبرات، وهي اكثر ضرراً وفتكاً. وقد ازدادت كميات الكوكايين في سوق المخدرات على مر السنوات ومن خلال قوى السوق. وارتفعت أسعارها وجعلها الناس اكثر خطورة. لذلك فان تأثير تحريم المخدرات كانت على العكس تماماً بالنسبة للاجراءات النظامية المتعقلة التي استخدمت في انجلترا فيما يتعلق بالمشروبات الكحولية: فهم حولوا الناس من تعاطي المخدرات الغير مؤذية نسبياً نحو تعاطي المخدرات الاكثر ضرراً وايذاء. وهذا مستمر في سريانه. ولكن من الممكن بعد ذلك ان

تصنع بعض المخدرات في المختبرات بحيث تكون حتى قابلة أكثر للإدمان، كمثل الجليد، الذي يغطي في هذا الوقت الساحل الغربي، الخ. ومرة ثانية، فلا اعتقد بأنه يمكنك الآن ان تأخذ الأرقام بشكل موضوعي ايضا، لأنه يوجد هناك الكثير من الأمور الغير معروفة، بيد ان الأرقام الموجودة تعني شيئاً ما. فالأرقام الموجودة حول تعاطي الماريجوانا لا تشير الى اية حادثة وفاة من جراء الإفراط في تعاطيها، ويقدر عدد الأشخاص الذين يتعاطونها بحوالي ستين مليوناً. واذا ما كانت هذه الأرقام حتى مشكوك فيها، وأعتقد ذلك، فانها قد تشير الى ان الماريجوانا هي اقل خطراً من تعاطي الكحول وانها اقل خطراً بكثير من التدخين.

وأعتقد أنه إذا ما وضع نوع ضئيل من التجريم فانه من المحتمل ان تكون هذه سياسة عاقلة، إلا أن ذلك لا يصل الى قلب المشكلة. فعليك ان تسأل نفسك، لماذا ينتج الفلاحون في بيرو وبوليفيا نبتة الكوكا (التي يستخرج منها الكوكايين)؟ ولماذا يتعطاها شبابنا الصغار في المدن؟ فجواب ذلك ليس غامضاً. ففي البيرو وبوليفيا، يعتبر ذلك جزءاً لسداد ما يدعى بالمساعدة الخارجية الأميركية. فالسياسات الأميركية صممت لتفرض على مر السنين نوعاً من نموذج التصدير من دول العالم الثالث. وهناك طرق ووسائل كثيرة للقيام بهذا. ومن إحدى هذه الوسائل هي الغذاء مقابل السلام، على سبيل المثال، والتي ترسل بواسطتها منتوجات المزارع الأميركية، وتعني بمضمونها كهبة من دافع الضرائب الأميركي الى رجال الأعمال الاميركيين. وترسل هذه المساعدات الأميركية الى دول العالم الثالث، التي تقوم بدفع فلاحيها على انتاج محاصيل للتصدير. وهذا ما حدث في البيرو، وبوليفيا. وعندما يجبر الفلاحون على التعامل في السوق الراسمالي، فانهم يقومون بذلك بطريقة كما يجب ان تكون: فهم يتطلعون الى انتاج محصول مكثف قابل للمنفعة بالنسبة لهم، وخاصة من نبتة الكوكا. وهكذا فنحن ندفعهم لانتاجها. ومن ثم فعندما لا نريدها نذهب الى هناك ونخرب المزارع. ونحن في ا لوقت ذاته لا نقوم بتخريب مزارع التبغ الموجودة في شمال كارولينا. فسيكون ذلك أسهل بكثير من ارسال القانفات الى البيرو من اجل ذلك الغرض. وبالطبع فان الهدف من ذلك ليس مهاجمة الأغنياء والأناس الأقوياء، وانما مهاجمة الفقراء. فذلك هو مجمل هدف السياسة الاجتماعية.

وأحد العوامل ايضا هو هدف الانتاج، وذلك ما هو معقد، إلا انه متجذر بعمق في السياسات الاميركية طويلة المدى (بما فيها سياسات وكالة المخابرات المركزية ومواجهة حركات التمرد والعصيان، وغيرها من الأمور). واذا ما أردت التعامل مع هدف الانتاج، فان عليك ابتداع برنامج تطوير مختلف من اجل تطبيقه في العالم الثالث والذي تدفع او تجبر بموجبه الناس على القيام بهذا. وبالنسبة لهدف الاستهلاك، فان الناس في المدن او اهل المدن لديهم أسباب مقنعة لينخرطوا في تعاطي المخدرات. فلو انك كنت فتى زنجياً في الخامسة عشر وتعيش في احدى المدن الأميركية ويكون لك اتخاذ الخيارات المتوفرة. أو انك قد تفعل ما يفعله الفتى الآخر، فتتجول بالسيارة، ومعك مقدار كبير من المال، الخ. فهو يقوم بلعبة الرأسمالي. ويذهب الى حيث المال والجني الأكثر. فهذا ما يعرف بعمل البائع المتجول لأسياد المخدرات. أو انك اتخذت خياراً معاكساً، فإن جميع الخيارات متوفرة.

وفي أحياء البيض، حيث يكون للناس هناك مجموعة من الخيارات المتوفرة لهم، فان استخدام المخدرات قد انخفض بسرعة، واصبح مستقلاً تماماً عن اي حرب للمخدرات، اذ لم يعد لها أي تأثير كان. فاستخدام المخدرات المؤذية، كما تشير اليها الاحصاءات الفيدرالية قد انخفض كثيراً على مر السنين. وبالطبع، فإن الناس هناك قد رأوا تأثيراتها، وكانت لديهم الخيارات. إلا أنها لم تزل نهائياً، فانها ما تزال تشكل مشكلة خطيرة، بيد ان هناك مجموعة من الخيارات ويستطيع الناس التعامل معها. وما دام لا يوجد هناك مجموعة من الخيارات الأخرى، فإن بإمكانك ان ترى ماذا سيحدث: فاستخدام الارادة مستمر ومتنامي في بعض المناطق.

واذا ما كانت هناك محاولة جادة للتعامل مع مشكلة المخدرات بدلاً من هذه الخدعة او المخادعة، فأول شيء سيسعون وراءه سيكون جني المال. فذلك سهل رصده. فالقوانين السارية الآن تتطلب ان يسجل اي مبلغ يفوق عشرة آلاف دولار مودع لدى البنوك. لذلك فان بنوك الاحتياطي الفدرالية يمكنها ان ترصد فعلياً الزيادات الكبيرة في الايداعات، والتي يمكن ان تعني في الغالب انها ايداعات اجرامية او مخلة. وهي تقوم بذلك فعلاً. وعندما تنظر الى ذلك، فانه من الواضح تماماً ان يعرف ما يجري. لذلك فعندما بدأ الكوكايين بالتدفق، فان الايداعات في بنوك ميامي كانت وصلت لذروتها،

وحدث هذا في عام ١٩٨٠. فقد كان هناك برنامج فيدرالي صغير، وهو ما يعرف بعملية «جرينباك»، والتي كان يجري بموجبها رصد تدفق المال، ومن ثم استمرت العملية بالانتشار بعد بنوك ميامي. وهكذا فإن الاموال الغير شرعية بدأت بالتناقص في بنوك ميامي وارتفعت في بنوك لوس انجلوس. وفي غضون ذلك، فان أسياد المخدرات مثل ميليان رودريجوس، رئيس اتحاد شركات ميدلين، أدلى بشهادته امام الكونغرس، ووصف فيها كيف وصل الى مطار كنيدي واستقل سيارة ليموزين مرسلة من بنك نيويورك ومن ثم ذهب الى هناك لاجراء محادثات مع شخص مسؤول عن المخدرات وقاموا بكل ما طلبه منهم، ومن ثم رجع الى مطار كنيدي في سيارة ليموزين ايضا واقلع بالطائرة من هناك. فهذا يبين بأنه لا أحد يفتش أو يلاحق بنوك نيويورك.

وفي الحقيقة، فقد كان جورج بوش امبراطوراً للمخدرات في أوائل الثمانينات، ومن احدى مساهماته الرئيسية، اشتراكه المعروف، في حرب المخدرات بشكل فعلي، وانهاء الاجراء الفيدرالي الصغير الذي كان يلاحق البنوك بهذا الصدد. وحتى ان ذلك الاجراء الصغير الذي كان يفتش ويدقق على الحسابات البنكية قد أُنهي. علاوة على ذلك، فان ادارة الرئيس ريغان، وكجزء من نشاطاتها الحكومية المتغيرة، عملت على تخفيض الأنظمة المفروضة على البنوك. لذلك فقد قلص عدد الموظفين الذين كانوا يقومون برصد البنوك ومراقبة العمليات المصرفية الغير قانونية بشكل حاد، وكان ذلك من احدى أسباب الاضرار بحسابات التوفير ومنح القروض. وكان من احدى تأثيرات ذلك، مع انه يوجد لديهم ارقام حسابات الايداع الكثيفة، بما فيها الايداعات الجرمية او المشكوك فيها، فانهم لم يكن بمقدورهم ايجادها لانه لم يكن يوجد لديهم القوى البشرية (الموظفين) الكافية للقيام بذلك. وفي الحقيقة، فان التأثير العام لحرب المخدرات الريغانية زادت من تفاقم المشكلة. وقد فاقمت من المشكلة بزيادتها لمشكلة الاستهلاك (استهلاك المخدرات) في المدن: مما زاد من الفقر واليأس وزاد من استخدام المخدرات. وقد خطط وصمم هذا بعناية لتجنب كافة المسائل الرئيسية مثل، وعلى نحو واضح، التي تخص مزارعي التبغ وصانعي الكحول، فهم يعتبرون خارج دائرة التساؤل. وفي الحقيقة، فانهم يتخمون حلوق الدول الأخرى بهذه الأنواع من المخدرات المهلكة. وحتى ان ملاحقة البنوك بهذا الشأن قد انهيت. وكان لهذه السياسة تأثيراً في تمويل

استخدام المخدرات الأقل خطراً نسبياً الى المخدرات الخطرة والمؤذية. أما حرب المخدرات الجديدة فهي حرب زائفة. وهي تعتمد على أسلوب مراقبة السكان، أي طريقة فرض قيود أقسى على السكان. فانظر الى ما يحدث: ارسال المدمنين او المتعاطين الى السجون، والتشديد على مراقبة الناس في المدن، وايداع المدمنين في السجون مباشرة. كما دعت الاجراءات الى شن هجومات على الحريات المدنية، وفرض عقوبة الاعدام، وفرض اجراءات بوليسية مشددة. فهذا ما يمكن ان نتوقعه بالضبط لهذا النوع الذي يدعى بالمحافظة - والدفاع عن دولة تتبع العنف والقوة. بيد ان ذلك لا يفعل أي شيء بخصوص المخدرات باستثناء انه من المحتمل ان يجعلها مشكلة أسوأ.

■ سؤال : دعنا نتكلم عن اسرائيل والشرق الاوسط. فمنذ ثلاثة سنوات مضت، قابلت ادوارد سعيد وسألته فيما إذا كان يتوقع تقديم المزيد من قبل اسرائيل بسبب التاريخ الاضطهادي لليهود، إذ ان الاسرائيليين لا بد وان يكونوا اكثر حساسية بالنسبة لمعاناة الآخرين، وبشكل واضح فيما يتعلق بالمشكلة الفلسطينية. فاجاب «بنعم» وكنت دوماً مرتبك بذلك. واعتقد بانها نوعاً من فكرة عنصرية. فهل تتوقع تقديم المزيد من الاسرائيليين ؟

جواب : لا، بالطبع لا، وأعتقد بأنه خطأ تماماً. فلا يوجد هناك سبب لتوقع المزيد منهم (الاسرائيليون) بسبب انهم عانوا في الماضي. فلا سبب لذلك مطلقاً. حيث لا يوجد أي شيء في التاريخ او أي شيء آخر يوحي بأن ذلك يمكن ان يحدث.

■ سؤال : لقد قلت بان جذورك الفكرية والعاطفية موجودة في الشرق الأوسط وقد دهشت من انك قلت بانها لم تكن نابعة من اوروبا الشرقية، من حيث جاء والداك فما هو تعليقك على ذلك ؟

جواب : إن والداي جاءا من اوروبا الشرقية. وبالطبع، فهما قد هاجرا من اوروبا الشرقية. ولم يبقيا على أي ارتباط لهما باوروبا. وكان عمري آنذاك عشرة سنوات، عندما قام النازيون باكتساح اوروبا الشرقية. فاوروبا الشرقية من وجهة نظرهما، كانت تعتبر مكاناً يسوده الرعب والخوف. فوالدي هرب والتجأ اليها فراراً من ارهاب الحكم القيصري، وخوفاً من الحكم عليه بالموت أسوة بالشبان اليهود الآخرين، وان عائلة

والدتي هاجرت من هناك عندما كانت والدتي طفلة رضيعة، لذلك فانها حتى لا تتذكر تلك البلاد.

■ سؤال : متى كان ذلك ؟

جواب : جاء والدي الى هنا (الولايات المتحدة) في عام ١٩١٣، اما والدتي فقد جاءت مع عائلتها في وقت ابكر. غير ان اوروبا الشرقية لم تكن بالمكان الذي يمكن أن تنشيء فيه جذوراً باستثناء اعتباره كمنفى، وان المنفى من وجهة نظرهم (اليهود) قد نقل او انتقل الى اماكن مثل بلتيمور. وفي الوقت الذي احتل فيه النازيون اوروبا الشرقية فانه لم يبق هناك اي شيء يمكن ان يشد اليه. والمجتمع اليهودي في اوروبا الشرقية لم يكن بالمجتمع السار او السعيد. فكان لا بد من الفرار منه. وبذلك فان اليهود فروا من هناك بشتى الطرق والوسائل. وفر العديد منهم الى بولندا، على سبيل المثال، والتي كانت تعتبر مركزاً للاستيطان اليهودي، والانضمام لمنظمة البوند، وهي عبارة عن حزب سياسي اشتراكي كان يحاول الاستيلاء على السلطة. وكان اعضاؤه اقوياء أكثر بكثير من حزب الصهاينة، على سبيل المثال. ومع أن العنصر الديني التقليدي كان ايضاً قوياً جداً، إلا انه كان منهاراً. فالمجتمع اليهودي في المنفى كان يدار بواسطة الحاخامين الذين غالباً ما كانوا قساة ومستبدين، ويستمدون سلطتهم من السلطات المحلية او سلطات الدولة. وكان يعتبر مجتمعاً رجعياً تماماً. فلم يكن من المفترض بك ان تقرأ، او ان تتعلم اي شيء، ولا أن تقتني الكتب. فمثل هذا المجتمع لا يمكن العيش فيه لمدة طويلة، كما انه لا يمكن التجذر فيه.

وكان والدي صهيونياً مثقفاً، ومنتمياً لمنظمة «احاد هعام». كما التزم والداي بعملية إحياء التقليد والحياة اليهوديتين في اجزاء اخرى من المهجر، في الولايات المتحدة، حيث يمكن للناس العيش هناك، وبثقافة الوطن، الذي كان فلسطين انذاك. لذلك فقد كان ذلك المناخ الفوري الذي نشأت فيه. وكان لديّ تفهماً خاصاً له.

■ سؤال : اتذكر بانك قد قلت لي، ولا يمكنني ان اتذكر التفاصيل بالضبط بان هذا الإقطاع قد امتد من اوروبا الشرقية الى الولايات المتحدة ولن والدتك كان عليها ان تمشي على جانب واحد من الشارع ؟ فماذا كان يعني ذلك بالضبط ؟

جواب : إنني لم اجر دراسة مستفيضة حول ذلك، إلا أن كل ما يمكنني أن اخمنه، مما قاله والداي لي او مما كنت قادراً على قراءته ومعرفته من اي مصدر اخر، فان المجتمع اليهودي الذي انتقل من اوروبا الشرقية الى الولايات المتحدة قد خضع لتغيرات عديدة. وكان الاكتفاء أو الانحصار واحداً من هذه التغيرات. فوالدي، على سبيل المثال، قد وصف عائلته بأنها كانت تعود في شكلها وقالبها وحتى بعد ان هاجرت الى هنا (الولايات المتحدة) الى عادات اوروبا الشرقية. فوالدتي، قدمت عائلتها الى هنا عندما كان عمرها سنة واحدة، ولكن عندما اصبحت طالبة في المدرسة الثانوية في نيويورك، فقد كانت تتذكر وتصف لنا أنها عندما كانت تمشي في الشارع مع صديقاتها وترى والدها قادماً باتجاهها، فانها كانت تجتاز الشارع نحوه وذلك لكي لا تزعجه بأن يجتاز الشارع دون أن يعرف بوجودها، لانها كانت بنتاً. وقد شاهدت ذلك عندما كنت طفلاً، ومن خلال البيئة اليهودية التقليدية التي ينتمي اليها والداي.

وقد عاش جدي، على سبيل المثال، مدة خمسون عاماً في الولايات المتحدة، وكنت أتساءل فيما اذا كان حتى يعرف بأنه لم يكن موجوداً في اوروبا الشرقية. واعني بذلك بأنه كان ينظر للمكان الذي كان يعيش فيه على أنه نوعاً من اوروبا الشرقية، حيث يكون فيه الفلاحون سوداً. فقد كان يعيش في مناخ او بيئة مجتمع اوروبا الشرقية. وكان موقفه تجاه السود، في الحقيقة، كموقفه تجاه الفلاحين الأوكرانيين. فقد كان عليه ان يكون حذراً منهم لانهم كانوا خطرين تماماً، كما كان عليه ان يخدعهم لانهم اغبياء في الحقيقة، كما كان يخدع الأوكرانيين، ولكن كان عليه ان يكون يقظاً ومتنبهاً لأنه لا يعرف متى سيردون او يوجهون ضربة اليه. فانهم خطرون جداً. فهذا النوع من المزاج يمكنني ان اتذكره عندما كنت طفلاً.

أما الديانة اليهودية التقليدية فقد كانت مشلولة. وكان اتباعها يسمون بأهل الكتاب. بيد ان ذلك عبارة عن نكتة. فقد كان مجتمعها ضد الفكر والتفكير، واستبدادي ومتسلط وجامد. ويمكنك ان ترى ذلك من خلال الجناح اليميني الديني الموجود في اسرائيل حالياً، الذي يحمل هذه الصفات. وقد دهش الناس عندما استقبل رئيس وزراء اسرائيل السابق، مناحيم بيغن، بالترحيب الحار من قبل اليهود المغاربة. إذ أن يهود المغرب اعتقدوا على ما يبدو بأن بيغن كان مغربياً. وهناك بعض الحقيقة في ذلك. فبيغن وشامير انحدرا من بيئة كانت مشابهة تماماً لبيئة شبه اقطاعية لاجزاء من مجتمع

يهودي كان يعيش في شمال افريقيا. أما الآن فإن الفئات الاكثر تعليماً تذهب او تهاجر الى فرنسا، إلا ان العديد من الفئات اليهودية الاقل تعليماً والاكثر تقليداً، والتي كانت تعيش في بيئة تشابه المجتمع الشبه إقطاعي الذي كان موجوداً في بولندا، فإنها تهاجر الى اسرائيل. لذلك فان التشابهات الثقافية هي حقيقية في معناها.

وفي مجتمع، كالمجتمع الاسرائيلي فانه يوجد لديهم زعماء دينيون يعتبرون كقديسين، ويقومون بالمعجزات، فما عليك إلا ان تزورهم، فيحلون لك مشاكلك. حتى ان بعضهم قد عاد من الموت. وهم يتحدثون وكأنهم يتعاملون مع أطفالهم. ويدعونهم ويصدرون لهم الأوامر لمن يجب ان يصوتوا له. فخلال الانتخابات الاسرائيلية الأخيرة كان يوجد هناك حاخام كبير ظهر على شاشة التلفزيون وقال، بان اي واحد لا يصوت او ينتخب أعضاء حزبنا فانه «سيلعن ويذهب للنار» ومن ثم فان حاخام اخر، قال بان من يصوّت لحزبه فانه سيولى العناية به. فذلك الامر يعتبر جزءاً من الثقافة التقليدية اليهودية. إنها تمثل كافة انواع الفلكلور او التقليد اليهودي، إلا انها لم تكن تماماً جداً. فعندما كان والدي يعيش في مجتمع المنفى اليهودي الشرقي وأراد ان يعلم شيئاً ما عن العالم الخارجي، فقد كان عليه ان يتعلم اللغة الروسية. فحتى تعلم اللغة العبرية لم يكن امرا مناسباً او لائقاً. ولم يكن بإمكانك ان تقرا التوراة، لان ذلك يعتبر تنويراً. وعليك ان تبدأ بتعلم التلمود عندما تبلغ عامك الثالث. وبالطبع فعندما تكون تعرف اللغة العبرية القديمة فان عليك ان تصلي وان تطبق ما في التوراة حسب الطقوس المتبعة، بيد انه لو تعلمت اللغة العبرية الحديثة فان ذلك يعتبر خرقاً.

■ سؤال: لذلك فقد كان التعليم من ملكية الكهنوت، اليس كذلك؟

جـواب: لم يكن هناك تعليماً بمعنى الكلمة. فما كانوا يدعونه بالتعليم كان عبارة عن الحفظ عن ظهر قلب، وبشكل واسع، وتحت إشراف ومراقبة قاسيين. ففي أماكن الجيتو اليهودية لم يكن هناك كتب جغرافية وتاريخية على ما اعتقد لغاية القرن التاسع عشر، لان التوراة لم تقل أو تورد ذلك، لذلك فانه لم يكن بالامر الصحيح. ولم تكن هناك اميركا. فالتوراة لم تقل اي شيء عن اميركا. فما هذا الهراء الذي كان قائماً؟ إنها كانت بيئة لا فكرية تماماً. وكان يوجد هناك اتجاه لدمج اليهود في المجتمعات وصهرهم فيها. ففي اوروبا الغربية، المانيا، النمسا، فإن المجتمعات اليهودية أصبحت منخرطة فيها ابتداء من اواخر القرن الثامن عشر. وانضم اليهود للثقافة والحضارة الغربية

الاوروبية واحسوا بانهم جزءاً منها. وقد برز منهم هناك فرويد واينشتين، الخ. حيث نشأوا من خلال الجزء المنخرط الذي انشق عن الثقافة التقليدية اليهودية واكنّوا لزدراء لها.

وكان هناك أيضا عهد نهضة، وحركة التنوير اليهودية، في المناطق الكثيفة بالسكان اليهود في بولندا، وفي مناطق الاستيطان اليهودية، والأماكن التي كان يسمح فيها لليهود ان يعيشوا في الامبراطورية القيصرية. وكان ذلك في اوائل القرن التاسع عشر، وجاءت بعد ذلك عملية احياء اللغة العبرية ونشوء الحركة الصهيونية الحديثة. كما كانت هناك حركة اشتراكية كبيرة. وكل تلك الأمور أدت الى حدوث انشقاق عن المجتمع التقليدي اليهودي.

■ سؤال : اين أُجبر والداك ان يضعاك ؟

جواب : لم يكن الأمر متميزاً، فقد ذهبت اولا الى مدرسة خاصة متقدمة إذ كانت لديهم حياتهم الخاصة. وكانت حياتهم يهودية بشكل اساسي، اي دراسة اللغة العبرية، وتدريس اللغة العبرية، وحياة يهودية، الخ. ولكن في اطارهم، وظل هناك المجتمع الاميركي، الذي راوا فيه مجتمعاً متعدداً حقيقياً، لا بد وان فيه مكاناً واسعاً لاناس ينتمون لليهودية، التي ننتمي اليها.

■ سؤال : وماذا كانا يظنان بك (والداك) امـلان ان تذهب الى نيويورك لتقف امام دور الكتب في الحي الرابع وتتحدث الى القرائك من الطبقة العاملة هناك ؟

جواب : إنهما لم يعارضا ذلك، كما اعلم، الى المدى الذي كانا يدركانه، والذي لست متاكداً منه تماماً. فلا اعتقد انهما كانا يمانعان في ذلك. اضافة الى ان العائلة كانت منقسمة على نفسها. ومثلها مثل العديد من العائلات اليهودية، فانها توزعت في كافة الاتجاهات. وكانت هناك قطاعات تنتمي للاتجاه التقليدي اليهودي وقطاعات اخرى راديكالية جداً ومنخرطة تماماً في المجتمع وفي طبقة المفكرين. فهذا هو القطاع الذي شدني بشكل طبيعي. ذلك القطاع الذي كان عليّ ان اذهب اليه في نيويورك. وكل هذا كان يعتبر شرعياً، وبكل مداه.

■ سؤال : لقد وصفت الحياة الفكرية والثقافية التي خبرتها في نيويورك في الثلاثينات كاغنى مكان زرته في حياتك. فماذا كان بعض طراز ذلك ؟ وكيف ساهم في ذلك الغنى ؟

جـــواب : لقد بدأت بذلك في سنوات الأربعينات، وأظن بأنني كنت في العاشرة أو الحادية عشر من عمري. ولقد كانت هناك ثقافة فكرية حية تماماً. ولسبب واحد فقط لأنها كانت ثقافة الطبقة العاملة لها قيم الطبقة العاملة، قيم التضامن والاشتراكية، الخ. وقد تفرعت عن ذلك الحركة الشيوعية أو الحزب الشيوعي وحتى تفرعت عنها الحركة الراديكالية الشبه فوضوية المنتقدة للحركة البلشفية. فكل ذلك المدى كان يتواجد هناك. ولم يكن ذلك غير نموذجياً. بل إنه كان جزءاً من ذلك فقط. وكان للناس مناقشات ومداولات كثيفة حول نسخة سكيتل لنظرية فرويد، ومناقشات عديدة حول الأدب والموسيقى، ومدى تقييمهم لآخر حفلة موسيقية جرت في بودابست، أو حول نسخة شنابل لسوناتة (لحن منفرد) بيتهوفن. إنها كانت حياة فكرية حية تماماً في كل نواحيها. وكنت منجذباً ومغرماً بها. وكان العديد من الأقارب المنخرطين في ذلك غير متعلمين تقريباً. فلأحد أعمامي الذي كان مؤثراً عليّ بشكل كبير لم يكن منهياً دراسته الابتدائية. وبعد ذلك اصبح بائعاً متجولاً في نيويورك. وحيث انه كان معوقاً، فقد منح كشكاً لبيع الصحف. اذ كان قانون نيويورك يشجع المعوقين، لذلك فقد حصل على كشك لبيع الصحف، وكان يستمر فيه لغاية ساعة متأخرة من الليل ويجري فيه النقاشات المثيرة حول شتى المواضيع. انها كانت حياة مثيرة وممتعة. وقد دأبت في الحقيقة على تقديم المساعدة في ذلك الكشك.

■ **سؤال : هل كان هو شقيق والدك ؟**

جواب : انه كان بالفعل زوج عمتي. وأصبح فيما بعد محلل متمكن. بعد ان اندمج مع بعض الأطباء النفسانيين من المهاجرين الألمان، اذ لن العديد من المهاجرين الألمان كانوا يفدون لأميركا في اواخر الثلاثينات، واصبح ذلك الكشك كمنتدى او مكاناً لانجذاب الناس اليه من اجل النقاش والحديث والبحث. وكان هو نفسه متعمقاً في أدب التحليل النفسي، وأصبح صديقاً لبعض اولئك الاطباء ووصل الى حد التحليل التطبيبي تحت اشراف أحدهم. وبدأ تدريجياً يكتسب المزيد من الزبائن. وبعض زبائنه أصبحوا متمرسين في المهنة وعرفوا عليه زبائن اخرين، وأخيراً، ودون أن نطيل القصة، فقد انتهى به الأمر ليكون محللاً نفسانياً غنياً يمتلك شقة لمعالجة المرضى.

■ سؤال : لقد اعتدت الذهاب الى تلك الشقة، واذكر بانك قد قلت لي عندما كان يكون لديه مرضى او زبائن للمعالجة فانه كان عليك ان تمكث في المطبخ ؟

جواب : ذلك كان عندما كان لا يزال يعيش في شقة صغيرة جداً قبل ان يصبح قادراً علي امتلاك مكتب مستقل. فعندما كان احد الزبائن يقرع باب شقته فاننا كنا جميعاً نسرع الى المطبخ. ونختبيء هناك عندما كانوا يدخلون ويذهبون الى غرفة النوم، حيث كان يتواجد المكتب هناك. ومن ثم نخرج لنجلس خارجاً لغاية ما تنتهي جلسة المعالجة ومن ثم نذهب للمطبخ ثانية ريثما يغادر المريض.

■ سؤال : لا يوجد هناك اثراً قد خلف لتلك الثقافة، اليس كذلك ؟

جـواب : اشك بذلك، اشك بانه يوجد هناك اي شيء قد ترك او خلف. انه قد اختفى واندثر خلال الحرب وفترة الركود ما بعد الحرب. ومع ذلك، فان الاعمال الادبية كانت مدركة جداً لحالة الاهتياج التي تملكت الطبقة العاملة. وعندما كنت تقرأ الاعمال الادبية في اواخر الثلاثينات، فانني لا اعتقد بانه كان لها اي معنى بهذا الصدد، لانها كانت معنية بما اطلقوا عليه عبارة القوة المتصاعدة «للجماهير». فذلك الادب كان ينحى احياناً الى نوع من التفاهة الماركسية في بلاغته ومفاهيمه. بيد انهم كانوا مهتمين بذلك، وشعروا بانه كان ضروريا محاربته والتأكد من عدم تناميه وتطوره بصورة اكبر. فقد كان يعتبر تهديداً رئيساً للاعمال الادبية المهيمنة. وابتداءً من اواخر الثلاثينات، فقد كان يوجد هناك مفهوماً بانه كان لزاماً السعي وراء ثقافة الطبقة العاملة هذه في جذورها وتأمين الدعم الشعبي لها. ومن إحدى التوجهات كان ما اطلق عليه اسم «صيغة جونستاون»، وهو عبارة عن نشاط لعلاقات عامة رئيسية لكسر طوق الاضراب الفولاذي الكبير، الذي كان ناجحاً. فقد كان للحرب تأثيراتها الذاتية.

وفي حقبة ما بعد الحرب، فقد كانت هناك ظاهرة اطلقنا عليها اسم المكارثية، وهو تعبير خاطيء. فمكارثي كان متأخراً في نظريته. ففي اواخر الاربعينات كانت توجد هناك جهود مكثفة تستخدم ضمن اطار الحرب الباردة وضد الشيوعية وكافة انواع الفئات والادوات الأخرى وذلك لتقويض وتدمير الحركات العمالية الفتية والتي بدأت بالنمو خلال عقد الثلاثينات، وكافة الاعمال الادبية والثقافية التي كانت تواكبها. لانها كانت ناجحة.

أما الآن فانه من النادر ان ترى اثراً لهذا النوع من الوعي. فلا بد لي من تقييم وتثمين ذلك. فهناك كان اضراب بيتستون، والتضامن معه. ولم اكن متواجداً هناك، إلا انني عندما علمت بذلك، واشك بانك سترى مقداراً كبيراً لذلك النوع من التنازل. لذلك فعندما اقول بأنها غير موجودة هناك، فربما اننا لم نرها. في قطاعات المجتمع على الأقل التي عليّ أن أتعامل معها بكل الأمور، فانها كانت هناك ولن تبقى طويلاً هناك.

■ سؤال : انني مهتم بشيء ما قلته في مركز «راو» في شهر نيسان ١٩٨٩، حول تغير تبين لك في نيويورك بعد الحرب العالمية الثانية، وقد يتوافق ذلك مع بعض المعلومات التي حصلت عليها في نيويورك. ولقد قلت في الثلاثينات ان الشعب كان فقيراً ولم يكن لديه مالاً، ولكن كان هناك شعوراً بالأمل. ومن ثم، بعد الحرب، حدث شيء ما، شيء متغير. لذلك فإنني احب استطلاع هذا، لانك كنت غير دقيقاً نوعاً ما حول ذلك، وانت الذي غالباً ما كنت دقيقاً ؟

جواب : انني فعلاً غير دقيق حول ذلك، ولا افهم ذلك، لابلغك الحقيقة. ما دام بوسعي ان ارى هذا يحدث في كافة أنحاء العالم، في اجزاء مختلفة من العالم وفي أوقات مختلفة. فاي واحد يعرف نيويورك في الثلاثينات يمكنه ان يرى ذلك. وعائلتي كانت في الغالب عاطلة عن العمل، تعيش في الأحياء الفقيرة، بيد انه لم يتملكهم اليأس. بل كان هناك شعوراً بالأمل. والأمل الزائد كان يعتبر وهماً.

فدعني أخبرك بقصة شخصية اخرى توضح ذلك. فقبل سنتين مضتا كنت أحدث بعض الأصدقاء حول اطباء العائلة منذ الصغر، وكنت احاول ان اتذكر اسم طبيب عائلتنا عندما كنت طفلاً. فهذ كانت عائلة يهودية، مما يعني بأنه لو أصاب الطفل حرارة بسيطة، فان والدتي ستحسب بأن العالم قد انتهى. فعندما كان شقيقي في السادسة من عمره لاصابته حمى بسيطة، فحسبت والدتي بأنه سيموت. ومن ثم حضر الطبيب بصوته المعسول وهدأ من روعها فكل واحد منا شعر بعد ذلك بأن كل شيء اصبح على ما يرام. فتلك تعتبر ثقافة. ولا ادري فيما اذا كنت تقر بذلك. وكنت احاول ان اتذكر اسم الطبيب ذاك، والاسم الوحيد الذي تذكرته كان روزفلت. وكنت اعرف بأن اسمه لم يكن روزفلت بالفعل. لذلك فقد كنت احاول ان اخمن لماذا كنت افكر او اظن بأنه كان

روزفلت؟ واخيراً ادركت ان ذلك كان متصادفاً مع بدء الرئيس روزفلت بما سمي بأحاديث المدفأة (التي كان يلقيها على الشعب الأميركي)، وبالطريقة تلك بالضبط كانت ردة فعل والداي: «اه، حسناً، هل كل هذه الأمور الفظيعة تحدث، بيد ان الطبيب موجود هنا، انه قادم، وانه سيعتني بكل الأمور، فلا توجد مشكلة كبيرة» . ولا أتذكر ماذا كان يقول، فقد كنت في السابعة من عمري، الا انني اتذكر المزاج أو المناخ السائد انذاك. فانت تستطيع ان تستنتج مزاج عائلتك، والمزاج تجاه أحاديث الرئيس روزفلت كانت تشبه الى حد كبير المزاج او العاطفة تجاه هذا القديس العجيب الذي قدم ليعتني بحمى شقيقي. ولا أعني الايحاء بأن الأمل كان موجوداً بشكل او على نحو ضروري. فمعظم ذلك كان وهمياً، إلا أنه كان موجوداً هناك بالتأكيد.

علاوة على ذلك، فقد كانت توجد هناك البنية التحتية. وكان عليك ان تذهب الى المكتبة. فالمكتبة كانت توجد هناك. انها كانت مفتوحة للجميع. وكان يتواجد فيها كافة انواع الكتب. وكانت توجد هناك ايضا النقابات المهنية. وكان بإمكانك ان تتجول في الشوارع. فعندما كنت في العاشرة من عمري، لم يكن هناك أي خطر من ان أتجول حول نهر هدسون في الليل او ان اتمشى داخل المتنزه المركزي لوحدي. ومن الممكن ان يحدث اي شيء، إلا انه لم يكن هناك شعوراً بالخطر، وحتى في أفقر أحياء المدينة.

■ **سؤال : وانك تقول اليوم بانك بحاجة لان ترافقك مجموعة من قوات المارينز فيما لو اردت ان تفعل ذلك اليوم اليس كذلك ؟**

جـــــواب : نعم، فانك بحاجة الى مجموعة من المارينز. فلو انك تقوم بذلك اليوم فان حياتك ستكون بين يديك او معرضة لخطر، وحتى لو انك سلكت نفقاً . علاوة على ذلك، وفيما لو انني تجولت داخل المدن ايضا، فمن النادر ان اتمشى من خلال او داخل احياء نيويورك الفقيرة، واذا ما فعلت ذلك فانني احاول ان اتذكر الماضي، فلا اريد ان اعول كثيرا على ذاكرة الطفولة، بشكل واضح، ولكن يبدو الامر بالنسبة لي مختلفاً تماماً. فهذه الأوضاع اليائسة، والأسوأ حتى من اوضاع العالم الثالث كما ترى. ولقد تحدثت مع اناس عملوا في نيويورك على مدى سنوات، والى معلمين درسوا في مدارس نيويورك، وسألتهم عن انطباعاتهم، عما كنت سمعته، وكان ردهم متشابهاً الى حد كبير. ففي الثلاثينات كانت هناك أحياء فقيرة جداً، غير انك لا تجد جدة او عجوزاً

جالسة وبيدها مضرب البيسبول طيلة الليل بجانب مهد او سرير طفل لتحميه من الفئران. او ان يكون لديك شعوراً بأنك في حرب وعليك ان تدافع عن نفسك. اما في الماضي فقد كان هناك شعوراً بأن الأمور كانت تسير بشكل افضل. وكان يوجد تركيب مؤسساتي، ونهج من النضال، والتنظيم، لتسيير الأمور، لذلك فقد كان يتملكك الأمل.

لا أعتقد بأنه يوجد هناك الكثير من الأمل في المدن حالياً. وأعتقد بأن هناك يأساً وأعتقد بأنك تلمس ذلك في اليسر والعسر، في الفقر او الغنى وان الأوضاع اشد بكثير مما كانت عليه من قبل. فإنك اذا ما تجولت في مكان ما من الجزء الشرقي لنيويورك فسترى ان الثراء فاحشاً هناك. ولكن اذا ما اجتزت بضعة مئات من الأمتار فانك ستجد نوعاً من الفقر الفظيع تماماً. انني لم اقم بذلك، إلا ان أصدقاء لي قالوا لي بأنك لو جلست في مطعم شاعري في نيويورك فستجد أشخاصاً مشردين يتمايلون على زجاج نوافذ المطعم من الخارج. وانك لن تلاحظ ذلك إلا بعد برهة. فذلك الأمر لم يكن موجوداً من قبل. ذلك ان طابع وروح الحياة الحضرية أصبحت أقسى بكثير من قبل، ليس في نيويورك فحسب وانما في كل مكان آخر. إنها أصبحت بشعة جداً.

فعلى سبيل المثال، عندما كنت طفلاً فقد كانت هناك اضطرابات واعمال شغب في كل مكان، كما فرض لفترة من الزمن حظراً على الشبان المراهقين من التجوال بعد الساعة السابعة مساءً خلال مدة الحرب العالمية الثانية، وذلك كان في مدينة فيلادلفيا، حيث كنت أعيش هناك. لذلك فلم يكن ذلك بالأمر المناسب. ولكن حتى في مثل تلك الظروف فانك لم تكن لتشعر بأنك كنت تعيش في منطقة حرب. اذ انه صدف بأننا كنا العائلة اليهودية الوحيدة هناك نعيش بجوار مليء بفئات كاثوليكية المانية وايرلندية والتي كانت معادية للسامية بعنف ومؤيدة فعلياً للنازية في تلك الأيام - كان ذلك في اواخر الثلاثينات - وكنت أنا وشقيقي نعرف ممرات يمكننا ان نمر من خلالها دون ان يصدم رأسينا، بيد انه حتى مع ذلك فانني لم أكن أشعر بالخطر والتهديد والعداء كما أشعر به حالياً عندما اسير في شوارع نيويورك. فقد كان هناك شعوراً بضبط النفس. وربما حدثت موجة من الهستيريا في مدرسة كاثوليكية يريدون فيها قتل اليهود. ولم اكن أدري ماذا حدث بتلك المدرسة أو ماذا كان يجري فيها. بيد انه بعد ساعتين او بعد عطلة نهاية الأسبوع فانه كان بامكاننا ان نلعب البيسبول معهم. فقد كنت تشعر بأنه

كانت توجد هناك طرق ووسائل يمكن التنقل معها. فخلال فترة الحرب، كنا أحياناً بحاجة ماسة لحراسة وحماية الشرطة حتى نصل الى المدرسة العبرية. كما كنا نسلك طرقاً جانبية حتى نصل لتلك المدرسة. وكانت الشرطة تطوق المدرسة حتى لا تتعرض للاختراق. بيد انه حتى مع ذلك، فانني لم أتذكر بأن شعوراً بالخوف والخطر قد تملكني كما يحدث اليوم في البيئات أو الأحياء الحضرية.

واعتقد بأن هذا الأمر منتشر في أنحاء العالم. والسبب في كوني غامضاً أو غير دقيقاً هو انه ليس لديّ معرفة دقيقة حول ذلك في الحقيقة، وشعور ما يتملكني عندما ازور هذه الأماكن. واحساسي هذا موزعاً في انحاء كثيرة من العالم وبنسب مختلفة. واعتقد بذلك ستجد تطورات مشابهة وربما في لندن بعد أربعين سنة وفي مدن أوروبية بعد بضعة عقود. فهناك نوعاً من عنصر البربرية تزحف الى الحياة الاجتماعية التي لا أتذكرها على الأقل كانت موجودة في تلك الايام. وربما اني قد نسيتها لأن عمري كان عشرة سنوات، إلا أنني لا أعتقد ذلك. فاعتقد بأن الأمر كان مختلفاً عما هو عليه الآن.

■ سؤال : كانت لديك تجربة غنية ومعك شقيقك ديفيد ذلك بأنك ما زلت تتحدث عن ذلك لغاية اليوم. وكان هناك شخص بشكل خاص عندما جرحت يدك ولمته بسبب ذلك. فما هو ذلك ؟

جواب : إنه كان شجار صبيان فحسب.

■ سؤال : وماذا عن ذلك الطفل السمين في ساحة المدرسة ؟

جواب : إنه كان أمراً شخصياً بالنسبة لي، فلا أعرف لماذا يجب أن اكون مهتماً بذلك. فلا أتذكر ذلك.

■ سؤال : هل استنتجت شيئاً معيناً من ذلك ؟

جـــواب : نعم، انه كان له تأثيراً عليّ. فأتذكر عندما كنت في حوالي السادسة من عمري، وفي الصف الأول ابتدائي. انه كان يوجد هناك طفلاً سميناً جداً يسخر كل واحد منه. واذكر انه عندما كان يقف في باحة المدرسة كان الأطفال يسخرون منه. وفي احدى الايام احضر احدهم شقيقه الاكبر، وكان في الصف الثالث، ليضربه، واتذكر بأنني ذهبت لأقف بجانبه شاعراً بأن عليّ مساعدته، وقد فعلت ذلك لبرهة، ومن ثم فزعت وفررت. وبعد ذلك أصبحت خجلاً جداً من ذلك. وشعرت بأنه لا يجب عليّ أن

افعل ذلك ثانية. ذلك الشعور الذي لازمني، من انني يجب ان اقف مع الضحية. وظل هذا الخجل قائماً. ويجب ان يلازمني دوماً. واعتقد بانه ينبغي على كل واحد ان تكون لديه تجارب شخصية من هذا النوع تلازمه وتلون خياراته فيما بعد.

■ **سؤال : عندما كان والداك ما يزالان على قيد الحياة، فهل شعرت في يوم ما بانك مثبط او محبط وانت تتحدث عن اسرائيل معهما ؟**

جواب : نعم، وبشكل مدرك، في الحقيقة. فلم أرد التحدث كثيراً جداً حول ذلك معهما. ليس لانهما غير متفقين معي بهذا الشأن. وانما في الحقيقة، اننا كنا متفقين من حيث المبدأ على ذلك.

■ **سؤال : هل يعتبر والدك مناوئاً للصهيونية اليوم ؟**

جواب: لا، انه لم ينتقد اسرائيل بشدة. إنه احبها فحسب. فعندما ذهب لهناك وعاد، فقد قال لنا بأن الشمس ساطعة دوماً هناك. ولم تمطر ابداً. وكل واحد فيها (في اسرائيل) كان سعيداً على الدوام. انه كان متفائلاً جداً.

■ **سؤال : الم يقابل اي فلسطيني عندما كان هناك ؟**

جــواب : إنه لم يفكر بذلك كثيراً. فقد رأى ذلك المكان من خلال منظار وردي. اذ انه كان يشغف بتلك المنطقة. وان احياء الدولة العبرية كان امراً مثيراً له. بل ما يزال ذلك قائماً، اذ ان مواقفه الفكرية ما زالت في وضع ما قبل انشاء الدولة العبرية ومن عدة نواحي.، وقد تجذرت من خلال انتقاد الثقافة الصهيونية لمنظمة احاد هعام. إلا أن ذلك كان يشكل اهمية حقيقية لاسرائيل، ليس لأنها تمتلك حدوداً طويلة وجيشاً كبيراً فحسب، وانما لانها تعتبر مركزاً حضارياً غنياً، يعيش فيه يهود المهجر سابقاً. وعندما بدأت اكتب عن ذلك، كان يعارضني بشكل اساسي. اما والدتي، التي كانت تعتبر يسارية في اتجاهها، فانها بالتأكيد لم توافق على ذلك. بيد انهما قد صدما كثيرا بسبب الهجمات الشديدة، والتي بدأت بشكل فوري، حالما فتحت فمي على الموضوع. فهما قد عاشا في ذلك المجتمع (في اسرائيل)، وعندما ظهرت كل تلك الأكاذيب والتشويهات والهستيريا بشكل طبيعي، فقد انزعجا من ذلك. ولم يكن بإمكانك ان تتفوه بكلمة واحدة حول هذه الامور. فلو انحرف المرء ولو قليلاً عن الخط لانصب عليه غضب

جهاز مكافحة الافتراء والتشويه المنظم. ولذلك السبب فانني لم اكن مكبوتاً الى حد القول والكتابة حول ذلك عندما كانا (والداي) على قيد الحياة.

■ سؤال : الم يكن ذلك يعتبر خارجاً عن مبدا طاعة الوالدين ؟

جواب : انني لم اقل شيئاً لا أومن به. انني حتى لست غير مدرك عما كتبته، بل انني متاكد بانها كانت أمورا مقيدة تلك التي تكلمت وكتبت عنها في حينه.

■ سؤال : إن الناس مهتمين في عملية القيام بعملك؛ فكيف تحصل على وثائقك، ومذكراتك الامنية الوطنية ، فهل هذه قابلة للامتلاك بسهولة ؟

جواب : إنه لا يستغرق جهداً كبيراً. وليس ايضاً كمثل ان تذهب الى بقالتك لتشتري.

■ سؤال : هل ترسل لك (المعلومات) بالبريد؟ فكيف تحصل عليها ؟

جــواب : يمكنك ان تحصل عليها من المكتبات. فمعظم المكتبات الجيدة لديها أقسام مراجع حيث يمكنك ان تحصل على المواد والمعلومات التي تريدها.

■ سؤال : هل هذه المعلومات موجودة على الميكروفيلم ؟

جــواب : نعم، فبإمكانك ان تصل اليها. وإذا ما أردت بالفعل الحصول على ارشيف مفصل، فعليك ان تقوم بالبحث عن المصادر. فعلى سبيل المثال، عليك ان تذهب الى مكتبة جونسون وتبحث من خلال المواد المخزنة. ومهما يمكنك الحصول عليه من خلال المكتبات، فانه سيكون بإمكاني وإمكان الآخرين الحصول عليه ايضاً. وهذا شيء فعال.

وأول كل شيء، فان عليك قراءة طن من المواد قبل ان تجد اي شيء مفيد. فمعظمه يكون عبارة عن خردة فحسب. ولكن اذا ما أردت ان تقوم باجراء بحث، فيوجد هناك ادلاء كافين، وغالباً ما يكون هذا في المصادر الثانوية، ليقدموا لك فكرة مقتضبة او تلميحاً يساعدك في بحثك عن مواد المعلومات. واحياناً فستجد مراجعك في المصادر الثانوية التي تبدو رائعة. إلا أنني غالباً ما أجد انها معلومات غير مفيدة، بيد انها توحي لك بأن عليك العودة لايجاد معلومات مفيدة هناك. لذلك فان هذا ليس بالشيء الغامض، في الحقيقة. وانه ليس يشابه العلم، والذي يعتبر صعباً من الناحية الفكرية.

انه يتطلب العمل فقط وانه بسيط تماماً من الناحية الفكرية. فذلك لماذا ان اي واحد يمكنه ان يفعل بما فيه الكفاية لكسب فهم جيد للعالم كعمل اضافي.

■ سؤال : في المقابلة التي اجريتها معك في عام ١٩٨٦، فقد كنت سلبيـاً تماماً حول امكانيـات تطوير وسـائل اعـلام بديلة . ومع ذلك فمنذ ذلك الحين ، فقد انشـانا مجلة «زد» وطورنا تعليقات الاذاعـة وحسّنّا من دقـة التـقـارير الإخبـارية في التلفـزيون، وعلمت بان هناك طاقم تلفزيوني يقوم بعمل فيلم وثائقي عنك فهناك مقدار كبير من التطويرات. فهل ترى ذلك على انه امر ايجابي ؟ وهل انت متفاجيء به ؟

جـــواب : لا اتذكر ما قلته في تلك المقابلة، بيد انني اشعر دومـاً بانه سيكون امراً ايجابياً تماماً ويجب ان يدفع للأمام ما دام بإمكاني المضي به. واعتقد بانه سيتعرض لوقت قاس جداً. فهناك تركيز على المصادر والقوة لوسائل اعلام بديلة، وفي حين انها مهمة جداً، فانها ستثير معركة. فمن الصحيح، بانه ستكون هناك اموراً قليلة النجاح، إلا ان ذلك بسبب ان الناس كانوا راغبين بوضعها في جهد خارق. فخذ مثلاً مجلة «زد»، إنها مجلة وطنية لديها من الناحية الأدبية اثنان فقط يشرفان عليها وليس لها مصادر، باستثناء ما يقدمه لها بعض الأصدقاء. فوضع مثل تلك المجلة دون مصادر هو عمل قاصم للظهر.

اما مطبعة الجنوب فقد كان لها نوعاً مميزاً. وانها عبارة عن مجموعة صغيرة دون وجود مصادر لها، وقد أخرجت عدداً كبيراً من الكتب، من ضمنها كتب جيدة عديدة. إلا انه بالنسبة لكتاب «صحافة الجنوب» فانه كان من المستحيل تقريباً استعراض الكتاب فيها. وخذ صحيفة بوستون غلوب، مثلاً، فهي بالنسبة للمقاييس الصحفية الأميركية تعتبر صحيفة ليبرالية تماماً. وقالت رئيسة تحريرها قبل سنتين بانه لن يسمح ابداً لكتاب «الجنوب» أن يُستعرض. والسبب الذي اعطته كان هو انني كنت مؤلف كتاب «الجنوب»، وما دمت كنت مؤلفاً لكتاب الجنوب فانها لن تسمح بان يستعرض الكتاب. ولم تستعرض كتبي في صحيفة بوستون غلوب فحسب، بل ولم تظهر اسماؤها على القائمة في الصحيفة ايضا. حيث يوجد بها زاوية في كل يوم أحد يقوم بوضع أسماء

المؤلفات المحلية فيها. ومثلي مثل بعض الكتاب المحليين فقد كتبت فصلاً في كتاب للطبخ. ومع ذلك فهم لم يضعوا حتى قائمة بأسماء كتبي ضمن قوائم الكتاب المحليين.

وفي الحقيقة، فان ذلك يبدو مضحكاً احياناً. فعلى سبيل المثال، ان المجلس الوطني لمعلمي اللغة الانجليزية يمنح جائزة في كل سنة تسمى «بجائزة أورويل». وقد منحت لي عن كتاب «الايديولوجية والقوة» قبل سنتين. ومنحت لي في هذه السنة عن كتابي انا وادوارد هيرمان «الرضا المصطنع». وفي الوقت او السنة التي قدمت فيه هذه الجائزة، فان كاتبة زاوية في صحيفة بوستون غلوب، وهي من الليبراليين اليساريين، كتب مقالاً استعرضت فيه هذه الجائزة والمسؤول عنها. وكان مقالاً متفائلاً جداً حول فكرة منح هذه الجائزة لمعلمي اللغة الانجليزية ومدى أهميتها. وقد أوردت الكاتبة قائمة بأسماء الأشخاص الذي حصلوا على هذه الجائزة في الماضي. وكان هناك حذف مهم جداً في الصحيفة: إذ ان جائزة هذه السنة لم تذكر. فهي تمنح عادة لشخص محلي، الذي غالباً ما يذكر اسمه. وقد حدث هذا أيضاً لأول مرة. علاوة على ذلك، فان كلا من الكتب المستعرضة كانت كتباً حول الاعلام. انها انتقاد لوسائل الاعلام. ولم يذكر اي منها في تلك الصحيفة. بيد انها استعرضت، هذه الكتب، في صحيفة الناشرين الأسبوعية، في الحقيقة، التي قامت ببحث ذلك.

واذا لم تتمكن من الوصول الى مصادر رئيسية، ونماذج قوية للوضوح العام، فان بحثك سيكون محدوداً جداً. وبإمكانك ان تفعل ذلك الى مدى معين وبعمل شاق. وتوجد هناك طرق ووسائل لتعويض ذلك. وبعض هذه الوسائل هي مهمة. فعلى سبيل المثال، هناك المنشقون في الكثير من المجتمعات المشتركة.، فقد قضيت وقتاً كبيراً وبغيضاً، على سبيل المثال، وانا اقوم بعمل نسخ لأصدقائي المتواجدين في بلدان أخرى، من الذين يعانون في بلدانهم من الأوضاع بشدة، مثلما أعاني انا هنا. وهم يقومون بنفس العمل من اجلي. وهذا يعني انه مع انني لا احصل على منحة بحث للعمل بهذا النوع من المواد، او ليس لديّ وقت اضافي او أي امر اخر، ومع ذلك عليّ ان أصل الى المصادر المطلوبة للبحث. وإن لديّ أصدقاء يعملون في الصحف العبرية، اقوم بجمع المعلومات وارسالها لهم ومن ثم يقومون هم ايضاً بعمل التحليلات الصحفية وارسال مقدار كبير من هذه المواد إليّ.

■ سؤال : إنك تتحدث عن اسرائيل شاحاك اليس كذلك ؟

جـــواب : نعم، فهذا اختلاف كبير، ويعني بأنني احصل على مصادر. فشاحاك هو شخص رئيس وهناك اخرين ايضاً غيره. فلدي أصدقاء أخرين يقومون بنفس العمل لي. واقوم أنا واخرين بنفس الشيء من اجلهم. ونفس الشيء ينطبق تماماً على أصدقاء لي في النمسا وبريطانيا وغيرها من الدول. لذلك توجد هناك شبكات من التعاون المتطور. ويوجد هنا على مكتبي، على سبيل المثال، مجموعة من المواد جاءت من صديق لي، كان رصد كافة المواد الصحفية في لوس انجلوس وقدر كبير من المواد الصحفية البريطانية ايضا، والذي قام بقراءتها، وانها عبارة عن مجموعة مختارة تغنيني عن قراءة العديد من الصحف والمواد الصحفية الاخرى. وأنا اتعامل معهم من فترة لأخرى، فـأجد نفسي مستعرضاً مقداراً كبيراً من الصحافة. اذن فهناك عدد كبير من الاشخاص يقومون بهذا، ونتبادل المعلومات سوياً. وتكون المحصلة النهائية ان تصل الى معلومات بطريقة اشك أن اية وكالة مخابرات وطنية يمكنها ان تطبقه.

هذا وتوجد هناك وسائل تعوض عن غياب وجود المصادر. فالأشخاص يمكنهم ان يقوموا بهذه الأمور. وهذا ما يحدث غالباً. فمنذ سنتين ادليت بحديث في منهاتن، بولاية كنساس، وسألوني ان تجرى مقابلة مسبقاً مع مجموعة تضامن محلية، فظننت بأن ذلك امر حسن، وان هناك اربعة أشخاص سيكونون في غرفة الجلوس من اجل هذا الغرض. إلا انه وعلى نحو مفاجيء لي، فانه لم يكن هناك اربعة اشخاص فقط وانما كان يوجد هناك مائتي شخص ينتظرون في كنيسة. إنها بلدة يبلغ عدد سكانها (٣٠) الف نسمة او نحو ذلك. وتحتوي على مواد أدبية عديدة، بما فيها ادبيات لم أرها من قبل، ومعلومات لم أسمعها من قبل، وتحتوي على أناس كثيرين من أميركا الوسطى، كانوا رجعوا اليها، وعاشوا هناك وقاموا بأعمال متضامنة. انهم اناس مطلعون جداً. وانني متأكد بأنهم يعلمون عن اميركا الوسطى المزيد من المعلومات واكثر مما تجده في صحف اميركا الوسطى او في الدوائر الأميركية اللاتينية العديدة. فهذا امر يمكن ان تجده في كافة انحاء البلاد. فالجمهور قد وجد طرق ووسائل اخرى للحصول على المعلومات وتثقيف نفسه وغيره وتوزيع هذه المعلومات خارجاً. فهناك وسائل للحصول علي المعلومات إلا انها ليست بسيطة. ولمحاولة الوصول اليها بشتى الطرق لهو امر صعب.

■ **سؤال : لنني مهتم بقولك من لن الاذاعة التجارية هي اقل ايدولوجية من الاذاعة العامة. فما هو تعليقك على ذلك ؟**

جواب : إنها كانت تجريتي. وهنا اردت ان اكون حذراً بعض الشيء. فمجال الاذاعة العامة، حسب تجربتي، مفتوح تماماً. لذلك فعندما أذهب الى «ويومينغ» و «ايوا»، فانني اذهب الى الاذاعة العامة، من اجل اجراء مناقشات مطولة. بيد ان ذلك كان اصعب جداً لتصور ان يحدث هذا في بوستن او واشنطن. اذ ان المجال لا يكون مفتوحاً لاجراء حوار في الاذاعة سوى لدقائق. وهو امر صعب جداً للتعمق في الاشياء. ومن الجدير التذكر دوماً بأن انظمة الاتصالات الاميركية اخترعت اسلوباً فعالاً جداً من اجل منع حركة المعارضة او الانشقاق من التعبير عن نفسها من خلال هذه الأجهزة. ويكون هذا واضحاً تماماً في بعض الاحيان. والولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة في العالم تقريباً كما اعلم التي تقوم بعملية اختصار شديدة للأقوال والأحاديث عبر الاذاعة، وعادة ما يجري ذلك الحديث المقتضب جداً بين اعلانين تجاريين. وهذا لا يحدث ابداً في دول اخرى. كما انه لا يحدث خارج نطاق الاذاعات الحكومة ايضاً. فبإمكانك ان تحصل هنا على عشرة او خمسة عشر دقيقة لتعبر فيها عن رايك، وتنظم افكارك. اما إذا امكنك ان تحصل على لقاء في برنامج يدار من محطة اميركية حكومية، ويديره، على سبيل المثال، تيد كوبل، فانه لن يتسنى لك سوى أن تعبر عن رأيك بجملتين فقط. هل تعرف جيف هانسن؟

ديفيد بارساميان : انه يعمل في محطة «وورت» في ماديسون

نعوم تشومسكي :

كنت هناك مؤخراً، فأراد ان يرتب مقابلة معي عندما كنت في تلك المنطقة لأدلي ببعض الاحاديث الاذاعية. ولكن بعد اجراء اتصال معي، وبعد اخذ ورد قال بأني «افتقد الى الموجزية» او الاختصار في الحديث. وأضاف «اننا بحاجة لأشخاص يمكنهم ان يقولوا شيئاً ما في بضعة جمل. وان أفضل شيء بالنسبة لنا هو ان نحصل على شخص ما يمكنه ان يقول شيء ما وباختصار شديد، وان هذا الشخص تشومسكي يطيل ويطيل بالحديث. وهناك بعض الصحة في ذلك.

راجع المقال الذي نشر في عدد شباط / اذار ١٩٩٠ لمجلة «مطر جونز» (الام

جونز). انه مقال مثير كتبه مارك كوبر، حيث اجرى فيه تحليلاً لأشخاص رئيسيين ظهروا كخبراء في العروض الاذاعية. وبالطبع، فانهم جميعاً منتمون لليمين، وهم يظهرون في البرامج دوماً. بيد ان التعليق معهم يعتبر مثيراً. وتحدث في مقاله عن رجال الاعلام، وقال بأن هناك اشخاصاً يعرفون كيف يدلون بأفكار مختصرة وبسيطة ومستقيمة، وان بإمكانهم ان يجعلوا تلك الجملتين المختصرتين كتصريحات مفيدة تبث بين فقرتين دعائيتين. فذلك امر مهم تماماً. لأنك لو قيدت للتحدث بجملتين فقط ومن خلال اعلانين تجاريين، او حتى أن تتحدث في حدود سبعمائة كلمة فقط فانه لن يكون بإمكانك التحدث بشيء، وانما فقط ان تعبر عن افكار تقليدية. واذا ما عبرت عن افكار تقليدية، فانك لست بحاجة لاي قاعدة أو أساس لذلك او اي خلفية او مرجعية، أو اية حجج وبراهين. اما اذا ما حاولت أن تعبر عن شيء ما غير تقليدي، فان الناس سيسألونك مباشرة عما تتحدث عنه. وهم على حق في ذلك. فاذا ما رجعت الى الغزو الأميركي لجنوب فيتنام، فإن بعض الناس سيسألونني، «عما تتحدث عنه ؟»، اننا لم نسمع عن ذلك؟» وهم على حق في ذلك. انهم لم يسمعوا عن ذلك. لذلك فإن عليّ أن اشرح لهم ما اعنيه.

او افترض انني اتحدث عن الارهاب الدولي، وان أقول بأنه يجب علينا ان نوقفه في واشنطن، التي تعتبر مركزاً رئيسياً له. فإن الناس سينذهلون ويتساءلون، «ماذا تعني بأن واشنطن تعتبر مركزاً له؟» فعليك عندئذ ان تشرح ذلك. وعليك ان تورد بعض المرجعية لذلك. فذلك بالضبط ما تحدث عنه جيف غرنينفيلد بالضبط. فأنت لا تريد من الناس ان يكون لديهم اطلاعاً او مرجعية، لأن ذلك سيسمح بوجود افكار انتقادية. فما تريده هو وجود أفكار مؤكدة تماماً. اما ما يريدونه هم فهو تكرار فقط للخط الاعلامي، الخط الحزبي. لذلك فأنت بحاجة للاختصار. وبوسعي ان افعل ذلك ايضا. فيمكنني ان اقول او ان اعبر بما افكر به في ثلاثة جمل ايضا. إلا ان ذلك سيظهر كما لو انه ترديداً او صدى على الحائط لانه لن يكون هناك اساساً أو قاعدة مرتكزة عليها. واذا ما كنت تابعاً لمؤسسة اميركية ما وقلت ذلك في ثلاثة جمل، نعم، فالناس يسمعون ذلك في كل يوم، لذلك فما هو الشيء الكبير في ذلك؟ واذا ما قلت ان الروس يغزون العالم، وقلت هذا وذاك، وان نوريغا اسوأ رجل عصابات منذ كذا وكذا. فذلك نوع من الحديث لا يحتاج الى اية مرجعية او خلفية. فما عليك إلا ان تفرغ الأفكار في قالب جديد والتي

دوماً ما يعبر عنها كل واحد. انه أسلوب تركيبي قيم جداً. ولكن في الحقيقة، ومن وجهة نظري، فإذا ما كان بعض الناس مثل تيد كوبل، أكثر ذكاء، فانهم سيتيحوا عرض آراء المنشقين او المعارضين، ولا يخدعون أنفسهم. فإما ان تكرر ما يقوله كل واحد آخر لان تلك هي الطريقة التي تبدو عاقلة، او ان تقول ما تفكر وتعتقد به، وفي هذه الحالة فانك ستبدو مثل مجنون، وحتى لو ان ما تقوله هو صحيح تماماً ويمكن دعمه بسهولة. والسبب هو ان النظام برمته يستثني او لا يعترف بذلك.

انه سيبدو جنوناً تماماً، من وجهة نظرهم. واذا ما اتبعت أسلوب «الموجزية»، كما يقول جيف غرينفيلد، فلست بحاجة لأن تفسر ذلك. فذلك هو الأسلوب التركيبي للاعلام، وهم يفعلون الشيء ذاته في اليابان، كما قيل لي. وان معظم بلدان العالم لم تصل بعد الى هذا المستوى من التقدم. اذ انه يمكنك ان تذهب الى الاذاعة الوطنية البلجيكية او هيئة الاذاعة البريطانية وتقول ما تشاء. اما في الولايات المتحدة فان ذلك صعب جداً.

■ سؤال : في مقالتك «اللغة والحرية» فقد قلت فيها «ان العمل الاجتماعي يجب ان يكون مفعماً برؤيا مجتمع مستقبلي». واني كنت متسائلاً ما هي رؤيا المجتمع المستقبلي التي تشغلك ؟

جواب : ان لديّ افكاري الخاصة حول ما يجب ان يكون عليه المجتمع المستقبلي. وقد كتبت حول ذلك. وأعتقد بأن ذلك سيكون على مستوى عام من اجل السعي لإيجاد اشكال من السلطة والهيمنة وتحدي شرعيتهم. واحيانا تكون هذه المجتمعات او الدول شرعية. ودعنا نقول بأننا محتاجين لذلك من اجل البقاء. فخلال الحرب العالمية الثانية، كان لدينا مجتمعاً ديكتاتورياً بشكل اساسي، وأعتقد بأنه كان هناك بعض التبرير في ذلك بسبب ظروف واوضاع الحرب. ان العلاقات بين الآباء والابناء، على سبيل المثال، مبنية على الإكراه والاجبار. وهي مبررة احيانا. بل ان أي شكل من اشكال الإكراه والسيطرة يتطلب تبريراً، ومعظمه كان مبرراً تماماً. وفي مراحل مختلفة من الحضارة الانسانية كان من الممكن تحدي بعضاً منها. اما العوامل الاخرى فانها متعمقة ومتأصلة جداً او انك لا تراها او نحو ذلك. لذلك فعند اية محاولة ان تستبين او تستكشف تلك الأشكال من السلطة والهيمنة التي تكون خاضعة للتغيير والتي ليس لها

اية شرعية، والتي في الحقيقة غالباً ما تضرب حقوق الانسان الاساسية وتشوش فهمك لحقوق وطبيعة الانسان الاساسية. واعتقد بانك لو نظرت الى المشهد الحالي، او الوضع الحالي للمجتمع، فإن مجتمع المستقبل الذي أرغب برؤيته هو الذي كنت تريده باستمرار، والذي تمتد فيه بشكل متواصل جذور ومدى الحرية والعدالة مع عدم وجود للسيطرة الخارجية، واشتراك شعبي اكبر فيه.

فما هي الأمور الرئيسية اليوم؟ فهناك يوجد بعضا منها. ومنها الحركة النسوية، وحركة الحقوق المدنية. والشيء الرئيسي الذي لم يواجه بجد هو الذي يكمن في جوهر نظام الهيمنة، والسيطرة الخاصة على المصادر، والانتاج والتوزيع. وان ثورات القرن الثامن عشر قد استهلكت وانقرضت. وحتى ان نصوص الليبرالية التقليدية التي كان يتحدث عنها الناس قد استهلكت لتعمل بموجب قيادة وسيطرة بدلاً من ان تعمل ضمن حاجتها الداخلية ولا تسيطر على العمل والنشاط. فذلك هو جوهر الليبرالية التقليدية. وقد نُسي كل ذلك تماماً. إلا انه لا بد من ان تحي. فذلك امر حقيقي تماماً. وهذا يعني ان يشن هجوماً على التركيب الاساسي لامبريالية الدولة. واعتقد بان ذلك تحت الطلب. وليس بعيداً جداً في المستقبل. وفي الحقيقة، فليس لدينا حتى افكاراً خيالية حول ذلك. وكانت كثير من الافكار واضحة في القرن الثامن عشر، وحتى ان ذلك كان موجوداً في النصوص الليبرالية التقليدية، ومن ثم فيما كان موجوداً على الاقل في اجزاء من الحركات الليبرالية للحركة الاشتراكية والحركة الفوضوية ايضا. واعتقد بان هذا موضوع حي ينبغي ان يواجه. وان الرؤيا لمجتمع مستقبلي من وجهة النظر هذه ستكون واحدة يكون فيها الانتاج، والاستثمارات الخ، خاضعاً للسيطرة الديمقراطية. وهذا يعني السيطرة من خلال المجتمعات، ومن خلال أماكن العمل، ومن خلال المجالس العمالية في المصانع او الجامعات، ومن خلال اية منظمات مهما كان نوعها، كتركيبات فيدرالية تدمج القطاعات المنظمة بمدى اوسع.

فهذه هي كافة التطورات الملائمة والمعقولة، وبشكل خاص بالنسبة لمجتمع صناعي متطور. وتوجد الخلفية الثقافية لها في طريقة محدودة تماماً فقط بل يمكن ان تعمل لتوجد. فتلك هي صورة لجزء من مجتمع مستقبلي.

وانها ليست الوحيدة فحسب لانه يوجد هناك اشكالاً عديدة اخرى لهرم السلطة

الذي يجب ان يزال. وان أنواع الأنظمة الموجودة هي راسمالية الدولة، النوع المألوف لدينا، أو بيروقراطية الدولة، كمثل النظام السوفياتي (سابقاً) مع النخبة العسكرية - البيروقراطية - الادارية التي تحكم وتسيطر على الاقتصاد وعلى كافة المجتمع من القمة الى القاع في اسلوب ديكتاتوري. إلا أن ذلك قد انهار لحسن الحظ. ونظامنا لن يكون خاضعاً لاي تحدٍ داخلي، بل ينبغي ان يكون كذلك. فصورة المجتمع المستقبلي الذي يُستنبط هو واحد يمكنك عندئذ ان تخطط له ولو جزئياً.

■ **سؤال : لقد اجريت مئات المقابلات والمحاضرات وعالجت موضوع المجازر في «تيمور» وعملية غزو بنما، وفرق الموت، والاغتيال، وايضاً المواضيع المروعة فعلياً. فما الذي يجعلك تقوم بذلك ؟ الست تتحرق من مثل هذه المواضيع ؟**

جواب : بوسعي ان أحدثك حول ردود فعلي الشخصية، بيد انه مرة ثانية لا أرى لماذا يجب ان تهم اي واحد.

■ **سؤال : هل توجد هناك مصادر داخلية تستدعيها عندما تشعر باليأس ؟**

جــواب : إنه أمر مشابه بشكل رئيس فيما اذا كان بإمكانك ان تنظر الى نفسك في المرآة، كما اعتقد. فإذا ما أردت ان تشجع، فهناك طرق لتشجع فيها. فالأمور هي افضل بكثير مما كانت عليه قبل خمسة وعشرين عاماً، أو قبل عشرة سنوات. فعلى سبيل المثال، انني لم اكن قادراً قبل عشرين عاماً لأن أذهب الى منهاتن بولاية كنساس، وان أجد أناساً عرفوا اكثر حول أمور اكثر مما اعرفه، وكانوا نشطين ومنخرطين اكثر. فعندما بدأت أدلي بأحاديثي وأقوالي في عام ١٩٦٤ تقريباً، فقد بدا الأمر يائساً تماماً. فاجراء حديث ما يمكن ان يعني الحصول على بعض الجيران ليدعو اثنان او اكثر من اجل الحديث في غرفة الجلوس، او الذهاب الى الكنيسة حيث يمكن ان يأتي الى هناك شخص ثمل، أو ان يكون هناك بعض الأشخاص يريدون قتلك وقتل الذين نظموا هذا اللقاء. وعندما كنا نقوم بتنظيم مثل هذه اللقاءات العامة في الجامعة وقتذاك، اذكر بأنه كان هناك لقاء اعلنّا فيه عن اجراء لقاء لبحث مسائل فيتنام، فنزويلا، وذلك ربما على أمل ان يكون من الممكن جلب اشخاص اكثر بسبب هذه المواضيع الحساسة آنذاك.

ومع نلك ايضـا، فـان العداء كان غير عـادي. وكان اول لقاء جمـاهيري عام لي لاتحدث فيه في شـهر تشرين الأول ١٩٦٥ في حديقة بوسـتن العامـة، وفي مناسـبة اليوم العالمي للاحتجاج على الحرب في الهند الصـينية. وقد نظم نلك الحشـد بواسطة طلاب، مثل معظم الحالات، وكان في الحقيقة اول حدث عام رئيسي جرى في حديقة عامة بالنسبة لي. وكان يتـواجد هناك مـا بين ٢٠٠ ـ ٣٠٠ رجل شرطة، وكنا سـعيدين برؤيتـهم، كمـا يجب عليّ القـول، لانهم حفظونا من القتل. فـالحشـد كان مـعـادياً، وكانوا مـعظمـهم من الطلاب الذين اتوا من الجـامعات. وكانوا على استعداد لقتلنا. إذ انه كان من المريك ان تقول لهم: أوقفوا قصف فيتنام الشمالية. وجرى نلك الحشد في منتصف عام ١٩٦٦. ولم يكن حينذاك بالإمكان عقد حشد جماهيري في بوستن لانه سيجتاح من قبل الطلاب وعناصر أخرى. لذلك فقد كنت أشعر انذذ باليـأس التام، فلـم يكن بإمكاني ان أرى أي هدم من جراء نلك.

■ سؤال : لذلك فانت متشجع ؟

جـــــواب : سـواء كنت متشـجعـاً أم لا فإنها تعتبر مسـألة شخصية، وليست حقيقة موضـوعيـة. وفي كثـير من الوسـائل فإن الأمور افضل بكثير. وأعتقد بأن المستوى الثقـافي للبلاد هو أعلى بكثير. وخـارج الفئات المتعلمـة، التي لم تتـغـير، فأعـتـقد بأن المسـتوى الفكريّ والأخـلاقي للمـحـادثة العـامة وللفـهم العام قد ارتفع بشكل بارز. ولا اشك بذلك لحظة. وهذا شيء مشجع. فإذا ما أردت ان تشجع، فبإمكانك ان تفكر حول نلك بخطوة هادئة، قـبل ان يمـكنك اتخـاذ تأثيـر جـاد فـي السـيـاسـة. فـهذه هي أسـئلة مزاجية، وليست حقيقة موضوعية. ولا أرى الكثير من الانتباه لها.

وتأخذ بشكل أساسي نوعاً من رهان باسكال. كما تأخذ البينة. اذا ما أردت تقديم تحليل موضـوعي، وبإمكانك ان تقدم برهاناً وحـجة من انه خـلال مـائتي عام فلن يكون هنالك شيئاً يترك سـوى الصـراصير. ومـهـمـا فـعلنا، فـهذا ممكن ومن جـهة ثانية، فإن بإمكانك أن تحـاول القـيام بشيء مـا بشأن نلك، ففي هذه الحالة فـان بوسـعك ان تتوقع وتتنبأ بما سيحدث. أو أن تفعل شيئاً مـا، ففي هذه الحـالة ربمـا يوجد هناك خطأً.

■ سؤال : هل انت ملتزم القيام بشيء ما ؟

جواب : أحاول ان اكون.

استهلال لحرب الخليج

ايلول ١٩٩٠

ديفيد بارساميان : اعتقد بانك تتحدى وجهة نظر وسائل الاعلام التقليدية من ان الازمة الكويتية - العراقية هي اول حدث رئيسي لما يدعى بحقبة «ما بعد الحرب الباردة». فهل انا محق في ذلك ؟

نعوم تشومسكي :

هذا صحيح في عدد من النواحي. فلأول كل شيء، فإنني اشك بخصوص عبارة «حقبة ما بعد الحرب الباردة»، بيد انني حتى اوافق بأن أول أزمة رئيسية تضمنت عمل عسكري في هذه الحقبة كان غزو بنما. انها كانت «حقبة ما بعد الحرب الباردة» في معنى - مع ان العمل نفسه كان عادياً جداً ومن الصعب ليكون اكثر من كونه هامشياً في التاريخ - انه لأول مرة، منذ وقت طويل، وفعلياً منذ عام ١٩١٧، من ان الاعمال العسكرية الاميركية، وهو عدوان في مثل هذه الحالة، لم تبرر بذريعة الدفاع عن تهديد السوفياتي. ولم تكن هذه الذريعة معقولة أبداً. ولكن في هذه المرة فانها كانت وراء كل خيال وتوقع. ففي تلك الناحية فان هذا كان غزواً «لحقبة ما بعد الحرب»، استخدمت فيه القوات العسكرية. وكان عليه ان يبرر بشتى الحجج والذرائع. ففي عدة نواحي، فانه مشابه (غزو بنما) للغزو العراقي للكويت نوعاً ما.

- **سؤال : هل ترى اية نتائج منبثقة عن الجهد الدولي المتحد لدفع صدام حسين للاجلاء عن الكويت ؟**

جــواب : اتمنى ان أرى شيئاً من ذلك. بيد انني لا أرى ذلك. ولقد ايدت تلك الجهود الدولية، غير ان السبب الوحيد في حدوث ذلك هو بسبب سماح الولايات المتحدة لأن تحدث. وهناك مقدار كبير من الهراء قد وجد الآن حول كيف ان الامم المتحدة تولت اخيراً مسؤوليتها في حقبة ما بعد الحرب الباردة، ومع انتهاء صراع القوى العظمى فإننا لسنا بحاجة لأن نقلق كثيراً بشأن التصدي الروسي، كما يمكننا ان نضع جانباً

تشويشات العالم الثالث، وتستطيع الأمم المتحدة أخيراً أن تقوم بما هو مرتب ومصمم لها. وحقيقة الأمر هو انه على مر العشرين سنة الماضية كان السبب الرئيس لعدم مقدرة الأمم المتحدة في القيام بما كان مصمم لها ان تقوم به هو لأن الولايات المتحدة كانت تعيق ذلك. فالولايات المتحدة كانت في مقدمة الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن التي استخدمت حق الفيتو و بكثرة ضد قرارات المجلس، كما انها كانت تصوت سلبياً في الجمعية العامة ضد كثير من القرارات، بما فيها القرارات المتعلقة بالشرق الأوسط وقرارات الاعتداءات، ومراقبة القانون الدولي، ونزع السلاح، ومسائل البيئة، وغيرها. وذلك هو السبب لماذا ان الأمم المتحدة لم تكن قادرة على العمل والتحرك.

ولكن الآن، فإن الأمم المتحدة هي تقريباً، أقل فعلياً مما ندعيه، فهي تعمل وفقاً لما تريده الولايات المتحدة، ووفقاً لمطالبها، لذلك فانها قادرة على العمل. فهذا هو الأمر ببساطة. والشيء الساخر في هذا الأمر هو ذلك التردي الفكري. فعلى سبيل المثال، كتبت صحيفة نيويورك تايمز مقالاً عن دانيال مونيهان امتدحته فيه على انه يعتبر مفسراً للقانون الدولي بحيث جعل الآخرين يفهمون المبادىء الذي كافح طيلة حياته من اجل تفسيرها وشرحها، الخ. ولقد رايت في الصحافة العديد من المقالات مثل تلك المقالة عن مونيهان، الذي الف كتاباً عن القانون الدولي بهذا الصدد. وصحيح تماماً ان مونيهان يقول في كتابه هذا «انه لشيء فظيع اننا لا نراقب القانون الدولي، فينبغي علينا ان نفعل ذلك، الخ». بيد انه توجد هناك بعض الحذوفات في هذه القصة. فعلى سبيل المثال، فإن مقالة النيويورك تايمز تمتدح مونيهان لخدمته في الأمم المتحدة، إلا انها لم تقل ماذا كان يفعل هناك. فما كان يفعله في الحقيقة هو ضمان عدم قيام الأمم المتحدة بوظيفتها، وهو يصف ذلك بفخر في مذكراته.

وبإشارته للغزو الاندونيسي لشرق تيمور في عام ١٩٧٥، فهو يقول بأن الأمم المتحدة أرادت ان تحول الأمور حسب مصلحتها، لذلك فقد أوكل اليه مهمة التأكد من ان الأمم للتحدة لا يمكنها ان تقوم بأي عمل بناء من اجل لنهاء او وقف العدوان الاندونيسي. وقد نفذ تلك المهمة بنجاح بارز. ومن ثم فهو يقول بأنه كان مدركاً لطبيعة ذلك للنجاح.. فقد قال انه بعد شهرين من الغزو الاندونيسي، فان عشرة بالمئة من سكان شرق تيمور قد قتلوا، وهي نفس النسبة التي قتلها هتلر في اوروبا الشرقية إبان

الحرب العالمية الثانية. وبذلك فهو يفتخر في وقفه للأمم المتحدة من التدخل لمنع العدوان الذي قارنه بنفسه مع غزو هتلر لأوروبا الشرقية. فهذا هو الرجل الذي يبلغنا بمراقبة القانون الدولي ويمتدح الأمم المتحدة لأنها جاءت اخيرا لتقوم بواجبها ولتنفذ مهمتها التاريخية.

وبوضع موقفه الخاص جانباً، والمقالات التي امتدحته وامتدحت كتابه ووصفته على انه مفسر ورائد القانون الدولي في الأمم المتحدة، فان ذلك يثير السخرية الى ما وراء الحدود.

■ سؤال : ان ذلك سيبدو ان ازمة الخليج ستولد مصلحة كبيرة في حفظ الطاقة ـ فمؤسسة حفظ الطاقة في هذا البلد قد طورت مصادر بديلة ـ بيد ان ذلك يبدو انه لن يحدث. فما هو تعليقك ؟

جواب : ليس في الحقيقة، لأنه لا علاقة له بالموضوع تماماً. فالمشكلة في ازمة الخليج لا تكمن في نقص البترول، وليس ايضاً في اعتماد الولايات المتحدة على نفط الشرق الأوسط. ومن السهل رؤية ذلك بوضوح. فوقف الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط كان منذ الأربعينات هو الحفاظ على مصادر النفط الأكبر والأرخص هناك بواسطة الهيمنة عليه، وان لا يمكن التساهل مع قوى اخرى تحاول الهيمنة عليه. وبالتأكيد فانه لا يمكن التساهل مع وجود قوات مسلحة تهدد امن المنطقة. وخاصة بعد خروج القوى البريطانية والفرنسية من المنطقة. وكان هناك الكثير من الكلام حول الروس وتهديدهم، إلا انه كان مجرد كلام. وعلى نحو حاسم، فانه لا يمكن التسامح ايضاً مع قوى مسلحة محلية تهدد امن المنطقة. وكانت تلك ايضا السياسة الأميركية في الخمسينات. وقد حفز ذلك معارضة الولايات المتحدة للرئيس المصري عبد الناصر في منتصف الخمسينات، عندما ادركت بانه كان وطنياً مستقلاً وانه لم يكن يلعب لعبتنا. وعقدت ايضاً تحالفاً استراتيجياً مع كل من اسرائيل وشاه ايران في مواجهة ما كان يدعى «بالقومية الراديكالية»، والتي تعني القومية المستقلة. ولِمَ لهذا صلة بالموضوع؟ فلغاية أوائل السبعينات فقد كنا بالكاد نستورد النفط من الشرق الأوسط إلا اننا كنا نقف نفس الموقف بالضبط.

فالقضية هي من هو الذي يسيطر على مصادر الطاقة الرئيسية في العالم ؟ وقد

فهم من نلك ايضا من هو الذي يسيطر على المنافع، ومن الذي يمكنه ان يدير مستويات واسعار انتاج النفط ؟ ضمن حدود او نطاق ضيق، لانه لا يوجد هناك مدى كبير، له محرك قوي جداً بالشؤون العالمية وبالدول الاخرى، ونحن ماضون للتاكد من اننا نملك نلك. فيمكننا ان نكون مكتفين ذاتياً وان نلك لن يغير من هذا شيئاً.

■ سؤال : انني اتساءل فيما اذا كان بوسعك ان تعلق على الصور الاعلامية. فانني افكر في فترة اواخر السبعينات وبتلك الصور المفزعة للخميني التي استحوذت على اغلفة مجلتي تايم ونيوزويك وفيما بعد حول مسائل الرهائن، الشر ق الاوسط والنفط وصدام حسين التي استحوذت كلها على اغلفة المجلات ؟

جــواب : في الستينات، انه كان جمال عبد الناصر هو الذي اعتبر على انه متوحش وينبغي القضاء عليه، وكان نلك جزءاً من سبب التحمس المفرط لانتصار اسرائيل في عام ١٩٦٧، واشتراك الولايات المتحدة في نلك. وفي الحقيقة، فانه بالنسبة لحالة صدام حسين، فلسنا بحاجة لأن نذهب بعيداً. ولغاية شهر اب ١٩٩٠ فقد كان مفضلاً لدى الولايات المتحدة. اذ منحته الولايات المتحدة دعماً مادياً ومعنوياً. فالولايات المتحدة كانت تشكل شريكاً تجارياً رئيسياً له. فقد كنا اكبر سوق تجاري لنفطه. وكنا نزوده بنسبة اربعين بالمائة من المواد الغذائية. وكان المنتدى العملي العراقي - الاميركي يثني على تقدمه تجاه الديمقراطية. فقد كان رجلاً جيداً بنظرنا. ولكن بعد يوم واحد فقط اصبح يلقب بجنكيز خان وهتلر. واصبح احتلاله للكويت جريمة.

فما حدث هو انه تصارع وتنازع مع المصالح الاميركية. ولأنه تعارض ايضا مع المصالح الاميركية. وعندا اصبح واضحاً بانه كان واحداً من الوطنيين الراديكاليين، وانه سيمضي بطريقته الخاصة، وانه سينهج نهج ناصر، والقذافي والخميني او أي واحد آخر وقف او يقف في طريقنا.

■ سؤال : وماذا عن نوريغا ؟

جواب : كان هناك نوعاً من الخداع. فعلى سبيل المثال، اجرى برنارد ترينور الجنرال السابق في قوات المارينز والمراسل العسكري السابق لصحيفة نيويورك تايمز والذي يراس الآن بعض برامج الدراسات الامنية بجامعة هارفارد، اجرى مقارنة في مجلة تايم

ما بين صدام حسين ونوريغا، قائلاً بأن صدام حسين مثله مثل نوريغا، ينبغي ان يذهب. فهناك عامل مشترك بين الاثنين: فكلاهما وقفا في طريق الولايات المتحدة. ومثله مثل نوريغا عارض ووقف في وجه للصالح الاميركية في المنطقة. وكان نوريغا صديقاً للولايات المتحدة، بل كان يخدم مصالحها. ولكن عندما اصبح واضحاً بأنه كان يتبع نهجاً مستقلاً، وعندما بدأ يقف في طريق الولايات المتحدة بسبب هجومها على نيكاراغوا بدلاً من الاشتراك فعلياً فيه، وعندما بدأ يلاحق عملية كونتادورا، فقد كان لا بد ان يذهب. لذلك فقد استُغلت اعماله السابقة من قبل الولايات المتحدة للاطاحة به. وانطبق الشيء ذاته على صدام حسين، والذي كانت اعماله السابقة مقبولة لدى الولايات المتحدة، بل انه كان في الحقيقة، شريكاً محبباً.

■ **سؤال : إنني مهتم في هذه المسالة المتنافرة المدركة. ولكن كيف يمكن لبعض الناس مثل جورج بوش، على سبيل المثال، او وزير خارجيته بيكر او دانيل مونيهان، ان يتحدثوا عن القانون الدولي وانتهاك حقوق سيادة الدول على انها جريمة منكرة، الخ ؟ وكيف يمكنهم ان يسووا ذلك الموقف مع الاعمال الاميركية في بنما، او غرينادا، على سبيل المثال ؟**

جواب : إن محاضر محكمة العدل الدولية، ادانت الولايات المتحدة لاستخدامها القوة بطريقة غير مشروعة، وسجلها الكامل يثبت ذلك. فلنأخذ بنما مثلاً. ففي يوم الأحد، الموافق في ١٦ ايلول ١٩٩٠، اعلنت الصحافة وبسرور عظيم بأن مجلس الأمن الدولي قد صوت الى جانب قرار بالشجب الشديد للعراق بسبب اقتحامه للسفارات الاجنبية. وهذا صحيح تماماً. فعندما اقتحموا السفارات، فقد عبرت الصحافة عن سخطها الشديد. فهذا كان هجوماً على الدبلوماسية ذاتها. كما قالت صحيفة نيويورك تايمز، ولأول مرة يصدر قرار مجلس الأمن بالإجماع وبشكل بارز تماماً.

ولم أر أي واحد يشير الى ذلك بوضوح. وكان ذلك يحدث للمرة الثانية في تلك السنة. فقبل ذلك أصدر مجلس الأمن قراره بشجب بلد لانتهاكه الحصانة الدبلوماسية في حالة مشابهة لهذه الحالة. وبشكل خاص، عندما اقتحمت القوات الاميركية مقر البعثة الدبلوماسية لنيكاراغوا في بنما. فأصدر مجلس الامن قراراً بالإدانة إلا انه

ووجه بالفيتو الاميركي. وهذا ما حدث بالفعل. كما أصدر مجلس الأمن أيضاً قراراً بشجب الغزو الأميركي لبنما بيد ان الولايات المتحدة استخدمت حق النقض أو الفيتو ضده. وكان هناك قرار شجب أيضاً أصدرته الجمعية العامة. وفي الحقيقة، فقد وصفت الكنيسة الكاثوليكية الغزو الاميركي لبنما على انه اسوأ مأساة في تاريخ هذا البلد، كما ان هناك لجنة حكومية شجبت هذا الغزو. وبالعودة الى الأمم المتحدة، كما ذكرت من قبل، فإن الولايات المتحدة تعتبر بعيدة جداً عن عملية قيادة مراقبة القانون الدولي، والأعمال العدوانية، الخ.

وعودة الى سؤالك: كيف يمكنهم القيام بهذه الأمور؟ فذلك يعتمد على الجهد الفردي او الشخصي، غير انه توجد هناك عدة أجوبة ممكنة. ومن المحتمل ان معظمهم هم أناس اكتسبوا او انه كان لديهم اسلوباً معيناً. وذلك لكي ينفذوا من خلاله الى موقع القيادة او الزعامة. وذلك بأن تكون قادراً على ازالة اي شيء تماماً من فكرك يمكن ان يتنازع مع حاجتك لأداء مصالح قوية. فعليك أن تكون قادراً على ازالة ونسخ ذلك. وعندئذ فلن تحصل على تنافر مدرك.

■ سؤال : بيد ان مستوى الانسجام يبدو مروعاً، وحتى بالمقاييس الأميركية لهذه المسألة. وكنت احافظ على حضور المؤتمرات الصحفية اليومية التي كان يعقدها جورج بوش في «مين» والتي كان يعقدها فيما بعد في واشنطن مع الصحافة، وحتى لو انه لم يكن ليعتقد بما كان يقوله، حول مواجهة الادارة الاميركية لمسألة القانون الدولي وحرمة الحدود الدولية، الخ، وإثارة مسألة بنما. إلا انه ولا واحدة من هذه المسائل قد سارت قدماً. فما هو تعليقك ؟

جواب : كلا، وان اكثر ما أراه هو كثرة المقالات الصحفية حول هذه المسائل وما تنم عنه من نفاق ظاهر. وعلى نحو مصادف، فإني أعلم بأن مثل هذه المقالات قد قدمت للصحف الرئيسة، إلا أنها رفضتها.

■ سؤال: لقد قلت قبل بضعة سنين مضت بان العاطفة المعادية للعرب تعتبر آخر ذرة من التمييز العنصري الظاهر في الولايات المتحدة اليوم. فهل ترى اية عناصر لذلك التمييز في هذه الأزمة الراهنة ؟

جـواب : اعتقد بانه امر فظيع. فردة الفعل هي عنصرية تماماً. وبالطبع فانك تجد هذا في صحف عنصرية صريحة مثل صحيفة «الجمهورية الجديدة» التي تعبق برائحة العنصرية المعادية للعرب، بل ان تلك هي دوماً القضية. وحتى في اجزاء من وسائل الاعلام جرت هناك محاولات للإبقاء على مستوى اقــل من الاعتبارية لهذه المسألة، فالعنصرية المناوئة للعرب تصرخ فيك. وكانت هذه قائمة منذ وقت طويل، بيد انها أصبحت ظاهرة وواضحة الآن.

■ سؤال : لقد صدف ان استمعت الى إحدى الاذاعات الدينية المسيحية، وكان هنالك تعليقاً حول ان «الاسلام يولّد العنف» وان «القران يدعو للحرب المقدسة». ولقد ذهلت من سماع كل هذه الاشياء، فما هو تعليقك على ذلك ؟

جواب : انها نوع من الثقافة العنصرية. فهل المسيحية لا تولد العنف؟ وهل ان التاريخ الاوروبي لطيف وجيد تماماً ؟

■ سؤال : اين موقع اسرائيل، الشريك الاستراتيجي، من هذه الازمات ؟ فلماذا تبدو على الهامش او الخط الجانبي ؟

جـــواب : ان كلمة «تبدو» هي الكلمة الصحيحة لذلك. فهي ستظل وتبقى عبارة عن قاعدة للقوة الأميركية. فإذا ما قررت الولايات المتحدة الذهاب للحرب، وهو الأمر المحتمل جداً، وتغرق المنطقة في اضطراب كامل وبحدوث كارثة محتملة، فان اسرائيل ستكون الاحتياطي الاستراتيجي لها. ولكن الآن، فان الولايات المتحدة ستفضل كثيراً ان تحتفظ اسرائيل باقل صورة جانبية وبالتاكيد انها قد تلقت أمراً بذلك. والسبب في ذلك ان التظاهر الهش للقوة العربية هي امر حاسم بالنسبة لاغراض وأهداف الدعاية والاعلام، وان ذلك سينهار على الفور اذا ما اتخذت اسرائيل أي دور نشط. وفي الواقع، فان من المحتمل ان يشتعل العالم العربي برمته. ومن المحتمل ايضا ان تجد الولايات المتحدة نفسها متورطة في عملية مضادة.

سؤال : إنني مهتم باستخدامك لتعبير «العالم العربي» لأنه يحيرني. الم تسمع عن «العالم السلافي» او «العالم الهندوسي» او «العالم البوذي» ؟

جواب : أو « العالم للسيحي ».

■ سؤال : فهل هذا جزءاً من الاطار العرقي ؟ ونحن نستخدمه ؟

جـــواب : بالتأكيد، نحن نستخدمه. وأنا أستخدم هذا التعبير. فما يدعى «بالعالم العربي» هو تركيب معقد ومختلف ومتنوع كما هو الأمر بالنسبة للعالم الأوروبي.

■ سؤال : وماذا بشأن الصراعات السياسية في المنطقة ؟ فبعض الناس يندهشون، على سبل المثال ، بان يكون هناك نزاعاً ما بين الرئيس السوري حافظ الأسد والرئيس العراقي صدام حسين. فما هو تعليقك ؟

جـــــواب : إن حافظ الأسد يعتبر عدواً لدوداً لصدام حسين. فهما يمثلان جناحان رئيسيان لنفس الحزب، الذي يعتبر عملياً حركة عربية شاملة، وهو حزب البعث. بيد انه يحتوي على أجنحة مختلفة، وهي أجنحة متصارعة منذ عدة سنوات. وكانت سوريا الدولة العربية الرئيسة الوحيدة التي ساندت ايران في حربها مع العراق. هذا وكان ذلك شيء متمم. فمن المثير للدهشة ان يصبح حافظ الأسد فجأة شخصاً طيباً في اميركا. فهناك مقال لصحيفة نيويورك تايمز، قالت فيه، «إنه بالطبع ليس لطيفاً جداً، بل انه افضل بكثير من صدام حسين». وقبل ذلك بشهرين، كان صدام حسين افضل بكثير منه. وفي الحقيقة، فان الولايات المتحدة تصنف حسب مصلحتها، فالأسد يقف في صفنا الآن، لذلك فهو حاصل على وعد حقيقي من اميركا.

■ سؤال : أليس الرئيس بوش وادارته يلزمون انفسهم حقيقة من خلال تعليقهم بان «الاحتلال العراقي للكويت سوف لن يستمر، ولن يجري التسامح بشأنه» ؟ فهل هو بذلك يتيح لصدام حسين ان يجري تسوية ما ؟

جـــواب : أعتقد من وجهة نظري بأنها وسيلة غريبة نوعاً ما لتقدم بهذا الشكل، لانه كانت هناك عدة عروض مقدمة من العراق من اجل اجراء مفاوضات يمكن ان تؤدي الى انهاء النزاع فيما يتعلق بالانسحاب العراقي، إلا انها رفضت من قبل الولايات المتحدة. لذلك فإنها ليست مسألة فيما اذا كانت الولايات المتحدة تقدم تسوية ممكنة. فما هو صحيح الآن، إنها مسألة رفض الولايات المتحدة السماح للجهد الدبلوماسي بأن يستمر ويتواصل.

وهناك مقالة ظهرت في صحيفة نيويورك تايمز كتبها رئيس المراسلين السياسيين في الصحيفة، توماس فريدمان، قال فيها بأنه يوجد هناك قلق كبير في واشنطن، من ان تتمكن جهات اخرى من ايجاد حل سياسي مغري جداً لحل الازمة. ففي هذه الحالة، اعتقد بأنه يمكنك ان ترى اختلاف حقيقي بين الولايات المتحدة ومعظم بقية دول العالم - ليس جميعها - وانما معظمها اتخذ اتجاهاً مختلفاً، حول هذه المسألة الحاسمة. وهنالك امل عام من ان تؤدي بعض الاجراءات الاقتصادية، ومنها فرض حظر، الى حدوث نجاح في اجبار العراق على الانسحاب من الكويت والرجوع عن العدوان، ولكن افترض بأن هذا لن يجدي؟ فماذا سيحدث عندئذ؟ فسيكون هناك حينئذ وسيلتان لتحقيق ذلك. الوسيلة الاولى هي الحرب والوسيلة الأخرى هي الدبلوماسية. وكما أعلم فان معظم دول العالم تفضل الوسيلة الدبلوماسية، اما الولايات المتحدة فانها تتجه نحو الحرب. وهناك على ما يبدو خيارات دبلوماسية ومسار دبلوماسي. ولا يمكننا التأكد من ذلك، إذ ان كل فرصة تسنح تسد على الفور ونادراً ما يتم التحدث او الاعلان عنها، ولكن كانت هناك بالتأكيد عروض ومقترحات دبلوماسية قد طفت على السطح وبدت وكأنها خيارات دبلوماسية ممكنة.

■ **سؤال : الم يكن هنالك اقتراح عراقي تحدث عن الانسحاب من جميع الأراضي العربية المحتلة ؟**

جواب : كان ذلك في ١٢ اب ١٩٩٠. وكان اول عرض طرح. ولا نعرف بالضبط مدى جديته، لأنه رفض على الفور. كما كانت هناك عدة عروض واقتراحات اخرى ايضا. وكان هناك ايضا اقتراحا عراقياً في ١٩ اب لمعالجة مسألة الكويت على انها مشكلة العالم العربي والجامعة العربية وان تسوى بنفس الطريقة التي سويت بها مسألة وجود القوات السورية في لبنان، ومسألة القوات المغربية في الصحراء الغربية. إلا ان هذا الاقتراح قد رفض ايضاً.

وكانت هناك حجة لرفض ذلك، وذلك لاحتمالية وجود نفوذ قوي لصدام حسين في المنطقة. وكان في ذلك بعض المنطق، باستثناء نقطة صغيرة واحدة. هي انه كان قد اختلس ورقة من الكتاب الأميركي. ففي كل مرة كانت تتدخل فيها الولايات المتحدة في في اميركا الجنوبية (او في عالمها الغربي الصغير)، فانها كانت تقف على الفور

وتشجب بقية دول العالم لمحاولتها التدخل في ذلك. لذلك فقد كانت تعلق في مجلس الأمن الدولي لوقف كافة العداءات على اساس أن هذه مسألة تخص العالم الغربي ونحن سنتولاها بانفسنا. وعلى الآخرين أن يبقوا هادئين، لماذا؟ لأننا يمكننا التأمل بأن نسود ما دام الأمر يتعلق بالعالم الغربي. وقد فعلنا الشيء ذاته في الشرق الأوسط وعلى سبيل المثال، محاولة اعتراض تدخل الأمم المتحدة في قبرص، عندما غزت تركيا قبرص، في أوائل الستينات، جاعلة منها مسألة تخص حلف وارسو.

وكان الاقتراح العراقي الثالث، مع ذلك، هو اكثر اهمية في ٢٣ اب، ومرة ثانية، لم نعرف الكثير عنه او عن مدى جديته، لأنه قد أخمد. إلا انه في ٢٣ اب نقل العرض الى واشنطن بواسطة مسؤول اميركي كبير له ارتباطات واتصالات مع العراقيين، وكان الاقتراح يدعو لانسحاب عراقي من الكويت، شريطة انهاء العقوبات الاقتصادية، واطلاق سراح كافة المعتقلين، والرهائن، ولا يتضمن شرطاً مسبقاً لانسحاب قوات اميركية، او اية شروط مسبقة اخرى. وكانت الشروط العراقية الوحيدة في هذا العرض، هي وصول العراق الى مياه الخليج، وسيطرته على حقول رميلة النفطية، التي يقع حوالي (٩٥) بالمئة منها داخل الأراضي العراقية وخمسة بالمئة فقط داخل اراضي الكويت وفي المنطقة الحدودية المتنازع عليها دوماً. وقد وصف هذا الاقتراح من قبل الناطق الرسمي للبيت الأبيض على انه «اقتراحاً جاداً وقابلاً للتفاوض». وهو بالتأكيد كان كذلك، إلا اننا لم نعرف كم كان جاداً أو قابلاً للتفاوض، لأنه قد رفض على الفور من قبل الولايات المتحدة وقمع واخمد بشكل واسع بواسطة الصحافة الأميركية. فقد سرب العرض على ما يبدو الى صحيفة نيويورك تايمز، التي لم تقم بنشره. ومن ثم نشر بعد ذلك بأسبوع في مجلة «نيوزويك»، وأشارت اليه مجلة «تايم»، غير انه دفن ورفض على انه كلام فارغ وهراء، وكان ذلك نهايته. ولم يشر اليه فيما بعد. وكانت هناك ايضا عروض اخرى. اما كم انها كانت واقعية، فمرة ثانية، لا نعلم ذلك، لأنه ما دامت الولايات المتحدة كانت ترفضها، وما دامت الصحافة الأميركية لم تشر اليها، فنحن لا نعلم عنها شيئاً. بيد ان منطق الوضع كان واضحاً تماماً. فإذا لم ينجح الحظر الاقتصادي على العراق في وقت محدود، فإن الخيارات عندئذ ستكون إما الحرب وإما الحل السياسي. واذا ما فشل الحل السياسي، فستكون الحرب.

■ سؤال : واذا لم تجد العقوبات الاقتصادية، اذا ما قلنا ذلك خلال ستة اشهر من الآن... فماذا سيحدث ؟

جـــواب : إنني لا أعتقد بأن الولايات المتحدة ستنتظر ستة اشهر. وانما، حسب ما اتصور، فإن الوضع لا يحتمل سوى شهرين. ودعنا نتخيل ماذا سيجري وماذا سيكون عليه الوضع. ولا يمكننا ان نكون متأكدين من ذلك، ولكن توجد هناك امكانية، إلا انها ليست معقولة. فبعد شهرين من الآن فسنجد جيشاً اميركياً ضخماً هناك، يبلغ تعداده (٢٠٠) الف رجل، يعانون في الصحراء، ولا يوجد الكثير من وسائل الراحة والترفيه له، معزولاً، ويعاني جداً من شدة الحرارة، والدبابات لا تستطيع العمل. وسيتجه الاقتصاد الاميركي نحو الاضطراب. في حين ان المانيا واليابان، منافستينا الرئيسيتين، تتابعان بنشاط مصالحهما الاقتصادية كالعادة. وهما في الحقيقة لا ترغبان في الاشتراك بهذه العملية، وتعتبرانها على انها ترتيب ثنائي بين الولايات المتحدة والعربية السعودية. وبدأ الحظر الاقتصادي بالتسرب. وازداد الاضطراب في العالم العربي، وكان ذلك أمراً محتملاً. وأصبحت الصراعات متطورة ما بين القوات الاميركية والسكان المحليين، وهو امر كان متوقعاً ايضاً، وحتى لو انها (القوات الاميركية) قد تصرفت بشكل لائق فان هنالك فرصاً كثيرة جداً لحدوث نزاع. فتصور ذلك الوضع. فماذا سيفعل جورج بوش عندئذ؟ فإما أن يسحب جيشه، وهذا امر غير قابل للتصور، او ان يستخدمه.

■ سؤال : هل تفضل الخيار العسكري لإخراج القوات العراقية من الكويت ؟

جـــواب : الخيار العسكري؟ سيكون جنوناً. فأول كل شيء، فإنه لم يكن مخولاً من مجلس الامن الدولي، وهذا ليس محتملاً الى حد بعيد، فانه سيكون غير قانوني. غير انه وخلافاً عن القانون، الذي لا يزعجنا ابداً، فسيكون ذلك خطأ وجنوناً. ولشيء واحد فقط فانه ليس واضحاً من ان الولايات المتحدة وجد لديها خياراً عسكرياً. فالمحللون العسكريون الغربيون متأكدين من ذلك تماماً. كما ان الملحقين العسكريين في بغداد، على سبيل المثال، قد صرحوا بأنه سيكون مكلفاً الى حد كبير للولايات المتحدة اذا ما حاولت اخراج القوات العراقية من الكويت. ولا يوجد لدينا فكرة كم من الجنود سيقتلون في هذه العملية، فلا يمكن احصاء ذلك على المدى الطويل. وقد تكون تأثيراتها

مأساوية على كافة المنطقة، وربما تدمير جزء كبير من احتياطي النفط في العالم. فإنه لأمر خطير ومنذر بالشؤم.

■ **سؤال : إنني لا اوافق على شيء قلته، عندما قلت بانه حتى لو ان مجلس الامن صوت الى جانب العمل العسكري فانه لن يكون قانونياً ؟**

جـــــواب : لقد قلت بأنه ما لم يصوت مجلس الأمن الى جانب اتخاذ عمل، ويتولى ويشرف عليه، فانه لن يكون قانونياً.

■ **سؤال : ما هو تأثير هذا على الفلسطينيين والانتفاضة ؟**

جواب: أعتقد بأنها ستكون كارثة بالنسبة للفلسطينيين. فإذا ما كانت هناك حرباً، فان اسرائيل قد تنتهز الفرصة، وبدعم من الولايات المتحدة كما أعتقد ستقوم بتهجير الفلسطينيين من الأراضي المحتلة الى الأردن، ومن ثم تجلب المزيد من المهاجرين اليهود الروس، في حين تقوم بتوسيع حدودها، الخ. وهذا من الغير المحتمل أن يحدث هذا بغير نشوب حرب. وحتى لو لم تكن هناك حرباً، فاعتقد ان الوضع سينتهي بعقد تحالف أوثق ما بين الولايات المتحدة والقوات القوية عسكرياً في المنطقة والملتزمة بمقاومة اي شكل من اشكال نشوء حركة وطنية محلية في المنطقة.

■ **سؤال : هل تعتقد بان احتلال القوات العراقية للكويت يثبت مقولة الليكود في اسرائيل من انه « لا يمكنك الوثوق بالعرب، وانهم معتدون وارهابيون، الخ » ؟**

جواب : اعتقد بأنه قد قوى من هذا الموقف، في اسرائيل. وأصبح هناك وضعاً محرجاً بالنسبة لما يسمى بحركة السلام في اسرائيل. وخاصة بالنسبة ليوسي ساريد، الذي كتب مقالاً بهذا الخصوص في صحيفة «وول ستريت جورنال». وقد تعرض للوم الشديد ايضا جراء ذلك. وهناك ايضا شولاميت الوني، التي تعتبر من القياديين الليبراليين، والتي صرحت مؤخراً بأنها لن تكترث بالفلسطنيين ولن تكترث بما سيحل بهم مستقبلاً. فكل ما ستهتم به حقيقة هم اليهود واسرائيل، وانها ستواصل التحدث مع الفلسطينيين من اجل مصلحة اليهود واسرائيل. علاوة على انها مضت قائلة، ودون ذكر اسم ساريد، بأنه بالتحدث مع حركة السلام الاسرائيلية، «وكأننا نتظاهر بأننا نقوم

بأشياء من اجل الفلسطينيين وهم ليسوا ممتنين لذلك، في حين اننا في الواقع لا نفعل شيئاً لهم. فنحن نفعل اشياء لانفسنا فقط ونحن لا نفعل شيئاً لتخفيف معاناتهم ما لم يبدأ الأمر يمسنا. فنحن لا نهتم بذلك، وهم ليس لديهم شيئاً ليكونوا ممتنين لنا. فدعونا ان لا نتظاهر بذلك».

ومن ثم قالت شيئاً كان واضحاً جداً للاسرائيليين، مع انني لا اعرف فيما إذا كان الناس هنا (في الولايات المتحدة) يفهمونه. فقد قالت، ان الناس يقارنون صدام بهتلر، وهذه ليست اول مرة يساند فيها الوطنيون في الشرق الأوسط هتلر. فهي كانت تشير، بالطبع، الى رئيس وزراء اسرائيل انذاك، اسحق شامير، الذي كان يرأس منظمة ليحي، وما كان يدعى بعصابة شتيرن، والتي قدمت اقتراحاً للنازيين في عام ١٩٤١ تعرض فيه لان تصبح قاعدة للرايخ الثالث في الشرق الأوسط وهذا شيء معروف جداً في اسرائيل بيد انه ربما لا يكون معروفاً هنا. وقد تعرض هذا لانتقاد العديدين. فكتب الكاتب الهجائي الاسرائيلي ب. ميشيل، وهو من الهجائيين الاسرائيليين البارزين، مقالاً استعرض فيه قائمة الأشخاص المتوحشين الذين ساندتهم اسرائيل بحماس. وتساءل قائلاً: «هل نتكلم عن انفسنا؟ فهناك كان يوجد اخرون ايضاً. غير ان حركة السلام في اسرائيل، قد اضعفت كثيراً وانشقت بعمق جراء هذه المسألة».

■ **سؤال : وعودة الى الوطن، فهل هناك اي شيء يمكن ان يقوم به للجمهور هنا في الولايات المتحدة ؟**

جواب: هناك الشيء الكثير. فاعتقد بأنه يجب علينا ان نواجه الاحتمال من اننا نتجه نحو وضع تكون فيه الخيارات صعبة وشديدة جداً: الحل السياسي او الحرب. فإذا لم نرد الحرب، مع كل ما يترتب عليها من نتائج مأساوية، فإن علينا ان نهيىء اساسيات الحل السياسي. وهناك امكانيات موجودة الآن وستكون هناك امكانيات مزدادة على مدى الشهرين القادمين. واذا ما استمرت تواجه بالرفض من واشنطن، فانها بالتالي ستحجب من قبل الصحافة هنا. ومع ذلك، فان تلك هي وظيفتها: ان تخدم السلطة، وليس لتقول وتقدم الحقيقة. وذلك يعني بأنه سيكون هناك بعض الصعوبة للكشف عن ذلك، او عن هذه العروض والمقترحات، ومن الصعب الحصول على ترويج ودعاية لها، او تقديم دعم ومساندة للسعي من اجلها، ولكن يجب ان يفعل وينجز هذا، او انه سيكون البديل لذلك هو الحرب مع احتمالية ترتب نتائج مأساوية تماماً عليها.

النظام العالمي : القديم والجديد

جرت هذه المقابلة في تشرين اول ١٩٩٠

ديفيد بارساميان :

ما هي الخيوط (العوامل) المشتركة التي تراها ماضية ما بين النظام العالمي القديم والنظام العالمي الجديد ؟

نعوم تشومسكي :

لن كل شيء عادي فعلياً. الا انه كانت هناك بضعة تغييرات. ولم تكن مفاجئة. ويوجد هناك تغيير قد طور على مدى ثلاثين سنة، وهو الركود الاقتصادي النسبي للولايات المتحدة لصالح منافستيها الصناعيتين : المانيا واليابان واستقلاليتهما. وقد اصبح واضحاً انه منذ حوالي عشرين سنة ان العالم قد تحول باتجاه ما يدعى الآن بالقوة الثلاثية، او بالقوى الاقتصادية الرئيسة الثلاث. ومن العوامل التي عجلت بحدوث ذلك كل من حرب فيتنام وادارة الرئيس ريغان. فلم تعد الولايات المتحدة تمتاز بوضع اقتصادي مهيمن وساحق الذي تربعت عليه منذ ثلاثين او اربعين سنة مضت. وكان ذلك عبر عملية بطيئة ومتواصلة، بيد انها لم تكن مفاجئة. وكان التغير الثاني في منتصف واواخر الثمانينات وهو انهيار الاتحاد السوفياتي، والذي يعني بالتالي ان الدول التي كانت سائرة بفلكه قد اصبحت حرة مستقلة. فالنظام الاستبدادي السوفياتي قد انهار من الداخل. كما ان الآلة العسكرية السوفياتية قد انحسرت ايضاً ولم تعد فعالة بالنسبة للشؤون العالمية وهذا بالتالي قد غير النظام العالمي في عدة نواحي. وهذا يعني بان هناك شعوراً وهو صحيح من ان الغرب قد ربح الحرب الباردة. ومن احدى العناصر الرئيسة في الحرب الباردة كانت حقيقة ان الاتحاد السوفياتي قد سد واعاق منطقة معينة من العالم من التمتع بالاستثمار، واستغلال مصادرها، الخ.

وهذه المنطقة التي سدت وأُعيقت كانت متفاوتة في الخواص والصفات من الناحية التقليدية، بل ان معظمها كان عبارة عن مستعمرات او شبه مستعمرات منعزلة وراكدة،

واعتمادها الى مدى بعيد على اوروبا. ولم تكن هذه هي القضية برمتها. حيث لم ينطبق على تشيكوسلوفاكيا كلها، وانما على معظمها. وجزء كبير من الحرب الباردة كان يكمن في عدم رغبة الغرب قبول تحرير او تخليص هذا الجزء من العالم من الاستغلال بواسطة القوى الصناعية الغربية ، اما الآن فقد انتهى الامر. ومن المحتمل ان تتجه مباشرة باتجاه العالم الثالث، فتلك منطقة توفر وتتيح مصادر رخيصة وايدي عاملة رخيصة. ومن المحتمل ان مستقبلها سيتشابه الى حد ما مع البرازيل او المكسيك، كما تسير عليه الامور حالياً. فهذا هو التغيير الذي حدث في النظام العالمي. فهو يعني ان هناك منطقة اخرى قد اصبحت مفتوحة، وان العالم الثالث قد توسع الى نحو كبير.

وذلك له مؤثراته فيما يتعلق بالنظام الاقتصادي الثلاثي القطب، لان الولايات المتحدة لم تعد الآن في وضع لتكون فيه رائدة او قائدة في الاكتساب والجني من هذا المجال الجديد للاستغلال. اما المانيا واليابان فانهما يتصدران الساحة. حيث يوجد لديهما رأس المال الفائض، والذي تفتقره الولايات المتحدة. وسيؤدي ذلك الى حدوث تغيرات رئيسة في الحقبة القادمة. وقد تصبح المانيا دولة قوية جداً اذا ما اصبح لديها منطقة خلفية تستغلها. كما ان اليابان ستستغل عاجلاً أم اجلاً مصادر منطقة سيبيريا، والتي تعتبر قريبة منها وذات مصادر قيمة. وان لدى اليابان الرأس المال الكافي والتكنولوجيا المتقدمة، وسيبيريا تعتبر منطقة متخلفة نسبياً، لذلك فإن اليابانيين سيتحركوا تجاهها عاجلا أم اجلاً. وهذا سيمنحهم لاول مرة مصادر مستقلة للطاقة والمعادن مما يجعلهم اعظم قوة عالمية هامة.

اما الولايات المتحدة فانها ستقوم بما يمكنها عمله في هذه المناطق من العالم، ولكن ليس بطريقة او بوضع ريادي، وانما بشكل معتدل. لذلك فانه سيطرأ تغير على النظام العالمي، وسيؤثر هذا على تطور التركيب الثلاثي طيلة الوقت.

والتأثير الثالث لتلاشي الاتحاد السوفياتي عن الساحة الدولية هو ان الولايات المتحدة اصبحت القوة العسكرية العظمى الوحيدة في العالم. وقد كان الاتحاد السوفياتي سابقاً يعتبر قوة رادعة للعسكرية الامريكية من ناحيتين. من ناحية ان الولايات المتحدة كانت دوماً تعمل حساباً للقوة العسكرية خشية من ان تتورط في مواجهة عسكرية مع الاتحاد السوفياتي. وكان من الممكن ان يكون ذلك امراً خطيراً،

لأن السوفييت قد يردوا بضربة عسكرية ، ولم تكن الولايات المتحدة راغبة في حدوث أي شيء من هذا القبيل. فبامكانك قتل اناس اخرين، بيد انك لا ترغب بالمعاناة جراء ذلك. لذلك فقد كانت توجد هناك حدوداً أو قيوداً. وقد ذهب كل ذلك الآن.

اما الناحية الثانية، فان الاتحاد السوفياتي كان يقدم دعماً، الى حد ما، الى الدول او الجهات التي كانت تهاجم الاهداف الامريكية، وهذا مما ساعدها على اطالة نفسها. وكان ذلك ما يدعى غالباً « بالعدوان الروسي او السوفياتي ». فقد ساعد الاتحاد السوفياتي كل من الساندنيين وكوبا في استمرار تصديها للولايات المتحدة. وذهب ذلك الدعم، أو انه قد اصبح محدوداً من جراء تصديهما للولايات المتحدة. وذهب ذلك الدعم، او انه قد اصبح محدوداً ومن المحتمل انه سيتلاشى قريباً. وهذا سيتيح للولايات المتحدة مطلق الحرية لاستخدام قواتها المسلحة بفاعلية اكبر. وذلك ما ظهر جلياً في كلتا التدخلين اللذين حدثا ما بعد حقبة الحرب الباردة. الأول، كان في بنما. حيث جرى ذلك في حقبة ما بعد الحرب الباردة، وكان من المستحيل التذرع او التظاهر بوجود خط روسي، واننا في موضع الدفاع عن انفسنا ضد الروس، وهو التظاهر المألوف الذي كان. وكان ذلك بعيداً جداً عن خيال اي واحد. فقد كان عليهم التذرع بحجج جديدة. ولكن بعد حقبة الحرب الباردة، فان استخدام القوات في امريكا الوسطى اصبح طليقاً تماماً، ولم يعد الروس يشكلون خطراً وتهديداً. وقد بيّن اليوت ابرانر، على سبيل المثال، علناً بأن هذه اول مرة كانت فيها الولايات المتحدة قادرة على استخدام قواتها العسكرية دون أي قلق من ردة فعل روسية. وهذا جعلنا احراراً طلقاء في استخدام المزيد من القوات العسكرية. ولقد كتبت حول ذلك من سنتين، مقتبساً من التحليلات الاستراتيجية ومستشهداً باشخاص كانوا توقعوا بأن هذا سيحدث. حيث انهم قالوا بأن سقوط الاتحاد السوفياتي اطلق ايدينا في استخدام القوات العسكرية، وهذا امر جيد، ولم يعد هناك ردوعات، او منع او اعتراض من استخدام القوة الامريكية.

وانطبق نفس الشيء في منطقة الخليج. فكان علينا ان نحسب الف حساب قبل ان نرسل قواتاً تقليدية الى تلك المنطقة، اذا ما كنا قلقين من ان يؤدي النزاع الى تفاعل وردة فعل روسية او سوفيتية. اما الآن يمكننا ان نكون طلقاء في استخدام القوة. وبامكاننا استخدام قوات برية كثيفة، وقوات تقليدية وبالقرب من حدود الاتحاد

السوفياتي دون أي قلق من ان تكون هناك ردة فعل سوفيتية. لذلك فان كلاهما يوضحان نفس النقطة وهي : ان الاهداف الامريكية عرضة للهجوم الآن اكثر بكثير مما كان الوضع في الماضي، لأن القوة العسكرية الامريكية هي مهيمنة الآن، كما كانت دوماً، بيد انها الآن مطلقة من غير منازع.

وهكذا فنحن لدينا نظام عالمي جديد، وبقوة عسكرية عظمى واحدة، وثلاث قوى اقتصادية رئيسية ومجال جديد مفتوح للاستغلال . وان هذه القوة العسكرية العظمى ليس لها قاعدة اقتصادية طويلة المدى اللازمة لتنفيذ اعمالها العسكرية لوحدها. لذلك فان عليها اجبار حلفائها على دفع النفقات المترتبة. ونحن رأينا ذلك في الخليج، حيث بذلت جهود لمحاولة اجبار المانيا واليابان على دفع جزء من تكاليف العملية العسكرية هناك. غير ان المسألة لم تكن شديدة جداً فيما يتعلق بالخليج لانه توجد هناك اموال طائلة من عائدات النفط ، ويعني ذلك ان الدول الحليفة للولايات المتحدة في المنطقة، مثل العربية السعودية، لديها اموال وافرة متوفرة. الا انه في حالات اخرى، سيكون الوضع مختلفاً، وقد لوحظ ذلك، من خلال الشهادة التي ادلى بها لورنس ايجلبورغر، نائب وزير الخارجية الامريكية انذاك، امام الكونجرس، من ان النظام العالمي الجديد مرتكز على نوع جديد من الاختراع في الدبلوماسية، اي انه، نحن ننفذ العمل العسكري، وهم يدفعون. لذلك فانني اعتقد بأن تلك هي خطوط النظام العالمي الجديد.

- **سؤال : يوجد هناك العديد من الامثلة لعمليات العدوان والاحتلال في العقود الراهنة. وبامكاننا ان نعددها الى حد التقزز والغثيان فلماذا تتصرف الولايات المتحدة بطريقة مختلفة مع العدوان العراقي، باحتلاله وضمه للكويت ؟**

جـــــواب : ان الولايات المتحدة تتصرف بطريقة متناغمة ومنسجمة تماماً بما يتعلق بالعدوان. فالأمر جيد بالنسبة لها اذا ما أُعتبرت وفهمت المصالح الامريكية وسيء اذا ما كان ضد المصالح الامريكية. فهذا امر بسيط تماماً. ولا يوجد عدم انسجام او تناغم مطلقاً. فالناس الذين احسوا بعدم التناغم هذا، هم على خطأ، كما اظن، فالانسجام او التناغم هو قريب جداً من حد الكمال. وفي هذه الحالة، فان العراق قد خالف وانتهك مبدأً اساسياً من المبادىء الدولية، والذي يعني ان احتياطي الطاقة في الشرق الاوسط

ينبغي ان يكون في ايدي الشركات الامريكية في المنطقة. كما ان الغرب يستفيد اكثر من مصادر هذه الطاقة او النفط وهذا امر مستمر بطبيعة الحال، لأن اموال النفط تصب كلها في الغرب.

ونحن معنيون جداً اذا ما نشأت هناك حركات وطنية يمكن معها أن تهدد مصادر النفط وتسخرها لأغراض محلية. فنحن نعارض ذلك في اي مكان من العالم. فقد عارضنا دوماً الحركات الوطنية المستقلة في العالم الثالث لانها تتعارض مع الدور الرئيس لدول العالم الثالث، والذي سخر فقط من اجل مصلحة ومنفعة الغرب. ولكن في الشرق الاوسط فانه يعتبر امر مهم بشكل خاص، لأن هذه المصادر هي حاسمة في الحقيقة. اذ انه بامكاننا ان نحيا بدون مصادر امريكا اللاتينية، الا ان قيمة مصادر الشرق الاوسط قد فهمت منذ الاربعينات. ويكفي ان نستشهد بتقديرات وزارة الخارجية. فقد وصفت النفط السعودي، مثلاً، على « أنه مصدر هائل للقوة الاستراتيجية»، وانه « من اعظم الجوائز او المنح المادية في تاريخ العالم»، وهناك سلسلة بلاغية اخرى على هذا النمط وهذا صحيح تماماً. فستبقى مصادر الطاقة لعدة عقود من الزمن من أرخص المصادر في العالم وطاقة متوفرة بسهولة. لذلك، فلا يمكن السماح بنشوء حركة وطنية هناك. مهما كانت اهدافها السياسية.

وفي ايران عام ١٩٥٣، فقد أطحنا بنظام برلماني وطني كان قائماً هناك آنذاك. اما بعد الثاني من اب ١٩٩٠، فقد عارضنا شخصاً كنا ندعمه من قبل، اذ كنا نظن بانه كان رائعاً لانه لم يكن يتدخل في المصالح الامريكية. فذلك امر بسيط جدا ومستقيم، وسياسة متماسكة لعدة سنوات.

■ **سؤال : اذن فالمسالة السياسية الخطيرة هي ليست في العدوان او الدفاع عن الحدود، ولكن في السيطرة على منابع النفط والسيطرة على مفاتيحها. أليس كذلك ؟**

جواب : انه من الواضح ان الولايات المتحدة لا تعارض وجود العدوان أو الاحتلال. فهنالك حالة اثر حالة من حالات الضم او العدوان، سواء التي قمنا بها نحن بانفسنا، او قامت بها اية دولة حليفة لنا وكنا مؤيدين لها بسرور. فقبل بضعة اشهر من ازمة الخليج، فان الولايات المتحدة غزت بنما. فذلك يعتبر عدواناً. وفرضنا هناك نظاماً

العوية. وما زالت البلاد هناك تحت الاشراف العسكري الامريكي، وفي الحقيقة فانها تصف نفسها بانها بلداً خاضعاً لاحتلال العسكري، وهذا بالضبط ما فعله العراق مع الكويت، فيما لو لم تكن هناك عقوبات اقتصادية. ومن المحتمل انها قامت بنفس العمل بالضبط : اذ تحركت وفرضت نظاماً العوية هناك، وابقت على قوات كافية هناك وذلك لكي تقوم بتنفيذ ما تريده ومن ثم تنسحب. فتلك هي طريقة سهلة لادارة بلد ما. فنحن (كشعب) لم نعترض بشكل واضح على غزو بنما. اما العالم فقد اعترض على ذلك. كما قمنا باستخدام الفيتو ضد قرارين لمجلس الامن الدولي يشجبان فيه عملية الغزو.

بيد ان هنالك امثلة كبيرة من العالم. فعندما غزت تركيا شمال قبرص، وضمته اليها فعليا، فان الولايات المتحدة ايدت ذلك. كما اننا تدخلنا بجهود الامم المتحدة من لجل ايجاد حل لمشكلة قبرص منذ أوائل الستينات. فتركيا قد غزت دولة مستقلة، واخذت ما تريده منها، وكان هناك شيئاً مناسباً لنا. وهذه حالة مشابهة لحالة الكويت. وقامت تركيا بقتل مئات الاشخاص، ونهب المواد الاثرية من هناك. كما شردت مئات الالاف من السكان. وهذا ما حدث في الكويت. الا انه لا احد تحدث عن ذلك ايضاً. فعندما زار الرئيس التركي واشنطن، امتدحه جورج بوش بانه صانع سلام، وحتى لو تعارضت اعماله مع ذلك.

اما في حالة اسرائيل : فاسرائيل هاجمت لبنان، وقتلت العديد من الناس، قتلت حوالي عشرين الفاً في ذلك الهجوم. وكانت تقوم بقصف العاصمة اللبنانية بصلافة امام كاميرات التلفزيون. وهي ما زالت تحتل جنوب لبنان. وقامت الولايات المتحدة باستخدام الفيتو ضد كافة قرارات مجلس الامن التي حاولت انهاء ذلك العدوان وايجاد حل للمشكلة، وذلك لاننا كنا نحبذ ذلك. وما زالت اسرائيل تحتفظ بالاراضي المحتلة. وضمت بعضاً منها. وايدتها الولايات المتحدة في ذلك. كما ان المغرب احتل الصحراء الغربية، وضمها بشكل اساسي. واعتقدت الولايات المتحدة بأن ذلك عمل جيد لأن المغرب تعتبر حليفا. وحالة اندونيسيا، كانت من اسوأ الحالات في العصر الحديث، فقد احتلت منطقة شرق تيمور. وارتكبت هناك ابادات جماعية. ومن ثم ضمت المنطقة اليها. وقتل من جراء ذلك عشرات الالاف من الناس، في مجزرة تعتبر من اسوأ المجازر منذ حرب الابادة النازية ضد اليهود. وقدم لهم الرئيس كارتر كل الدعم والتشجيع، واعتبر ذلك شيئاً رائعاً.

فلا يمكن تصور ان تعترض الولايات المتحدة على تلك الاعمال العدوانية. اما في الغرب فانه يمكنها ان تفعل ذلك، لانه يوجد لدينا فئة او طبقة فكرية منضبطة جداً. اما بالنسبة للعالم الثالث فانه ينظر اليه باستخفاف. وبالطبع فان اي واحد يمكنه ان يرى بأن الولايات المتحدة تعتبر واحدة من المنتهكين الرئيسيين لمبدأ اعتبار ان العدوان عمل خاطىء. وبالنسبة لمسائل الحدود، فان الشيء ذاته ينطبق، فاذا ما غيرت دولة ما من حدودها ورأينا بأن ذلك عملاً يتماشى مع مصلحتنا، فانه سيعتبر عملاً جيداً، ولا مشكلة من حدوث ذلك. اما اذا ما غيرت الحدود بطرق تعتبر معاكسة ومناقضة لما يمكن ان يعتبر ضد المصالح الامريكية، فانها تصبح عندئذ جريمة نكراء وينبغي ان تعقد لها محاكمات على غرار محاكمات نورمبيرغ، التي جرت بعد الحرب العالمية الثانية. فمن غير اللائق ان تدعو هذا بنفاق لانه امر واضح وجلي جداً.

■ سؤال : ماذا كان دور وسائل الاعلام المشتركة في حرب الخليج ؟

جـواب : ذلك كان شيئاً مثيراً. اذ ان هناك قطاع اساسي امريكي مشترك ذلك انه لا يجب رؤية ما يحدث، ويرى ان ما يحدث سيضر بنا وقد يعاني الاقتصاد الامريكي من جراء ذلك بشكل سيء، وبالتالي فان مصالح هذا القطاع يمكن ان تعاني. وان على وسائل الاعلام ان تعكس ذلك. وفي البدء فقد كانت هذه الاجهزة صامتة تقريباً، سوى بعض الهمسات هنا وهناك. اما فيما بعد، فقد ظهرت انتقادات في وسائل الاعلام تعكس هذا القلق والهم. وجاءت تعليقات تقول انه ليس جيدا بالنسبة لنا. وكان علينا ان نولي انتباهاً اكثر للازمة (ازمة الخليج)، ونحن منعزلون، وندفع الثمن.

ومع ذلك، فان الاسئلة الحاسمة لم تسأل مطلقاً في الصحافة او وسائل الاعلام. فما الذي يدفعنا الى خوض الحرب الآن ؟ فواشنطن تركب على حصان عالٍ، اي معنوياتها مرتفعة، حاملة كافة انواع المبادىء المهمة. والنظام العالمي اصبح على المحك. كذلك مستقبل السلام والعدل، ولا يمكن مكافأة المعتدي، وما اليها من كافة انواع الشعارات. واذا ما كان كل ذلك صحيحاً، واذا ما كان هناك اي شيء من هذا القبيل، فانك ستستنتج بانه ولا بد اننا ماضون الى الحرب. فلا يمكن ان تجرى تسوية او حل وسط لانتهاك خطير للمبادىء، واذا ما هددت مبادىء العدل والسلام بهذه الطريقة، فربما ينبغي علينا دفع الثمن. فتلك هي الحجة أو الذريعة.

ومن ناحية اخرى، فاذا ما كان الامر بمجمله عبارة عن حيلة او خدعة، فان هذه الحجج والذرائع ستنهار عندئذ، ولن يكون هناك عائقاً للتحرك تجاه التوصل لتسوية متفاوض عليها، تسوية سياسية. وهنا تلعب الصحافة ووسائل الاعلام دوراً حاسماً في ذلك. ولا أعني وسائل الاعلام فحسب، وانما اعني كافة الطبقة او الفئة الفكرية. فما دامت هذه الطبقة لا تتحدى ذلك الوضع الدعائي لعرض المبادئ، فربما عندئذ ان نمضي للحرب. فالخيارات تبدو ملحة وسريعة جداً. ولا يمكننا ابقاء ذلك الجيش الكبير هناك لمدة طويلة كما انه لا يمكننا بالتاكيد سحبه من هناك اذا ما كانت المبادئ العظيمة على المحك. فذلك امر لا يمكن مناقشته ابداً. فانظر الى اية جهة او مكان تريده فلا احد يمكنه ان ينكر ذلك. وحتى اولئك الناس الذين يقولون، دعونا نخرج من ذلك او من تلك الورطة، فانهم لا يمكنهم انكار ذلك.

وعلى سبيل المثال، فقد كتب جورج بول في ملحق صحيفة نيويورك تايمز بتاريخ ٦ كانون الأول ١٩٩٠ مقالاً بعنوان « كيف نخرج من ازمة الخليج ؟ »، مثل فيه صوت العقل والنقد فيما يتعلق بهذه القضية. وطرح في هذا المقال اقتراحات جدية عن كيفية الخروج من ازمة الخليج.

وقال في الفقرة الأولى من مقالة، انه ولأول مرة في حقبة الحرب الباردة فقد وضعت مبادئ ويلسون تحت المحك والأختبار، وحصلت على اجماع في مجلس الامن، ولم تعارض او تسد بواسطة الفيتو السوفييتي. بل ان الروس حالياً خارج هذه اللعبة. وانهم لن يستخدموا الڤيتو في مجلس الامن، لذلك فان باستطاعتنا السعي وراء هدفنا الامني الجماعي. وهذا جزء من وضع التفوق، واصبحت هذه مسالة حقيقية. فبامكانك النظر للماضي لترى فيما اذا كان الاتحاد السوڤياتي كان يعترض ويسد سبل السلام. اما الآن، فانك ترى ان الولايات المتحدة تستخدم الفيتو اوتوماتيكياً لتسد طريق السلام، وهذا واضح دون غموض. وفي الايام الأولى لنشوء الامم المتحدة، عندما كانت الولايات المتحدة تسير العالم بشكل اساسي، فانه كان لا بد للاتحاد السوڤياتي ان يستخدم الفيتو ضد قرارات عديدة لمجلس الامن، وذلك لاننا كنا نملك الاغلبية فيه تلقائياً وكنا نستخدم الامم المتحدة كسلاح ضدهم. الا انه في الخمسة والعشرين سنة الاخيرة اصبحت الولايات المتحدة وحيدة ومضت في استخدام حق الفيتو ضد قرارات مجلس

الامن كما صوتت ضد قرارات الجمعية العامة، وتحاول تقويض عمليات حفظ السلام التابعة للامم المتحدة. ولم تفعل اية دولة من الدول الدائمة العضوية في مجلس الامن ذلك سوى بريطانيا، التي فعلت ذلك دعماً منها للحكومات العنصرية في جنوب افريقيا. اما الاتحاد السوفياتي (سابقاً) فقد كان يصوت الى جانب الاغلبية في دعم عمليات حفظ السلام للامم المتحدة.

بيد انه لا يمكنك قول ذلك. لانك لو قلت ذلك فانك ستزيل الحجاب او الغطاء وتبدأ برؤية الدور الذي تلعبه الولايات المتحدة في العالم. فتلك الدرجة من التنوير هي غير مقبولة. اما الفشل في دعم هذا التنوير فانه قد يقودنا الى الحرب، لانه لو اننا في الحقيقة وقفنا الى جانب الامن الجماعي، وبامكاننا ان نفعل ذلك لأول مرة لأن الروس لن يوقفونه، اذن فهناك فرصة كبيرة. فلا يمكننا التخلي عن البحث من اجل الامن الجماعي. لذلك فاني اعتقد ان بول يقدم لنا بشكل اساسي طريقته وحجته في الفقرة الأولى من مقاله. وان اي اعلامي ذكي يمكنه ان يرجع ويقول، اني لا اهتم بهذا المقال بعد مرور الفقرة الأولى منه، ولكن انظر الى الفقرة الأولى منه فقط وانظر كم هو على المحك. وبالنهاية يمكننا قيادة العالم نحو أمن جماعي، وان تقول انه ينبغي علينا التخلي عنه بسبب المصالح الذاتية الضيقة، الغير مقبولة.

ولا بد لي من قراءة عشرات المقالات التي كتبت حول بحر التغييرات التي حدثت في الامم المتحدة، وكلها تؤدي الى نفس هذه الادعاءات. فالروس لن يعيقوا ذلك، والعالم الثالث لا صلة له بالموضوع. فبامكاننا الآن ان نفعل بما اردنا ان نفعله دوماً. فلم أر أي واحد، في اي مكان كان، اشار او بين حقيقة ثابتة وواضحة من ان الولايات المتحدة كان تعيق وتسد ذلك لمدة خمسة وعشرين سنة مضت. ففي الحقيقة، فان السلبية في هذه المسألة قد بلغت حدا كبيراً. والشخص الذي قام دوما بدور المفسر والشارح للنظام العالمي الجديد هو دانييل مونيهان الذي تحدثنا عنه من قبل. والذي يقول في مذكراته، ويفخر كبير، بانه قد نجح في اخفاق الامم المتحدة وفي تحويل كافة عمليات حفظ السلام الى عمليات فارغة عديمة الفائدة. وبالنسبة لمسألة الغزو الاندونيسي لمنطقة تيمور، فيقول، انها كانت مهمتي وقد انجزتها. انه ذلك الرجل الذي يكال له المديح الآن على انه المدافع عن القانون الدولي. لينظر فقط بانه لا يوجد هناك مستوى التزام لخدمة مصالح الدولة القوية.

■ سؤال : لماذا تعتقد بان الولايات المتحدة تعارض جداً لما يدعى « بربط المسالة » ؟

جـــواب : ان الربط يشير في هذه الحالة الى الربط ما بين الانسحاب من الخليج وتسوية المشكلات الاقليمية الأخرى، وبشكل حاسم القضية العربية – الاسرائيلية. ونحن دوماً نتحدث عن اهمية هذا الربط. ولكن في مثل هذه الحالة فنحن ضد الربط. والسبب هو اننا ضد تسوية سياسية في مسالتين او حالتين مرتبطتين، وخاصة فيما يتعلق بازمة الخليج والقضية العربية – الاسرائيلية. فالولايات المتحدة تعارض اية تسوية سياسية لكلتا الأزمتين، ولذلك فهي تعارض بالتاكيد تسوية سياسية مشتركة لهما. فهذا ما يكمن وراء المعارضة لربط الازمة.

وبالنسبة لقضية النزاع العربي ـ الاسرائيلي، فان الولايات المتحدة تقف لوحدها عملياً في العالم، وكانت لفترة طويلة، حوالي عشرين سنة، تقف في وجه وتعيق اية عملية مهمة للسلام، واية تسوية سياسية متفاوض عليها. وان مدى الانعزال السياسي للولايات المتحدة ستروع الناس اذا ما ما كانوا مدركين لها، لذلك فهم لن يكونوا مدركين لها. وقد كان هذا واضحاً مرة، كما كان سابقا ولمدة طويلة، في أخر دورة عقدت للامم المتحدة في شهر كانون اول ١٩٨٩، حيث صوتت الجمعية العامة لصالح قرار باجراء تسوية سياسية للنزاع العربي ـ الاسرائيلي. وصوتت (١٥١) دولة لصالح القرار، وعارضته ثلاث دول هي الولايات المتحدة واسرائيل والدومينيكان. فتلك هي الطريقة التي تتبعها الولايات المتحدة واسرائيل ضد العالم برمته لاجراء تسوية سياسية. فالولايات المتحدة لا تريد ذلك بالفعل. وكل ما تريده هو ابقاء اسرائيل نشطة وفعالة بالسيطرة على الاراضي العربية ولضمان عدم وجود تقرير مصير للفلسطينيين فهذه هي السياسة الامريكية، اذ انها لا تريد تسوية سياسية.

اما بالنسبة لقضية الخليج، فان الولايات المتحدة هي وحيدة تماماً ايضاً، وما عدا بريطانيا ربما، في معارضة اجراء تسوية سياسية لهذه الازمة. وهناك سبب للتفاعل بما يدعى بالنظام العالمي الجديد. فالتسوية السياسية لن تغير الولايات المتحدة بشكل خاص. والورقة القوية في يد الولايات المتحدة هي ليست الحل السياسي. فذلك لماذا ان الولايات المتحدة تقف غالباً ضد الحلول السياسية والمفاوضات. فالقوة هي الورقة

القوية بيدها. فاذا ما كان هناك انتصار، فذلك هو نصر تحقق بواسطة الولايات المتحدة ويضع الولايات المتحدة في موضع قوي للسيطرة على العالم. واذا ما كان باستطاعتها ان تحقق ذلك بالقوة فانها ستكون وسيلة لحكم العالم، وستفوز بذلك، لانها تعتبر متفوقة في القوة على اية جهة كانت. انها رؤية ما اطلق عليه نيكسون مرة «بنظرية الرجل المجنون». وانها أُحييت خلال ادارة ريغان. فاذا ما اصبحت في عالم خائف منك، فان بامكانك ان تفعل اموراً كثيرة. وهناك اسباب عديدة لُيخشى ويخاف منا. فنحن لدينا قوة وعنفاً متوفرين تحت امرتنا. كما ان لدينا اقتصاداً اكبر، بل انه في مجال القوة فلا أحد ينافسنا.

■ **سؤال : يوجد هناك عنصر اخر قد تغير منذ عهد الرئيس نيكسون، واعتقد بان ذلك واضح في هذه القضية. وبسبب الضعف الاقتصادي للولايات المتحدة الآن، فاننا نقوم بعملية زعزعة للدولة في نوع من الابتزاز الدولي، مع مصر، مثلاً، ملوحة بعدم ارجاء موعد سداد ديونها البالغة سبعة بلايين دولار، فذلك يبدو ليكون اختلافاً رئيسياً في سياستها. اليس كذلك ؟**

جـــواب : يوجد هناك اختلاف رئيس. فمنذ عهد الرئيس نيكسون فقد بدأ الاقتصاد بالتاكل، الا انه كان لا يزال لدينا قاعدة اقتصادية كافية لتنفيذ المغامرات العسكرية. اما الآن فلا يمكننا ذلك، وعلينا الاعتماد على آخرين من اجل ذلك. وخصوصاً المانيا واليابان، بشكل رئيس، وبالعودة الى حقبة الخمسينات فقد كان باستطاعتنا القيام بأي شيء نرغبه. فنحن لم نسأل اي جهة كانت عندما غزونا فيتنام الجنوبية في اوائل الستينات. وفي عهد نيكسون، اصبح الامر اصعب ويشكل مشكلة، لان الولايات المتحدة قد اصبحت في ذلك الوقت واحدة من ثلاث قوى اقتصادية. واحدة من اكبر الدول الاقتصادية، الا انها واحدة من ثلاث. وكانت ردة فعل نيكسون تجاه ذلك لها ثلاثة اوجه او مظاهر. الأول، التخلي عن النظام الاقتصادي القديم، والتخلي عن تغطية الدولار، والبدء بفرض قيود على الاستيراد، اي التخلي عن نظام « بريتون وودز ». وكانت ردة الفعل الثانية هي عسكرية. وكان علينا ايجاد بدائل لتنفيذ عمليات عسكرية. وهذا ما عرف بمبدأ نيكسون. أي اشراك قوى اخرى في العمل العسكري. فهي تقوم بوظيفة

محلية ومن ثم نظهر نحن على الساحة. وكان ذلك انعكاساً للضعف الامريكي. وكان ذلك اعترافاً بأننا لا يمكننا تنفيذ أي تدخل خارجي لوحدنا فقط لذلك فقد كان علينا ان يكون لدينا دولاً بديلة او دولاً مساندة. وفي الشرق الأوسط كانت وما تزال هناك اسرائيل وايران تحت حكم الشاه. فهما قاما بدور الشرطي في المنطقة، ليتم التأكد من ان لا يخرج احد عن السيطرة. بل اننا نقوم بمراقبة الوضع برمته.

■ سؤال : هل يقع هذا ضمن اطار كيسنجر الكلي للنظام العالمي ؟

جـــــواب : انه كان يقع ضمن الاطار الكلي للنظام العالمي الذي نقوده ويسعى اليه الآخرون من اجل مصالحهم الاقليمية، مثل دول اوروبا واليابان. اما الآن فانه قد تغير. فنحن لم نعد نفوض أية سلطة او قوة بالتدخل. ونقوم بها بانفسنا. الا اننا الآن نقوم بها كمرتزقة. والتغيرات في النظام الاقتصادي قد جعل الولايات المتحدة تقوم بوظيفة الدولة المرتزقة بشكل رئيس. كالمرتزقة الهسيين الالمان ابان الثورة الامريكية، كما وصف ذلك رئيس صحيفة شيكاغو تريبيون بفخر. واضاف بانه يمكننا ان نكون هسيين العالم. فعلى احد ما ان ينطلق الى العالم الثالث ويتأكد بأن لا يرفع اي واحد رأسه وان لا تكون هناك استقلالية. فبامكاننا ان نقوم بذلك لاننا نمتلك قوة مهيمنة. كما يمكننا اجبار حلفائنا على دفع تكاليف ذلك. وعليهم لن يعتمدوا علينا وعلى قوتنا للسيطرة على العالم. ويمكننا ان نحول ذلك لمصلحتنا، وذلك باجبارهم على تقديم تنازلات اقتصادية لنا، وتغطية نفقات عملياتنا العسكرية، وتدعيم اقتصادنا ايضاً. فذلك هو النظام العالمي الجديد. وهذا ينطبق تماماً على الامور التي تحدث في العالم.

والمظهر الآخر للنظام العالمي الجديد هو ان كل واحد عليه ان يعرف بانه هناك ركود خطير في البنية التحتية الداخلية (في الولايات المتحدة). فالمدن في حالة ركود، والنظام التعليمي ينهار. ومن احدى نتائج ذلك، وكما هو مفهوم تماماً في مجال العمل، هو انه يوجد هناك نقص في الايدي العاملة الماهرة. وتعني الايدي العاملة الماهرة كل شيء ابتداء من الضاربين على الآلة الكاتبة (الطابعين والطابعات) الى المدراء والباحثين ومصممي الإنتاج. اما اولئك الناس الذين جاءوا من احياء الجيتو فانهم ليسوا مجهزين أو مؤهلين للقيام بتلك الأعمال او الوظائف، بصورة كبيرة. فهم شبه أُميون. وهم يعيشون في مجتمعات جرائمية. وهذا يعني ان الولايات المتحدة لن تكون قادرة على

اطالة تلك الاعمال، الا ان بإستطاعتها ان تتغلب على هذا الى بعض المدى بواسطة الفكر والعقل. وقد تغير الآن قانون الهجرة ذلك انه اصبح يمكننا محاولة جلب اناس يستفاد من خبرتهم التعليمية والمهنية. والفكرة تمتد الى الدول الأخرى، وبشكل رئيس دول العالم الثالث، بحيث ندفع تكاليف التعليم او التدريب ونأخذ او نجني الفوائد من ذلك. لذلك فانه بامكانك الآن ان تذهب الى محل او متجر الاجهزة المفضل لديك لتجد ان الفنيين الذين يقومون بتركيب وصيانة هذه الاجهزة قد جاءوا من تركيا او الهند مثلاً. فهذه الدول تدفع لنا من خلال تحويلنا لعملية التعليم فيها، ونحن نجني ونستفيد من ذلك. ويمكن ان يستمر ذلك لنقطة او حد معين، ولكن علينا ان نكون قادرين على اعادة تزويد قوى العمل محلياً الى مدى معين، وهناك نوع واحد من قوى العمل يمكننا اعادة تزويدها، بالمرتزقة من احياء الفيتو، فمن الممكن المضي في ذلك الطريق.

■ **سؤال : هل تعتقد بانه جدير بالملاحظة والانتباه، هجر الدوائر الحاكمة من حيث المبدا للدور الامريكي، هو سبب وجود التدخل في الخليج ومبرراً له ؟ ومنطق العقل يقول بعدم مكافاة العدوان، الخ ؟**

جـــــواب : ان ذلك يعكس واحد من بضعة امور قد تغيرت مع نهاية الحرب الباردة. ونهاية الحرب الباردة لم تتغير كثيراً جداً، لانها كانت دوماً مظهراً او عاملاً مساعد في الشؤون العالمية. والامر الوحيد الذي تغير كان ايديولوجياً. فمنذ عام ١٩٤٥، وفي الحقيقة منذ عام ١٩١٧، فان كل تدخل وكل تعبئة عسكرية كانت تفسر وتبرر على انها دفاع ضد تهديد بلشفي او شيوعي. وبدأ هذا مع دعمنا لموسوليني في عام ١٩٢٢، واصبح ذلك امراً فعلياً منذ ذلك الحين، دون استثناء. انه كمثل انعكاس او ارتداد. فانت تريد غزو بلد ما، لذلك عليك ان تدافع عن نفسك ضد الروس، وصب المزيد من الاموال في صناعة الكمبيوتر من خلال البنتاغون لانك بحاجة للدفاع عن نفسك ضد الروس.

وسار هذا بشكل جيد لغاية اواخر الثمانينات. ومع أواخر الثمانينات لصبح الأمر صعباً واصعب لاستخدام مثل هذا التبرير وكان بامكانهم استخدام ذلك عند غزوهم لغرينادا. وعندما غزو نيكاراغوا استخدموا ذلك المبرر ايضاً، الا انه مع عامي ١٩٨٨ و ١٩٨٩ اصبح امراً سخيفاً. فهم لم يحاولوا حتى استخدام ذلك عندما غزو بنما. لذلك

فقد برروا ذلك الغزو بانه من اجل القضاء على ارهاب المخدرات. فتلك هي المشكلة التي يشار اليها حالياً. وهم يهينون (الآن) عسكرياً لمهاجمة منطقة الخليج، ولا يمكنهم التظاهر بانهم يدافعون ضد خطر او تهديد روسي او سوفييتي وهم يبحثون الآن عن مبررات واسباب اخرى، ولا احد قدم من قبل اسباباً حقيقية لغزو نيكاراغوا. فقد كانوا استخدموا مبرر الروس كحجة او ذريعة لذلك. ولا توجد الآن ذريعة هينة او سهلة. فهم يبحثون عن واحدة، وليس من السهل ايجادها. وهم لا يستطيعون ان يأتوا ويقولوا، انظروا لقد وضعنا ايدينا على السبب، وانه بهذه الطريقة يمكننا السيطرة على العالم، ونحن بحاجة للانتصار بالقوة لأن تلك هي ورقتنا القوية. فلا يمكنهم قول ذلك.

■ سؤال : لقد دابت على القول منذ وقت طويل بان سياسات الولايات المتحدة تساهم في تدمير اسرائيل. فهل ما زلت تعتقد ذلك ؟

جواب : نعم، فانني اعتقد بأن الانتصار الاسرائيلي الذي تحقق في عام ١٩٦٧ كان اسوأ شيء حدث من قبل لهم. كما ان رغبة اسرائيل بالانضمام للنظام الجديد، حوالي عام ١٩٧٠، قد سوى عندما تولى كيسنجر السياسة الخارجية الاميركية. فمضت اسرائيل مع ذلك. وكانت الفكرة انه يجب ان تصبح اسرائيل حليف استراتيجي مساعد، وبشكل اساسي كدولة مرتزقة وجاهزة لخدمة المصالح الاميركية. وبالمقابل فاننا سنمنحها مساعدات عسكرية واقتصادية ضخمة لتنفيذ ذلك، فلا حظ ذلك انه نوع من عالم صغير لعلاقات امريكية مع بقية دول العالم حالياً. فتلك هي دولتنا المرتزقة التي سنطيلها ونحافظ عليها. فنحن نرغب ان نكون دولة عالمية مرتزقة، وانهم ماضون ليثبتونا على ذلك. وبالطبع، فان الفرق هو اننا اصبحنا اقوياء تماما لنهددهم. اما اسرائيل فانها لن تكون تهديداً ابداً بالنسبة لنا، وانما نحن اصبحنا نشكل تهديداً لبقية انحاء العالم. فتلك هي المقارنة، ووافقت اسرائيل على ذلك. وما حصلت عليه بالمقابل كان السيطرة على الاراضي العربية المحتلة وفرض اقتصادهم عليها، وهو امر مصطنع، انها كانت صفقة الشيطان، واعتقد بأن هذا سيؤدي باسرائيل للدمار، وهو سيؤدي الى جعلها بلداً غير قابل للحياة وقد يؤدي بها عاجلاً او اجلاً الى دمار فعلي، واذا لم يكن ذلك في هذه الازمة فربما يكون ذلك في ازمة اخرى مستقبلاً.

■ سؤال : وهذا الوضع الذي ستجد فيه اسرائيل نفسها فيه، هل سيسبب لك اي حزن شخصي او ألماً او انزعاجاً ؟

جواب : كثيراً جداً، فمنذ طفولتي فان هذا كان يشكل تقريباً جوهر وجودي واهتمامي. فللغاية ما اصبحت في سن المراهقة فقد كنت منخرطاً جداً في شؤون ما كان يدعى حينذاك بالمجتمع او الجالية اليهودية في فلسطين اكثر من اية مسالة او شأن اخر. فلقد عشت هناك لفترة من الزمن وكان بوسعي ان اظل للنهاية هناك. وبعيداً تماماً عما يحدث لأي واحد هناك. ولدي اسبابي الشخصية في هذه المسالة. فاعتقد انه منذ حوالي عام ١٩٦٨ او نحو ذلك فلقد كان لدي شعوراً مشؤوماً حول ذلك. وكان ذلك عندما بدأت الكتابة حول ذلك. فاول كل شيء اعتقد بأنه كان خطئا، ولكن ايضاً فقد اعتقدت بانه كان مشؤوماً. واذا ما نظرت الى ما كتبته في ذلك الوقت، فانني لن اغير فيه كلمة واحدة من ذلك. ففي عامي ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩ كنت اكتب حول حلقة القمع المتوقعة تماماً، والمقاومة، والقمع الاعنف، والمقاومة الاعنف، ومن ثم نشوب حرب اقليمية من فترة لاخرى، تؤدي بالنهاية للدمار. ولا اعتقد بأن اي شيء قد اختلف كثيراً.

■ سؤال : لقد قلت ايضاً بان العداء الشعبي (هنا) قد تصاعد ضد اسرائيل مؤخراً. وقد لاحظت بان ذلك يشوبه بعض النزعة اللاسامية وانك قانع بان ما يدعى باللوبي الاسرائيلي يقوم باحياء نزعة اللاسامية. فما هو تعليقك ؟

جواب : اعتقد بأن اللوبي الاسرائيلي او الصهيوني يقوم باحياء نزعة اللاسامية، وهناك احساساً معيناً، انهم يقومون بذلك بشكل متعمدٌ ومقصود. وبامكانك ان تحصل على صورة للحجج والبراهين اذا ما قرأت نشرات عصبة مكافحة الافتراء والتشهير اليهودية. فقبل اربعين عاماً مضت فقد كانت هذه العصبة مخلصة وصادقة فيما يتعلق بمشاكل وحقوق اليهودية المدنية، وكان ذلك امر جيد. اما الآن، فكما وصف وضعها في اسرائيل، فانها تمثل جزءاً من اللوبي الاسرائيلي في الولايات المتحدة. وبتلك الطريقة انه كشف النقاب عن احياء اللاسامية مما يساعد على الاجابة على سؤالك، وهناك كتاباً من الجدير قراءته، واسمه «اللاسامية الحقيقية في امريكا»، نشر في اوائل الثمانينات من قبل عصبة مكافحة الافتراء والتشهير، كتبه حينذاك مدير الابحاث فيها، ناثان بلموتر وزوجته ، ووصفا فيه ما هي اللاسامية الحقيقية. كما بينا فيه انه بواسطة الاجراءات التقليدية للاسامية فانها تراجعت وتقلصت الى درجة كبيرة جداً في الولايات المتحدة. وهذا صحيح، فاللاسامية قد وصلت الى ادنى منخفض تاريخي.

وخلصنا الى ان ذلك كان خادعا ومضللاً لانه توجد هناك نوعاً من اللاسامية المزدادة، والتي تعتبر لا سامية حقيقية. وتجلت هذه، على سبيل المثال، عندما انتقد مجلس الكنائس القوي الموازنات الدفاعية الامريكية، وايضاً عندما انتقدت جماعات السلام التدخل الامريكي في امريكا الوسطى. فاللاسامية الحقيقية هي تكمن في تلك الجماعات او الناس الذين «يعطوا الحرب اسماً سيئاً ويظهروا السلام شيئاً محبباً للصحافة». فتلك هي اللاسامية الحقيقية. فالمنطق هو معصوم، بالنسبة لمقاييسهم، ومصالح اليهود هي من مصالح اسرائيل. ومصالح اليهود هي من مصالح اسرائيل العسكرية القومية. وتلك المصالح تخدم من قبل العسكرية والقوة الاميركية. لذلك، فان اي واحد ينتقد الوضع العسكري للولايات المتحدة هو في الحقيقة يعتبر لا سامي او مناهض للسامية. فذلك هو القياس. ومع هذا المفهوم للاسامية، فان المدى الذي يصبح فيه شعب الولايات المتحدة معارضاً للعدوان، والعنف، والارهاب، والعسكرية، وآلة الحرب، الخ، ويكون مهتماً بمسائل العدل والسلام، هو المدى الذي تقاس فيه درجة اللاسامية بنظر وتعابير عصبة مكافحة الافتراء والتشويه اليهودية الامريكية. فذلك هو نوع خاص وجديد من اللاسامية.

ولقد رأينا هذا في اخر حملة جرت بطريقة دراماتيكية في عام ١٩٨٨، فقبل حوالي شهرين من بدء الانتخابات، في آب عام ١٩٨٨، فقد اكتشف بأن اللجنة الانتخابية للحزب الجمهوري كانت تحتوي على مجموعة من النازيين تقوم بتسيير مجموعة توصف بالعرقية، لتحاول نيل الدعم من بين الجماعات العرقية في البلاد. وكانت تلك المجموعة تدار من قبل اوكرانيين ورومانيين من النازيين السابقين، وسبب هذا اضطراباً واهتياجاً . وكان من المدهش جدا ان الديمقراطيين لم يهتموا بالمسألة، وطرد بعض من اعضاء هذه المجموعة واعيدوا الى وظائف اخرى.كما ان الديمقراطيين لم يستغلوا هذه القضية، فمن المحتمل انهم ابلغوا بذلك، وبشكل اساسي، من قبل المنظمات اليهودية، بأن ينهوا هذا الموضوع.

وقد عبر عن معنى هذا وبشكل ملائم جداً في مقال كتبته صحيفة « الجمهورية الجديدة »، وصحيفة « الجمهورية الجديدة » تعتبر وكالة اخرى للوبي الاسرائيلي في امريكا. وجاء في المقال انه صحيح ان هذه الامور قد اكتشفت، بيد ان هذا كان كما دعوه باللاسامية « القديمة والضعيفة ». وهكذا فان النازيين ومرتكبي حرب الابادة

السابقين والاشخاص الذين ارادوا وضع اليهود في غرف الغاز، اصبح يطلق عليهم اسم « اللاسامية القديمة والضعيفة»، وانه امر غير مهم تماماً في الحقيقة. وما ينبغي لن نكون قلقين بشأنه هو ان عرض اللاسامية في الحزب الديمقراطي، هو بسبب المؤتمر الذي عقدوه وسمحوا فيه باصدار قرار يدعو الى حق تقرير المصير للفلسطينيين. فهذه تعتبر لا سامية خطيرة، فهؤلاء النازيون، لا يهم امرهم كثيراً. والنازية، فمن يهتم بذلك ؟ بل وانكم تدعون الى انشاء دولة فلسطينية، فذلك امر سيء جداً. فيجب علينا ان نقلق بخصوص النزعة اللاسامية الموجودة في الحزب الديمقراطي، ولا ننسى حقيقة استخدام الجمهوريون لهؤلاء النازيين.

ان هذا الاطار لفهم اللاسامية هو امر عادي. فعلى سبيل المثال، ولعدة سنوات مضت فانه كان يوجد هناك في حي بروكلين ببوسطن برنامجا، كان اعده المعهد الوطني للتعليم، وتسيره وزراة التعليم حيث دعمت فيه ابتكار برامج تعليمية في المدارس الثانوية. وكان هناك نوعاً من المنافسة. اذ كانت هناك عروضاً وضعت عاماً اثر عاماً من قبل مجموعة بروكلين المشبوهة بحرب الابادة او المحرقة اليهودية ابان العهد النازي، حيث كانت تعرض في هذه البرامج التعليمية اشرطة فيديو وتلقى محاضرات حول حرب الابادة النازية، وكانت تصل دوماً الى ذروتها، ولكنها كانت تخبت على الدوام، ولقد ذكرت هذا لانها كانت جميعها تتكشف قبل الانتخابات مباشرة وتلقى نفس المصير : اي لا أحد يهتم بها. وانها رفضت لأن الجناح اليميني في الحزب الجمهوري مثل فيليس شافلي واخرين الذين كانوا مستشارين ومعلقين وكانوا يكتبون في ذلك البرنامج التعليمي الجائز للنازيين، ولم يكن يمثل بصورة ملائمة وجهة النظر النازية، وكان هدفه اثارة العواطف المناهضة للغرب، مما اثار انواعاً من الأسئلة والاستفسارات. فلا يمكنك ان تعالج مسألة حرب الابادة النازية بطريقة شريفة، ذلك هو ما كانوا يقولونه . واخيراً فان الوسيلة الوحيدة التي استطاع فيها ويليام بينيث ان ينهي ذلك كانت في الغائه لذلك البرنامج. فمنذ ان حصل على كافة الدعم، فان الوسيلة الوحيدة لابعاد التمويل عنه كانت في الغاء البرنامج، والغاء كافة التنافس، الذي اثاره. وجاء كل هذا قبل عملية الانتخابات مباشرة، ولم يكن ذلك نتيجة لاحتجاج الديمقراطيين عليه. وبمعنى اخر، وحيث ان هؤلاء الناس جميعهم موالين لاسرائيل تماماً، فانه لا يهم اذا ما كانوا من النازيين او من المناهضين للسامية.

ومرة ثانية، فهذا تعريف اللاسامية وبطريقة خاصة. فاذا ما كان هناك مساندة لحقوق الفلسطينيين، فهذا عندئذ يعتبر لا سامية، فهناك اسباب عديدة للاسامية في الولايات المتحدة. ونسبة الجمهور المؤيد لانشاء دولة فلسطينية في الولايات المتحدة هي حوالي اثنين الى واحد، كما هو الحال في بقية دول العالم، فذلك يجعلهم جميعاً لاساميين، حسب ذلك التعريف. واعتقد بأن لذلك تأثيرات. ويمكنني ان اقدم اثباتات لذلك سواء من خلال التجربة الشخصية او حتى من خلال الاستطلاعات. ومن خلال تجربتي، فان كره اسرائيل كبيراً جداً في البلاد وهذا واضح وملموس، الى الحد الذي حتى لا يمكنني ان اتحدث عنها في معظم الاماكن بشكل اكثر من اللازم. وفي الحقيقة، فانني غالباً ما اجد نفسي ادافع عن اسرائيل في الاماكن العامة ضد الهجومات الغير عادلة عليها والتي تتضمن نزعة او نغمة لاسامية. واعتقد بأن هذا مستمر بازدياد. واذا ما أُخبر الناس فيما اذا كانوا يعارضون حقيقة ان الجنود الاسرائيليين يقومون بتكسير عظام الاطفال، وانهم بذلك يكونون لاساميون حسب التعريف المطروح، فيمكنهم القول، حسناً اننا لا ساميون اذن. فتلك هي ردة الفعل. وحتى ان هذا امر ظاهر من خلال الاستطلاعات. فقد انخفضت المواقف المؤيدة لاسرائيل بشكل حاد ومثير، واعتقد بان ذلك مستمر. واذا ما ارادت اسرائيل ان تكون، او مفضلة لتكون، دولة عسكرية ومرتزقة مبقية على دورها بممارسة العنف والاستبداد، وان تقوم باعمال قذرة لحساب الولايات المتحدة في كافة ارجاء العالم، فانها ستفقد شعبيتها هنا، في امريكا.

■ سؤال : انني متأكد بانك قد رأيت تلك الاعلانات المنشورة في صحيفة نيويورك تايمز وفي صحف اخرى ايضاً، فعلى سبيل المثال، هناك اعلان من اللجنة الامريكية اليهودية، نشر في تشرين الثاني ١٩٩٠، وجاء في الاعلان بان اسرائيل « تقيم بمعيارين او بمقياسين» وهناك تكرارات متعددة لعبارة « النفاق الاخلاقي » وان «اسرائيل تحمل مقياساً خاصاً لا ينطبق على بلدان اخرى ».

جواب : اوافق على ذلك. فاسرائيل منحت نوعاً من التصرف المنحرف لم تحصل عليه اية دولة اخرى في العالم. فعلى سبيل المثال، لو ان روسيا عاملت اليهود بنفس الطريقة التي تعامل فيها اسرائيل الفلسطينيين، فاننا سنعريهم ونكشف امرهم. فاسرائيل قد سمح لها ان تمضي بمعاملة الفلسطينيين بطريقة غير رحيمة تماماً.

■ سؤال : ولكن ذلك ليس الدافع من تلك الاعلانات، اليس كذلك ؟

جـــواب : اني مدرك بأن ذلك ليس بدافع، بيد انه في الحقيقة، انه صحيح. ولقد وصفت اسرائيل في الصحافة على انها « رمز للاخلاق الانسانية »، كما نشرت ذلك صحيفة نيويورك تايمز، وانها « بلد القيم الاخلاقية الفريدة ». وصحيح انهم يرتبكون الاخطاء احياناً، ولكن انظروا كم هي دولة نبيلة بالفعل، الخ . فليس هناك بلد تقترف مثل هذه الاعمال الوحشية والفظائع، وتقدر بهذه الطريقة. وحجتهم في ذلك مدهشة. انها قدمت ايضا من قبل اشخاص مثل توماس فريدمان وغيره. فادعائهم من ان اسرائيل قد وضعت تحت الاضواء، ذلك بأن كل شيء تفعله ولو كان تافهاً تحاسب وتقيم عليه، ولا احد يهتم بالدول الاخرى، مثل، من يولي اهتمامه نحو سوريا مثلاً ؟ وهناك حقيقة مؤكدة في ذلك.

بيد انه توجد هناك حجة فضولية. وبتلك الحجة يمكنك ان تبرهن بأن الصحافة في بوستن هي ضد العنصريين في بوستن. واذا ما كان هناك فساد كشف عنه في بوستن، فسيكون هناك مقالة حول ذلك. اما اذا ما كان هناك فساداً في سيتل فلن يكون هناك مقالة صحفية عنه. واذا ما قتل شرطي مدنياً في بوستن، فستظهر مقالة كبيرة حول ذلك، اما اذا حدث ذلك في كراتشي، فانهم لن يوردوا ذلك ابداً. فهذا يثبت بأن الصحافة ضد او مناهضة لبوستن ؟ كلا، انه يثبت بأن الصحافة ترتكز على بوستن لانها مهمة بالنسبة لسكان بوستن، والصحافة تركز على اسرائيل لان اسرائيل تريد ذلك بتلك الطريقة. فهي تحاول ان تجلب انتباه الصحافة لتركز عليها. وهي تريد المراسلين الصحفيين في الشرق الاوسط ليكونوا ويتركزوا في تل ابيب والقدس، لانهم بهذه الوسيلة يمكنهم السيطرة على الاخبار كما يمكنهم تسيير بما يطلقوا عليه بجهاز الحسبارة، جهاز دعايتهم واعلامهم. فهم يعرفون كيفية يركزون الصحفيين، ومعاملتهم بلطف، ويجعلونهم يروا الامور بمنظارهم، ونحن نريدهم ان يركزوا على اسرائيل باستمرار، لذلك فان اسرائيل تبقى تحت الاضواء. والسبب الذي تجعل فيه الامريكيين يبقون على دفعهم او تقديمهم المال. فالولايات المتحدة تعامل اسرائيل بمثل هذه الطريقة - فلا يمكنك القول «ان تعاملهم مثل دولة اخرى»، لانهم يحصلون اكثر بكثير مما تحصل عليه اية ولاية امريكية اخرى - فهم يريدون من الشعب الامريكي ان يبقى على مساعدة ودعم اسرائيل بما يعادل الف دولار للشخص سنوياً او أي شيء من هذا القبيل، اذا ما خمنت وحسبت كل شيء. ولكن للقيام بذلك، فعليك ان تبقيها (اسرائيل

) في مركز الضوء. لذلك فهم يريدونها هناك وان تحصل على مقدار وافر من الدعاية المحببة بتلك الطريقة. فاية مسألة تنشأ في المنطقة فانه ينظر اليها بالمنظار الاسرائيلي او من وجهة نظر اسرائيلية، وليس من أية وجهة نظر اخرى. واتذكر قبل سنتين، وربما لغاية اليوم، ان شبكة اي . بي . سي كان لها ثلاثة مكاتب في اسيا. واحد كان في اليابان، وواحد في تل أبيب واخر في القدس. فتلك هي اسيا بنظر اميركا، وتلك هي الطريقة التي تريدها اسرائيل.

وبالطبع، فاذا ما تصرفت بتلك الطريقة، فإنك ستعاني مما تعاني منه بوسطن تماماً : فعندما يكون لديك مسألة فساد او شرطي يقتل احد ما، فان السكان هناك لا بد وان يقرأوا عن ذلك ولكن ليس بجريمة مشابهة في بعض ارجاء العالم لا تذكر او يفاد عنها. فلا يمكنك ان تمتلك ذلك بطريقتين. وصحيح ان الاعمال الوحشية والفظائع لا تغطى بشكل كبير في الصحافة الاميركية، لو حدثت في بلد ما، كما لو تغطى في بوسطن، وكذلك اسرائيل فانها تعامل مثل بوسطن. فالانتخابات الاسرائيلية، مثلاً، تغطى في الصحافة الاميركية اكثر مما تغطى به الانتخابات الكندية. وذلك لانهم يريدون ذلك بهذه الطريقة. ومن ناحية اخرى، فلاحظ مع ان الامور التي تحدث في سوريا مثلاً لا تغطى بالمقدار الذي تغطى به الامور التي في اسرائيل، حتى انه من الصعب ان تجد هناك كلمة واحدة عن سوريا في الصحافة الاميركية. اذ ان هناك اشياء كثيرة يمكنك التحدث عنها عن اسوأ بلدان العالم التي قد تتصورها. الا انه لا يجري التحدث عن ذلك، كما انه لا يجري التحدث فعلياً عن اي بلد من بلدان العالم الثالث.

ومن ناحية اخرى، فان التغطية الاعلامية عن اسرائيل هي محببة جداً بناء على مصلحة الصحافة الاميركية، الى المدى الذي يصلون فيه الى التغطية السلبية. وانه نفس السبب الذي اصبحت فيه بوستن تغطى سلبياً في صحافة بوستن، فيمكنهم بالطبع استغلال ذلك، وهم يفضلون ذلك. لان التركيز الضخم على اسرائيل عندئذ يعني بانهم يسيطرون على الأخبار، ويسيطرون على البرامج وجداول الاعمال، واذا ما فعلوا أي شيء خطأ وينتقدون على ذلك، فانهم سيقولون للعالم بأن ذلك شيء مناهض للسامية. لذلك فهم يريدون ذلك بكلتا الطريقتين، انها لخدعة طريفة، فعلاً.

■ سؤال : هل ما زلت تعتقد بان زعماء المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة هم انتهازيون ؟ واذكر بانك قلت من انك ستكون

واحداً من اشخاص قلائل من الذين يظلون يدافعون عن اسرائيل عندما تسقط الاقنعة. فهل هذا صحيح ؟

جـــواب : انه مجرد تخمين، والناس يختلفون في ذلك، فذلك ليس صحيحاً واعتقد عاجلاً ام اجلاً بأن الولايات المتحدة ماضية لتنقلب ضد اسرائيل لأن العلاقات الاميركية مع اسرائيل هي مصلحية، وليست مرتكزة على اية مبدا اخلاقي، وانما مستندة على المصلحة والمنفعة، ذلك ان اسرائيل تعتبر مفيدة بالنسبة للمصالح الاميركية. وهذه المصلحة قد تتغير، واذا ما حدث ذلك فانهم سيبيعون اسرائيل. وتوقعي هو انه في تلك الحالة فان معظم المدافعات والدعوات الهستيرية لاسرائيل ستمضي وفقا لما تريده الحكومة الاميركية. ولن اكون مندهشاً اذا ما كنت اخر واحد يدافع عن اسرائيل وذلك لأن مواقفي تجاهها مرتكزة على شيء مختلف. انها ليست مرتكزة على المصالح الاميركية أو على مصلحة مترافقة مع القوة الاميركية.

ويمكنني ان ارى ان هذا اصبح يحدث. ففي عام ١٩٨٢، وخلال حرب لبنان، ومع ان الولايات المتحدة ساندت الحرب بقوة، الا انه مع نهاية شهر اب من ذلك العام فقد اصبح الامر مؤذياً للولايات المتحدة، واجبرت ادارة الرئيس ريغان اسرائيل على سحب قواتها من هناك. وعندما حدثت مجازر صبرا وشاتيلا، فانه كان امراً سيئاً بالنسبة لوضع الولايات المتحدة في العالم العربي بوجه عام، لذلك فقد ساندت الانحسار الاسرائيلي. لأنها ارتكبت مجازر فظيعة في بيروت. الم ترتكب الولايات المتحدة مثل تلك المجازر امام كاميرات التلفزيون، فذلك غباء حقاً، كمثل قتل الجزويت في السلفادور. فعليك ان تتحول ضد ذلك. وكان من المدهش ملاحظة ان معظم الداعمين العاطفيين لاسرائيل قد بدأوا ينتقدونها، مثل ايرفينغهاو، الذي وصف قبل بضعة اشهر في الصحافة الاسرائيلية على انه مفرط الحب لاسرائيل ذلك انه عندما يتحول كل واحد ضدها فانه مايفتا يلوح بالعلم ذو اللونين الأزرق والابيض، العلم الاسرائيلي. وفي الحقيقة فقد كان من اكثر المدافعين عن الفظائع الاسرائيلية. فبعد مجزرة صبرا وشاتيلا انكر، وانه في خلال يومين، ادلى بثلاثة بيانات مختلفة وبرسائل ومقالات كتبها في صحيفة نيويورك تايمز حيث ابعد نفسه عن ذلك. فهناك يوجد الخيط او السلسلة التي كلها من الانتهازيين الذين اختاروا تلك اللحظة لينسحبوا ويقولوا، ان هذا ليس منا، فنحن ساندنا ودعمنا شيئاً اخر مختلف. وافكر بالمدى الذي ينحصر فيه الخط

الاسرائيلي في الولايات المتحدة، فستجد سقوطاً وهبوطاً في الدعم لها، بما فيه المجتمع اليهودي الاميركي.

■ **سؤال : في محادثة اجريتها معك قبل عامين قلت فيها شيئاً اردت دوماً ان اسالك عنه. فقد كنا نتحدث عن المجازر الارمنية وقد ابديت لفت ملاحظة من ان اسرائيل « لا تريد من اي احد ان يتدخل في شان حرب الابادة النازية او المحرقة » . فما هو قولك ؟**

جواب : لقد كانت اسرائيل تعارض بقوة الجهود التي تبرز المجازر للجماعية الارمنية. وهذا امر يدعو للدهشة في الحقيقة. واني اتابع كل شيء جديد بهذا الشأن. فعلى سبيل المثال، عقد في اسرائيل مؤتمر في عام ١٩٨٢حول المجازر الجماعية. وقد نظم هذا المؤتمر من قبل صديق طفولة لي. وهو يعمل طبيب نفساني هناك. وقد عالج ذلك المؤتمر كافة انواع المجازر الجماعية. وقامت الحكومة الاسرائيلية بممارسة ضغطاً عليه ليسقط من جدول اعماله المجازر الجماعية الارمنية. وسمحت بمناقشة مواضيع المجازر الاخرى. وكان الرئيس الفخري للمؤتمر هو ايلي ويسل، ولكونه كان مفوضاً حكومياً موالياً، فقد سحب من المؤتمر لأن الحكومة الاسرائيلية قد قالت بانها لا تريد بحث موضوع المجازر الأرمنية.

وابلغ مؤخراً يهودا بوير، المؤرخ المعروف لحرب الابادة، في اسرائيل، الصحافة بأن ويسل قد دعاه من نيويورك في ذلك الوقت متوسلاً اليه ان يلغي المؤتمر المذكور لأن الحكومة الاسرائيلية لم ترد على ذلك لانه كان سيعالج المذابح الارمنية، وانه قد وافق على ذلك وشعر بالاسف، وهذا يقدم مؤشراً للمدى الذي يخدم فيه اناس مثل ايلي ويسل تنفيذ مصالح اسرائيل، وحتى الى المدى الذي ينكر فيه حرب الابادة، والذي قام بذلك بشكل منتظم. فلماذا هم مصرون هكذا على تجاهل المجازر الجماعية الارمنية ؟ فذلك امرٌ سهل. فجزء من ذلك هو انهم يريدون وضع صورة مهيمنة من اجل اغراضهم الخاصة، بيد ان الجزء الآخر لذلك يتعلق بالارمن. الذين ذبحهم الاتراك، والاتراك هم الآن حلفاء لاسرائيل، لذلك فهي لا تريد معاداة حلفائها، لأن ذلك مهم كثير جداً. ذلك انهم لو قاموا بالمجازر الجماعية، فان ذلك ليس من شأن اسرائيل وهم يعتبرون حلفاؤها. لذلك فلا ينبغي التحدث عن للمجازر للجماعية الارمنية. وخذ مثلاً اناس مثل

برنارد لويس، وهو مؤرخ شرق اوسطي كبير وخاصة فيما يتعلق بتركيا، وموالٍ لاسرائيل. وبدافع الفضول فقد تابعت تخميناته التاريخية. وله مؤلف تاريخي قيم عن تركيا. الا انه لم ينكر المذابح الارمنية سوى بجملة واحدة غامضة. حسناً، فربما يعتقد مخلصاً بأنها لم تحدث. فذلك امر ممكن. وقد يكون لديه حقائق معينة. غير ان معالجتها بهذه الطريقة ما هي الا مخادعة واشك بانه يمكن ان يكون قد مورس عليه ضغط مشابه .

■ سؤال : هل تعلم بان روبرت دول قدم مشروع قرار معتدل في مجلس الشيوخ الامريكي في عام ١٩٩٠ لاحياء الذكرى الخامسة والسبعون للمجازر الارمنية ؟ بيد ان الحكومة الاسرائيلية عملت مع الحكومة التركية لتطويق ذلك. [وقد افشل القرار في مجلس الشيوخ]. فما قولك بذلك ؟

جــواب : اني اعرف عن ذلك الامر، فالحكومة الاسرائيلية تمارس ضغطاً على الدوام من اجل مصالح اصدقائها، وفي مثل هذه الحالة فان الحكومة التركية تعتبر صديقة وحليفة لاسرائيل، ومعادية للمصالح العربية. نعم، فالحكومة الاسرائيلية ومعها اتباعها من اليهود المحليين قد مارسوا ضغطاً من اجل الحيلولة لاصدار مثل ذلك القرار. واذا ما اتصلت بالقطاعات اليهودية الاكثر تطرفاً وتشدداً، فانها ستفعل الشيء ذاته مع اية مجازر جماعية اخرى.

وخذ مثلاً الغجر، فلا احد يساندهم او يدعمهم. ولا حاجة بك للقلق لمعاداة أي واحد منهم. ولا توجد هناك دراسة معينة عن الغجر لأن لا أحد يهتم بهم، وانت تعلم كيف ان كل واحد يكرههم على اية حال، لذلك فلا احد يجري دراسة عنهم بيد انه يوجد هناك مفكر روماني اجرى بحثاً حول معاملة النازيين للشعب الروماني، وبدا ذلك موازياً تماماً للطريقة التي عومل بها اليهود. وهناك اناس ينكرون ذلك. ولاحظت مقالة نشرت في صحيفة « المؤتمر اليهودي الامريكي » الاسبوعية، وهي صحيفةليبرالية تصدر عن الجالية اليهودية الامريكية، كتبها ادوارد الكسندر وهو ينتمي للجناح اليميني. فقد قال فيها عبارة : ان المذابح النازية للغجر تعتبر مجرد «خيال متفجر». فهذه القصص الغجرية هي حكايا خيالية. وهذا مشابه بالضبط كمن يقول الناس بأن النازيين لم يفعلوا اي شيء ضد اليهود انها عبارة عن قصص خيالية فحسب. واذا ما

قال الناس ذلك عن اليهود، فاننا نرد عليهم بازدراء، ولكن اذا ما قلت ذلك عن الغجر، فانه يعتبر امر لطيف، لانه لا احد يهتم بهم بأية حال ؟ وانا لا اعرف الكثير عن ذلك الكاتب الذي ذكر ذلك، بيد انني اشك ان الحافز هو من اجل الهيمنة او احتكار المجازر النازية، لصالح اليهود، لانه يمكنهم استخدام ذلك كسلاح من اجل اسرائيل. فالاشخاص مثل ايلي ويسل يمضون سوياً وجنباً اي جنب مع هذا طيلة الوقت. وهذا يظهر لنا كيف انهم يهتمون فعلياً الى حد كبير بما يتعلق بالمحرقة او حرب الابادة النازية ضد اليهود.

■ سؤال : انني احس من خلال اعمالك والاحظك عندما تلقي المحاضرات وتتحدث وكانك ترى نفسك كمقدم للمعلومات ومحلل، بيد انك تكون متردداً لتبلغ الناس عما ينبغي ان يفعلوه. فما هو مصدر ممانعتك هذا ؟

جواب : اني لا اعتقد بانني في موقع اقول فيه للناس ما ينبغي ان يفعلوه او يقوموا به. ولقد شعرت بنفس الطريقة منذ الستينات عندما كنت اتحدث للشبان الذين كانت حياتهم تتقرر على خطوط القتال. فماذا كان عليك ان تخبرهم ؟ فذلك امر يجب ان يقرروه بانفسهم. ومن السهل بالنسبة لي ان اقول لاحد ما بأن يكون عنصراً مقاوماً وان يقضي سنتين في السجن او أن يذهب الى المنفى ويدمر حياته، ولكن ما هو وجه الحق لان اقول للناس ان يفعلوا ذلك ؟ فاذا ما قلت للناس ان ينخرطوا جدياً في المعارضة، فانهم سيمضون ليغيروا من حياتهم. وهذا ليس امر يمكنك ان تغمس طرف قدمك فيه ومن ثم تمضي خارجاً. فاذا ما كنت جادا بشأنه، فانه سيؤثر عليك لا محال. وهو بالتالي سيغير من حياتك بوسائل خطيرة. وبواسطة اجراءات معينة.، فانك ستعاني من الاذى والضرر. وقد تواجه القمع، والانتقام الاقتصادي، والذم وتشويه السمعة، والتهميش . وهناك امور سيئة كثيرة اخرى قد تحدث.

ومن وجهة نظر اخرى فربما تكون هناك تعويضات، الا انها تعويضات اخلاقية بشكل رئيس. وستكون قادراً على النظر الى نفسك في المرآة وتقول، انني قد فعلت شيئاً ما متلائم مع حياتي، الا انني لا اشعر بانني في اي موقع لاقول للناس كيف يتخذوا تلك الخيارات. ولن اقول ذلك ايضاً لاولادي كيف يفعلوا ذلك.

خدعة الحماية العالمية:
انعكاسات على حرب الخليج

جرت هذه المقابلة في شهر ايار ١٩٩١

■ ديفيد بارساميان: في يوم الاحد، الموافق ١٩ ايار ١٩٩١، جرى هناك احتفال ترحيبي في هوليود بمناسبة عودة القوات (الاميركية) من منطقة الخليج. وحضره اكثر من مليون شخص. وكان مساعد رئيس المهرجان هو الممثل جيمي ستيوارت الذي قام ببطولة بعض الافلام الحربية. وقال في كلمته التي القاها بانها كانت سنة رائعة بالنسبة للولايات المتحدة يجب ان نكو فخورين بها. وقال احد الحضور الآخرين، الذي هو ممثل ايضاً، ولكن في حروب حقيقية، وهو الجنرال وليام وستمورلاند، «لا اعتقد باننا قد شهدنا من قبل في تاريخ بلادنا مثل هذه النجاحات العظيمة المبهجة والمفرحة للحرب التي جرت. فاود منك ان تقارن هذان التخمينان المتفائلان مع مشاهداتك الخاصة من خلال تجوالك في انحاء البلاد والقاء المحاضرات امام الجمهور. وقد قلت بانك قد وجدت بان الحرب كانت واهنة ومشكوك فيها. فما هو تعليقك على ذلك ؟

نعوم تشومسكي : ويمكنني ايضاً أن اقارن ذلك مع وجهة نظر أخرى نادراً ما سُمعت، وهو صوت جبهة المعارضة الديمقراطية العراقية، والتي غالباً ما يُغطى على أخبارها في الولايات المتحدة. بيد انه سمح لأحد عناصرها أخيراً أن يكتب مقالاً في صحيفة وول ستريت جورنال، وهو احمد جلبي، أحد رجال البنوك المقيم في لندن، وهو ناطق باسم العناصر المحافظة لجبهة المعارضة الديمقراطية العراقية، وهو الذي رد ورفض من قبل واشنطن سابقاً ومنع من الكتابة في الصحافة.

وقد افتتح مقاله في الصحيفة بقوله بأنه «بالنسبة للشعب العراقي فإن الحرب قد

اظهرتنا كلسواً قوة في العالم، بسبب عدم دعم ومساندة العراقيين الذين يناضلون من اجل الديمقراطية في بلادهم، من قبل الولايات المتحدة، ولا حاجة للقول بذلك ».

وفي أرجاء الولايات المتحدة، فقد تجولت كثيراً وذهبت لاماكن عديدة سواء أعتبرت محافظة ام وطنية او اية صفة اخرى تريد اطلاقها عليها. وقد وجدت بأنه يوجد هناك مقداراً كبيراً من التأييد السطحي للحرب، بيد ان انطباعي كان مليئاً بالقلق والاضطراب. فالالتزام تجاه سياسة الحكومة هو ضئيل جداً. وكان هناك ابتهاجاً حول امر واحد، وذلك بالتأكيد، من ان الولايات المتحدة قد خرجت من الحرب دون تكبد خسائر فادحة. وعلى المرء أن يتذكر من ان الشعب قد تجرع الطعم بأن العراق كان يمثل قوة عسكرية رئيسية تهدف للسيطرة على العالم وبطريقة اصبحت معها منيعة وحصينة، كما وصفها بول ستار في اخر عدد لمجلة أميركان بروسبكت (التوقعات الاميركية). فقد اعتقد الشعب بأنه كانت توجد هناك قوة عسكرية ضخمة، الم يسمع شوارتسكوف يصف من خلال مقابلاته بأننا كنا متفوقين في الرجال والسلاح واننا سنمضي للقتال بأية حال.

ومن ثم فقد حدثت هذه المعجزة، وذلك بسبب الشجاعة الفائقة وتألق قائدنا وجنرالاته، وعملنا ما بوسعنا للتغلب على تلك القوة العسكرية الضخمة دون تكبد خسائر ودمار كبيرين في جانبنا، والتي كانت متوقعة حسبما ساهمت بذلك الحملة الاعلامية المنحرفة. فبموجب تلك الأوضاع، فإن جزءاً من الابتهاج كان حقيقياً تماماً.

■ ديفيد بارساميان: لقد سمعتك تقول في عدة مناسبات وقرات مقالاتك في مجلة «زد» وقد ركزت خلال هذه الفترة على الفاشية والسياسات المشابهة لها وعلى النازية ايضاً. وتحدثت عن الشخصية النازية العميقة للطبقة الفكرية في هذه البلاد. وبوسعي ان اسمع بعض الناقصين يقولون، حسناً، فهناك يذهب تشومسكي نهاية بعيدة ثانية . فما هو قولك ؟

نعوم تشومسكي : فعلياً، فانا لا اعتقد بانني قد اشرت بشيء الى النازية. بيد انني تحدثت عن التأييد المعلن للقيم الفاشية، واعتقد بأن هذا صحيح. كما انني ذكرت بأن وسائل الاعلام والمفكرون تصرفوا كثيراً بالمطلوب وطريقة قد يتوقعها المرء في دولة

ديكتاتورية. وهذا لا يعني القول بأنها دولة ديكتاتورية. ففي الحقيقة، على العكس تماماً، فانه مجتمع حر، مما يجعل حتى هذا التصرف مثير للدهشة اكثر. ولكن توجد هناك مسائل للحقيقة. لذلك فهل هذا تعبير للقيم الفاشية او ان لا تكون لك مقالات في الصحافة الوطنية، كما تقول صحيفة الواشنطن بوست بأن من احدى أعظم منجزات الحرب هو ان الشعب الآن اصبح يقدر القيم العسكرية وان سلطة رئيس الولايات المتحدة قد وصلت الى نقطة غير قابلة للتحدي، مشيرة الى ان هذا يعتبر أمر جيد، واننا علينا ان نتغلب على ما أطلق عليه نورمان بودهورتز مرة «بالموانع الغير صحية ضد استخدام القوة العسكرية».

فهل تلك قيم فاشية أم هي ليست كذلك؟ فأعتقد بأنها قيم فاشية بالضبط. فتلك هي بالضبط القيم التي سمعنا عنها في المجتمعات الفاشية. وهل وسائل الاعلام والمفكرون يتصرفون بأسلوب يمكن أن يتوقعه المرء في مجتمع أو دولة ديكتاتورية؟ نعم، أعتقد ذلك، تماماً. ولقد استعرضت وجمعت مقداراً كبيراً من الأدلة التي يمكن ان تقود المرء الى ذلك الاستنتاج بشكل قوي تماماً.

■ **سؤال: لقد اجرينا مقابلة في الشهر الذي تبع الاحتلال العراقي للكويت، وكنت مندهشاً من الاقتناعك العميق في ذلك الوقت من ان الولايات المتحدة كانت ماضية للحرب بشكل مطلق. فما هو الذي دعم وجهات نظرك تلك ؟**

جواب : جزئياً، فإن هذه ما هي إلا قراءة عامة للسياسة الأميركية. فجورج بوش لم يكن لديه شيء ضد صدام حسين. فالسياسات قد صممت ووضعت تماماً لتبقيه في السلطة. واذا لم يكن هو بالذات، فبديل اخر بعدئذ. فذلك امر مفهوم تماماً. ذلك أن ليس صدام حسين هو الذي كان يشكل مشكلة. فالمشكلة كانت بأنه قد أظهر استقلالية، وأي واحد يظهر استقلالية، ولا يتبع الأوامر، يصبح عدواً لا بد من تدميره والقضاء عليه. فلا يمكن في هذه الحالة تسوية الأمر. وعليك أن تلقن دروساً صحيحة عندما تسوي ذلك. والدروس التي تدرس تكون متعددة. فهناك الدروس المعدة للعالم الثالث. وهي، أولاً، لا ترفع رأسك أو انك لن ترجع الى صندوقك، أو وضعك السابق. فأنت ستستحق وتدمر. لذلك فإن عليك أن تلزم مكانك. واحفظ عملك ووظيفتك بتقديم الأيدي العاملة والمصادر الرخيصة. فعليك تعليم هذه المتطلبات، وليس تعليم السياسة.

وكما ذكرت في مقابلات أخرى، فان الولايات المتحدة، تعارض على نحو مميز الحلول السياسية او الدبلوماسية. فاذا ما نظرت الى السياسة الأميركية في مسائل اخرى، فانك ستجد أيضاً بأنها تسير على نحو نموذجي، وليس على نحو عالمي، وتحاول تجنب وإعاقة الحلول الدبلوماسية أو السياسية وتعتمد على الحلول من خلال استعراض القوة العسكرية. فهناك سبب جيد لذلك. فهذا ما كان مطبقاً من خلال حرب فيتنام، على سبيل المثال. فالولايات المتحدة كانت تعارض باستمرار امكانية اجراء تسوية سلمية للمسألة الفيتنامية، أو اجراء انتخابات مفيدة، أو أي شيء من هذا القبيل. كما انطبق هذا أيضاً على اميركا الوسطى. ولا أعتقد بأن أي شخص يمكنه مناقشة ذلك. فالولايات المتحدة أعاقت اتفاقات كونتادورا، وكانت تعارض ما أطلق عليه بخطة ارياس، وهو اتفاق السلام الذي جرى في اميركا الوسطى في اب ١٩٨٧. ومع ذلك عندما جرى تصديق هذه الخطة من قبل رؤساء جمهوريات اميركا الوسطى، مما أثار رعباً كبيراً في واشنطن، فتحركت الولايات المتحدة على الفور لتقويض وتخريب الاتفاق ونجحت في ذلك. واستمر الوضع كذلك لغاية ما تدخلت بالقوة في الانتخابات لخرق وانتهاك الاتفاقات النظامية لرؤساء جمهوريات أميركا الوسطى، الخ. والشيء ذاته انطبق على الشرق الأوسط. فلعدة سنوات، كانت الولايات المتحدة تعيق عملياً أي تسوية سياسية للصراع العربي - الاسرائيلي والتي تدعو اليها كافة دول العالم.

فتفضيل القوة على الدبلوماسية هي ميزة اميركية، وهذا ليس بسبب أية مظاهر ثقافية، وانما ببساطة بسبب ان الولايات المتحدة تلعب بورقتها القوية عندما تكون متورطة بنزاع عنيف، ولا تستخدم السياسة أو الدبلوماسية. ولانجاز أهدافك من خلال الدبلوماسية فينبغي عليك وضع السياسة قدماً التي لها مناشدة ومتابعة شعبية. فالدبلوماسية، والمفاوضات وغيرها من الوسائل السلمية تعتمد على متابعة ما تفترضه أو تقترحه بشكل مطلق. وذلك ليس كل شيء، وإنما الى الحد الذي تعتمد عليه على الوسائل السلمية، وهذا بسبب اعتقادك أنه يمكنك ان تحث وتقنع به، بينما الولايات المتحدة تعرف بأنه لا يمكنها ان تحث به.

وليس من المستحيل ان تحث شعوب دول العالم الثالث بأنهم يجب عليهم ان يعانوا وان يكونوا تابعين وان يقوموا بتلبية وانجاز الخدمات. ومن ناحية اخرى، وفي مجال القوة، فان سيطرة الولايات المتحدة تكون طاغية تماماً. وفي الحقيقة، في أية مواجهة، بل وبالتأكيد في مواجهة مع دولة من العالم الثالث. لذلك فانه من الطبيعي

تماماً ان الولايات المتحدة يجب ان تحاول تحويل المواجهة الى الساحة التي ستكون ناجحة جداً: وهي القوة العسكرية فهي تريد ان تعلم ذلك الدرس.

وحيث لا تكون هناك القوة العسكرية فهناك الحرب الاقتصادية. فبالنسبة لبنما، كوبا ونيكاراغوا فان الولايات المتحدة شنت حرباً اقتصادية غير شرعية عليها لان هذا ايضاً مجال تهيمن الولايات المتحدة فيه بشكل كبير. ويكون مع ذلك ايضاً الحاجة لتعليم درساً اخر، اي أنه بتلك الطريقة يجب أن تحل بها النزاعات. وليس فقط بهذه الطريقة أو الأسلوب، ولكن بكل الطرق ايضاً، لانه بذلك نكون اقوياء.

وتلك هي بوجه عام الأسباب لافتراض الحق باستخدام القوة في حل المشاكل والنزاعات. ولكن ايضاً تبرز هناك اسباب خاصة ملحة جداً. فخلال ايام، وحتى قبل أن يكون لدى أي واحد اية معلومات سابقة عما كان يجري، فانه يصبح واضحاً بأن الولايات المتحدة تكون قد عبأت وهيأت قوتها العسكرية، وتمضي في اجراءاتها بسرعة كبيرة مما يجعل من الصعب فرض عقوبات اقتصادية على تلك الدولة. فإرسال قوة عسكرية رئيسة الى الصحراء هي تعني، بأننا لا نرغب او نريد فرض عقوبات اقتصادية. فالعقوبات تستمر لوقت قصير فقط وفي وضع مثل هذا، فانها من المحتمل أن لا تستغرق وقتاً طويلاً. وفي الحقيقة، فانها لن تستغرق سوى شهراً فقط.

ولكن على اية حال، فانها ستستغرق بعض الوقت. فإرسال تلك القوة العسكرية الرئيسة (الى منطقة الخليج) تعني، بأننا لا نريد الانتظار، لأن تلك القوة لا يمكن الاحتفاظ بها طويلاً هناك. فبنهاية شهر اب (١٩٩٠) فإنه لن يكون هناك حتى أي تساؤل. ولقد تبين بشكل علني من خلال الناطق بلسان وزارة الخارجية في صحيفة نيويورك تايمز، في مقال كتبه كبير المراسلين الدبلوماسيين توماس فريدمان، الذي هو بشكل رئيس الناطق باسم وزارة الخارجية، بأنه يجب على الولايات المتحدة أن تسد المسار الدبلوماسي لأن قد يهدىء وينزع فتيل الأزمة، مع منح العراق بعض المكاسب. وقد عدد هذه المكاسب، التي يعرفها كل واحد وهي: تسوية مسألة الحدود المتنازع عليها، الخ. فهذا كمن يقول، انتبهوا، فاننا لا نريد اي حل. فقد أعلنت ادارة بوش، بأنه لن تكون هناك مفاوضات، ولا عملية سياسية أو دبلوماسية، مما يعني بأنه لن تكون هناك عقوبات، لأن العقوبات تعني فرض ضغط من وراء دفع التسوية السياسية. لذلك فانه أصبح واضحاً للتو وبالتأكيد بنهاية شهر اب (١٩٩٠)، اذا لم يكن قبل ذلك، بأن

الولايات المتحدة لن تلين وتتسامح ـ وربما لن يكون هناك خياراً، بل انها لن تحاول ان تلين أو تتسامح ـ بأن تكون هناك تسوية سلمية لتلك الأزمة. فنهايات اهداف الولايات المتحدة في المنطقة لن تنجز بتلك الطريقة.

وكما قلت، فقد كتبت حول ذلك في حينه. فلا يبدو الأمر بالنسبة لي يدعو للتساؤل كثيراً. ومع ورود المزيد من المعلومات مؤخراً فإننا نرى ما كان يحدث بالضبط وقد أصبح هذا واضحاً اكثر فأكثر على مر الأشهر: فلا توجد هناك امكانية للحل السلمي، فإذا ما تمكنت الولايات المتحدة ان تسيطر على مجريات الأمور، فانها ستسد اي حل سلمي. فذلك سيمضي قدماً حتى النهاية.

■ سؤال : ما هو الرد الذي يمكن ان تفضله ويكون مريحاً بالنسبة للهجوم العراقي على الكويت ؟

جواب: ما نعرفه الآن هو الآتي: انه خلال بضعة أيام بعد الهجوم العراقي على الكويت فسيكون هناك مؤتمر قمة عربي. ولا توجد لدينا معرفة محددة ما سيحدث هناك، ولكن تسربت معلومات، بدت وكأنها تتفاعل مع العراق، في محاولة لسحب قواته من الكويت. بيد انه على ما يبدو، وتحت ضغط من الولايات المتحدة فإن بعض الدول العربية قد أعاقت تلك المفاوضات السلمية. وهناك امر واحد أعتقد بأنه يجب ان يفعل وهو بالتأكيد ليس إعاقة الحل في الحقيقة، وانما تسهيل تلك الجهود لترتيب تسوية من اجل انسحاب عراقي ضمن سياق اقليمي من خلال الدول العربية. فبعد أسبوع من الاحتلال العراقي للكويت، قدم عرض من العراق للانسحاب، وذلك بربط التسوية مع مسألتين حدوديتين متنازع عليهما، وهما الوصول الى منطقة الخليج والسيطرة على حقل نفط رميلة. والنزاع فقط حول حقل رميلة يشمل حوالي ميلين داخل الأراضي الكويتية، وهي مسألة حدودية لم تسوى مطلقاً. لذلك فإن هذه مسائل قابلة للتفاوض، وبشكل واسع.

وبالنسبة لمسألة الوصول الى الخليج، فاعتقد بأن أي واحد سيوافقني بأنها مسألة قابلة للتفاوض. ووفقاً لما افاد به روبرت باري، وهو صحفي متقصي للحقائق، بأن هذه المسألة قد رفضت من قبل مجلس الأمن القومي الاميركي، أي رفض بحثها. ومن ثم حثت ولوحقت هذه المسألة من قبل للسفير العراقي في واشنطن ومن ثم من قبل وزير خارجية العراق وبعض الأميركيين مثل ريتشارد هيلمز، الرئيس السابق لوكالة المخابرات الأميركية. وقال هو وغيره من الاميركيين بأنه كان من الواضح بأن الخارجية الأميركية لم تكن مهتمة بالموضوع.

ورد آخر كنت سأفضله وهو العرض العراقي للانسحاب كلية من الكويت. وربما قد لا تقبل هذا العرض كما قدم أو اشير اليه، بيد ان العرض المضاد كان يقول، انسحبوا وسنناقش بعد ذلك هذه المسائل. وفي الحقيقة، فانه كان يوجد هناك حلاً معقولاً وهو بإحياء فعلياً قرار مجلس الأمن الدولي رقم (٦٦٠) بهذا الشأن. وتذكر بأن هذا القرار لا يدعو العراق للانسحاب من الكويت. بيد انه احتوى على امرين، فالعراق يجب ان ينسحب من الكويت ويجب ان تكون هناك مفاوضات فورية بين العراق والكويت لحل النزاعات بينهما. فذلك هو الوضع الصحيح، كما اعتقد. فقد كنت الى جانب ذلك القرار. إلا انه ولسوء الحظ فان الولايات المتحدة أعاقت ذلك. بيد ان الطريقة المفضلة لتطبيق ذلك القرار، خلال بضعة ايام من اصداره، كان يكمن في تشجيع القوى الاقليمية لبذل جهودها الذاتية من لجل تنفيذ وتحقيق ذلك القرار، وللاستجابة للعرض العراقي الذي صدر في ٩ اب وذلك بإحياء قرار مجلس الأمن رقم (٦٦٠) والقول، « حسناً، انسحبوا وسووا انتم والكويت على الفور تلك المسألتين » . فذلك سيكون رداً بناءً جداً، ومن المحتمل جداً أن يعطي نتيجة. ولا يمكنك ان تكون متأكداً من ذلك، لأنك لا تعرف ذلك لغاية ما تجرب.

ولا شك بأنه من خلال عملية التفاوض تلك فانه ستنشأ مسائل اخرى، وهي سكتون شرعية وقانونية تماماً. فلا بد ان تنشأ. حيث توجد هناك كافة أشكال المسائل الاقليمية، وخصوصاً مسائل مستويات الأسلحة وهي بالتأكيد مسائل لقليمية. فكافة هذه المسائل هي اقليمية ويجب أن تبحث على المستوى الاقليمي، وليس على المستوى العالمي، كما يقر كل واحد بذلك. اذن، فتلك هي خيارات معقولة تماماً يمكن ان تتابع وتلاحق.

وهناك سؤال عام من حيث المبدأ وهو: هل نريد دفع النزاع باتجاه ساحة القوة (الحرب) أم باتجاه ساحة الحل السلمي عبر المفاوضات؟ فالقرار قد اتخذ على ما يبدو واذا لم يكن كذلك، فانه سيتخذ خلال بضعة أيام. واعتقد بأن القرار يجب ان يتخذ بطريقة ايجابية. ولكن اعتقد بالطبع بأن الولايات المتحدة ستصر على استخدام القوة، ولا اسباب معروفة، كما حدث بالنسبة لنزاعات مشابهة. واذ اما ادركت بأن قوتك تمثل العنف، وليس الدبلوماسية، ولا المفاوضات، ولا الخيارات التي تفضلها وتنشدها الجماهير الشعبية، فعندئذ انك تريد سد طريق الحل السياسي وتتجه نحو الحرب.

■ **سؤال : هل ان الحرب تعزز فرضيتك حول حقبة ما بعد الحرب الباردة الثلاثية الاقطاب ؟**

جواب : اول كل شيء انها ليست نظريتي. إنه عبارة عن وصف، وليس حتى أمر يدعو للمناقشة. فمن وجهة نظري فهذا كان واضحاً منذ عشرين عاماً وعبر عنه تقريباً في الاستقطاب الثلاثي في السبعينات. ولا أعتقد حقيقة بأنها فرضية مستمرة. فالمظاهر الرئيسة للنظام العالمي الذي تطور عبر حقبة السبعينات ولغاية اليوم هو انه توجد هناك ثلاثة تكتلات اقتصادية رئيسة وقوة عسكرية رئيسة واحدة. وهناك أيضاً عنصر رابع مهم، وهي منطقة الخليج المنتجة للنفط التي تعتبر مصدراً ضخماً للمال. وتلك هي من بين العناصر الرئيسة في النظام العالمي الراهن. وهي تتفاعل عبر هذه الأزمة بأسلوب يمكن للمرء توقعها. والدولة التي لها هيمنة وقوة عسكرية (الولايات المتحدة) أصرت على استخدام واستغلال تلك العناصر. وهناك عنصر مساعد، وهو بريطانيا، مع أنها ايضاً مضعضعة اقتصادياً إلا أن لديها قوة عسكرية لا بأس بها، وهي ما يحب البريطانيون أن يطلق عليه اسم «التقليد القوي» لتحطيم وسحق السكان المحليين على مدى مئات السنين. فهم قد وضعوا ذلك عملياً بتلك التعابير. لذلك فهم لديهم شخصية وطنية قوية. كما أنهم يعرفون كيف يوجهون الضربات لوجه السكان المحليين، فهم لديهم تجربة طويلة بذلك. انهم مساعدينا ومعاونينا. وهم لا يعتبرون جزءاً من اوروبا في الحقيقة.

وهكذا فان القوة العسكرية الرئيسة والمهيمنة قد تحركت ومعها مساعدتها ومعاونتها، تحركت على الفور لتحتشد على أرض النزاع. وقامت تلك القوتين (الولايات المتحدة وبريطانيا) بالضغط الشديد على القوتين الاقتصاديتين الرئيسيتين (المانيا واليابان) من اجل تغطية تكاليف هذه العملية المكلفة. وعكس هذا مفهوم دورهما كدولتين مرتزقتين بشكل رئيس بالنسبة للدول الغنية في العالم. وقد وصف هذا الأمر وبصراحة مدهشة في الصحافة الاقتصادية والعملية الدولية، احياناً بشكل واهن ضعيف، واحياناً اخرى بشكل صريح صارخ.

اما المقالات التي فضلتها بهذا الشأن، كما اعتقد، فقد كانت سلسلة من المقالات العمودية التي كتبها المحرر الاقتصادي والمالي لصحيفة شيكاغو تريبيون، التي اختتمها بقوله، انتبهوا، فالولايات المتحدة يجب أن تبيع الحماية. وكل واحد يعرف ماذا يعني ذلك. فنحن ندير قوة حماية دولية.

والقوتان الاقتصاديتان الرئيسيتان في العالم، تريدان نفس الشيء الذي نقوم به بشكل رئيس، اما بالنسبة لدول العالم الثالث فان عليها أن تبقي رؤوسها منخفضة وان تقوم بالعمل الذي نريده، إلا ان بعضها احياناً يصبح عنيداً ويقف في طريقنا. لذلك فاننا ندعو المافيا ليكسروا اسنانها أو يكسروا عظامها. فذلك هو نحن. نحن نكسر اسنانهم. فهم قد منحونا مكافاة الحرب، كمثل بوليصة تامين. واوروبا واليابان سيدفعون لنا المكافاة، ولذا ما وقف احد في طريقهم، فانهم سيدعوننا وبالتالي فاننا سنسحقهم. ونحن نقوم بذلك حالياً. وحاولت بعض دول العالم الثالث ان تؤثر على انتاج النفط وأسعاره، لذلك فنحن سنسحقها تماماً. ومن ثم فعلى الحلفاء ان يدفعوا لقاء ذلك. فتلك هي الطريقة التي تعمل بها عصا الحماية. وانه لأمر طبيعي جداً للولايات المتحدة وبريطانيا من انهما لا بد وان يعززا دور القوة المرتزقة. فانظر الى اقتصاديات هاتين الدولتين واسباب قوتهما وضعفهما، لذلك فانهما لا بد وان يعكسا نفسيهما كما هو متوقع.

وبالنسبة للمصدر المالي الرئيس الآخر، وهم منتجو النفط فليس لديهم كثير من الخيارات، سوى أن يأتوا ليستنجدوا كما هو متوقع. والطريقة التي تسيطر فيها كل من الولايات المتحدة وبريطانيا على مصدر الطاقة في العالم، أو اكبر جزء منها، هي بإنشاء ما كانت تطلق عليه بريطانيا في الماضي «بالواجهة العربية»، التي يمكن من ورائها السيطرة على انتاج النفط في الشرق الأوسط وباتباع نهج وأسلوب الديكتاتوريات العائلية وذلك من اجل إضعافها، وان تكون معتمدة على قوة خارجية للحفاظ عليها. وبالمقابل، فإننا استخدمنا عصا الحماية هناك، أيضاً. فنحن نحميهم بعدة طرق. وبقوتنا الذاتية بشكل مطلق. وبالطبع، فان عليهم أن يدفعوا لقاء ذلك، وهم يدفعون باستمرار. ومهمتهم هي لضمان استقرار مستويات وأسعار انتاج النفط بشكل رئيس ضمن مدى ونطاق ما تريده الولايات المتحدة. فأحياناً نرفعه واحياناً أخرى نخفضه، ولكن ضمن ذلك النطاق بشكل رئيس.

وأيضاً، وعلى نحو حاسم، فاننا نطلب بأن يحولوا جزءاً رئيساً من عائدات النفط لدعم الاقتصادين الأميركي والبريطاني. وتماماً كما حدث خلال ازمة الخليج ان قام أحد الأثرياء الخليجيين بشراء ما نسبته عشرة بالمائة من اسهم إحدى المؤسسات المالية الرئيسة المنهارة في الولايات المتحدة، وهي موسسة سيتي كورب. ولا نعرف كم من المال

قد ذهب الى تأمينات الخزينة، الخ. بيد اننا نعرف بأن مؤسسات مثل باتشل قد جنت ارباحاً طائلة جراء ذلك. فعرض بوش على الاقل لبيع ما قيمته ثمانية عشرة بليون دولار من الاسلحة هو امر كافٍ. وستكون هناك أيضاً اعمال ضخمة من البناء والترميم لما خُرب. وفي غضون ذلك فان عليهم فقط ان يدفعوا ويسخاء. واذا لم يدفعوا مباشرة فان الأموال ستذهب الى تأمينات الخزينة وتتقاسمها أسواق العمل في كل من الولايات المتحدة وبريطانيا. فالسعودية، التي أصبحت مدينة فعلياً من هذه الناحية، كان عليها ان ترتب قرضاً. والقروض السعودية لا تشابه القروض التي تمنح لي ولك. انها تعتبر مساهمة كبيرة لرخائها. وبوجه عام، فان الولايات المتحدة وبريطانيا تقومان بتدبير ذلك كما يمكن ان نتوقع. فأميركا ومساعدتها (بريطانيا) زادتا من نفوذهما وتدخلهما في الشؤون الدولية وتقومان بتدعيم اقتصادهما عن طريق بيع وتصريف السلاح. فكل ذلك يعتبر عوامل في النظام العالمي.

واعتقد بأن الجزء الأخير من النظام العلمي الجديد الذي لا بد وان يذكر، والذي بحثته معك من قبل هو ان الروس لم يعودوا جزءاً في اللعبة، ولم يعودوا يعوقون استخدامنا للقوة. فذلك مظهر اخر للنظام العالمي الجديد.

■ سؤال : انه لمن السهل معرفة الحماس الأميركي والبريطاني لحرب الخليج. ولكن ما هو تفسيرك للحماس الفرنسي لهذه الحرب ؟

جـــــواب : لا اعتقد أن كلمة الحماس هي الكلمة الصحيحة تماماً. فالفرنسيون هم متحمسون دوماً للحصول على المال وزيادة قوتهم. وهم يحاولون السعي نحو انتهاج سياسة مستقلة جزئياً، إما بسبب ذكريات امجادهم الفرنسية او لأسباب مصلحية تماماً. فالتكتيك الذي اتبعه الفرنسيون، هو معقول بالنسبة لوجهة نظرهم السلبية، وهي ان يحافظوا ويبقوا على مبادراتهم تجاه العالم العربي، ليقولوا للعرب، تذكروا فنحن الى جانبكم. لذلك فعندما تكون هناك فرص اقتصادية، ومشاريع لاحقاً، فلا تنسونا، لأننا نقف الى جانبكم.

ولغاية ابتداء الحرب فقد وقفت فرنسا جانباً. ولم يكن الفرنسيون جزءاً من القيادة العسكرية الموحدة. فالقيادة في الصحراء كانت اميركية وبريطانية فذلك كانت هي، تتألف من قوتين. أما الفرنسيون فقد كانوا يقفون في الخلفية، ومعهم طائرات، هنا

وهناك، إلا انهم لم يكونوا جزءاً من القيادة بشكل رئيس. وأبقوا على تحركاتهم التي يعرفونها ويتقنونها تماماً. بيد انها كانت تحركات مقصودة للاستهلاك المحلي وللشعب الفرنسي، الذي لم يكن متحمساً للحرب، وذلك لجعل الأمر اسهل والطف، ولكن بهدف لفت الانتباه والتحول نحو العالم العربي. واستمر هذا الوضع لغاية عشية نشوب الحرب، عندما تقدمت باقتراح في مجلس الأمن، كانت تعرف مسبقاً بأنه سيعارض من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا، وكان اقتراحاً لا جدوى منه. بيد انها كانت تحركات رخيصة، ويمكنني أن افسر ذلك بأنه كمن يقول، انتبهوا يا أصدقاءنا في شمال افريقيا والشرق الأوسط فلا تنسونا. فنحن اصدقاؤكم حقيقة، وحتى لو مضينا للاشتراك في الحرب.

وفي اللحظة التي بدأت فيها الحرب، فقد انضمت فرنسا، بالطبع، للاشتراك فيها وذلك لتحاول ان تحصل على ما قد ينتج عن ذلك. وأعتقد بأن أسباب ذلك تنطبق كثيراً عما أفادت به مجلات الأعمال. فهم (الفرنسيون) قد عرفوا بأنه ستكون هناك عقود أعمال وصفقات تأتي من دول الخليج، فأرادوا أن تكون لهم حصة بذلك. فالتحركات والخطوات الأولية، كانت توحي بمعارضة فرنسا للحرب، خاصة فيما يتعلق ببقية دول العالم العربي، وتقول لهم، نحن الى جانبكم حقيقة. وفي اخر لحظة فقد أرسلت فرنسا الفيلق الأجنبي للاشتراك في الحرب، وذلك حتى لا تستثنى من عقود العمل والانشاءات لاعادة تعمير الكويت بعد الحرب. ومن ناحية ثانية، فانها حاولت لان تظهر فرنسا وكأنها تشكل قوة في الشؤون العالمية، مما يوحي بأنها ما زالت تحتفظ بأمجادها.

■ سؤال : هل بوسعك ان تعطي اي تاكيد للتوقع من ان الولايات المتحدة قد هيأت العراق لغزو الكويت ؟

جواب: لا اعتقد ذلك شخصياً. وأعتقد بأنه يوجد هناك دليل يمكن أن يوحي بذلك، إلا انني لا اجده مقنعاً. فقيمة هذا الدليل، بالنسبة لي، يظهر شيئاً مختلفاً. فهو يبدو بالنسبة لي ليظهر بأن جورج بوش وجيمس بيكر، صانعا السياسة الرئيسيين، كانا يدعمان صدام حسين بقوة قبل عام ١٩٩٠. فقد كتبت صحيفة فايننشال تايمز اللندنية مقالاً مطولاً على صفحتها الأولى، حيث وصفت كيف ان الرئيس بوش قد تدخل بقوة ليضمن تقديم اعتمادات مالية للعراق بقيمة بليون دولار. وكان هذا التدخل على المستوى الداخلي ومن خلال القنوات البيروقراطية. فوزارة التجارة، ووزارة الخزانة (المالية)،

وبنك الاستيراد والتصدير كانوا عارضوا تقديم اعتمادات مالية للعراق، بسبب موقف العراق من قضية الاكراد. ولا أحد كان يهتم بذلك. وكانوا يعارضون ذلك لأنهم كانوا مدركين بأن العراق لن يكون قادراً على دفع هذه الديون. وكان واضحاً بأن جزءاً كبيراً من هذه الأموال ستحول لشراء أسلحة. فتدخل كل من بوش وبيكر للتغلب على العوائق ولضمان حصول العراق على البليون دولار. واستمر ذلك حتى عام ١٩٩٠.

وفي شهر شباط ١٩٩٠، حاولت جبهة المعارضة الديمقراطية العراقية الحصول على بعض الدعم، ولو حتى الكلامي منه على الأقل، من كل من واشنطن ولندن من اجل الدعوة لانشاء نظام برلماني ديمقراطي في العراق. إلا انهم ردوا في كل من العاصمتين. واستمر ذلك الأمر خلال عام ١٩٩٠. كما حاولت بعض العناصر في كل من الكونغرس ومجلس العموم البريطاني ولعدة مرات ان توقف اعمال العنف ودعم حقوق الانسان في العراق. بيد انها أعيقت من قبل حكومتي البلدين (الولايات المتحدة وبريطانيا). فهما لم تريدان شيئاً كهذا. فلا يجب اصدار توصيات، او عقوبات، أو اي شيء ضد العراق. واستمرت المساعدة للعراق حتى النهاية. ولغاية الأول من آب ١٩٩٠، فإن البيت الأبيض استمر في الموافقة على إرسال شحنات الأجهزة والمعدات التكنولوجية من أجل إقامة المنشآت العسكرية، بما فيها المنشآت التي كانت تنتج الاسلحة الكيماوية والبيولوجية والنووية. فكل ذلك كان مدعوماً وبإصرار من قبل كل من بوش وبيكر. ووصفت هذه السياسة، من قبل كافة الاختصاصيين والمطلعين بشؤون الشرق الأوسط بوضوح، وخاصة بعد انتهاء الحرب. فقد قال جيفري كيمب، على سبيل المثال، إننا كنا نعرف بأن صدام حسين كان حليفنا. وذكر في هذا المقال أيضاً نقلاً عن بيتر رودمان، المستشار في مجلس الأمن القومي الأميركي انذاك، بأن صدام كان حليفاً لأميركا. وأعتقد بأن كل هذه الأدلة كانت مترابطة تماماً. ووفقاً لشهادات بعض المسؤولين الأميركيين وخاصة ابريل جلاسبي، من أن وزارة الخارجية الأميركية قد أبلغت صدام حسين من انها لن تعارض بصورة رئيسة من اجراء تعديلات على حدوده مع الكويت، وخاصة فيما يتعلق بحقل رميلة ومسألة وصول العراق لمياه الخليج، سواء كان ذلك بواسطة التخويف، أو حتى بواسطة استخدام القوة اذا ما دعت الضرورة.

ولم يكن لدى الولايات المتحدة اعتراض معين عندما رفع اسعار النفط. وهناك طريقة وحيدة فقط للقيام بذلك، وهي القيام بضغوطات على اسواق النفط، مما يثير

الخوف. وقد حددت سعر البرميل بخمسة وعشرين دولاراً او اكثر. واعتقد بأن هذا كان يتناسب مع السياسة الاميركية. فرفع اسعار البترول له تأثيرات معقدة جداً. وانها من جهة ما تعتبر عملية ضارة بالدول الصناعية، ومن جهة اخرى فإنها مفيدة للولايات المتحدة وبريطانيا لأنهما دولتين تنتجان النفط بأسعار عالية، فكلما ارتفعت اسعار النفط فان انتاجهما يصبح اكثر قيمة. فلنأخذ مثلاً النفط المستخرج من الاسكا او بحر الشمال، انه مكلف تماماً. وبذلك فمن الممكن ان يجنيا المنافع من جراء رفع اسعار النفط. وأمر آخر هو ان اموال النفط العائدة لدول الخليج تصب عائدة للولايات المتحدة وبريطانيا عبر او من خلال مشتريات الأسلحة، او السندات المالية، او الاستثمارات، الخ. وهكذا فإن العملية تصبح حقيبة أو محفظة مختلطة، عندما ترتفع اسعار النفط انها عملية حسابية دقيقة، بيد انها مفيدة جداً لكل من الولايات المتحدة وبريطانيا أكثر مما هو الامر بالنسبة لمنافسيهما، المانيا واليابان.

ولا أرى اية صعوبات كبيرة لفهم السياسة الأميركية، كما اعتقد بأنه تصرف متنبأ به. ومن جهة أخرى، لا أرى اي دليل من ان الولايات المتحدة توقعت ان يغزو صدام حسين الكويت ويحتلها. واعتقد بأن العراق هي التي قد فسرت ذلك بتلك الطريقة، إلا انه لو كان الأمر كذلك فانه يعتبر خطأ مفهوم من جانب دولة تتصرف وفق أهوائها. وبذلك لم يعد صدام حسين حليفاً للولايات المتحدة، وكان عليه ان يمضي بسياسته قدماً. وأوافق بأنه كانت هناك بعض الأمور لم تفسر في هذا السياق. فهذا تفسير تقليدي جداً، تماماً كما افترضت من ان الحقائق بدت وكأنها سطحية او عائمة على السطح. وكما انها بدت لتكون سطحية فإنهم بذلك قد علقوها سوياً.

وهناك بضعة امور لا تلائم تماماً هذه الرؤيا للاحداث، إحداها ترتكز على ما يتسرب من الصحفيين مثل بيير سالينجر وغيره. ولا أعرف فيما اذا ان نصدقهم أم لا، فهذا نوع جديد من أسلوب الصحافة واقتباساتها الهائمة. وبإمكانك أن تفعل معها ما يحلو لك، ومن المحتمل أن تكون كثير من اخبارها غير معلوماتية، مدسوسة من قبل اجهزة المخابرات لتسرب عبر الصحفيين الراغبين بذلك، ولا اعتقد بأنها تحتوي على أية مصداقية، وهذا يدل على أن الكويت قد ردت بغرور وعدم مرونة على الخطوات العراقية قبل شهر اب. ولو انه كانت هناك ردود أخرى فقد كان من السهل التخيل أنه لربما قد تم الحد من الازمة او منعها من الحدوث.

وهذا غير قابل للتفسير على ما لخصته سابقاً. وسيكون قابلاً للتفسير اذا ما كان هناك نوع من المؤامرة الكويتية لاغراء صدام حسين بغزو الكويت.

إلا انه يبدو ليكون امراً مشكوك فيه جداً، مبني على اوهام، وغير محتمل الى حد بعيد. فلا أعتقد أن الدول تتصرف بمثل هذه الطريقة، او ان تقول الحقيقة. ولا أعتقد بأن أية دولة تعمل بمثل تلك الطريقة، سوى في حالات نادرة جداً. وحتى لو انها فعلت ذلك، فانها ستكون مخاطرة كبيرة جداً. فمن المستحيل معرفة كيف ان ذلك حدث. كما انه من المستحيل التأكد من ان الديكتاتوريات العربية الصديقة لأميركا ستكون قادرة على السيطرة على شعوبها. فعندما ينشأ هناك نزاع عسكري، فان الأمر يصبح غير قابل للتوقع أو التنبؤ بما سيحدث تماماً. فمستوى التسلح عالٍ جداً، كما ان مستوى الكارثة يكون كبيراً، والشكوك في النظام السياسي يكون شاسعاً. ومن الممكن ان تكون هناك مخاطرة ضخمة من عدم جني الكثير جداً من جراء ذلك.

وفي الحقيقة، فدعني أكرر من انني لا أعتقد بأنهم (الولايات المتحدة) كان لديهم اي سبب للتذمر من صدام حسين. فقد كان حليفاً ويقوم بما يريدونه. وكان شريكاً تجارياً جيداً، يشتري البضائع والمواد الغربية، ويلعب اللعبة الى أرادتها الولايات المتحدة.

■ سؤال: كان للولايات المتحدة علاقات مع الاكراد، كانت علاقات مختلطة على ما يبدو. وذلك بدءاً من اوائل السبعينات، ومن خلال مسعود البرزاني والحركة الكردية داخل العراق في ذلك الوقت. فهل بوسعك التحدث عن ذلك ؟

جواب : ان العلاقات مع الأكراد تعود الى الوراء وبطرق مختلفة. ففي العشرينات كانت بريطانيا هي التي تتولى الأمر، وليست الولايات المتحدة، وقد نتذكر بأن بريطانيا هي التي استخدمت الغاز السام بكثافة ضد الأكراد، عندما حاول الاكراد انشاء دولة العراق تحت اشراف بريطانيا، بعد اقتطاعها من الامبراطورية العثمانية. وكان ونستون تشرتشل هو الذي امر باستخدام الغاز السام، وكان يشجب كل شخص يعارض استخدام الوسائل الحديثة في الحرب.

وكان هناك تاريخ أقدم في العلاقات ايضا. ولكن ابتداء من اوائل السبعينات فقد

كانت هناك ثورة كردية مدعومة من ايران. وكان الشاه انذاك يعتبر حليفاً رئيسياً للولايات المتحدة. فأراد أن يسبب بعض الازعاج للعراق. وكانت من إحدى تلك الازعاجات تكفله بالثورة الكردية في شمال العراق. ومضت الولايات المتحدة ويدعم من هنري كيسنجر، وزير الخارجية انذاك، الى جانب تلك الخطة وساعدت فيها. وتسربت أسرار بواسطة لجنة بيك ونشرت في صحيفة «صوت القرية». ونشرت تلك المعلومات في كتاب صدر في لندن. ولم يثر الكتاب اهتمام أي واحد، إلا انه كان يحتوي على وثيقة او تقرير هام جداً. فقد تضمن تقرير لجنة بيك، الذي كان يحتوي على الكثير من التوثيق، برقيات وتصريحات، غطيت أو طمست أسماء أصحابها، بيد انها كانت واضحة لمن تشير، إذ أنها كانت متبادلة ما بين كيسنجر وايران، وكانت تشير بوضوح الى انه لا الولايات المتحدة ولا ايران ارادتا ان يكسب أو يربح الأكراد الجولة. ففي الحقيقة، انهما لم تريدا ان ينتصر الاكراد، فقد ارادوهما ان يحاربوا فحسب وان يفرقوا الطريق بالدماء، وليس ان يكسبوا الحرب. فقد كان امراً حاسماً. وكانتا (الولايات المتحدة وايران) صريحتان بذلك الأمر. وقصد من كل ذلك ممارسة ضغط على العراق ليقوم بتسوية مسائل حدودية على الخليج.

وعندما انعن العراق وقبل بالمطالب الايرانية، فان الولايات المتحدة، حليفة ايران، توقفت عن دعمها للاكراد، وترك الأكراد لينبحوا. اما الزعيم الكردي، البرزاني فإنه لم يفهم ذلك تماماً. فقد كان موالياً جداً لاميركا، إذ انه صرح مرة بأن دولة كردستان الجديدة ستصبح الولاية الاميركية رقم (٥١). لذلك فانه صدم من جراء ذلك، ومعه الاكراد ايضاً، ليروا كيف انهم بيعوا من قبل الولايات المتحدة، عندما لم يعد بحاجة اليهم. حتى ان الولايات المتحدة قد رفضت ايضاً تقديم مساعدات انسانية لهم، كما ان ايران رفضت ايضاً قبول اللاجئين الاكراد على اراضيها. انه كان مشهد بشع ومحوي جداً. وذلك عندما صرح مسؤول رفيع المستوى، عرف بانه هنري كيسنجر فيما بعد، وفي لجتماع مغلق للكونغرس، بقوله «بأننا لا يجب أن نشوش سياستنا الخارجية بعمل تبشيري». فسياستنا الخارجية كانت تهدف لحث ودفع التمرد الكردي ولكن في نفس الوقت التأكد من عدم نجاحه، ومن ثم عندما لم يعد بحاجة اليه، فانها سحبت البساط من تحت الاكراد وتركتهم ينبحون. فتلك هي السياسة الخارجية الاميركية. فلست بحاجة لأن تطرح الأسئلة حول عمل تبشيري أو التحدث عن الآباء ماريكنول. فأنت في رفقة أو عشرة خطيرة حالياً

وطبعاً، فانا معجب بكيسنجر عندما قال ذلك. فلا اظن بان على المرء ان يشجبه. فانه صادق تماماً. وهو على صواب، في الواقع. فالسياسة الخارجية ليست عملاً تبشيرياً.

وفيما بعد، وفي أوائل الثمانينات، اصبح الأمر محتماً عليه. ولم نعد بحاجة للمزيد من الادلة. ولم تتسرب أية تقارير من الكونغرس. فربما كان يوجد هناك ترتيبات بديلة بين الاكراد والعراق، في سياق الحرب العراقية ـ الايرانية. وفي ذلك الوقت فقد كان العراق ضعيف وبحاجة تماماً لتأمين جزئه الشمالي. فلم ترد ان تكون هناك ثورة ما في الشمال. لذلك فقد عقدوا اتفاقية حكم ذاتي مع الاكراد. وكان ذلك في عام ١٩٨٤، في الوقت الذي اتخذت فيه الولايات المتحدة القيام بتحول دراماتيكي باتجاه دعم العراق في حربه مع ايران. ولم تعرف الاسباب التي ادت لذلك، إلا انه كان هناك اعتقاد عام حسبما أوردته مجلة الأيكونومست اللندنية، بان ذلك قد حدث تحت ضغوطات تركية. فالاتراك لا يريدون مطلقاً حصول الاكراد على الاستقلالية. فحوالي ربع سكان تركيا هم من الاكراد، وقمعها لهم معروف جداً. بل انه يبدو بان الأتراك قلقين جداً من تحركات الاكراد تجاه الاستقلال وتكوين دولة خاصة بهم، مما يؤثر على تركيا داخلياً. وهم يشكلون خطراً على ما يبدو من أن يستولوا على السلطة في العراق، أو أن يستولوا على خط انابيب النفط خلال الحرب، مما يدفع العراق بتصدير النفط عن الخليج، ولا يمكنها إرسـاله عبر الخط الواصل الى تركيا.

وهددت تركيا على ما يبدو بإغلاق خط الأنابيب اذا ما اتبعت العراق هذه الترتيبات أو الاجراءات، فتراجعت العراق عند ذلك الحد وسقط هذا الخيار. ولا بد ان كل ذلك جرى بمساندة الولايات المتحدة. فتركيا تعتبر حليفاً مقرباً لاميركا. وكان العراق انذاك اصبح حليفاً للولايات المتحدة ايضاً. وبذلك فإننا نحصل على دليل غير مباشر فحسب. وقد ذكرت تقرير «الأيكونومست» دون أن تقدم المجلة مصادرها الخاصة بذلك. وما سيحدث مستقبلاً بهذا الشأن فستكشف عنه الايام الآتية.

■ **سؤال : ما هو اعتقادك من ان الذي جعل ادارة بوش تستغرق وقتاً طويلاً للاستجابة للوضع الكردي في شمال العراق؟**

جـــــواب : لا أعتقد بأنها قد استجابت لو انها لم تُربك او تزعج فسياسة الحرب

الأميركية، كانت تستهدف بشكل رئيس القوات العراقية المتواجدة في الجزء الجنوبي من الكويت. وكانت غالبيتها من المجندين القرويين الذين ليس لهم مصلحة واهتمام بالحرب. وتعتبر قوات الخط الثالث، مكونة معظمها من الاكراد والشيعة. وقد وضعوا في حفر في رمال الصحراء، ليحاولوا النجاة من القصف الجوي العنيف والخارق. وعندما اوقف الأميركيون القصف، حاولوا الفرار، إلا انهم قد ابيدوا بالطبع في عملية ملاحقة رهيبة عبر الصحراء. فالهجوم قد تم بشكل رئيس على جنود عراقيين قرويين، معظمهم من الاكراد والشيعة. ففي الحقيقة، فانه من المحتمل تماماً ان الولايات المتحدة قد قتلت حينئذ عدداً كبيراً من الاكراد، ولا نعرف هذا العدد بالضبط إلا انه ليس من المستحيل معرفته.

اما بالنسبة للقوات العراقية الرئيسية، او القوات المختارة، فانه لم تصب باذى وظلت سليمة. ولكن ما إن تم اعلان وقف اطلاق النار حتى نشبت ثورة في الجنوب وثورة في الشمال. فتحولت هذه القوات، التي اطلق عليها اسم الحرس الجمهوري، اولاً الى الثورة في الجنوب، والتي كانت عناصرها من الشيعة، وقامت بقمعها بوحشية. وحدث هذا على مرأى من القوات الأميركية والمراسلين الحربيين. ولم يحدث اي تدخل من قبلها. وان ادارة الرئيس بوش وقفت مكتوفة الأيدي امام تلك الاحداث.

وبعد ذلك تحولت هذه القوات باتجاه ثورة الشمال. واستمرت الولايات المتحدة بالمشاهدة ايضاً، ولم تقم بعمل اي شيء، او حتى انها لم تقم بمنع الطائرات المروحية التابعة لهذه القوات من العمل. وتحولت هذه القوات لمهاجمة الاكراد، الذين تبعثروا وفروا الى الجبال، وبدأت الصحافة تكتب عن الفظائع التي كانت ترتكب، وعما كان يحدث على تلك الساحة.

في غضون ذلك، كان بوش يصطاد السمك، كما تذكر، ولم يكن لديه اي اهتمام بذلك. فقد كان كل ما يهمه هو ان يظهر نفسه على انه رجل رياضي. ولكن بعد يومين بدأ الأمر يتغير، وانني متأكد بأن مستشاريه قد اطلعوه على خطورة الوضع. فبدأ الاهتمام، واتخذ بعض الخطوات الانسانية. إلا انه لم يكن هناك سبباً للاعتقاد بأنه كان هناك اي قلق فعلي بالنسبة للضحايا. كما انه لم يذكر شيئاً من قبل الصحافة عن الاحداث الدموية التي حدثت للشيعة في الجنوب، كما ان ادارة بوش لم تفعل شيئاً بهذا الصدد. والمؤشر الواضح لا يكمن فيما حدث بالنسبة للاكراد ومشكلتهم، بل فيما كان

مستمر فيه بوش، كغيره من رجال الدولة، بقبوله بمقولة كيسنجر من ان السياسة الخارجية لا يجب ان تكون عملاً تبشيرياً، فهذا ما حدث في تركيا في الفترة السابقة. فجورج بوش، كما تذكر، قد امتدح تورغوت اوزال، رئيس وزراء تركيا السابق، على انه صانع سلام عظيم ورجل دولة وانساني عظيم، الخ. وقد حصل على دكتوراه فخرية من الولايات المتحدة. وبالطبع، فإننا نعرف كل شيء عن تركيا وما فعلت بالاكراد. فنحن نعرف كيف تقوم بمهاجمتهم وقمعهم باستمرار.

وبما أن الصحافة لم تكن مهمة بالامر، فنحن لا نعرف الكثير عن ذلك، غير اننا نعرف بما فيه الكفاية عما كان يحدث، وذلك من خلال عمال الإنقاذ، والفرق الطبية الاوروبية العاملة في تركيا، ونشطاء حقوق الانسان، والمحامون، واخرون. وبدت الصورة كالآتي: في شهر آب ١٩٩٠، وبعد الغزو مباشرة (احتلال العراق والكويت)، ألغت تركيا القوانين التي تمنح أدنى حقوق مدنية للشعب الكردي والتي كانت مفروضة تحت ضغط أوروبي. وكانت توجد هناك رقابة تامة تقريباً. فهذه ليست مزحة في تركيا. فربما تتعرض للاعتقال والتعذيب وتختفي للأبد جراء ذلك.

وكان الحدث التالي أن أمر أوزال بقصف المناطق الكردية. وربما قصفت مئات المدن والقرى بالنابالم. ووفقاً لتقارير لجان حقوق الانسان والبعثات الطبية هناك، فان مئات الآلاف من الأكراد قد فروا الى الجبال في تركيا محاولين النجاة بأنفسهم في فصل الشتاء ذاك. ولم يعد بإمكانهم العودة الى بيوتهم وقراهم المقصوفة وحقولهم المدمرة. وتعرضوا للمجاعة في الجبال. وحدث ذلك في شهري كانون الأول والثاني. وفي غضون ذلك، ووفقاً لتقارير الأمم المتحدة، بنهاية شهر كانون الثاني، فان حوالي مائتي الف كردي عراقي قد فروا الى الجبال من جراء قصف الطائرات الأميركية لهم. وذلك يعني بأنه قد تجمع هناك حوالي نصف مليون كردي على الجبال خلال فصل الشتاء القارص لينجوا بأرواحهم.

وكانت هناك مساعدات انسانية من اليابان، وبعض المساعدة من المانيا، ولم تكن هناك أية مساعدة من الولايات المتحدة، ولا اي اهتمام بذلك. انه كان وضعاً سيئاً للغاية. ولا أحد قد رفع أصبعه في وجه ذلك، وذلك لسبب بسيط جداً بأنه لم يكن هنالك ضغطاً لفعل ذلك. فإذا لم يكن هناك ضغطاً، فلا تفعل ذلك.

■ **سؤال : ما هو تخمينك للرد على مبادرة السلام لازمة الخليج والحرب ؟ فانا اعرف بانك قد وصفت ذلك على انه امر «متفاعل» و«متقطع» ، ولكن هل يمكن ان يكون هناك اي شيء اخر ؟**

جـــــواب : اعتقد بانه سيكون من الصعب جداً ان يفعل اي شيء اخر، في ضوء المصادر والطاقات المتوفرة، ووسائل الاتصالات والمعلومات، المغلقة تماماً امام وسائل الاعلام ورجال الصحافة، الخ. وبإمكانك ان تخمن هذا او ذاك، إلا انني لا اعتقد بانه من الممكن ان يكون امراً مختلفاً. فهناك مجالاً للمداولة ما هو وضع تحرك السلام الذي يجب ان يكون عليه. واعتقد بانه كان يجب شجب الغزو العراقي فوراً. فمن وجهة نظري، وفي حين ان اصدقائي يخالفونني الراي، فان مبادرة السلام كان يجب ان تدعم فرض عقوبات. واعتقد بانه كان حتى امراً شرعياً اكثر دعم مبادرة مبكرة بارسال قوات عسكرية على جناح السرعة الى السعودية. وليس واضحاً فيما اذا كان العراق سيمضي قدماً في خططه أم لا. فلا يمكن التنبؤ بذلك. فذلك كان يعتمد على ما سيحدث في الأيام القليلة الاولى. وهناك مؤشر واضح يقول: انتبه، لا يمكنك ان تمضي بذلك. وعليك ان تنسحب من الكويت. فانا اتفق مع ذلك الراي.

ومن وجهة نظري، فإن تلك التحركات، التي حدثت في الساعات الأولى للغزو، قد تبرر، ومن ثم يأتي السعي وراء فرض عقوبات. وما هي نوع العقوبات؟ فذلك هو السؤال ايضاً. فليس حركة السلام هي التي عارضت، وانما مجلس الكنائس القومي. ومجلس الكنائس العالمي ايضاً هما اللذان اسرعا وبوضوح للوقوف ضد فرض عقوبات. وفي رأيي، فإنني لست ضد فكرة فرض عقوبات، وانما ضد فرض عقوبات على الغذاء والدواء، التي دعوا اليها دون وعي او ادراك. فذلك يجب ان لا يستخدم ابداً، وحتى في اشد واقصى حالات العدوان وانتهاكات حقوق الانسان. وانما بفرض بعض أنواع العقوبات، وبممارسة نوع من الضغط وبالتاكيد انهاء اية شحنات من اسلحة او اي نوع اخر من الشحنات الأخرى ما عدا الغذاء والدواء، وفرض حظر على تصدير النفط «فذلك امر شرعي.

ومن ثم ، وبعد ذلك، فاعتقد بانه كان لا بد من الاهتمام اكثر وان يفسح المجال امام اجراء مفاوضات سياسية. ومن الأسهل القول ذلك في محاولة لاستعادة احداث

الماضي، إلا انه بصراحة فلا أعتقد بأنه كان سيختلف الأمر كثيراً. وأعتقد بأن الظروف المعينة، وحتى لو ان حركة السلام قد اتبعت ما يمكن ان يطلق عليه كأفضل تكتيك، فان لديّ افكاري الخاصة حول ذلك، وللآخرين افكارهم الخاصة ايضاً. فوسائل الدعاية والاعلام قد صورت صدام حسين على انه يشكل تهديداً كبيراً لوجودنا، وحتى لبقائنا، وكان امراً طاغياً جداً بحيث لم يكن هناك اي رد مجدي جداً حول ذلك. فقمع وكبت إمكانيات اجراء مفاوضات سلمية في وسائل الاعلام، وحتى الرفض السطحي لمناقشتها وبحثها، قد طغت وتغلبت على كل مبادرة وتحرك سلمي مهما كان نوعها وكيفية تنفيذها. ولا اعتقد بأنه كان امراً مستحيلاً او صعباً جداً لمواجهة والتصدي لهذا الشعور فيما يتعلق بالسكان او الجمهور الاميركي، بأنه لم يكن هنالك اي تهديد لحياتهم، ولبيوتهم، ومستقبلهم، واطفالهم، وللعالم أجمع، ما لم نذهب الى الحرب لوقف تهديد هتلر الجديد، قبل ان يتمكن من احتلال العالم، وذلك من المحتمل بأنه كان من الصعب جداً تغيير ذلك الرأي السائد من دون وجود مناخ وثقافة سياسية مختلفتين.

■ سؤال : إن المهندسين التاريخيين كانوا مشغولين بالعمل لبضعة شهور مضت، كما تعرف ذلك جيداً. فمن إحدى الأشياء التي اعيدت كتابتها وسويت هي ان الولايات المتحدة قد حاربت في فيتنام بيد مشدودة الى الخلف. فهذا قد ادخل الى الثقافة الشعبية. فما هو تعقيبك على ذلك ؟

جواب : انك على حق بأن تطلق عليهم اسم مهندسي التاريخ. فذلك شعار مثير للدهشة والاعجاب: فنحن قد حاربنا في فيتنام ويدنا مشدودة لخلفنا. فهذا صحيح فعلياً. وانا اوافق على ذلك. فقد كان هنالك رادع لاستخدام القوة في فيتنام. ومن المدهش رؤية كيف ان الولايات المتحدة قد حاربت في فيتنام. فالحرب الرئيسة في فيتنام، والتي لم تتغلغل بعد في الثقافة السياسية الاميركية، قد صقلت لتواجه الحقيقة بهذا الأمر، وهي ان الحرب الاميركية، كانت تتركز ضد فيتنام الجنوبية. فذلك كان جوهر الحرب الاميركية في فيتنام، وهو الهجوم على فيتنام الجنوبية، والذي استغرق مدة أربعة سنوات ولم يدرك ويعترف بها. ولم يكن هناك حدث مثل ذلك في التاريخ الاميركي، وحتى من جهة اليسار. فتلك الحرب قد حوربت بدون أيادي مشدودة على اية حال. فلم يكن هناك خوف أو اية ردود فعل او انتقامات، ولا قلق من أن نُجرّ او نتورط بمحاربة

الروس. ففي الحقيقة، لم يكن هناك تكلفة أو كلفة سياسية جراء ذلك، ولا رادع، لذلك فان الحرب قد سارت بحرية. لقد فعلت الولايات المتحدة ما أرادت ورغبت فيه. وقصفت وضربت من الجو ما أرادت أن تضربه وتقصفه، وحتى المناطق المأهولة بكثافة.

إنه نوع من الإثارة لأن تنظر وتقرأ «أوراق البنتاغون»، التي تظهر انه من خلال كافة المناقشات والمداولات المعقدة كيف تم تنفيذ قصف فيتنام الشمالية وكيف يمكن التعبير عن ذلك، الخ، إذ انه لا يوجد هناك أي شيء فعلياً حول قصف فيتنام الجنوبية، الذي كان أكثف وأعمق بكثير. ففي عام ١٩٦٥ كان معدل القصف ثلاثة أضعاف قصف الشمال، واستمر القصف ليصبح أكثر كثافة، وأكثر فعالية. ولم يناقش ذلك، فما هي الأسباب؟ إنها لا توجد تكلفة جراء ذلك. لذلك فانه لا توجد هناك أيادي مشدودة للخلف بأية حال. وحدث نفس الشيء بالنسبة «لبرامج التهدئة»، وبرامج الارهاب التي نفذتها الولايات المتحدة في فيتنام الجنوبية. فلا توجد هناك تكلفة، لذلك فليس هناك قيود أو ضوابط.

وفي الجزء الجنوبي من فيتنام الشمالية، وتحت المتوازي العشرين، فنفس الشيء كان صحيحاً. فهناك مكاناً يمكن ان يتحول الى سطح القمر. وليس هنالك مشكلة. وذلك ما حدث تماماً. وعندما تتحرك الى الشمال أكثر في شمال فيتنام، فعندئذ ترتفع التكاليف السياسية والمؤثر الرادع أكثر. ولسبب سياسي، فهناك تكلفة سياسية لقصف عاصمة الفيتناميين الشماليين. مع انها بلد معترف به من قبل الدول الأخرى والتي لم تكن مسرورة جداً بشأن قصف سفاراتها، الخ. لذلك فانه كانت هناك بعض المعارضات من قبل حلفائها الأوروبيين. وبالنسبة للآخرين، فكلما اقتربت من حدود الصين، فانه لم يكن من الواضح تماماً كيف ستكون ردة فعل الصينيين. وهو أمر منسي هنا، إلا ان الصين عرفت ذلك، اذ أننا كنا نقصف ولعدة سنوات خط سكة حديد صيني داخلي، وهو الخط الرئيس الذي يربط ما بين جنوب غرب وجنوب شرق الصين، ويمر مباشرة عبر فيتنام الشمالية. وقد بنى الفرنسيون هذه الخطوط الحديدية خلال فترة استعمارهم للبلاد. وهذا يشبه كما لو أن قوة اجنبية قصفت خط سكة حديد رئيسي بين شيكاغو ونيويورك يكون ماراً عبر كندا، ويقصف الجزء الكندي منه. فلن نكون مسرورين جداً من جراء ذلك. وكان هناك أيضا تساؤل كيف ستكون ردة فعل الروس عندما كنا نقصف السفن الروسية في ميناء هايفونغ. فقد كان هناك في الحقيقة عنصر رادع من الروس

والصينيين، الذين عبأوا قوات جرارة. وتذكر ان الولايات المتحدة تعتبر قوة عالمية. ونحن تدخلنا في مناطق حيث لا يوجد لنا فيها قوات تقليدية ساحقة. لذلك فانه كان امراً خطيراً. فالروس كان بإمكانهم ان يفعلوا شيئاً ما في مكان ما من العالم. وهناك أيضاً التكلفة السياسية في اوروبا.

وكان التركيز الشعبي، بما فيها حركة السلام ضد قصف فيتنام الشمالية، وليس فيتنام الجنوبية. فذلك الجزء الضعيف والشخصية البدائية لحركة السلام في ذلك الوقت كانت بسبب تأثير وسائل الدعاية والاعلان. ويمكنك ان ترى ذلك من خلال التكتيكات. لذلك فهناك بعض الشيء من فكرة انهم قد حاربوا وايديهم مشدودة الى خلفهم، ولكن في شمال فيتنام، وليس في الجنوب. ولكن ما هو المثير للدهشة بشكل خاص هو انه يجب عليك ان ترفع ذلك الشعار.

ويمكنك أن تقول الشيء ذاته عن الروس في أفغانستان. فهم بالتأكيد قد حاربوا وأيديهم مشدودة الى خلفهم. فاذا ما حاولوا استخدام السلاح الذري، فانه ستكون هناك ردة فعل أميركية قوية، لذلك فقد كانوا مقيدين في استخدامهم للقوة. ولكن اذا ما سمعنا الجنرالات الروس يشيرون الى ذلك: فاننا كنا سنحارب وأيدينا الى خلفنا في افغانستان، لانه كان يوجد هناك خطراً على الدوام من ان الأميركين يمكنهم ان يقوموا بشيء ما في اي مكان آخر، وسنكون غاضبين، وبشكل مباشر. وما هو مثير للاهتمام حول الولايات المتحدة هو هذه الفكرة الفاضحة من اننا كنا مقيدين في استخدام العنف او القوة في قطاع واحد او قطاع محصور، وهو الجزء الشمالي من فيتنام، وذلك بسبب الرادع الروسي والكلفة السياسية، ذلك انه كان هنالك شيئاً ما خطأ في ذلك . انها مقدمة رئيسية قد قبلت وهي تقول: انتبهوا، فان للولايات المتحدة الحق لاستخدام المزيد من القوة وكما ترغب وتريد وفي اي مكان من العالم. فبعض الناس مثل جورج بوش، يقولون، نحن لا يمكننا القيام بذلك، فذلك امر سيء. اما الاناس في الجهة الاخرى، وهم الليبراليون او الأحرار، فانهم يقولون، ماذا تعنون بذلك؟ فنحن فعلنا ذلك، وقد استخدمنا الكثير من العنف بقدر ما امكننا، لذلك فلا توجد هناك مشكلة. وتلك هي المسألة. والمسألة المطروحة للافتراض اننا دولة ارهاب وعنف، ودولة عدائية، لا تعبأ بالقوانين، ونفعل ما يحلو لنا، واذا ما قيدنا اي شيء ما فتلك هي مشكلة بحد ذاتها . انها مسألة مروعة.

■ سؤال : هناك وجهة نظر تقول بان وسائل الاعلام قد خسرت في حرب فيتنام. وانا اعرف بانك قد بحثت ذلك باهتمام كبير. وايضاً فان حركة السلام في هذه البلاد قد اساءت معاملة اوضاع فيتنام، واذلتها واحتقرتها، الخ . فما هو تعليقك ؟

جــواب : تلك هي قصص مشوقة. فما دامت وسائل الاعلام معنية بالأمر، فقد كانت هناك دراسات مكثفة لوسائل الاعلام في الحرب. وقد فعلت انا ذلك، وفعله أناس اخرون. وأعتقد بأن النتائج كانت حاسمة تماماً. وهي ان وسائل الاعلام كانت مذلة تماماً. وكنت مندهشاً تماماً لأن ارى مقالاً في صحيفة «الأمة» وهي تقارن تغطية هذه الحرب (حرب الخليج) مع حرب فيتنام، ويتضمن المقال انه خلال حرب فيتنام كانت توجد هناك تغطية صحفية شجاعة، صادقة وكاشفة. فقد كان هناك صحفيون شرفاء في ساحة الحرب. فكان بإمكانك ان تجد صحفيين متواجدين هنا وهناك على ساحات المعارك يقومون بتغطية أخبار القتال. بيد أن قطاع كبير من وسائل الاعلام كانت بعيدة جداً عن تلك الاحداث. وذلك من إحدى الأسباب التي لم يفهم معها سبب الهجوم الاميركي على جنوب فيتنام ودعم تطغيته في الصحافة الاميركية، لأن الصحافة أو وسائل الاعلام لم تشر الى تلك الأحداث بطريقة يمكنك من فهم تلك الحقيقة الأولية.

فإذا لم يعرف أي واحد في روسيا بأن الاتحاد السوفياتي قد هاجم أفغانستان، اذا ما افترض كل واحد من ان الروس كانوا يدافعون عن افغانستان، حيث انهم لم يكن بإمكانهم كسب الحرب لأن أيديهم كانت مشدودة لخلفهم، ونحن لن نزعج انفسنا باجراء أي تحقيق حول موقف وسائل الاعلام الروسية من الحرب الأفغانية. ونفس الأمر ينطبق هنا. فإذا ما عملت تحليلاً أوثق للوضع فإنك ستجد الشيء ذاته: فوسائل الاعلام، بما فيها شبكات التلفزيون، قد ساهمت بالعنف والتطرف. وقد جعلت الجمهور اكثر تطرفاً. واستمر الأمر كذلك لغاية ما تحولت القطاعات الأميركية الرئيسية، ومنها القطاعات المشتركة، ضد الحرب، وعند ذلك بدأت وسائل الاعلام بالقيام بالانتقادات الجبانة. وهو ما دعي بعملية الكشف عن الحقائق، وهو شيء قام به كل من ديفيد هالبرستام ونيل شيهان في أوائل الستينات.

وكان يعتبر عملاً جيداً وأفضل. فهي طريقة للعمل بصورة افضل. فذلك لم يكن نقداً بمعنى الكلمة. إلا انه كانت هناك استثناءات، مثل الصحفي ريتشارد دومان من

صحيفة «لويس بوست ديسباتش»، والصحفي راي كوفي من صحيفة «شيكاغو ديلي نيوز» وغيرهم، بيد أنهم كانوا مبعثرين ومتفرقين. فمعظم وسائل الاعلام كانت مؤيدة وموالية الى حد كبير لسياسة الحكومة.

وبالطبع، فمن وجهة نظر الحكومة، أو من وجهة نظر المدافعين عن الحرب، فان وسائل الاعلام لم تكن تابعة أو موالية تماماً. ولكن تذكر، فان ذلك ينطبق على الدول الديكتاتورية. فخذ مثلاً كل من روسيا وافغانستان. ففي كتاب ألفته انا واد هيرمان حول هذا الموضوع فقد اقتبسنا بعض التعليقات عن الجنرالات الروس وكبار المسؤولين في الحزب الشيوعي بخصوص الطريقة التي اتبعتها وسائل الاعلام في تغطية الحرب الأفغانية. فانتقدوا بشدة وسائل الاعلام الروسية لتلفيقها قصصًا حول معاناة الطيارين والجنود الروس والأعمال الوحشية التي مورست. وكان ذلك مشابهاً جداً للشجب الذي ظهر في الصحافة الاميركية. فدعني اقول لك بأن النقد الذي مورس في الصحافة الأميركية بسبب خسارة الحرب كان يحتوي على نكهة او طعم ديكتاتوري وشبه فاشستي. واذا لم يحبذ الناس مثل هذا التعبير، فإنني اسف لذلك، بيد انه تعبير صحيح. فذلك هو كيف وصفنا الحالة أو الوضع الروسي، ولنكون صادقين فذلك هو ما نحتاجه لوصفه في حاجتنا.

وبالنسبة لردة فعل الجنود خلال حرب فيتنام، فذلك ايضاً هو أمر مثير للدهشة. فحركة السلام لم تكن منظمة كاملة العضوية. ولا يمكنني القول بأن «اعضاء حركة السلام» قد فعلوا هذا وذاك. مع انه ربما يكون هذا الشخص او ذاك قد اهان أو بصق على جندي ما. إلا ان ذلك يعتبر عاملاً غير مميزاً وتصرفات هامشية. فحركة السلام كانت هيئة داعمة للجنود. إنها الحركة التي انشأت المنتديات والجماعات المؤيدة والداعمة. ولا تنسى بأن الجنود لم يكونوا ادوات سلبية. فقد كان يوجد في الجيش معارضة داخلية للحرب، وكانت معارضة قوية. إذ أن المحاربين القدماء كانوا ضد الحرب، ومع اجراء محاكمات لجرائم الحرب، فأولئك لم يكونوا اعضاءً في حركة السلام.

وكانت الولايات المتحدة قد ارتكبت خطأ تكتيكياً في حرب فيتنام. فقد ارسلت جيشاً متطوعاً أو من المجندين الى هناك. فكل قوة أو سلطة امبريالية تعرف بأنه لا ينبغي إرسال جيوش من المجندين للقتال في حروب استعمارية. فالحروب الاستعمارية

حروب فاسدة ورديئة ومهلكة يجري فيها قتل المدنيين وذبح الأطفال الأبرياء. ولا مجال ومن المستحيل تجنب ذلك. لذلك فان مثل هذه الحرب تحتاج الى قتلة محترفين. فإما ان يكونوا قتلة محترفين او اشخاصاً بعيدين عن مسرح المشاهدة، مثل طيارو ب – ٥٢. فذلك أمر حسن. إنهم ليسوا بحاجة لرؤية ما يحدث. ولكن اذا ما اردت ان تقاتل في حرب استعمارية على البر او الأرض، فانك بحاجة الى قتلة محترفين كمثل الفيلق الأجنبي الفرنسي أو قوات الغوركاس (قوات هندية)، الخ. ولكن ليس جيش من المجندين. فالمجندون هم جزء من الحضارة المدنية، وبشكل خاص هم جزء من الثقافة والحضارة الشبابية. فهم قد اتوا من نفس الخلفية كونهم من المحتجين المحليين أو من المعارضين. فحركة السلام، اذن، قد تطورت ونمت داخل الجيش.

وفي الواقع، فمع أواخر الستينات، فان ضباط الجيش كانوا يدعون لانسحاب الجيش من فيتنام لأنهم كانوا خائفين من انهيار الوضع العسكري. وكانت المنتديات والجماعات السلمية تشكل عنصراً داعماً لتلك العناصر داخل الجيش. فمعظمهم كانوا ينشئون ويهيئون أماكن التجأ اليها الجنود من المراقبات العسكرية البشعة، والتي كانوا يعارضونها أنفسهم. ونفذت محاكم جرائم الحرب من قبل الجنود. واشتركت فيها حركة السلام، وانضممت انا اليها ايضاً. وحدثت هجومات على العسكريين، ولكن من جانب الجناح اليميني والاتجاه السائد. فجناح اليمين قد شجب العسكريين او انه احتقرهم لانهم لم يكسبوا الحرب. ولانهم لم يكسبوا نوع الحرب التي ارادوها. وكان من المفترض بهم أن يعودوا عودة الأبطال، إلا انهم لم يفعلوا ذلك، لذلك فإما انهم قد تجوهلوا او شجبوا من قبل اليمين. وما دام الاتجاه العام هو المعني، فإنهم قد عوملوا بشكل جائر جداً. فالصحافة، والكونغرس، الخ، قد عاملوهم بشكل سيء، وانما ليست حركة او اتجاه السلام هو الذي عاملهم بتلك الطريقة. فذلك كان الاتجاه العام او وسائل الاعلام.

ولنأخذ الأعمال الوحشية التي وردت. فماذا كان تأثيرها على تفكير وعقل كل واحد؟ إنه أمر متفاوت. فموقف حركة السلام العام من الحرب لا يتعلق بالجنود الذين يطلقون النار في كافة الاتجاهات، ولا يعرفون فيما اذا كانوا سيعيشون بعد لحظات أم لا. فما كانوا يفعلونه كان أمراً رهيباً، بيد أنهم لم يكونوا هم المجرمون الحقيقيون. فكما أشرت لذلك في مقابلات أخرى، فان المجرمين الحقيقيين هم اولئك الأشخاص الذين كانوا يجلسون في مكاتبهم المكيفة يخططون لغارات طائرات ب – ٥٢ على القرى

الفيتنامية، أو الذين كانوا يجلسون في واشنطن ويضعون استراتيجية قتل وذبح الشعب في جنوب فيتنام. غير ان وسائل الاعلام ومعها المؤسسة الليبرالية برمتها اتخذت خطاً مغايراً. فقد لاحقت الجانب الضعيف، الذي لا حول ولا قوة له، وهم فئة الجنود. فلا يمكنك مع ذلك ان تغفر لما فعلوه، إنه كان امراً فظيعاً. إلا انه يمكنك ان تتفهم ذلك. أما الذي لا يمكنك أن تتفهمه فهو موقف الجنرالات، والقادة، والمسؤولين المدنيين الكبار، فذلك هو الجزء الذي لا يمكن ان يغفر له تماماً.

وبالطبع، فإنها كانت حركة السلام فقط هي التي أثارت هذا الأمر، لأن المخططين كانوا هم أولئك الأشخاص الذين لا بد من حمايتهم. إنهم رجال السلطة. فيمكنك ان تلاحق أولئك الشبه متعلمين (الجنود) على الأرض. وهذا ما جعل جناح اليمين ووسائل الاعلام يصبون نقدهم عليهم. فلو كانت هناك حركة سلام قوية ومنظمة، فانها لم تكن لتدفع وتضغط في ذلك الاتجاه. فانها كانت ستقول، دعونا نعود الى حيث يصنع القرار وتعمل الخيارات.

■ **سؤال : دعنا نتحدث عن شيء ما. عندما كنت في الرابعة من عمرك كنت تتمشى مع والديك في احد الأيام في فيلادلفيا وصادفت اثناء مرورك إضراب لعمال النسيج، فما هو الانطباع الذي ولّده لديك ذلك المشهد ؟**

جواب : كنا نسير بسيارة ترولي، على ما اذكر. ولا يمكنني القول فيما اذا كان عمري كان اربعة سنوات أو ستة. وكان ذلك احد الإضرابات التي كانت تحدث في منتصف الثلاثينات، والتي كانت تتسم بالعنف. وأتذكر بأن ذلك الاضراب بشكل خاص، ولم اكن أفهم ماذا كان يحدث بالضبط وقد سألت والدتي ماذا كان يجري. كان معظمهم من النساء، وكن يضربن بعنف من قبل رجال الشرطة. وأمكنني أن اشاهد ذلك تماماً. وبعضهن قد مزقت ملابسهن. ولم أكن أفهم ذلك. وقد شكل ذلك انطباعاً تاماً لي.

ولا يمكنني الادعاء بأنني قد فهمت ما كان يجري، بيد أنني قد حصلت على فكرة عامة. وما لم أفهمه فقد فسر وشرح لي. وايضاً، فان التفسير لم يكن بعيداً جداً عن فهمي العام للمسألة. وكان لدى عائلتي عدد وافر من العمال والنشطاء النقابيين والنشطاء السياسيين وهلم جراً. لذلك فإنني كنت أعرف ما هو خط الإضراب وماذا كان

يعني بالنسبة لقوى أصحاب العمل التي كانت تلتي الى الاندية المتارجحة لتقوم بتحطيمها.

■ سؤال : لقد لاحظت انه خلال فترة الركود من ان اجتياز خط الاضراب كان امراً او عملاً غريباً. وكمن يسرق طعاماً من شخص فقير. فهل تغيرت الأمور منذ ذلك الحين ؟

جـواب : ليس ذلك فقط خلال فترة الكساد، ولكن ولعدة سنوات بعد ذلك. فالناس قد تفهم ذلك. لقد تغير الامر.

■ سؤال : لماذا تغير ؟

جـواب : كان هناك مثالاً جيداً حول ذلك بالأمس. فقد ذهبنا الى تلك المدرسة الثانوية للطبقة العاملة (تيفرتون). وتحدثت الى الطلاب وبعض المدرسين فيها. وهؤلاء المدرسون جاءوا من نفس الطبقة العاملة مثل طلابهم، ولكن من جيل اكبر. واحدى المدرسات التي تحدثت اليها كانت تصف الفرق بين فهمها للعالم وبين ذلك الفهم للطلبة. ومع انهم ينتمون لنفس الطبقة العاملة، فانها، أي المعلمة، قد نشأت في جيل ما زال يعود في ثقافته الى تقدير تضامن الطبقة العاملة والحاجة للفقراء والحاجة للعمل سوياً وانشاء النقابات. في حين ان نفس أبناء الطبقة العاملة اليوم لا يفهمون ذلك تماماً. فتلك هي الخبرة أو التجربة التي امتلكها وامتلكتها من قبل. فأنا من جيل أقدم من جيل تلك المعلمة، بيد انه في طفولتي ومرحلة مراهقتي اصبح أمراً مسلماً به. فالفقراء والمعانون يمكنهم ان يدافعوا عن انفسهم فحسب ضد السلطة وان يتشاركوا سوياً في العمل، وان العمل سوياً يعني اموراً أخرى مثل القيام بالاضرابات، وهلم جرا. فتلك كانت الطريقة.

واليوم فالأمر مختلف جداً. فإني اتذكر قبل عامين مضيا، وخلال الاضراب الشرقي، عندما كان فرانك لورنيزو يحاول ان يحطم النقابة، وعند نقطة معينة فقد خفض من اجور السفر الى نيويورك. انخفضت بشكل كبير. وتدفق الناس الى الشرق، بما فيهم العناصر الراديكالية. واتذكر انني تحدثت لنشطاء الطلبة حول ذلك وقلت بأنني لا افهم هذا. فالطيارون والمضيفون لم يكونوا عبارة عن عمال في مزرعة مكسيكية، وانما هم ما زالوا من طبقتنا العاملة وان نقابة الميكانيكيين كانت تقف وراء ذلك. فكيف يمكنكم يا أولاد أن تجتازوا خطوط اضراب نقابة الميكانيكيين؟ وكانت ردة الفعل بأننا كنا الى

جانب الطبقة العاملة كافة، ولني لا أرى أي سبب ما اذا يجب ان ندع هنا وهناك من قبل رؤساء النقابات المهنية. فإذا ما أردت الذهاب للعمل فهذا شيء جيد، فالنقابات لا يجب ان تكون قادرة على وقف العمال من الذهاب الى العمل.

وعند هذه النقطة فانه من الصعب معرفة الجواب. فعليك أن تبدأ من روضة الاطفال وتفسير ما تعني عبارة الطبقة المناضلة والكفاح ضد القمع والعمل سوياً مع الآخرين. إلا ان ذلك قد فقد. وليس ذلك مصادفة. واستغرق ذلك تفكيراً وجهداً كبيرين. وقد بدأ ذلك منذ الثلاثينات، بجهود عامة رئيسية من جانب وسائل الاعلام التابعة لرجال الأعمال، والعلاقات العامة للمصانع، الخ. وذلك لمحاولة كسر وتحطيم ذلك النوع من الوعي والتضامن.

وقد بدأ ذلك ايضاً في حقبة الثلاثينات، ومن المحتمل انه حدث بنفس الوقت الذي كنت اشاهد فيه ذلك الاضراب، ومباشرة بعد قانون واغنر في عام ١٩٣٥. فقانون واغنر كان اول قانون عمل وايضاً آخر انتصار تشريعي حقيقي. فقد منح مجال العمل الحق في التنظيم والعمليات المختلفة. كما انه افزع رجال الاعمال لسببين. فالشيء الأول، انه كان ممارسة للديمقراطية، التي تفزع طبقة النخبة دوماً، والتي لا تريد الديمقراطية. ثانياً، انه اتاح للطبقة العاملة من تنظيم اتحادات جادة، وهذا أمر مفزع بحد ذاته.

وكانت ردة الفعل فورية. فخلال سنة فقد طورت الادارة الاميركية ما أطلق عليه اسم المناهج العلمية لكسر او ابطال الاضرابات. وكانت الفكرة الرئيسية هي محاولة تعبئة معارضة جماهيرية ضد المضربين، وذلك برفع الشعارات الوطنية، مثل الامركة والاتحاد. وقد تمت محاولة القيام بذلك، كما أعتقد ، ضد اضراب مصانع جونستان للفولاذ، وضد مصانع دبتليهم في بنسلفانيا، حيث خسرت القوى العاملة الجولة، وكان ذلك في عام ١٩٣٦، وكانت الفكرة هي غمر المجتمع بالدعاية والاعلام. وكانت النغمة الرئيسية لوسائل الدعاية والاعلام هي «إننا نحن ضدهم». فنحن منفذين مشتركين، والطبقة العاملة الرزينة التي أرادت أن تقوم باعمالها هي، ربة المنزل، رجال الدين، اصحاب المحال والبقالات، فذلك كله هو نحن جميعاً. وصحيح ان هناك فئة تلعب الفولف وفئة اخرى تشرب البيرة في البارات، إلا انهم وبشكل رئيس هم نحن جميعاً سوياً. وهناك اختلافات ثقافية. لذلك فهناك نحن نقف في جهة، وفي الجهة الاخرى هنالك الفئات والعناصر المرتزقة التي تحاول تحطيم التناغم الموجود، وهي الامركة،

والصداقة، وحياتنا الجميلة، لذلك ينبغي علينا تعبئة انفسنا للدفاع عن انفسنا ضد هذه العناصر المزقة. واستنفار كل من الصحافة، والاذاعات، والكنائس. لذلك فقد أثبتت فعاليتها وجدواها. واطلق على ذلك فيما بعد صيغة وادي موهاوك. واضيف الى ذلك فيما بعد عنصر جديد، مثل العلاقات الانسانية. اذ انه يدفع بالعمال لاحترام وتقدير حقيقة انهم يقفون في الجانب الذي تقف فيه الادارة او الحكومة الاميركية، فنحن كلنا نقف معاً سوياً، ونحن جميعاً أصدقاء. فالامور مثل الهجوم على الامركة، التي لها جذور مبكرة فعلياً. قد احييت بطريقة دراماتيكية تماماً.

ولا أعتقد بأن هنالك اي بلد اخر في العالم لديه مفهوم مشابه لفكرة الامركة. فلناس مثل الفرنسيين والإسبان، من المحتمل ان يضحكوا اذا ما فهموا حتى ماذا نعنيه في تلك البلاد. وفعلياً فانه لا يعني اي شيء، وانما كانت تلك هي النقطة الدقيقة. تماماً مثل الانسجام الذي لا يعني اي شيء.

■ سؤال : هل هذا مثل شعار «ادعموا قواتنا» ؟

جـواب : نعم انه مثل ذلك. فإنه لا يعني أي شيء. إنها شعارات فارغة فحسب. ففي الحقيقة، فان شعار ادعموا قواتنا هي ردة فعل انعكاسية معاصرة، وهي بالضبط نفس الشيء كأن نقول نحن جميعاً سوياً في هذا. فلا تطرح اسئلة: هل تدعم خطتنا، وسياستنا؟ فذلك هو ما تريد ان تردع الناس عن التفكير به. لذلك عليك ان تجعلهم يصرخون بشعار «ساندوا قواتنا»، ومن ثم فان حركة السلام ستناقش ذلك، هل سندعم قواتنا، أو لا ندعمها؟ فهل يعني ذلك اي شيء ؟

إن إدارات العلاقات العامة للصناعات قد خصصت جهداً ومالاً كبيرين لهذا الغرض. وهو يختلف عن مجال الاعمال. مع انه ايضاً يعتبر مجالاً اكاديمياً، وفكرياً، الخ. فهناك التزامات اساسية لمحاولة تقويض الفكر المستقل، ولتحطيم أي تقبل وفهم للتضامن، والمصالح والاهتمامات التي توحد الشعب في انجاز أهدافها. إنهم يريدون أن يدمروا كل ذلك والوصول الى شرذمة وبعثرة المجتمع بحيث لا أحد يفكر بشيء ما عدا مصلحته الشخصية، وربما تكون هناك بعض أعمال الاحسان، وبعض المواضيع الضيقة، ولكن بالتأكيد لا شيء يشبه الكفاح او النضال من اجل هدف مشترك. فهذا الامر كان فعالاً جداً. واحياناً نرى ذلك يظهر وبشكل مثير تماماً من خلال عمليات

الاستطلاع. ففي إحدى الاستطلاعات التي اجريت، سئل المستطلعون، ما هو أهم شيء في حياتك ؟ فجاءت النتيجة كالآتي: الخيار الأعلى، وحصل على نسبة أكثر من أربعين بالمائة من المستطلعين، كان التقرب من الله، والخيار الثاني، وقد حصل على نسبة خمسة وعشرين بالمئة، كان يتعلق بالصحة الشخصية. الخيار الثالث كان السعادة الزوجية. واعتقد بأن العمل المرضي قد حصل على ما نسبته خمسة بالمئة. وحصل الاحترام أو الاعتبار في المجتمع على حوالي اثنين بالمائة. فتلك كانت نتيجة عملية الاستطلاع. واعتقد بأن ذلك سيكون صعباً جداً لمضاعفته في أي مجتمع صناعي حديث، فأي شيء بعيد مثل ذلك. وعندما تفكر ماذا يعني ذلك، فاعتقد بأنه لن يكون غامضاً. وفكرة أنه عمل مفيد ما هو إلا خيار. ففكرة احترام المجتمع لا تعني أي شيء لأنه لا توجد هناك أية مجتمعات. فإنك ستكون وحيداً. ستكون وحيداً، وانك ستجني منافع جراء ذلك، وستكون عاملاً سلبياً، وتتبع الاوامر، ولن يكون هناك مجتمعاً، ولن يكون هناك عملاً مرضياً، وبالتأكيد فلا يوجد هناك مثل هذا الأمر كاي اشراف على عملك، فحتى انهم لن يعرفوا ماذا سيعني ذلك فأنت تتبع الأوامر، وأنت عامل سلبي. فحياتك كما هي موجودة، ربما يكون اكتساب فردي أو شخصي للمنافع والفوائد. فذلك تعليق ضعيف ومعلول على مجتمع وخصوصاً مجتمعاً غنياً وموسوراً وثرياً مثل هذا المجتمع.

■ سؤال : لقد قلت لي انه بنهاية السنة الدراسية، فانك تصبح مكتئباً ومتشائماً وموهناً. فماذا ستفعل من اجل تجديد نشاطك وازالتك لارهاق وتوتر العام الدراسي مع كل ما شمله من احاديث ومن مهنة التعليم ؟

جواب : إنني متاكد تماماً من ان كل نشيط يتعرض لهذا. فالسنة الدراسية لها إيقاع خاص. فتلك هي الطريقة التي تسير فيها الحياة. والسنة الدراسية تبدا اعتباراً من شهر أيلول وحتى شهر حزيران من كل عام، ويتخللها وقت كبير من النشاط هو في الخريف والربيع. وعندما تبدا السنة الدراسية، فانه لن يكون لديك وقتاً للبحث والتفكير عما كنت تفعله في العام الماضي، اذ انه لا يوجد لديّ وقت للتفكير بتلك اللحظة. وعندما تسال نفسك، متى ستفكر، ففي الأشهر العشرة الأخيرة كنت اقتل نفسي حقيقة، اتسابق مع كل لحظة، وكانت هناك لحظات كثيرة من السعادة، ولكن هناك ايضاً اموراً كثيرة غير

سارة، وبالتأكيد تخللتها أوقات من التوتر. وإذا ما سألت نفسك حول كل ذلك، وما انجزته، فالجواب قد يكون ظاهراً، وليس تماماً جداً. وربما تكون هناك بعض المنجزات والمكتسبات هنا وهناك، وقد تكون هناك بعض الخسائر الأخرى في مكان ما أيضاً، وغالباً ما تكون خسائر ضخمة، ومن الصعب أن لا تسأل نفسك حول ماذا كل ذلك. فانه من السهل أن تصبح مكتئباً عندما تسأل نفسك حول ماذا كل ذلك. فأنا متأكد بأنني لست وحدي أقوم بذلك.

فكيف تتعامل مع ذلك؟ فالناس لهم طرق خاصة متعددة بهذا الشأن. وأحياناً أقوم بأشياء بطريقة خاطئة. وذلك ما أدى بي لأن ادخل المستشفى قبل عامين.

ولكن على المرء أن يفهم بأنه ما دامت الأمور باقية هناك فإنه ستكون هناك انتصارات ضئيلة، والامتناع عن بعض اعمال العنف والشر، وتحسن الأمور بشكل ضئيل هنا وهناك، جاعلاً الأمور اقل سوءاً من مما قد يكون او افضل قليلاً مما قد يكون، وقد تجنى من ذلك بعض التوضيحات والفهم، وربما يساعد اناس اخرون بكسب بعضها. فهذا هو بشأن ذلك.

أما الأهداف الاكبر فإنها بعيدة الوصول اليها. بيد ان الانجازات يمكن ان تكون جوهرية تماماً. ولنأخذ مثلاً مجموعة المهام الخاصة التي كنا نشارك فيها قبل مدة وجيزة. انها مجموعة صغيرة من نشطاء مكرسين كانوا يدافعون عن حقوق الانسان في السلفادور ومن أشخاص آخرين يدافعون عن اللاجئين السلفادوريين. وربما عندما يفكرون بذلك، فانه لا يشعرون بعظمة ذلك العمل، او كمثل انهم لا يغيرون العالم. ولكنهم بالتأكيد قد انقذوا أرواحاً عديدة وساعدوا في خلق مجال يمكن ان يعيش ويعمل فيه اناس آخرون. فذلك ليس انجازاً صغيراً. ويوجد هناك اماكن تمارس فيها اعمال عنف ووحشية ضخمة. أسوأها وقعت في اقليم تيمور باندونيسيا. ولكن قد يتعرضون لمساوىء كثيرة. والسبب لا يكمن في أنهم كانوا مجموعة صغيرة من الأشخاص، او فئة قليلة من الشباب، الذين سخروا انفسهم لذلك العمل. وكانوا أحياناً يجبرون الصحافة على تغطية أخبارهم. وأحياناً أخرى يثيرون بعض الاحتجاج في الكونغرس ويقدمون نوعاً من الردع الفعال يمكن ان يتيح مجالاً لبعض الناس من العيش. فتطور هذه الجمعيات في الولايات المتحدة هو أمر مهم.

رهـان باسـكال

جرت هذه المقابلة في شهر تشرين الأول ١٩٩١

■ ديفيد بارساميان : كنت غالباً ما تعلق من انه كان تأثير وعمل تنظيمات التضامن، وجماعات الكنائس، الخ، قد كبحت اعمال ادارة ريغان في اميركا الوسطى. فلِمَ لم يكن لها تأثيراً فعالاً في حرب الخليج ؟

نعوم تشومسكي : لسبب انه لم يكن هنالك وقت كافٍ. ففي الحقيقة، فان ادارة الرئيس بوش كانت لطيفة تماماً لتبلغنا بالضبط ما كان يجري. ومباشرة وفي اللحظة التي بدأ فيها الهجوم البري، فقد كان هناك تسرب مثير للدهشة تماماً، ومن الادارة بشكل واضح؛ ولا أدري لِمَ سرّبوا ذلك. بل انهم سربوا جزءاً من تقريرهم الإستراتيجي الدولي الذي أنجز من اجل لادارة بوش. فعندما يأتي رئيس جديد للسلطة توجد هناك تخمينات وتقييمات لدول العالم من قبل وكالة المخابرات المركزية ووكالة الاستخبارات العسكرية، الخ. فذلك التقرير انجز في الأسابيع أو الأشهر الأولى لادارة الرئيس بوش. وسربت إحدى أجزائه ونشرت في صحيفة نيويورك تايمز. وكان يعالج قضايا النزاع مع دول العالم الثالث المتشابهة جداً بالحرب العراقية. فالذي جاء فيه، انه في وجود اعداء اكثر ضعفاً، وبالطبع فانهم نفس النوع فقط الذي تحاربه، فانه لا ينبغي علينا أن نهزمهم فحسب وانما نهزمهم بحسم وباضطراد، لأن أي شيء اخر سيجعل الأمر مربكاً. وبذلك فانه لن يكون هناك دعماً سياسياً للتدخل، واذا ما افسحت المجال لاي شيء يجلب انتباه الناس وادراكهم، فانك ستجلب المتاعب لنفسك. وأعتقد بأن هذا ما حدث تماماً في حرب الخليج. وقبل بدء الحرب بأيام قليلة، فقد كانت استطلاعات الرأي العام ما زالت تشير الى معارضة الحرب بنسبة اثنين الى واحد. ذلك أنه اذا ما سئل الجمهور قبل نشوب الحرب ببضعة أيام، هل تفضلون انسحاباً متفاوض عليه للقوات العراقية في مقابل حل للمسائل الاقليمية، المتعلقة باسرائيل وفلسطين، الخ، فان الجمهور سيكون الى جانب ذلك الحل بنسبة اثنين الى واحد. وذلك الرقم يكون خادعاً جداً لان ذلك

الاستطلاع بدأ بقوله، ان جورج بوش يعارض اجراء تسوية سلمية للازمة. فإذا ما اردت ان تطرح سؤالاً للاستطلاع، فقل فحسب ان الرئيس يعتقد كذا، فما تعتقده انت؟ فإنك ستحصل تلقائياً على عامل كبير كذا. لذلك فان علينا ان نشك بذلك الاستطلاع.

اما الجزء الآخر، وهذا امر مهم جداً، هو ان الجمهور الذي كان يجيب على السؤال، يجب ان يفترض، على انه هو الوحيد فقط الذي يحبذ تسوية سلمية للنزاع، لأنه لا احد قد اوضح ذلك علنياً. وفي الواقع، فان رفض اجراء اية تسوية سياسية كان شاملاً علنياً سواء في وسائل الاعلام ام في الكونغرس. ومع ذلك فانه كانت هناك نسبة اثنين الى واحد. علاوة على ذلك، فمن الغير محتمل ان اي واحد قد قال نعم اجابة على ذلك السؤال عرفوا انه قبل اسبوع فقط تقدمت العراق باقتراح للانسحاب وقد رفض من قبل كبار المسؤولين الاميركيين في حينه. فلا مبرر لذلك السؤال او الاستطلاع.

وكان هناك اقتراح آخر للانسحاب وبدون شروط مسبقة ما عدا عقد مؤتمر دولي. لنتأمل ان الصحافة وقفت صامتة حيال ذلك ولم تقم بعملها. فلنفترض انهم قد ابلغوا الناس ما كان يجري في العالم وإتاحة الفرص لمناقشة للمسائل الحقيقية. فإنه لن يكون لديك نسبة اثنين الى واحد عندئذ، وانما سيكون لديك ما نسبته عشرة الى واحد يدعمون اجراء تسوية سلمية مطروحة، والتي رفضتها الولايات المتحدة، خصوصاً اذا ما نوقشت. وبذلك فانه سيتم وقف الحرب.

ومن ثم جاء يوم الخامس عشر من كانون الثاني. وبدأت الحرب التي قتلنا فيها عدداً كبيراً من الناس. في غضون ذلك كنت لا ازال اتذكر الاستعداد والتعبئة العسكرية بسبب العراق. فاعظم واقوى دولة في العالم، كانت تخشى من ان تأتي العراق وتقتلنا جميعاً، الخ. وكان الناس مذعورين حقاً. وامكنني ان ارى ذلك وانا اتجول في انحاء البلاد. وكنت تصل الى اكثر مكان تخلفاً في البلاد وترى الناس يرتجفون برعب ويبدو عليهم الارهاق، وكانوا يعتقدون بأن صدام سيأتي ويقضي عليهم. لقد كان ذلك خوفاً حقيقياً، وكان الناس مذعورين. وكان شوارتسكوف يدلي بأحاديث ومقابلات صحفية حول قلة عدد قواتنا ومع ذلك فسنمضي للحرب، وكيف ان العراقيين كان لديهم اسلحة فتاكة وفعالة لم يحلم بها احد من قبل. وبدا الامر بأنه قد نظم ورتب

بدقة ليوحي بانه لن تكون هناك حرباً. فقد بدا ذلك امراً جاداً. فلن تكون هناك حرباً تماماً. إلا انه في الحقيقة كان امراً مغلوطاً. ولكن في الوقت الذي بدأ فيه الهجوم البري، لم يبق هنالك شيء سوى الخراب، بحيث ان القوات كانت تزحف على الخراب، وذلك من جراء القصف الجوي العنيف. وكانت الخسائر الأميركية من جراء القتال تعادل تقريباً التي تكبدتها خلال غزو غرينادا، او اكثر قليلاً.

وبالطبع، ففي تلك الفترة، وبعد أسبوعين من قصف العدو الذي كان على وشك تدميرنا، فان ذلك لم يتح له فرصة الاستعداد والتهيؤ او اي شيء اخر. وأعتقد بأن الادارة (الأميركية) قد فهمت ذلك. فإذا ما أردت أن تخوض حرباً هذه الأيام، فان عليك أولاً أن تهيء وتجعل العدو أن يكون اكبر من حجمه بكثير، وان ترعب وتذعر كل واحد أيضاً من جراء ذلك. وعليك ان تفعل ذلك بسرعة كبيرة. ومن ثم فإن عليك العمل على عدم حدوث قتال فعلي وان تنهي ذلك بشكل سريع جداً. فذلك ضرب ضيق من الحرب، ولا اعتقد بانه كان لديهم اية خيارات اخرى.

وبالعودة لسؤالك، فتحت مثل تلك الظروف، وبأجهزة دعائية واعلامية منسجمة ومتفقة، فانه لم يكن هناك اية امكانية لتطوير اية معارضة جادة وسريعة للحرب. فالحركات التضامنية قد طورت على مدى سنوات من النشاط والتوزيع للمعلومات وانشاء اتصالات منفصلة، وعلى الناس أن يذهبوا أسفلاً الى اميركا الوسطى ليشاهدوا ذلك بأنفسهم. فلا يمكنك ان تفعل ذلك في يوم وليلة.

■ **سؤال : ولكن يوجد هناك شيء ما اخر فيما يتعلق بمقارنة اميركا الوسطى بالشرق الاوسط. إذ ان هناك تناقضاً كبيراً ونزاعاً عندما يتعلق الامر بالشرق الاوسط وقد تحدثت مع نشطاء الذين قالوا بانهم كانوا يشعرون بمزيد من القرب مع اميركا الوسطى. فهناك اللغة المتشابهة والدين ايضاً وانواع المسائل والقضايا المشتركة، وانهم لا يشعرون بذلك فيما يتعلق بالشرق الاوسط فما هو تعليقك؟**

جـــواب : هنالك شيء ما حول ذلك. وهناك أيضاً خلفية معادية وعرقية متطرفة ضد العرب. ولكن لاحظ بأن الادارة كانت قادرة على القيام بالشيء ذاته مع بنما، وبنفس الطريقة أيضاً. وقبل بضعة اشهر فقط مع ذلك، فإن نوريغا قد صور بانه كان اكبر من

حجمه بكثير. وراجع تعليق تيد كوبل واخرين غيره، الذي يقول فيه بأن نوريغا كان واحداً من اسوأ الشخصيات في التاريخ، وقد شكل لنا خطراً أعظماً، الخ. وكان ذلك في سياق حرب المخدرات الزائفة تلك، والتي ارهبت البلاد حقيقة. وكان بإمكانك ان ترى من خلال الاستطلاعات وغيرها من الأدلة الكثيرة. فذلك المهرب للمخدرات الاسباني الأصل والذي جاء ليدمر حياتنا، كان يشكل خطراً عظيماً علينا. فذلك حدث بنفس الطريقة، وبسرعة كبيرة، وبهجوم مدمر وبدون قتال حقيقي. ومن ثم نسينا ذلك.

وما قلته ايضاً هو صحيح تماماً، فالعنصرية المعادية للعرب وللمسلمين هي اكثر تطرفاً بكثير من معاداة الهاسبانيك أو الجنس الاسباني، ومن الممكن استخدام هذه العنصرية أيضاً. فنوريغا قد حول الى شيطان وبشخصية عنصرية كاريكاتورية تامة. وقد تقبلت أجهزة الإعلام ذلك تماماً. وكان بعضها مرعباً. فعلى سبيل المثال، فإن شبكة سي. إن. إن. هيأت استوديوهاتها عند حدوث ذلك الهجوم الصبياني على سفارة الفاتيكان، والذي أثنى عليه واستحسن هنا، وقامن المحطات التلفزيونية بتصوير كافة المشاهد من الفنادق القريبة العالية وذلك حتى يمكن للجميع مشاهدة ذلك المشهد الليلي واعتقد بأن شبكة السي. إن. إن. هي التي قامت بتعليق الشعار الذي يحتوي على حبة او ثمرة الأناناس على شبابيك ونوافذ السفارة. ونوع اخر من اسلوب الكاريكاتور أو المغالاة بالنسبة للأعداء، هو نفس النوع الذي يمكن ان تتوقعه في المانيا النازية سابقاً. بل إن ذلك أمر مسلم به. كما انه قد وصف ايضاً على أنه أسلوب مضحك نظيف. فإذا ما اردت أن تضع موسيقى الروك الصاخبة في سفارة الفاتيكان، فذلك أسلوب مضحك ومسلي نظيف ايضاً.

■ **سؤال : لقد وضعت انت وإد هيرمان نموذج واسلوب الدعاية والإعلام، وفيما يتعلق بما كنت قد ناقشته للتو، فهل هناك اي بعد عن ذلك الشكل ؟**

جواب : انه كان امراً مروعاً، كمثل الكتب المدرسية. فقبل شهر اب ١٩٩٠ كانت وسائل الاعلام لطيفة جداً مع صدام حسين. وخلال الفترة التي كانت فيها الحكومة الأميركية تدعم صدام حسين بقوة، وكانت ادارة الرئيس بوش يمنع اي نقد من قبل الكونغرس للرئيس العراقي، وكان يرسل له مساعدات تكنولوجية عالية، كثير منها للأغراض العسكرية، وكانت تغطية الصحافة ضئيلة جداً بهذا الصدد. وقد كشف النقاب عن

معظم ذلك بعد شهر آب. أما قبل ذلك التاريخ فانه لم يتعرض لذلك أبداً. وكان هناك مراسل تلفزيوني، هو تشارلز غلاس، يحاول ولعدة سنوات حث شبكة اي. بي. سي. ان تقوم بنشر تفاصيل للمواد الإخبارية التي قام بجمعها والحصول عليها وبوسائل غير مباشرة فيما يتعلق بالمنشآت البيولوجية العسكرية والمساعدة الأميركية للعراق بهذا الصدد، الخ. وكان من حين لآخر يستطيع ان يحصل على أمر معين من هناك ويحاول نشره، إلا انه غالباً ما كان يصطدم بمعارضة الكونغرس ولا يثير اهتمام سوى بضعة اشخاص. فقد كان ذلك نموذجاً متبعاً منذ سنوات عديدة. وهكذا فقد كانت تلك المرحلة الاولى. فعندما كانت الحكومة الاميركية تدعم صدام حسين فقد كانت وسائل الاعلام هادئة تماماً.

ومن ثم جاءت المرحلة الثانية، وهي من شهر آب ١٩٩٠ الى شهر كانون الثاني ١٩٩١. فقد كان علينا ان نهيىء ونعد للحرب بشكل محموم. وعند تلك النقطة، فإن المهمة تحولت لكبت الحقيقة من انه لا يوجد اي مبرر للذهاب للحرب. فعلينا ان نذهب للحرب، لذلك فان علينا تقديم مبرر لذلك. انها مسألة خطيرة. فالسؤال كان، هل نسعى وراء الوسائل السلمية؟

فذلك كان السؤال دوماً. هل تحاول كبت العدوان وغيره من الجرائم بالوسائل السلمية أم ستمضي للحرب؟ وكانت الحجة الوحيدة المقدمة من قبل الادارة الأميركية لهذه المسألة هي، نحن نؤمن بالمبادىء، والمبادىء لا يمكن ان تجد لها حلاً وسطاً، كما لا يمكنك التفاوض مع معتدي.

وليس للمبادىء اي شيء بهذا الشأن. فجورج بوش كان له تاريخ طويل سواء بتنفيذ أو القيام بدعم العدوان. ففي اي من السنوات العشر التي قضاها في الحكم قد سخفت بكل مواقفه، بيد ان وسائل الاعلام لم تسخر من ذلك ابداً. ففي كل مرة كان بوش يدلي فيها بذلك التصريح - وهو انه لن تكون هناك مفاوضات لذلك فلا يمكننا اجراء حل وسط - كان ذلك يقابل باستحسان كبير وواسع عبر وهم المبدأ الاميركي النبل والضخم. وكان يقول بانه لن تكون هناك مفاوضات، وبعد ذلك يكون لديك عشرات المقالات والافتتاحيات الصحفية تقول، بانه قد ذهب الى اخر حد من اجل السلام وانه سعى وراء وسائل سياسية لابعد الحدود، الخ. وكان هناك كبتاً تاماً تقريباً لحقيقة من انه لا يوجد مبرر ابداً قد طرح من اجل الذهاب للحرب، ولا سبب او مبرر

يمكن ان يستهزأ به حتى من قبل مراهق متعلم.

ثانياً، ان خيارات التسوية السلمية قد كبتت كما ذكرنا وناقشنا ذلك في مقابلات صحفية أخرى. ونادراً ما كانت تذكر في الصحف. ومن المشكوك فيه انه لم يسمع بذلك سوى واحد بالمئة من الشعب. وجاءت معلومات أخرى حول ذلك فيما بعد مما جعل الأمر اكثر سوءا. وهكذا فان مهمة وسائل الاعلام كانت في ذلك الوقت منع امكانية التحقق والادراك من انه كان يوجد هناك بديلاً للحرب.

وكانت هناك مسألة قد نوقشت، لكنها قد نوقشت في الكونغرس فحسب، وهي: هل ندع العقوبات الاقتصادية تجري لفترة أطول؟ فقد نوقشت هذه المسألة، بيد انه كانت هناك مسألة فنية وهي: هل العقوبات تعمل بشكل مطلق؟ والحقيقة ان العقوبات كانت مجدية، فكلما علمنا، انه بمنتصف شهر اب بدأت العروض العراقية بالانسحاب تتوارد. إلا ان الصحافة ووسائل الاعلام طورت الأمر على ان الحرب قد تحدث. وذكرت نتائج الاستطلاعات تلك. وهي انه اذا لم تقم وسائل اعلامنا بوظيفتها بشكل ناجح جداً، فانه لن يكون هناك دعماً لقيام تسوية سلمية. وقد ساندت الجماهير ذلك حتى بدون ان تدع وسائل الاعلام أي واحد ان يعرف بذلك.

ثم جاء شهر كانون الثاني ١٩٩١ وحتى نهاية شهر شباط، وهي تشكل الستة أسابيع على ما اطلقنا عليه اسم الحرب، وهي مذبحة بالفعل. فخلال تلك الفترة، بالطبع، فان وسائل الاعلام كانت تهلل في البلاد. إذ أنك لم تتوقع أي شيء في ذلك الوقت، وانك لن تحصل على أي شيء بالتالي. وجاءت بعد ذلك فترة أكثر اثارة، وهي فترة ما بعد وقف اطلاق النار. وكانت استراتيجية وتكتيكات الولايات المتحدة تقضي بمهاجمة البنية التحتية المدنية. وذلك مما منحها الهيمنة على السكان في العراق في فترة ما بعد الحرب. فبذلك يمكننا الابقاء على الضغوطات عليهم لاننا قد أنجزنا ما يقارن بانجاز حرب بيولوجية. وانهم سيجوعون ويموتون من الأمراض ما لم يقوموا بما نريد ونرغب. فذلك كان هدف ذلك التكتيك. وكان الجزء الثاني من استراتيجية الحرب هو الهجوم على جيش المجندين في الجنوب، وهم من الذين كان معظمهم من القرويين الشيعة والاكراد، كما نعلم ذلك، وقد تعرضوا لمذبحة. في حين ان الوحدات المختارة ظلت سليمة.

وبعد الحرب، فان المهمة التالية كانت مراقبة هذه الوحدات المختارة، والتي اطلقت

ايديها بحرية من اجل ان تقوم بقمع الثورات الشعبية، التي بدأ بالجنوب. فقد كانت هناك ثورة شيعية في للجنوب، وتحت أعين القيادة الاميركية القريبة هناك. ولم تحرك الولايات المتحدة ساكناً، عندما قامت قوات الحرس الجمهوري بقمع تلك الثورة في الجنوب بواسطة مدافع الطائرات المروحية الحربية وتحت مرأى القوات الاميركية. ولم يحدث اي شيء. وبعد أن نجحوا بذلك، تحولت قوات الحرس الجمهوري الى الشمال، وقامت بمهاجمة الثوار الاكراد هناك. وشاهد كل واحد ذلك، ولم يحدث أي شيء.

بيد ان الهجوم على الاكراد هو امر اكثر صعوبة قليلاً من الهجوم على الشيعة. فالشيعة هم من العرب، لذلك فلا أحد يهتم بذلك بشكل اساسي. اما الاكراد فإنهم يشبهون في مظهرهم وسماتهم الجنس الآري. فمراسلو التلفزيون كانوا يتحدثون عن الاطفال ذوي العيون الزرقاء، الخ. لذلك فانه كان هناك مزيداً من الضغط الشعبي، في الولايات المتحدة، للوقوف الى جانب الاكراد. وأخيراً، ساندت ادارة الرئيس بوش هذه المسألة وتظاهرت بالتحرك لوقف الهجوم عليهم. ولكن في غضون ذلك، وفي الوقت الذي كانت فيه الطائرات المروحية الحربية ودبابات الحرس الجمهوري تواصل الهجوم عليهم، اجرى ستورمينغ نورمان مقابلات تلفزيونية شرح فيها كيف تمت إبادة الوحدات المختارة من الحرس الجمهوري وإسقاط طائراته المروحية، في حين كان جورج بوش خارجاً يصطاد السمك. وكما بينت في مقابلة سابقة، في إظهار ان الاعتبارات الانسانية لم تكن حتى لتشكل عاملاً منعزلاً في رد الادارة الاميركية، فقد كان لدى الصحافة ووسائل الاعلام مشكلة بهذا الصدد.

فثورة الشيعة في الجنوب لم تكن لتشكل مشكلة كبيرة، لأنه لا احد يهتم بالهجوم عليهم. اما قمع الاكراد فقد كان امراً حذراً، ومن المدهش رؤية كيف يعالجون هذه المسألة. فهناك كان لدينا وضعاً حيث كان فيه جورج بوش يدعم صدام حسين، وبشكل تكتيكي، في حين كان يهاجم الاكراد وآخرين ممن اشتركوا في ثورة شعبية كانت تهدف لإحداث تغيير ديمقراطي في العراق. فهنا كان جورج بوش يدعم حليفه القديم، في حين كان حليفه يتصدى بعنف لاحتمالات حدوث تغيير ديمقراطي في العراق. فكيف كانت وسائل الاعلام ستعالج هذه المسألة المخادعة؟

وما حدث بالفعل، هو اننا فعلاً اكثر تكريساً للامور الانسانية في التاريخ،

وبشكل واضح، وبالطبع فاننا نقدم كل شيء من اجل الديمقراطية، بيد اننا أيضاً علينا الاعتراف بحاجتنا للمنهج العملي وعنصر الاستقرار. فالمنهج العملي هي عبارة لطيفة، تعني افعل أي شيء تشعر بانك ترغبه. والاستقرار كلمة جميلة أيضاً، تفرض نوع النظام الذي نريده. لذلك فإننا بحاجة للنهج العملي والاستقرار.

وقد عملت تحليلاً خاصاً لصحيفة نيويورك تايمز حول هذا الموضوع، وكان من الممتع رؤية كيف عالجوا ذلك الأمر. فمراسل الصحيفة في الشرق الأوسط على سبيل المثال، وهو الن كاول، قد كتب مقالاً مطولاً في شهر نيسان على ما اعتقد، حاول فيه التعامل مع حقيقة أنه بعدما عارضنا على نحو مزعوم صدام حسين، فاننا وقفنا بعد ذلك مكتوفي الأيدي نشاهده وهو يقضي على المعارضة الكردية. وما قاله ذلك المراسل، بأنه توجد هناك درجة كبيرة من الاجماع بين شركاء الائتلاف العربي والولايات المتحدة حول الحاجة لاتباع سياسة عملية للإبقاء على الاستقرار والنظام في العراق، وهذا بالتالي يدعم حكم صدام حسين وليس تلك العناصر المنشقة.

وبمنأى عن النتيجة السلبية لكاول في مقالته تلك، فقد يتبادر للذهن سؤال واضح وهو: ماذا بشأن هذا الاجماع؟ فكل واحد كان يقدم أو يؤدي نفس الخط، انه موقف واقعي وعملي مدعوم من شركاء الائتلاف العربي. فجميع هذه الدول تتميز بعوامل مشتركة.

فذلك ما حدث في التاسع والعاشر من نيسان ١٩٩١، إذ علمنا بأن كافة الدول المشتركة في الائتلاف العربي كانت متفقة معنا على دعم صدام حسين لاستعادة الاستقرار. ومن ثم ظهر هناك أشخاص أذكياء، توماس فريدمان، المراسل السياسي لصحيفة التايمز، حيث قدموا التحليلات الصحفية بهذا الشأن. فما قاله من خلال تحليلاته من ان وزارة الخارجية، الذي يتحدث باسمها، «انه من الافضل لكافة دول العالم» اعادة «القبضة الحديدية» التي استخدمها صدام حسين من قبل، ويرضا كل من تركيا والسعودية، والولايات المتحدة طبعاً. اذن، فإن ما قاله كان سائداً لغاية شهر اب ١٩٩٠. وما اردناه فقط هو العودة لذلك الوضع. وبالطبع، فقد كنا نفضل ان لا يقوم صدام حسين بذلك، لأن ذلك سيكون امراً مربكاً. وسيكون من الافضل اذا ما امكننا ايجاد بديل ما ليقوم بفرض القبضة الحديدية وبذلك نحصل على الأفضل ويجري

تحطيم اية حركة معارضة، وضمان الاستقرار، ودمج ذلك مع المخطط الأميركي في المنطقة. وهذا تخمين صحيح اذا ما تمعنت بما يقوله هذا الصحفي.

وهكذا، وبتلك الطريقة عالجت وسائل الاعلام تلك المسألة ايضا. وكنت فضوليا لأرى اذا ما كانوا قادرين على اثارة الوضع، بعدما اثاروا تلك الهستيريا حول العراق، وفجأة نساندها وندعمها في حين نقوم بقمع المعارضة الشعبية. فقد أنجز ذلك بفضل اسس اخلاقيتنا العالية، وادراكنا للحاجة من اجل الاستقرار والنهج العملي. فهذه هي القصة برمتها، منذ البداية للنهاية، عبارة عن انجاز مذهل.

وفي الحقيقة، ولإضافة عنصر او عامل بسيط اخر، فخلال تلك المدة برمتها فان المعارضة الديمقراطية العراقية كانت متواجدة في المنفى. ولا يمكنها ان تبقى بموجب هذا النظام. بيد انهم ما زالوا متواجدين هناك، وهم محترمون تماماً، منهم رجال اعمال وبنوك في لندن، ومهندسون أيضاً. وقد استثنوا دوماً من وسائل الاعلام. ويمكنك ان تفهم لماذا. لأنهم يعارضون دوماً السياسة الاميركية. وفي الحقيقة، فان مواقفهم كانت تتماشى دوماً مع حركة السلام.

وكانوا قبل اب ١٩٩٠ يعارضون دعم جورج بوش لصدام حسين. كما انهم خدعوا من قبل واشنطن، لأنها رفضت التحدث معهم عندما قدموا الى هنا لطلب الدعم من اجل اقامة حكم ديمقراطي برلماني في العراق. وجرى تعتيم اعلامي عليهم. وكانوا منذ شهر اب ١٩٩٠ الى شهر شباط ١٩٩١، يعارضون الاستعداد للحرب. فهم لم يريدوا أن يروا بلدهم وقد دمر. وكانوا يدعون الى تسوية سياسية، وحتى انهم دعوا الى انسحاب القوات من المنطقة. ويمكنك ان تقرأ تقاريرهم في الصحافة الألمانية، والصحافة البريطانية، وفي مجلة «زد» أيضاً. إلا انها جميعاً قد حجبت عن الصحافة الأميركية. ولا اعلم اية كلمة نشرت عنها هنا، وفي الواقع، فإذا ما كان هناك أي شيء، فانني لم استطع ان أجدها.

وفي الفترة الواقعة من كانون الثاني الى شباط ١٩٩١، فلا أحد كان يتحدث. وبعد ذلك، بالطبع، فان المعارضة الديمقراطية العراقية كانت الى جانب الثورات الشعبية التي حدثت، كانت الى جانبها بشكل علني. وكشفت الصحافة عن ذلك، رافضة أي صوت من تلك المعارضة، إلا أن صحيفة وول ستريت جورنال سمحت لهم بأن يقدموا

مقالين في افتتاحيتها. وكانت هناك جهات أخرى تتعاطف مع المنشقين العراقيين الذين كما أعلم لم تكن لهم اية ارتباطات معهم. ومع ذلك فان المعارضة الديمقراطية العراقية، والتي قد نظمت في كل من لندن والمانيا، قد سدت مجالات الصحافة امامها، باستثناء بضعة مقالات كتبت في فترة ما بعد الحرب في صحيفة وول ستريت جورنال. وهذا أمر مثير بحد ذاته. فهنا توجد قوة ديمقراطية مهمة، تتكون من أشخاص شجعان، ونشطاء يدافعون عن حقوق الانسان إلا انهم مرفوضين من قبل السلطة. فما الذي يجري؟

إن كثير من امثلة الرفض الأميركي للديمقراطية يمكن ان يرى في الكويت. فإن الكويت حالياً تقمع بشدة كافة فئات الشعب. ومنهم الكويتيون الذين هم بدون جنسية، أو الذين يطلق عليهم اسم «البدون»، والذين عاشوا هناك منذ عشرات السنين إلا انهم لم يمنحوا الجنسية الكويتية، وهناك ايضاً الفلسطينيون، وآخرون كثيرون. كما تمارس هناك عمليات تعذيب وقمع، الخ. وهناك بعض التغطية عن ذلك في الصحافة، ولكن بالطبع ما هو أكثر اثارة هو ما يرد الى زاوية رسائل الى المحرر في الصحف، من فترة لأخرى، من قبل أشخاص مراقبين لحقوق الانسان. ومما يلفت النظر ان جورج بوش كان يساند القمع علناً. فقد كتب اريه نئير، رئيس هيئة مراقبة حقوق الانسان، مقالاً في صحيفة «الأمة»، حيث أشار بأن تصريحات بوش تغاضت عن الارهاب الذي كان يظهر على صفحات الصحف الكويتية، قائلاً بأنه حتى جورج بوش يقول « موافقاً وحسناً لذلك، ودعوه يستمر » .

■ سؤال : غير ان جورج بوش يقول بان الحرب لم تكن حول الديمقراطية، وانما كانت حول القمع. فما هو تعليقك ؟

جواب : صحيح، فهو يقول تقريباً بأنه امر قابل للفهم، أي ما يقوم به الكويتيون. وعندما سئل لماذا لم يقل شيئاً حول الدمقراطية، كانت اجابة البيت الأبيض، بأن ذلك يعتبر تدخلاً في الشؤون الداخلية لبلد آخر. حتى انهم قالوا في رسالة خاصة بعثوا بها الى حكام الكويت، بأن لا يذكروا كلمة ديمقراطية بسبب قلقه من مستوى هذه الكلمة. ولا يمكنهم حتى أن يلمحوا الى كلمة الديمقراطية في اتصالاتهم الخاصة.

إنها ليست نفس الطريقة او الأسلوب التي تعاملت به واتبعته الادارة الأميركية مع

كل من كوبا، نيكاراغوا، العراق، بنما، وهذا المؤمن الكبير (جورج بوش) في مبدأه بعدم التدخل. ومرة ثانية، فان حقيقة ان الصحافة يمكنها النطق بتلك الكلمات من دون تردد سخيف. وتماماً وفي مناسبة أخرى، وبعد الإطاحة بالحكومة الديمقراطية المنتخبة في هاييتي، فقد طلب من بوش ان يقوم بفرض عقوبات اقتصادية عليها. فقال بأنه لا يمكنه لن يفرض عقوبات عليها لأن ذلك سيضر بشعب هاييتي. وظهر ذلك في مقال على الصفحة الأخيرة لصحيفة نيويورك تايمز، وبدون تعليق. فهذا الرجل قد قال بأنه لا يستطيع فرض عقوبات لأن ذلك سيضر بشعب هاييتي؟ وبعد كل هذا السجل له الذي يتعلق بفرض العقوبات؟ فكوبا الآن تقع تحت الحصار والحظر. ونيكاراغوا خنقت حتى الموت. وفي العراق فإننا الناس هناك يموتون من الجوع والمرض. ويمكننا ان نستشهد بالمزيد. ويأتي هذا الرجل ليقول، «لا يمكنني أن أفرض عقوبات لأن ذلك سيؤذي الشعب في حالة اذا ما استولى العسكر على الحكم». ولا احد يعلق على ذلك. فعليك أن تعجب.

■ سؤال : اذا ما كانت الصحافة ووسائل الاعلام ذليلة وهامدة جداً حقيقة كما اوحيت بذلك فلِمَ قامت ادارة بوش، خلال فترة الحرب، بجهود مضنية من اجل السيطرة على هذه الوسائل، والتركيز عليها، وارسال مراقبين وراصدين معها الى ميدان المعركة، وذلك للاشراف على تحركاتها ومراقبة تقاريرها فعلياً ؟

جــواب : لا يوجد هناك نظام سلطة مرضي عنه من قبل. فخلال الحرب الأفغانية في حقبة ما قبل غورباتشوف، أو العهد الستاليني القديم، فان القيادة السوفييتية العليا والحزب الشيوعي قد شجبوا بشدة أجهزة الاعلام لكونها لم تكن وطنية ومتحمسة، ولا ترفع الشعار كاملاً، وتساهم في تقويض المجهود الحربي في الوطن.

وليس هنالك درجة من الخنوع الذي يفي بالغرض لأي سلطة أو نظام. ولم أدقق في ذلك، ولكن اذا ما راهنتك بالرجوع للوراء الى عهد وزارة الداخلية النازية برئاسة غوبلز فانه من المحتمل ان تجد بأنهم كانوا ينتقدون الصحافة الالمانية لكونها لم تكن وطنية ومتحمسة تماماً. وفي الحقيقة، فان الصحافة تعتبر كعنصر عدائي او خصمي. وهذا صحيح من وجهة نظر الاشخاص الذين يتولون السلطة. فاذا لم تكن تسبح وتتغنى

بالسلطة الحاكمة في كل دقيقة من اليوم، فانها تعتبر لا تحتمل ولا تطاق من قبل السلطة.

■ سؤال : لقد اظهرت الاستطلاعات بان الجمهور قد ايد بقوة هذه السيطرة والاشراف على وسائل الاعلام. ولا يحتاج الامر لذكاء لمعرفة ان هناك عداء شعبي واضح وملموس تجاه الصحافة ووسائل الاعلام. فكيف تقيم ذلك ؟

جـواب : إن نوع العداء الموجود في هذه البلاد للصحافة هو امر مثير للدهشة فهناك عداء تجاه وسائل الاعلام، وتجاه الكونغرس، وتجاه كل مؤسسة تقريباً باستثناء مؤسسة واحدة، وهي الجهاز المشترك. فلا يوجد عداء تجاهها. فهذا يخبرك بالضبط من الذي يدير ويسير البلاد. ولا بأس من ان تنتقد وسائل الاعلام، ورجال الكونغرس، والمحاكم او القضاء، ورجال الشرطة. وبإمكانك أن تقول بأن الرئيس هو مهرج. ويمكنك أن تفعل أي شيء كان ما عدا أن تنتقد السلطة الفعلية المركزية. حتى انه ليس مسموح لك ان تعرف بأنها موجودة. انها مخفية وغير مرئية.

وكان ذلك مدهشاً جداً في علم مصطلحات اورويل ذلك انه صمم في الثمانينات ليبين كيف هي المصالح الخاصة التي تحدثنا عنها، والتي ناقشناها في مقابلة سابقة. ولنقول مجدداً، ان الحزب الديمقراطي غالباً ما اتهم بكونه حزب المصالح الخاصة، العمال، النساء الشباب، الكبار، وحزب كل واحد. ولكن اذا ما دققت ذلك، فانك ستجد لخفاء لا فت للنظر عن المصالح الخاصة وهي: انه لا يوجد أي شيء فيما يتعلق بالسلطة المشتركة، وهي سلطة الاعمال. ليوحي الأمر بأنها ليست موجودة، وليست لها مصلحة خاصة.

ويبدو هذا الإلغاء صحيحاً بالنسبة للمنح الدراسية والتعليمية ايضاً. فمنذ سنوات مضت، وفي حقبة السبعينات، فقد كان يوجد هناك دراسة اكاديمية نادرة جداً فيما يتعلق بالمؤسسات والسياسة الخارجية. وكان ذلك الشخص يكتب مقالة، في احدى تلك الصحف. وبدأ كتابته باستعراض معيار الأعمال ناظراً الى هذا السؤال. وتناول مائتي عمل رئيسي تتعلق بالشؤون الدولية، والسياسة الخارجية ليرى ماذا كانت تقول عن المؤسسات والسياسة الخارجية. واكتشف، مع استغرابه بذلك لأنه كان سانجاً

تماماً، بأنهم قد تجنبوا الموضوع. فقال ان ما نسبته (٩٥) بالمئة من الدراسات لم تذكر المؤسسات والسياسة الخارجية أبداً. وخمسة بالمئة فقط مرت عليها مروراً فحسب. وكانت هناك دراسة عديدة ووافرة عن النساء، رجال الدين والسياسة الخارجية، إلا انه لم يتحدث كائن من كان عن المؤسسات والسياسة الخارجية. ومضى في تفكيره وتأمله ليصل الى انها تمارس اشراف ومراقبة غريبين. وتوصل الى انه اذا ما بدأ الباحثون بالبحث في مسألة المؤسسات والسياسة الخارجية فانه من المحتمل انهم سيجدون انه يوجد هناك بعض النفوذ.

ويظهر ذلك انضباط وتهذيب حرفة المثقف. فانك تريد ان تتأكد بأنك لم تدرس مطلقاً ما هو مهم. فسيكون ذلك خطراً جداً. ومجال التاريخ الدبلوماسي، الذي يعتبر مجالاً مثيراً، يعتني بشكل كبير بالشخصيات. وكنت خضت مناقشة حول هذا الموضوع مع مؤرخين راديكاليين الذين هم على خلاف بقوة مع ما اقوله هنا. ولكن من وجهة نظري فإن الاهتمام حول القرارات الشخصية والشخصيات القيادية هو أمر مهم كمثل مناقشة شخصيات مجلس ادارة شركة جنرال موتورز. ومما لا شك فيه فانها صنعت بضعة مئات من القرارات، بيد ان التأثيرات الساحقة لها كانت مؤسساتية، تعمل مع التركيبة المؤسساتية. وسواء كان جورج بوش يعتقد بما كان يقوله، او هل يتذكر رونالد ريغان هذا، من هو الذي كان مستشاراً خاصاً وقال ذلك، وما كان لديه للإفطار ذلك الصباح – نعم، فهذه هي كافة الأسئلة حول هذه الشخصيات المهمة، والتي هي غير مفهومة او واضحة تماماً، بل انهم يطلعونك بشكل ضئيل جداً عن السياسة. ومع ذلك فانها هي الوسيلة التي تعمل فيها الحرف الاكاديمية، وكل الوسائل التي تتغلب على الانتقادات الراديكالية، ليس بشكل تام، وانما الى ابعد حد.

ويمكنك ان تجد ذلك في المجال العام فاذا ما كانت ماساشوستس تعاني من ازمات اقتصادية خطيرة، فما الذي يكرهه الناس؟ فخذ مثلاً صحيفة بوستن غلوب (هذا الصباح). انها تتحدث عن شعبية الحاكم بعد ان صرف من خدمته، لماذا؟ لانه كان يهاجم المواطنين الذين كل واحد منهم كان يكره المستخدمين والفقراء، فذلك هو الذي يكرهه كل واحد. فهل هم سبب المشكلة الاقتصادية؟ أم ان هناك عاملاً اخر مشترك فيما يحدث في اقتصاد نيوانجلند اضافة لوجود الفقر والبطالة هناك؟ وبالطبع، فإن الناس يكرهون وسائل الاعلام أيضاً. فقد سمحتم أنتم بكرههم. ففي الحقيقة، فانتم قد سمحتم

يكره كل واحد باستثناء اولئك الأشخاص الذين لا يتواجدون، أي الاشخاص الذين يديرون الأمور من وراء الستار، اولئك الذين تتركز السلطة والقرار بايديهم، والذين يصدرون قرارات الاستثمارات، والذين يبنون الاطار الذي تعمل بموجبه الدولة والحكومة، ويملكون وسائل الاعلام، ويشرفون عليها ويضعون القواعد التي تعمل وتسير عليها. فتلك المؤسسات لا يسمح لك بكرهها او بغضها، او حتى ان تعلم عن وجودها.

وفي الحقيقة، فان جزء من جهاز الدعاية والاعلام يعزز ويدعم الفكرة من ان المؤسسات تتشكل من أشخاص يشبهوننا تماماً. فهناك اشخاص يشبهوننا من ناحية، يسيرون من سلطة تنفيذية مشتركة الى عامل شريف الى ربة منزل وهكذا. فذلك نحن جميعاً. ومن ثم فهناك «هم»، موظفو الحكومة، الفقراء، الكونجرس وكافة هؤلاء الأشخاص السيئين الذين يحاولون جعل الحياة قاسية امامنا. فهذه هي الصورة. وانها لم تصور او ترسم بطريق الصدف. فهناك قد عمل جهد عظيم، وربما قد انفق نحو بليون دولار على الدعاية سنوياً، وعلى العلاقات العامة في اوسع اشكالها، ومحاولة ابداع هذه الصور في افلام، ودعاية صريحة، وبعثات دراسية، وكلها وضعت وصيغت في هذه العبارات، وبشكل واعٍ تماماً. ويعرف المواطنون الذين يعملون في العلاقات العامة الصناعية ما الذي يفعلونه ويقومون به، وانهم لن يؤدوا عملهم اذا لم ينجزوا هذا.

■ **سؤال : بوضوح ان لك خبرة في العلم. فانك تقوم بجمع المعلومات والحقائق، وتحللها وتصل الى نتيجة معينة. واعتقد بان الأمر الاخير قد لا يتفق معك فيه الناس. ولكنني كنت مهتماً لارى عرض كتابك «اعاقة الديمقراطية» الذي صدر في تشرين اول ١٩٩١ للناشر ماثيو روتشيلد. وقد راى فيه البعض ان نظرياتك كانت ضعيفة فيما يتعلق بمجال معين لوسائل الاعلام. ويذهب روتشيلد الى حد الايحاء بان لك نظرية تامرية بشان وسائل الاعلام. فما هو تعليقك على ذلك ؟**

جواب : ان الكتاب الذي ذكرته يتحدث قليلاً فقط عن الطريقة التي تعمل فيها وسائل الاعلام. وانما يحتوي فقط على بحث ومناقشة الأمثلة. وقد تحدثت عن ذلك والطريقة التي تعمل بها وسائل الاعلام في مجالات أخرى، وليس في هذا الكتاب. ولكن من المثير

للدهشة بأنه قد أطلق عليها لقب نظرية تآمرية. وذلك لأنني قلت وبالاشتراك مع ادوارد هيرمان هو انه توجد هناك عوامل مؤسساتية تعمل لاعاقة الطريق امام وسائل الاعلام. والنقد الذي اوردته لكل من يهوشوا كوهين وجويل روجرز، هو مخالف فعلياً لما صورته. فقد قالا بأنني لم استرسل او اذهب بعيداً تماماً في التحدث عن العوامل المؤسساتية.

بيد ان استعراض روتشيلد كان مهتماً لانني لم أناقش العوامل المؤسساتية ولم اخصص وقتاً كافياً لبحث القرارات الخاصة التي تتخذ من قبل رؤساء تحرير الصحف، المراسلين الصحفيين، وموظفي الحكومة، الخ. وفي هذا الكتاب، فقد اخذت العوامل المؤسساتية على انها امر مسلم به، والذي ذكرت ونوقشت بشكل واضح وصريح في أمكنة متعددة ومختلفة، مع انه يوجد في الكتاب فصل طويل مكرس للايدلوجية التي تقف وراء ذلك، منذ القرن السابع عشر وحتى اليوم، والذي يعتني بأسباب وسائل الدعاية والاعلام وتوجيه الفكر، وذلك لكي يتم تهميش الجمهور. وقد يدعو ذلك بأنها نظرية تآمرية، إلا أنني لم اقصد ذلك.

إلا أن الحقيقة بأن الجمهور قد تأثر على الفور بعبارة «النظرية التآمرية». فنظرية التآمر تحتوي على شيء سيء. لذلك فإذا ما ذكر اي شخص عبارة نظرية التآمر، فان ذلك يعني ان هناك شيئاً ما خطأ. ومن ناحية أخرى، فاذا ما نظرت الى العوامل المؤسساتية التي تقيد القرارات، وتخبرك الشيء الكثير عند السجل الفعلي للتفكير حول الموضوع. لذلك فان عليك ان لا تنظر لذلك. وفي الحقيقة فإن روتشيلد لم ينظر لذلك.

ويمكنك أن تتخيل ماذا سيحدث اذا تفاعل الناس مع التحليلات الاقتصادية بهذه الطريقة. ودعنا نعود الى قضية «جنرال موتورز» مرة ثانية. فبعض الاقتصاديين تحدث عن قرارات مؤسسة «جنرال موتورز». فقد تحدث عن الاهتمام العام من أجل زيادة مشاركة السوق والارباح والفوائد، وماذا سيحدث اذا ما صنعت هذا النوع من السيارات أو ذاك النوع، والاهتمام بالتكلفة ايضاً، الخ.

وافترض بأن أحد ما قد عاد وقال، انها عبارة عن نظرية تآمرية، وذلك لأنك لم تقابل السكرتير التنفيذي لمعرفة ما حدث في اجتماع المدراء حول هذه المسألة وتلك، ومن قال هذا، الخ. فذلك سيكون عبارة عن نكتة.

وهناك عوامل رئيسة عليها ان تتفاعل مع الطريقة التي تتفاعل بها وظيفة وعمل

الأنظمة والأجهزة التي تقرر بصورة ساحقة الطريقة التي تسير بها وسائل الاعلام. وقد ناقشت ذلك في نواحي وأمكنة أخرى. فكوهين وروجرز قالا في نقدهما بانني لم اذهب بعيداً بما فيه الكفاية في ذلك الاتجاه، ويمكن أن يكون ذلك صحيحاً.

■ **سؤال: كيف تحلل حقائق ومعلومات الاقتراع؟ فانا اعرف من خلال احاديثك العامة عندما تورد ذكر الاقتراعات فانك تضيف دوماً كلمة تحذيرية. فما هي النصيحة التي تقدمها لأي كان فيما يتعلق باستخدام حقائق الاستطلاعات ؟**

جواب : على العكس من النقد الكثير، فإنني لا اعتقد بأن حقائق الاستطلاع هي ملفقة او زائفة. واعتقد بأنها دقيقة تماماً، وضمن حدود الإمكانيات. وعليك ان تنظر بإمعان للسؤال الذي يطرح. ويمكنك أن تحصل على نتائج مختلفة تماماً بالتغير الضئيل لطبيعة السؤال. فذلك لماذا عليك ان تنظر لذلك بحذر. ففي الاستطلاع الذي أجري بمنتصف كانون ثاني ١٩٩١ حول استفتاء الجمهور بشأن تسوية سلمية للانسحاب العراقي من الكويت، فقد كان من المهم ملاحظة ان سؤال الاستطلاع بدأ بالقول: ان الرئيس يعارض ذلك. فماذا تعتقد؟ وبما ان السؤال طرح بهذه الطريقة، فانك تعلم للتو بأن هناك انحراف كبير، لأن تكون هناك نزعة قوية لدعم الرئيس في أوقات الأزمات، لذلك فان عليك ان تحلل الوضع. فنتائج الاستطلاعات مدهشة، لكن عليك ان تدققها بعناية وان تتمعن بكيفية طرحها، وما هي خلفياتها، وما هو الاطار الذي سئلت فيه، الخ.

ودعني اقدم لك مثالاً آخر. فكثير من اليساريين الذين شهدوا الاستطلاعات خلال الثمانينات يقولون بأن الجمهور كان يعارض بقوة مساندة ثوار الكونترا ولم يكن ذلك زائفاً فحسب، وانما مخادعاً أيضاً، لان كثير من الناس لم يعرفوا حتى مع أي جانب كنا نقف، ولماذا يجب علينا مساندة هذه الجماعات؟ فذلك ليس له علاقة بهذه المسألة، وان ذلك العامل ينبغي أن يفصل قبل استخدامك مادة مثل تلك.

■ **سؤال : كنت خاضعاً على مدى سنوات لعدد من الهجمات الشخصية. ولا اريد منك الخوض في اجابة مفصلة لأنك قد فعلت ذلك في مكان اخر. بيد انه يتملكني الفضول بخصوص فهمك وادراكك لشخصية وطبيعة هذه الهجمات. وما هي الدوافع خلفها ؟ ولماذا**

تستمر ؟ وساعطيك مثالين حول ذلك. ففي عام ١٩٩١، تحدثت عن اطفال الشرق الاوسط، مما اثار السخط عليك ووصفوك «بالمدافع عن منظمة التحرير الفلسطينية»، وحتى عندما كانت ترتكب عمليات القتل ضد الاطفال اليهود. ولقد وصفك الن درشوتيز، بانك «مناهض متحمس للصهيونية، ومعادٍ لإسرائيل ولاميركا والغرب». فهل ترك اي شيء بعد ذلك ؟

جواب : إنني لم اقرأ ذلك، لذلك فلا يمكنني التحدث بهذا الشأن .

■ **سؤال: ولكن ماذا عن هذه الهجمات الشخصية؟ وكيف ترد عليها ؟ وكيف يمكنك الرد عليها ؟**

جـــواب : لا يمكنك ذلك حقيقة. فلا توجد هناك طريقة للرد. فقذف الطين يفعل مفعوله دوماً. ومرة ثانية، فان ذلك من جراء أو بسبب مؤسساتي بشكل جزئي، غير انه في هذه الحالة كان شخصياً بشكل جزئي ايضاً. ففي مسألة اساتذة «بيركلي»، فقد وردت رسائل بعد ستة أسابيع من وجودي هناك، وكانت الرسائل موجهة الى مكتبات بيع الكتب، تقول بأنه لا يجب ان يسمح ببيع كتبي او مؤلفاتي. كما انني ابلغت، مع انني لم أكن متأكداً من ذلك،بأنه كانت هناك محاولة بأن يجعلوهم يسحبون كتبي من المكتبات هناك. وأعتقد بأن ذلك أمر مفهوم تماماً وأحترمه. فهناك أناس يعرفون تماماً بأنهم لا يحبون ما أقوله. وهم يعرفون بأنه ليست لديهم الكفاءة أو المعرفة للرد، لذلك فإن الشيء الوحيد الذي يفعلونه هو الاغلاق أو السد، وذلك لمنعه من ان يسمع ولأنهم لا يمكنهم أن يردوا عليه. لذلك فإنك تقول بأنني قد أيدت منظمة التحرير الفلسطينية، الخ. فمن المحتمل أن معظمهم لم يعرفوا ما قلته عن ذلك. إلا أن محرر الرسالة المذكورة، وهو روبرت الترر، يعرف تماماً، بأنني قد شجبت منظمة التحرير لقيامها بتلك الأعمال، ومن الممكن بشكل اقصى، وعلى نحو واضح اكثر مما فعله أو قاله هو نفسه. إلا أن ذلك لا يهم. فالحقائق لا صلة لها بالموضوع.

وبالنسبة لديرشويتز، فهناك نفس القصة جزئياً. ومرة أخرى، فهو يعرف بأنه لم يكن بوسعه الرد عما قلته. فليس لديه المعرفة او الكفاءة ليتعامل مع هذه المسائل. لذلك، فان الفكرة هي محاولة اغلاق ذلك وسده وذلك بقذف المزيد من الوحل بقدر ما

يستطيعون. وهنالك قصة شهيرة نسبت الى سام ايرفن، وهو سناتور محافظ عندما قال مرة بأنه بصفته محامياً شاباً فانه قد علم بأنه لو ان القانون كان ضدنا، فانه سيتركز على الحقائق. واذا ما كانت الحقائق ضدك، فاشجب عندئذ مجلسك المعارض. ولم يكن ديرشويتز ذكياً جداً، إلا انه فهم ذلك كثيراً. واذا لم تستطع الاجابة على الحقائق، واذا لم تستطع ايضا الاجابة على المبادىء، فانه من الأفضل لك ان تقذف بالوحل. ففي مثل حالته فانه لا بد وان يكون هناك سبب شخصي وراء ذلك. وكان في جهاد شخصي على مدى العشرين سنة الأخيرة، وقد عهدته وهو يقوم بهجومه الشخصي الكاذب على شخصية اسرائيلية تحررية قيادية. فبالرغم من تظاهراته، فانه قد عارض بقوة الحريات المدنية. وباستغلاله لمنصبه كاستاذ قانون بجامعة هارفارد، فقد فضل ما قررته المحاكم الاسرائيلية. إلا انه كان كاذباً صراحة في ذلك. وكان هذا في صحيفة غلوب بوستن عام (١٩٧٢)، عندما كتبت رسالة قصيرة فندت فيها ذلك. ثم عاد بعد ذلك بمدة قصيرة ليهتم كل واحد بالكذب وتحداني بأن استشهد من سجلات المحاكم. فلم يكن يعتقد أبداً بأنه كان لدي عدد منها، ولكنني الطبع قد فعلت ذلك. واستشهدت بسجلات المحاكم في ردي على ذلك. وحاول ان يتواقح بعدئذ مرة ثانية. وانتهى الأمر أخيراً بارسالي نسخ من سجلات المحاكم الى محقق صحيفة غلوب، الذي لم يعرف ما يفعله مع اناس يتخذون مواقف معارضة فحسب. فترجمت له ذلك، واقترحت عليه بأن يستخدم خبرته الذاتية لتدقيق الترجمة. واخيراً أبلغ المدقق ديرشويتز بأنهم، في الصحيفة، لن ينشروا أية رسائل اخرى له لأنه كان يكذب صراحة.

ومنذ ذلك الحين فقد كان يحاول الحصول على ذلك. لذلك فقد كان هناك جيشان وانفعال هستيري اثر الآخر. وهذا ليس عجيباً. فهو عبارة عن مهرج بشكل رئيسي. وفي تلك الحالة كانت هناك مسألة تغطي المسألة السياسية، التي هي مسألة اكثر اهمية. فهذه المسألة الشخصية ليست مثير للاهتمام. ولكن اذا ما نظرت الى عصبة مكافحة الافتراء أو اساتذة «بيركلي» وهناك الكثير غيرهم، فهذه هي قصة سام ايرفن. وانت تعلم بانه ليس بامكانك التعامل مع المائة. فسواء تجاهلت ذلك، أم انه لا يمكنك تجاهل ذلك، فعندئذ فانك ستشهر بالمتحدث. وتلك هي الطريقة الوحيدة فقط التي يمكنك ان تتعامل معها اذا لم يكن لديك فهم أو معرفة او انك تعرف ان موقفك لا يمكن ان يدافع عنه. واعتقد بأن ذلك أمر قابل للفهم، ويمكنك ان تقدره. فتلك هي سمة أو صفة المفوض.

■ سؤال : إن الافكار الثلاث التي تميز هذه الهجمات عليك هي بسبب تاييدك لمنظمة التحرير الفلسطينية وارهابها وتبريرك للمجازر الجماعية التي ارتكبها النازيون والخمير الحمر، فما هو تعليقك ؟

جواب : انها جميعها مزيفة ومفبركة. فبالنسبة لمسألة الدعم لمنظمة التحرير فانني قد انتقدتها بشدة من قبل. وليس هنالك شك بهذا الشأن، وبالنسبة لمسألة الخمير الحمر، فنادراً ما قلت أي شيء منفرداً، إلا ان إد هيرمان وأنا، الذي كتبنا عن هذا الموضوع عدة مرات، لم نشجب أعمالهم الوحشية فحسب وانما ايضا قد قارنا ذلك مع المذابح التي جرت في أندونيسيا في منطقة تيمور، والتي كانت من أسوأ المجازر المتعلقة بالسكان منذ حرب الابادة النازية. وأن الناس قد انزعجوا بشأن الذي قلته أو كتبته: فدعنا نقول الحقيقة حول كلا المسألتين.

وكانت ردات الفعل مثيرة. فالسكوت التام من قبل الولايات المتحدة على المذابح التي ارتكبت في اقليم تيمور، اعتبر دعماً اميركياً بهذا الصدد. وبالنسبة لمسألة الخمير الحمر، فقد كان يوجد هناك ادعاء بأننا كنا نؤيد اعمالها الوحشية عندما قلنا بأنه يجب علينا ان نقول الحقيقة عنها بدلاً من الكذب حولها خدمة لأهداف الدولة.

كما ان مسألة فيوريسن هي مثيرة للاهتمام ايضاً (التي ادُّعيَ بأنني قد ايدت الراي من ان غرف الغاز النازية لم تكن موجودة). فموقفي من هذه المسألة كان واضحاً وقبل أن تثار هذه المسألة. وفي الحقيقة فإن مقدمة كتابي الأول، بحثت في موضوع النازيين الذين أنكروا الجرائم النازية وبينت بأنه حتى في مجرد الدخول في مناقشة مع مثل أولئك الأشخاص، فانك بذلك تفقد انسانيتك، مع انه عليك أحياناً أن تقوم بذلك. فمسألة فيوريسن هي مسألة طبق القانون الفاشي، اي ان يعاقب شخص ما من اجل تزييف التاريخ. فذلك معيار ستاليني، وعقيدة فاشية، وسبق أن عارضت كل من الستالينية والفاشية، بالنسبة لهذه المسألة كما بالنسبة للعديد غيرها. لذلك وبما انني أؤيد الحق في تدريس حرب الجرائم الأميركية في الجامعات، وحتى في الوقت الذي يستخدم في بحثها من اجل جرائم الحرب، فإنني أؤيد حق الشعب في البوح والتحدث بالأمور الرهيبة والمروعة كما يرغبون ويريدون، وحتى لو أن المرء لا يرغب بذلك.

لذلك وعلى سبيل المثال، فإذا ما نشرت مجلة الكونغرس الاميركية اليهودية، كما

فعلت مؤخراً، مقالاً ادعت فيه بان المذابح الجماعية النازية للفجر ما هي الا من نسيج الخيال، فلا اقول بانه يجب جلب محررين هذه المجلة للمحكمة من اجل انكار تلك المذابح الجماعية والتي كانت في الواقع متشابهة مع حرب الابادة ضد اليهود. واذا ما ارادوا نشر اكاذيبهم الشائنة، فانه ينبغي ان يكون لديهم الحق للقيام بذلك. واذا ما جلبت للمحكمة، فانني سأدافع عن حقهم ليقولوا ما يريدون. والناس الذين عارضوا حرية الكلام، او الذين لديهم حوافزهم الخاصة لمحاولة اسكات الانتقادات، وسيحولوا هذا بشكل طبيعي الى ما يريدونه.

■ **سؤال : لقد اوحى إد هيرمان بان هذه الهجومات عليك والاصرار على انتقادك ما هي في الحقيقة إلا ضريبة لفعاليتك وذلك ما حدث، فما هو رايك بذلك ؟**

جواب : اعتقد بان هذا معقول. على نحو متصادف، فانه استغرق وقتاً طويلاً قبل ذلك. فمنذ المرة الاولى التي فتحت فيها فمي، فقد بدأت الهجمات علي.

■ **سؤال : هل تعلق ذلك بالحرب في الهند الصينية ؟**

جـواب : نعم، فقد بدأت مباشرة في عام ١٩٦٩. ودعني أورد لك مثالاً ففي أول كتاب الفته، وهو «السلطة الأميركية والمذنبين الجدد»، كان يوجد هناك خطأً بسيطاً في الطبعة الاولى، اي انني نسبت اقتباس للرئيس ترومان التي كانت في الحقيقة فقرة وثيقة جداً، وفقرة حرفية تقريباً لما قاله في مصدر ثانوي. وحصلت على ملاحظة مختلطة وبدلاً من الاشارة الى المصدر الثانوي فقد أشرت الى ترومان. وقد صحح ذلك خلال حوالي شهرين في الطبعة الثانية. ولم يكن هناك بحث دراسي الا وتعرض لمثل هذا الخطأ المشابه. فقد كانت هناك عشرات المقالات على الأقل، اذا لم يكن اكثر، مستخدمة هذا الخطأ لشجبي، لإثبات بانه لا يمكن الاعتقاد باي شيء، يقال من قبل اي كاتب يساري، الخ. إذ ان هؤلاء يعتبرون اناساً يائسين فثقافة المفوض اليساري هي ثقافة بائسة باعتقادهم. وهم يعرفون بانهم لا يمكنهم الصمود امام النقد، ولذلك فإن عليك ان تسكتهم.

بيد ان ذلك لم يؤثر فيّ. فدعنا نأخذ هذا الهجوم الأخير على ما دعي بالتصحيح السياسي. والقصة الحقيقية هي ما ذكرته من قبل، حول الدراسات الاكاديمية

للمؤسسات والسياسة الخارجية. فهناك تقريباً سيطرة تامة وحديدية على المناهج الدراسية والافكار الى درجة كبيرة على الجانب اليساري او على الفئة اليسارية. ولكن منذ الستينات، كان يوجد هناك توقفان عن ذلك. وكان يثار الشيء القليل فقط. فعلى سبيل المثال، فانه لم يعد بإمكانك ان تكون عنصرياً وعرقياً بشكل واضح، ولم يعد بإمكانك ان تتحدث عن اكتشاف اميركا بالطريقة الفعالة والهامة الذي لم يسبق لها مثيل في الجنس البشري، الخ. وهناك قيود مختلفة على ذلك. وكان اليساريون متذمرون من ذلك. فالفكرة بانه يمكن ان تكون هناك استقلالية في الفكر، وهذا امر خطير جداً. لذلك فقد شن هجوماً كبيراً على اليساريين الفاشيست الذين يسيطرون على الجامعات والثقافة. فهناك مئات المقالات التي تتحدث عن كيفية استغلالنا للجامعات الحرة، ولهذا البلد الحر، بل انها تدار الآن من قبل الوحوش الفاشيست اليساريين. فعندما تقرأ مئات الهجومات عليهم ولا يكون هنالك دفاع عن ذلك، فان عليك ان تستغرب وهو انه: اذا ما كان اليساريون الفاشيست يديرون البلاد حالياً، فكيف صدف بانهم يشُجبون بشن مئات الهجمات عليهم ودون ان يدافعوا عن أنفسهم؟

وشيء مثير اخر حول مسالة الهجومات هو انهم يدعونهم دوماً «باليساريين الفاشيست». والمفترض باننا قبلنا بالقصة برمتها. عندما ألقى جورج بوش خطاباً في جامعة ميتشغان شاجباً فيه الاشخاص الذين كانوا يسكتون كل واحد بالتخويف وذلك بسبب الملاحظات العرقية والعنصرية المزعومة، وقد دعاهم «باليساريين». وكل واحد يدعوهم «باليساريين»، لماذا؟ فالافتراض هو ان كل واحد غير عنصري او غير عرقي ويقف الى جانب ثقافات الآخرين، فلا بد وان يكون في صف اليسار، ولذلك ينبغي علينا ان نكون ضدهم. فهذا في الحد ذاته افتراض عجيب. اذ انها كلها تلائم بعضها البعض.

والنقطة هي ان الأشخاص الذين يملكون السلطة والامتياز هم متخوفون بشكل طبيعي لأي خرق في ذلك. ففي الستينات، عندما بدأ الطلاب يطرحون الأسئلة بدلاً من نقل الملاحظات فحسب، وكانت الهيئات التعليمية تتصرف وكأن الجامعات كانت تحترق. وكانت المكتبات تحترق في كافة أنحاء البلاد لأن الطلاب كانوا يطرحون الاسئلة. انها ردة فعل طبيعية لجزء من الناس الذين استغلوا بدرجة مئة بالمئة في الطاعة والإذعان. اذ

انه يشبه كمن الذي يعود الى شيء ما تحدثنا عنه من قبل، فالقيادة العليا السوفياتية والحزب الشيوعي الروسي كانا يشجبان الصحافة ووسائل الاعالم بسبب عدم وطنيتها. فمن وجهة نظر السلطة، فلا توجد هناك درجة من التبعية تفي بالغرض. واذا وجد اي شيء بانه لا يمكن ان يكون متجاهلاً تماماً، فعليك أن تشن عندئذ حملة كبيرة للقضاء على ذلك لانه قد سمع بذلك فقط.

ومرة ثانية، فهناك اختلافات مثيرة جداً ما بين الدول الديمقراطية والاستبدادية في هذا الصدد. فهي مختلفة تماماً. فعلى سبيل المثال، في الاتحاد السوفياتي، في الحقبة التي سبقت عهد غورباتشوف، كانت الصحف السرية هي الأكثر توزيعاً هناك. وهناك بعض التقديرات من انها كانت تصل تقريباً الى اكثر من نصف السكان المتعلمين. وفي البلدان الديمقراطية، فانه لا يسمح بذلك مطلقاً. فيمكنك ان تقرا مجلة «زد» أو أن تستمع الى برنامجك المفضل، إلا ان ذلك لا يصل سوى الى واحد بالمئة من السكان، وهذا يعتبر امراً خطيراً. اما في البلدان الديكتاتورية، فانه يمكنك ان تصل لنسبة خمسين بالمئة وان لا يهتموا بذلك كثيراً. فلم يكن ذلك ليشكل كثيراً من المتاعب ليغلقوا معها الصحف السرية. فلم يكن ذلك يستحق. وما دام ان الناس يحكمون بواسطة القوة، فالافتراض هو ان لا تهتم كثيراً بما يفكرون به.

■ سؤال : لقد ابلغت بيل مويرز في مقابلة معه من انك منحت فرصة بان تقوم بالامور بصورة مختلفة. وكنت اتساءل اذا ما كنت تفكر بمسالة فيوريسن ؟

جواب : لا، ان ما كنت افكر به كان في الحقيقة ما قلته له. فبالنسبة لقضية الحرب في الهند الصينية، والتي كانت تعتبر رئيسة، فقد بدأت بذلك متأخراً جداً. ولم انخرط في ذلك بشكل جاد لغاية ١٩٦٤. وكان عليّ أن اقول الشيء ذاته حول الامور العديدة الاخرى. ولناخذ مثلاً الاعمال الوحشية التي ارتكبت في تيمور. فلم أكتب عنها لغاية اواخر عام ١٩٧٨. واستمر ذلك لثلاث سنوات اخرى. وكان يوجد هناك كثير من الأمور مثل ذلك. نعم، فهناك الكثير من الامور مثل ذلك فقد قمت بها بصورة مختلفة اذا ما كان عليّ أن افكر بها. وانني متاكد بان هناك مسائل اخرى متواجدة حالياً ذلك ان عليّ أن افكر بها فيما بعد.

■ **سؤال : انك لم تتضمن تلك الرسالة التي كتبتها الى سيرج ثيون، مدافعاً فيها عن حرية الكلام حتى في احلك الظروف ؟ فذلك ما استخدمه فيما بعد، وبدون معرفتك وموافقتك، كرد على مذكرات فيوريسون، عندما حاول «تزييف التاريخ» بعد نشر حججه من ان غرف الغاز لم تكن موجودة، في العهد النازي. فما هو رايك ؟**

جــواب : اذا ما سألتني، هل يجب علي القيام بذلك، فانني سأجيبك بنعم، فباستعادة الاحداث الماضية والتأمل فيها، فانه سيكون من الأفضل ان لا افعل ذلك، ويمكن ذلك فقط في حالة عدم اعطاء فرصة كافية بالنسبة للاشخاص الذين شهدوا المعتقلات النازية في ديرشويتز، والذين التزموا جداً في منع حرية الكلام فيما يتعلق بالمسائل العربية ـ الاسرائيلية، والتبادل الحر للافكار. فلا اعرف. فيمكنك القول او التحدث على اسس تكتيكية، بيد انها ليست تلك الطريقة العلمية، في راي. فينبغي عليك ان تقوم بما تعتقد او تؤمن بأنه صحيح وليس ما قد يكون مفيداً من الناحية التكتيكية.

■ **سؤال : لقد قلت غالباً بان كل رئيس امريكي ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية يمكن ان يعتبر مجرم حرب بموجب مبادىء محاكمات نورمبيرغ، فما هو تعليقك ؟**

جــواب : نعم، كل واحد منهم، وبدون استثناء، قد تورط سواء بصورة مباشرة او غير مباشرة في الاعمال الوحشية وجرائم الحرب. فمنذ كارتر مثلاً، الذي كان اقل عنفاً من الآخرين. ومع ذلك، فان ادارة كارتر هي التي دعمت بحزم سواء عسكرياً او سياسياً المذابح التي جرت في اقليم تيمور باندونيسيا، والتي ابيد فيها حوالي ربع السكان هناك. ولم تكن تلك هي الحالة الوحيدة. فادارة كارتر قد دعمت ايضاً حلم سوموزا، بالرغم من ادعاءاتها بخلاف ذلك، لغاية ما ادركت بأنها لا يمكنها الاستمرار بذلك طويلاً.

وفي نهاية المطاف، وبعد ان قتل الحرس الوطني التابع لسوموزا حوالي اربعين الف شخص، فان ادارة الرئيس كارتر حاولت اخراج الحرس الوطني من ورطته، وحتى لو لم يكن بالامكان انقاذ سوموزا. وعندما لم تستطع انقاذ الحرس الوطني، فقد قامت باخراجهم من البلاد بطائرات تحمل شارات الصليب الاحمر، وهذه تعتبر جريمة حرب

بذاتها. فتلك ما قامت به افضل الادارات الامريكية. اما بالنسبة لادارتي كل من ريغان وبوش فلسنا حتى بحاجة لان نتكلم عنهما، فحدث عنهما ولا حرج.

■ **سؤال : وماذا بشان «الغريزة من اجل الحرية» لباكونين ؟ فقد كتبت بانك حبذت الاعتقاد بان يكون لدى الناس هذه الغريزة من اجل الحرية، ذلك حتى يمكنهم السيطرة على امورهم، فهم لا يريدون ان يهمشوا، او ان يقمعوا ويكبتوا، الخ. انهم يريدون فرصة للقيام بالامور التي لها معنى، مثل الاعمال البناءة، وبطريقة يمكنهم السيطرة عليها والسيطرة مع الآخرين، ثم كتبت فيما بعد تقول، «لا اعرف اية طريقة لاثبات هذا. وانه امل في الحقيقة بشان ما هو الانسان، امل بانه اذا ما تغيرت التركيبات الاجتماعية بشكل فعال، فان تلك المظاهر للطبيعة الانسانية ستحقق. فما هو قولك ؟**

جـــواب : انه من المستحيل اثبات ذلك او عدم اثباته فلا نعرف أي شيء عن الطبيعة البشرية. واذا ما كنا عاقلين فاننا نعرف بأن ذلك موجود وهناك بدون شك قيود بيولوجية قوية بالطريقة التي نفكر بها، وما نفعل، وما ندرك، وما نتخيل ونظن وبشان مخاوفنا وامالنا ايضاً، الخ. ولكن حول ماذا هي تكون، فبامكانك التعلم اكثر من رواية اكثر مما لا يمكن الحصول عليه من العلم. كما يمكنك ان تعمل على اسس آمالك. واعتقد بانه لا احد قال افضل مما قاله جرامسي في تعليقه الشهير بانه «يجب عليك ان تلخذ بالتشاؤم الفكري التفاؤل بالارادة ». فتلك هي الاستراتيجية المعقولة فقط.

■ **سؤال : انك تختتم محاضراتك احياناً بالاشارة بما تطلق عليه اسم رهان باسكال . فما هو ذلك ؟**

جـواب : ان باسكال يثير التساؤل بقوله : كيف تعرف ان الله موجود ؟ فيقول، اذا ما افترضت ان الله موجود وهو موجود بالفعل، فانني ساقوم بعملي جيداً. واذا لم يكن موجوداً، فانني سلخسر اي شيء. واذا ما كان موجوداً وافترضت بانه ليس موجوداً، فربما اقع في متاعب. فذلك هو المنطق بشكل رئيسي. وفي هذه المسالة التي تخص الحرية الانسانية، اذا ما افترضت بانه لا يوجد هناك امل، فانك ستكفل بانه لن يكون هناك املاً. واذا ما افترضت بان هناك غريزة للحرية، فهناك فرص لتغيير الامور، الخ، وهناك فرصة لك قد تساهم في جعل عالم افضل. فهذا هو خيارك.

بيرل هاربر

تشرين الثاني ١٩٩١

■ سؤال : ان الكسندر كوكبورن يحب اطلاق نكتة من ان اعظم نكبتين وقعتا على السلطة الاميركية في القرن العشرين كانتا الهجوم الياباني على بيرل هاربر، وثانياً، يوم مولدك، وكلاهما صادفا يوم السابع من كانون الاول، وان لك وجهة نظر غير تقليدية فيما يتعلق ببيرل هاربر وبالاحداث التي ادت الى ذلك. فما هو تعليقك ؟

جواب : لقد كتبت عن ذلك منذ زمن طويل، في الستينات. وما اعتقده هو بعيد جداً عما هو موجود فعلياً في الادب المدرسي او التعليمي. فاول كل شيء، دعنا نكون واضحين بشأن ما حدث. انها تختلف عن الصورة الرسمية، فحوالي ساعة من بدء الهجوم على بيرل هاربر هاجمت اليابان الملايو، وكان ذلك غزواً حقيقياً. فالهجوم على بيرل هاربر كان هجوماً استعمارياً، اي على قاعدة عسكرية تابعة للولايات المتحدة. وهو عمل عدواني، بل انه من ضمن الاعمال الوحشية، فالهجوم على قاعدة عسكرية هو ليس شأناً عالياً. وكانت الاعمال الوحشية اليابانية قد حدثت قبل ذلك. وكان هناك المزيد بعد ذلك، الا ان الحدث الرئيسي كان غزو الصين، واغتصاب نانكين، والاعمال الوحشية في منشوريا، وهلم جرا. وخلال تلك المدة لم تكن الولايات المتحدة تقدم يد العون لتلك الدول التي تم الهجوم عليها، بل انها لم تعارض ذلك بشكل قوي.

وكانت المسألة الكبيرة للولايات المتحدة، هل ستقوم باستغلال الهجوم على الصين ام باستغلال ما حدث لها ؟ ام هل ستغلق الامر ؟

وكانت هناك امور اخرى تسير في الخفاء او من وراء الستار في العشرينات، والتي كانت بالطبع حقبة هيمنة الاستعمار البريطاني. ووجدت بريطانيا نفسها غير قادرة على مجاراة الصناعات اليابانية. وكانت صناعة المنسوجات اليابانية تضاهي مصانع لانكشير. وحالما اصبح ذلك واضحاً، فان بريطانيا اسقطت بلاغتها الخيالية بشأن اهمية

وجود تجارة حرة. فلا احد يساند التجارة الحرة ما لم يعتقد بانه سيكسب التنافس. ولم تساند بريطانيا ذلك قبل ان كسبت اللعبة الصناعية، وبعد ذلك سحبت دعمها ذلك. وفي عام ١٩٣٢ عقد مؤتمر مهم في اوتوا، وكانت بريطانيا لا تزال امبراطورية انذاك،فقررت ان تغلق اسواق الامبراطورية البريطانية امام البضائع اليابانية. فرفعت تعريفة الاستيراد الى خمسة وعشرين بالمئة. فاغلقت بذلك اسواق كل من الهند، استراليا، وبورماوغيرها امام البضاع اليابانية.

في غضون ذلك قام الهولنديون بنفس الشيء. كان ذلك في الثلاثينات. وقد فعل الهولنديون الشيء ذاته في اندونيسيا. اما الولايات المتحدة، والتي كانت انذاك تعتبر قوة امبريالية صغيرة، قامت ايضاً بنفس الشيء في الفلبين وكوبا. وقصة الامبرياليين اليابانيين انهم كانوا خاضعين لما اطلقوا عليه طوق او محيط اميركا، بريطانيا، الصين، وهولندا.

وكانت هناك بعض الحقيقة في ذلك. فالفكرة اليابانية كانت تتلخص في انهم ينكرون حقنا في مكان تحت الشمس. فانهم قد احتلوا كل ما ارادوا حينذاك، والآن عندما كنا نحاول ان ندخل الى الساحة متأخرين، فانهم اغلقوها امامنا، والآن عندما كنا نحاول ان ندخل الى الساحة متآخرين، فانهم اغلقوها امامنا، لذلك فنحن لا نستطيع ان ننافسهم بحرية. فتلك كانت القضية، وسنذهب للحرب بناء عليه.

ولم يحدث مثل ذلك بصورة اوتوماتيكية. فغزو منشوريا قد سبق مؤتمر اوتوا، الا ان تلك الامور ظلت مستعمرة. وكان هناك تفاعل لذلك الامر الذي استمر لغاية ١٩٤١. فقد قُيد اليابانيون من قبل القوى الاستعمارية. لذلك فقد كانوا ينفذون ويقومون بمزيد من الاعمال العدوانية ليؤمنوا لانفسهم عالماً ليسيطروا عليه. وأدت تلك الاعمال العدوانية الى المزيد من التصدي والمواجهة من القوى الاستعمارية.

وجرت في النهاية مفاوضات بين الولايات المتحدة واليابان، ما بين وزير الخارجية الامريكية انذاك، والادميرال نوومرا عن اليابان. واستمرت المفاوضات لغاية وقت قصير من ضرب بيرل هاربر، وكانت المسألة تراوح مكانها بشكل رئيسي، هل تفتح اليابان نظامها الاستعماري للتغلغل الاميركي ؟ وفي النهاية توصلا فعليا الى نوع من الاقتراح للعمل به، بيد ان اليابانيين اصروا على مبدأ التعويض او المقابل، اي ان الولايات

المتحدة تقدم المقابل. مما ادى الى رد حاد من الاميركيين. فاغلقوا محادثاتهم مع اولئك الاوغاد الصفر. فحدث الهجوم على بيرل هاربر بعد وقت قصير من ذلك.

وكان هناك تفاعل معقد طيلة مدة الحرب في الباسفيك (المحيط الهادي) فلو أن اليابانيين لم يرتكبوا المجازر وعمليات القتل الجماعية في بعض مناطق اسيا، لكانوا حصلوا على المزيد من الدعم من هناك. فلقد كانوا تلقوا كثيراً من الدعم من الدول التي احتلوها، مثل اندونيسيا. ولكان الكثير من الوطنيين ساندوهم في اسيا. الا انهم وبسبب الوحشية والقسوة التي ابدوها فقد فقدوا الكثير من الدعم الا انهم لم يفقدوه كله. فقد اعتبروا من حيث الجوهر على انهم محرومين، استطاعوا التغلب على الرجل الابيض الذي كان يهيمن على رقاب الشعوب هناك منذ مدة طويلة. لذلك فانها قصة معقدة.

وفي الحقيقة، فانها مسألة حتى اكثر من معقدة. واذكر انه في أوخر الستينات نشرت مؤسسة راند ترجمات لمنشورات يابانية استخدمت في عمليات القمع التي جرت في منشوريا. فقارنتها مع تلك النشرات التي اصدرتها الولايات المتحدة وقتذاك، والاعمال التي قامت بها في فيتنام الجنوبية انها كانت متشابهة الى حد كبير. فهناك امور لم تتغير كثيرا.

وفي الوقت الذي كنت فيه متشككاً بشأن الحرب العالمية الثانية،. فقد اعتدت ان انهب الى مكتبة فيلادلفيا العامة التي كان لديها مجموعة من كافة انواع الصحف الراديكالية الغريبة والعجيبة، وكان لديها ايضاً مواداً مطلعة بكافة انواع التفسيرات لما كان يجري آنذاك، ومن بينها الحرب الزائفة التي كانت دائرة أنذاك - ولا اريد ان اسيء لأي احد كان، ولكنك ستخمن عما اتحدث عنه. ففي تلك الايام كانوا يتواجدون هنا وهناك، ايضاً. وكانت توجد هناك مؤامرة بين البلاشفة وهي الطبقة الحاكمة في روسيا وبين الطبقة الحاكمة الغربية من اجل تدمير البروليتاريا الاوروبية، وكان ذلك ما كانت تسير عليه الحرب في الحقيقة. وهناك نظريات لخرى ايضاً، نظريات غريبة جداً في فحواها، بيد انها ليست غريبة تماماً. فقد كانت لديهم مظاهر تشابه المواد المعلوماتية المتواجدة اليوم التي تحتوي على عناصر متبصرة.

وعندما بدأت عملية تحرير اوروبا فقد كان بامكانك ان ترى ما كان يجري. ذلك انه

في عام ١٩٤٣ اعاد الامريكيون المتعاطفين مع الفاشية في ايطاليا وفي عام ١٩٤٤، وبشكل خاص، عندما قدم البريطانيون الى اليونان، فانه لم يكن غامضاً ما كان يجري هناك. وبحلول شهر كانون اول ١٩٤٤، فانه حتى للذين كانوا يقراون الصحف انذاك فقد امكنهم فهم بانهم كانوا يدمرون المقاومة. فالعناصر التي كانت تقاتل النازيين وتتصدى لهم كانوا يدمرون انذاك من قبل البريطانيين، وبذلك فان البريطانيين حلوا مكان النازيين.

وكان موقفي في ذلك الوقت متلوناً بطابع الصهيونية. وكنا نقول انهم الامبرياليون البريطانيون، انظروا ماذا يفعلون باليهود في فلسطين، وفي اليونان. ولم يكن من السهل بالنسبة لنشط صهيوني ذو خمسة وعشرين عاماً ان يدرك ويستوعب ما كان يجري انذاك، ولكن كان بامكانه ان يرى الاشياء. وفي عامي ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦ ظهرت صحيفة السياسة، التي اعتبرت العين الحقيقة المفتوحة، وكان رئيس تحريرها دوايت ماكدونالد.

■ سؤال : متى بدات بقراءتها انذاك ؟

جواب : ربما قراتها بعد ذلك بسنة، ومن المحتمل ان يكون ذلك في عام ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧، عندما كنت طالباً في الكلية. وكان لذلك تاثيراً ضخماً علي. ولا ادري ماذا سيكون تاثيرها لو اني قراتها الآن، الا انها في ذلك الوقت كان تاثيرها كبيراً علي. وكان رئيس تحريرها كاتباً عجيباً، مثيراً للعواطف جداً، ولديه كثير من النفاق. ولن انسى ابداً بعض المقالات التي قراتها فيها. فعلى سبيل المثال، اتذكر كاتباً ليبيرالياً مغروراً كان يكتب فيها اسمه ماكس لارنر. وماكدونالد، الذي كان مناهضاً جداً للفاشية ـ ولا احد يضاهيه في مناهضته للفاشية ـ كان يصف ما كان يحدث وقتذاك، سواء كان هنا ام هناك او ما كان يسمع عنه، لا ادري. فقد كنت في المانيا انذاك. وكان ماكس لارنر على ما يبدو يرافق القوات الاميركية. فصادفوا في الطريق مجموعة من اللاجئين، كانوا عبارة عن نساء المانيات جائعات يحملن حقائب على ظهورهن، وكن يبحثن عن ملاذ لهن. فيصف ماكدونالد كيف ان لارنر نزل من سيارته الجيب وبدا باستجواب اولئك النساء حول شعورهن بالذنب من جراء تلك الحرب. لقد كان ذلك امراً حاداً جداً، ويحمل ف طياته الكثير من النفاق والشعور الذاتي بعقدة المحرر المحتل واثار ذلك كثير من التساؤلات وكان ذلك ينطبق على كافة كتاباته. ومن احدى الامور هناك انها كانت تلك مسؤولية للمفكرين التي فهمتها فيما بعد.

ديفيد بارساميان : لقد سئلت في عدة محاضرات ولقاءات لاجراء مقارنة بين عملك في اللغويات وفي السياسة. فانني لن اسالك ذلك السؤال.

نعوم تشومسكي : شكراً [ضحك خافت].

ديفيد بارساميان : ولكن ما هو مثير حقاً هو لماذا طرح السؤال ؟

نعوم تشومسكي : انه سؤال مثير، فهو يسأل باستمرار. وما هو اكثر من ذلك، فان هناك اسئلة ايضاً تطرح من قبل كل واحد ما عداي. وهناك ايضاً اجوبة حساسة. ولكن ليس بسبب الاجوبة الحساسة طرح ذلك السؤال. فاعتقد بأن هناك سببين لذلك. الاول هو لانه يوجد هناك افتراض بانه لا يمكنك ان تكون انساناً فحسب، ولا يمكنك ان تكون مهتماً بالمجازر الجماعية لانك لا تحب المجازر الجماعية فحسب. فلا بد ان تهتم بامور اخرى وهناك افتراض ايضاً انه ما لم تكون خبيراً محترفاً في شيء ما، فانه لا يمكنك التحدث عنه. لذلك يوجد هناك اي عدد من وجهات النظر، بما فيها وجهات النظر المحببة، ويجب علي القول، بأن وجهات النظر من قبل اليساريين الذين يستعرضوا كتاباً لي ويقولون، «عجباً لهذه التحليلات الدعائية المثيرة، لانه يستطيع ان يستخدم علم اللغة لينقص من او يخفض من بناء الايديولوجية او شيئاً من هذا القبيل. وانني حتى لا اعرف ماذا تعني كلمة «انقاص البناء»، وما هي وكيف تستخدم.

فلو انك جلست في صفي الدراسي، لكان بامكانك ان ترى الارتباط ما بين ذلك والكتابة حول الايديولوجية. فربما تجرى دراسة طبوغرافية جبرية لكل ذلك الذي يتعلق بالايديولوجية. ولكن على الناس ان يروا بعض الارتباط في ذلك. ولا بد ان يكون بوسعي ان افعل هذا لانني عالم لغوي محترف. وهذا يحمل تضمينياً، انه لا يمكنك ان تقوم بذلك اذا لم تكن عالماً لغوياً. فذلك يعتبر خطاً فاصلاً. فهو يبلغ او يقول للناس ضمنياً، بانه لا يمكنكم القيام بذلك. فلا يمكنك ان تفكر بالعالم، كما لا يمكنك فهم العالم. وربما يمكنك ان تمتلك احاسيساً، ولكن اتركها للخبراء. فهناك يوجد شخص او عالم لغوي محترف، بامكانه ان يحدثك عن الايديولوجية. واذا ما ذهبت الى كلية العلوم السياسية، فانهم سيشرحون ويوضحون لك السياسات، إلا انكم انتم ايها الاناس العاديون، لا يمكنكم او انتم غير قادرين على ذلك تماماً. وانني لا اوحي بأن الاشخاص الذين يكتبون المقالات ووجهات النظر المفضلة يمكنهم ان يقبلوا بهذا الوضع. ففي الحقيقة، فانهم يرفضون

ذلك بقوة، وانني متأكد من ذلك. بيد أنني اعتقد بان هناك شيئاً مخفياً مبطن، يوجد هناك. وبطريقة اخرى لماذا يجب على اي واحد ان ينظر للاشياء التي اكتبها ويقول انني انتقص من بناء الايدولوجية، فماذا ذلك يعني، هل لانني عالم لغوي محترف وذا خبرة ؟

■ سؤال : لقد صرح القائد العام في نيويورك في شهر تشرين اول ١٩٩١ بان الكونغرس «يقوم بدفع نفس البرنامج الحر القديم الى بلد جائع من اجل بناء ما علينا ان ننجزه خارجاً لنجلب النجاح الى بلادنا». وهذا يبدو ليكون في الحقيقة لمجاعة متزايدة في الولايات المتحدة، ولكن ليس من اجل التنوع الذي اوحى به بوش، وسجل الارقام الامريكي، ويشير تقريباً الآن الى الاعتماد على الغذاء كعنصر فعال. فقد نجح ذلك في العراق. وبالطبع، فان ذلك انتصار سريع. وربما يمكنك ان تستعرض مناطق اخرى في العالم، مثل غرينادا، بنما، نيكاراغوا وتيمور الشرقية ؟

جـواب : ان العراق قد تعرض لكارثة من وجهة نظر اية قيم معترف بها. بالطبع، انها كارثة من جهة نظر السياسة الفعلية. ويمكنك قول الشيء ذاته على البلدان الاخرى. فهناك ما حدث في شرق تيمور (اندونيسيا) وارتكاب المزيد من المجازر، دون ابداء الاهتمام المناسب بها. بل ان شرق تيمور اعتبرت ساحة لارتكاب المجازر الجماعية فعلياً من قبل الجيش الاندونيسي. واستمرت الاحداث جارية والدعم الاميركي الحاسم والخطير استمر منذ عهد ادارة الرئيس فورد وحتى عهد ادارة كارتر، والمساعدات الاميركية تنصب، ومنع تدخل الامم المتحدة ليكون الاندونيسيون قادرين على السيطرة على الاقليم، وقتل بالنتيجة اكثر من مائتي الف شخص من اصل سبعمائة الف شخص من اجمالي عدد السكان هناك . هكذا استمرت المجازر والاعمال الوحشية، واستمرت عمليات القمع، مع استمرار المساعدات الاميركية. ولم نكن لوحدنا نقدم المساعدات. بل كانت هناك مساعدات من كل من بريطانيا، هولندا، في اندونيسيا . الا ان المساعدات القصوى كانت من الولايات المتحدة. بل نستطيع القول بأن اي واحد كان يمكنه ان يجني دولاراً كان متواجداً هناك.

ومن احدى اعظم حالات الضرائب في هذه القضية كانت استراليا، فاستراليا كان

لها علاقات خاصة باقليم تيمور. وكان يوجد هناك فدائيون استراليون يحاربون اليابانيين في تيمور، ابان احتلال اليابان لها خلال الحرب العالمية الثانية، وفقد سكان تيمور حوالي اربعين الفاً من الارواح من اجل مساعدة مائتي من الكوماندوز الاستراليين الذين كانوا منعزلين هناك. لذلك وفي مقابل هذه الخدمة فقد دعم الاستراليون عملية الغزو (الاندونيسية) منذ بدايتها. واصبح لهم فيما بعد الحق في الوجود في حرب الخليج، ومن ثم توصلوا الى ابرام اتفاقية مع اندونيسيا لاستغلال النفط من الممر الضيق الواقع ما بين تيمور واستراليا. وكان ذلك يحدث في حين كنا نصرخ حول العراق والكويت، وكان ليبيا قد عقدت صفقة مع العراق والكويت . وعندما اثير هذا السؤال، كان وزير الخارجية يموت من اجل الحصول على جائزة نوبل للسلام لقاء توسطه في مسألة كمبوديا . وقال بأن العالم مليئاً بالامثلة التي تثبت امتلاك الاراضي او المناطق بواسطة القوة. وكان يشير بذلك الى اقليم تيمور. واذا ما تعلق الامر بالعراق والكويت، فبالطبع فاننا سنقف ونقول بأن الكويت دولة صغيرة ولا يجب ابتلاعها، الخ. الا ان ذلك لا ينطبق على اقليم تيمور انها حقاً مأساة وحشية. اذ انه لم يكن هناك سوى القليل من الاهتمام او ردة الفعل حول المجازر التي ارتكبت هناك. فاندونيسيا هي دولة غنية وقوية، فتحت نفسها على الغرب واستغلاله، بعدما تولى سوهارتو زمام السلطة هناك. الا انه كما صورته مجلة الايكونوميست البريطانية، فهو معتدل ولطيف، وشخص جيد بشكل رئيس، واذا ما اراد ان يحتل بلداً او اقليماً اخراً ويبيد سكانه، فان ذلك ليس من شأننا.

وماذا عن غرينادا ؟ كانت غرينادا ماضية لتكون حرة طليقة. وكان ذلك هو الشيء الوحيد الذي قد نجح فعلياً هناك. واصبحت واحدة من الدول التي تحتوي على اكثر كمية من اموال تهريب المخدرات، فلا توجد فيها قيود قانونية مفروضة على البنوك هناك، فكل شيء مفتوح وميسر. لذلك فقد اصبحت مركزاً للانشطة الاجرامية التي تنفذ من قبل البنوك الرئيسية هناك. وربما اصبحت مركزاً دولياً لتجارة المخدرات، وتفشت فيها البطالة، ولا يوجد فيها أي نوع من التطور والنمو. مع وجود نشاط سياحي ضئيل، وذلك بسبب شاطئها الجميل، الا انه قد أُهمل عمداً.

اما بنما، فانها كانت تقع بأيدي عشرة بالمئة فقط من الاوروبيون من مجموع السكان، وهم الذين كانوا يشكلون النخبة الثرية ويديرون البلاد قبل نشوء حكم

توريجوس العسكري الديكتاتوري، والذي فرضته الولايات المتحدة. وتراجعت اعمال البنوك التجارية، في حين نشطت تجارة المخدرات واموالها. وارتفع معدل البطالة فيها.

وبالنسبة لنيكاراغوا، فانها تعتبر مسألة مرعبة جداً. فربما تعتبر نيكاراغوا من افقر الدول، افقر من هندوراس. ومن المحتمل ان تكون من افقر البلدان في نصف القارة الاميركية الجنوبية وربما تأتي بعد هاييتي. ويمكننا ان نسرد قائمة بهذا الصدد. وفي كل انتصار للسياسة الخارجية يعتبر كارثة تماماً من وجهة نظر السكان هناك. لكن ذلك لا يهم، لانه يكون فقط انتصاراً على الصفاحات الاولى للصحف الاميركية لكي تخدم مصلحتها. وهذه المصلحة هي مزدوجة فعلياً. الاولاً، هو التأكد من ان العالم مسيطر عليه. وثانياً، للتأكد من ان الشعب الاميركي لا يعير انتباهاً لما يشار اليه من البداية، ومن حقيقة ان هناك دولة تنهار بالقرب منه. فهم لا يريدون للشعب الاميركي ان يلفت انتباهه الى ذلك، لذلك فهم بحاجة لتحقيق انتصارات. وهم بالتأكيد لا يمكنهم تحقيق انتصارات داخلية. لذلك فان عليهم تحقيق انتصارات. وهم بالتاكيد لا يمكنهم تحقيق انتصارات داخلية. لذلك فان عليهم تحقيق انتصارات في السياسة الخارجية. وذلك ما هم بحاجة اليه من دعم ومساندة الصحافة لهم، والى رجال الفكر من اجل تحويل هذه الكوارث والنكبات الى انتصارات للسياسة الخارجية. فلولاً عليك ان ترعب الشعب حول وجود عدو خارجي، ومن ثم تقف في خشوع امام زعيمك الفاتح العظيم، الذي انقذك في احلك الأوقات. لقد قمنا او نقوم بذلك في كل سنتين. ونحن نقوم بذلك حالياً، في ليبيا.

■ **سؤال : ماذا تعرف عن الوضع في منطقة باباو الغربية (اريان جايا) ؟**

جواب : انها قصة مرعبة ايضاً، ولا يوجد لدينا الكثير من المعلومات عنها. فلقد سلمت لاندونيسيا تقريباً. وكانت تعتبر جزءاً من الامبراطورية الهولندية، ولكن على العكس من تيمور الشرقية، التي لم تكن كذلك، فان السكان في اريان جايا ارادوا نيل الاستقلال، بالطبع. فهناك حوالي مليون من السكان تقريباً، معظمهم من القبائل، اي انهم السكان المحليين. وقد عقدت صفقة ابان ادارة الرئيس كنيدي مع الرئيس الاندونيسي السابق سوكارنو، قبل ان يتسلم سوهارتو السلطة. وفي عام ١٩٦٩، جرت عملية نقل لاقليم اريان جايا وذلك بتفويض من المجتمع الدولي، الى نظام يمارس عمليات الابادة

الجماعية، والذي كان ينوي تدمير هذا الاقليم. بل لن الغرب اراد ذلك، لانه توجد مصادر طبيعية هناك. وستكون هناك طريقة لتنمية وتطوير هذه المصادر اذا ما سلمت تلك المنطقة لاندونيسيا، لانهم ارادوا نهبها ومساعدة الغرب على نهبها ايضاً. لذلك فقد تحركوا اليها، وجرت هناك عمليات كبيرة من القتل والقمع، ووضعت خطط من اجل الهجرة الجماعية، التي انخرطت فيها عدة دول ومن ضمنها كندا. فقد وصفوا هذه العملية على انها جزء من جهود انسانية، في غضون ذلك، جرت عملية ابادة للسكان المحليين، ويمكنك ان تخمن ماذا جرى، ولم يعرف اي واحد ماذا جرى هناك بالضبط، وقدر عدد القتلى بنحو (٣٠٠) الف قتيل. وقد استخدمت الاسلحة الكيماوية ضدهم على ما يبدو. اذ ظهر ذلك في نشرة لجمعية مكافحة الرق في لندن، كما اكدت ذلك دراستان اجراها الاستراليون بهذا الصدد. والف العالم الانساني جورج مونبيوت، الذي ذهب الى هناك وتجول في المنطقة، كتاباً مهماً حول ذلك.

انها عملية تدمير لمجتمع محلي من قبل دولة شبه فاشية من العالم الثالث مدعومة بقوة من الغرب، لان اندونيسيا موجهة تجاه السماح لنا باستغلال مواردها. وهكذا فانها قصة وحشية اخرى، لا احد تحدث عنها من قبل.

■ سؤال : لقد تحدثت عن الاحداث الداخلية في الولايات المتحدة، التي تجري بطرق ووسائل مدمرة جداً ومترافقة بالعنف العشوائي الواسع : فهناك عامل بريد يفر مسعوراً في ميشغان، وهناك بالامس طالب يجري مهتاجاً جداً في ايوا، ومنذ اسبوعين كانت هناك مجزرة في تكساس. فهل هناك اي ارتباط بين العنف الاميركي الدولي الرسمي وبين ما يجري داخلياً ؟

جواب : كانت هناك بعض الدراسات حول ذلك، الا انني لم ار اية تفاصيل، لذلك فانني اتردد في التحدث عن ذلك. بيد ان الدراسات تدعي باظهار ارتباط ما بين العنف الدولي والعنف الداخلي. وسواء كان ذلك صحيحاً ام لا، فانني لست متاكداً من ذلك. وهناك ايضاً كثير جداً من العنف الخيالي، وادر مفتاح التلفزيون فحسب لتشاهد وبشكل عشوائي عملية قتل او ان تشاهد امراة وقد قطع راسها. فهناك بعض الاشخاص مثل جورج جيربنر، الذي كان مديراً لمدرسة انينبرغ قام باجراء دراسات حول تاثير العنف

في التلفزيون على الاطفال. فتوصل الى ان الاطفال يشاهدون معظم اعمال العنف على شاشة التلفزيون، كما يشاهدون بصورة مستمرة عمليات القتل، فالطفل قد يشاهد عشرات عمليات القتل اسبوعياً، او ربما في يوم واحد. اما العنف الدولي فانه يضاف الى الاحساس بانك تقتل. وهكذا تسير الحياة العادية. وما هو المحيط هناك ؟ ففي مركز او قلب مدينة بوستن، على سبيل المثال، فانها قد اصبحت قضية شرف بالنسبة للمراهقين بان يصابوا برصاصة ما، على غرار ما كان يجري في المبارزات الارستقراطية الالمانية قديماً. فاذا لم تصب برصاصة حقيقية فانك لن تكون رجلاً حقيقياً. فهناك اطفال في الثانية عشر من عمرهم يأتون الى المدرسة وهم يحملون السلاح. فذلك هو البعبع الفكري.

■ سؤال : لقد كنت مهتماً بملاحظة انك كنت تتحدث فعلياً عن تورط الحكومة في عمليات المخدرات في احياء الجيتو (الاحياء الفقيرة). فما هو قولك ؟

جواب : لقد قلت بانني لن اكون مندهشاً من ذلك. ولا اعرف اي دليل حول ذلك. وهناك بالتأكيد كثير من الناس السود الذين يعتقدون ذلك. وهناك بعض الامور تثير الشكوك بالتأكيد. وقد لعب وباء المخدرات في الستينات دوراً كبيراً في ازالة مجتمعات كانت بدأت بالفعل في تنظيم وتعبئة نفسها من اجل المساهمة في الازمات الديمقراطية التي كانت النخبة الحاكمة قلقة بشأنها.

■ سؤال : انك غالباً ما تسخر من انك تقدم مناقشات عامة ومنذ عدة سنوات لمواضيع من نفس النوع. فما هي الازمات الحالية في الشرق الاوسط غير المصالح الاميركية في النفط ودعم اسرائيل، وتلك هي اسباب كافية، فهل هناك اي شيء تحت السطح لا يمكننا ان نراه ؟

جواب : اعتقد بانها تلك هي الامور الرئيسية التي لا نراها. فدعم اسرائيل لا يمكن ان ننساه، ولكن الطريقة التي تشد بها هذه العلاقة هي عملية السيطرة على الموارد، والطريقة التي تتلائم فيها هذه الامور مع السياسة العامة الاميركية. فلا اعتقد ان احداً قد لاحظ او رأى الكثير من ذلك، وهناك امور اخرى، بالطبع، ولكن اعتقد بان ذلك هو لب الموضوع، وانه ليس سراً كبيراً، وبالعودة الى الاربعينات، فان السعودية اعتبرت بشكل

خاص على انها اهم منطقة من الناحية الاستراتيجية في العالم، كما دعا ذلك ايزنهاور في حينه. ولم يكن ذلك بسبب ان الولايات المتحدة تحب رمال الصحراء.

■ سؤال : في اجابة لك على سؤال قبل اجراء مقابلة (في ١٥ تشرين اول ١٩٩١) فقد عزيت عدم الاهتمام في او عدم الصلة بالفلسطينيين في الولايات المتحدة الى معاداة العرب ومناهضة المسلمين المتطرفين. وكان جوابك الصريح تماماً، قد جعلني غير راضياً بعض الشيء. فهناك كثيراً او عدد جيد من اليهود الاميركيين ينتمون للحركة التقدمية. فهل تعتقد بان ذلك يساهم في التناقض او التشوش بشان الشرق الاوسط ؟

جواب : اه، نعم، فلن اكون راضياً بذلك السبب حتى، ويمكنك مشاهدة انها لا يمكن ان تكون القصة برمتها، لأن مناهضة العنصر العربي لا تمنعنا من محبة أمير الكويت، او العائلة المالكة السعودية. فذلك شيء جيد. وما يجب ان اقوله هو ان مناهضة العنصر العربي هو شيء مستوطن في البلاد، الامر الذي يعتبر غير عادي، ومساهمته تساعد في تسهيل تنفيذ سياسات انكار حقوق الفلسطينيين.

وبالنسبة لوضع الفلسطينيين، فاذا ما كانوا يمتلكون النفط او المال، وكانوا يلعبون نفس اللعبة التي تريدها الولايات المتحدة، واذا ما كانوا يشكلون قوة عسكرية قوية، او كان لديهم مستوى تكنولوجي عسكري عالٍ ويقادون من قبل قطاع طرق، فان مناهضة العرب عندئذ لن تؤثر على موقفنا تجاه الفلسطينيين. بيد ان الفلسطينيين ليس لديهم الاسباب. فهم ليس لديهم الثروة، وحتى على الاقل بالمستوى الذي يهتم به اي واحد. كما انه لا توجد لديهم قوة. بل انهم يشكلون مصدر ازعاج، لأن لديهم قضية وطنية غير محلولة مما تثير العواطف في العالم العربي. فقد اخرجوا من بلادهم واستبدلوا بما ينظر اليه من قبل العرب بغزو اوروبي اخر (اليهود المهاجرون من اوروبا). فكل هذا جعلهم ليس صفراً من حيث القيمة فحسب، وانما سلبيين في القيمة. انهم صفراً من حيث القيمة لانهم لا يساهمون بأي شيء بالنسبة للقوة الاميركية او الثراء الاميركي. وانهم سلبيون في القيمة لأن وطنيتهم الغير مرضية تعتبر قوة لاثارة ما تعتبره الولايات المتحدة قوة ممزقة، اي ما يقصد بالقوى الوطنية او القوى المستقلة في ارجاء العالم

العربي. وبالتالي، فانها عديمة القيمة. وعند ذلك الحد فان معاداة العرب تستمر وتجعل الامر سهلاً لمعاملتهم على انهم عديمي القيمة.

ان عنصرية معاداة العرب ليس بمزحة. فعلى سبيل المثال، افترض ان احد المراسلين الصحفيين في نيويورك قال بأن نصيحته لسوريا كانت بأن عليهم ان يعاملوا اسرائيل بالطريقة ذاتها التي يديرون فيها وادي البقاع في لبنان. فذلك هو الامر، سيطروا على اسرائيل وعاملوها بمثل الطريقة التي تعاملون بها البقاع في لبنان. فاذا ما حدث ذلك فان ذلك المراسل سيصعد ليصل الى منصب كبير المراسلين السياسيين لصحيفة نيويورك تايمز. انني اتحدث عن توماس فريدمان. ولقد قمت بتحليل ذلك كلمة كلمة، وتوصلت الى ان اسرائيل هي التي تسيطر على الضفة الغربية وتديرها كما تدير جنوب لبنان.

■ سؤال : هل هذا يماثل قصة نيكاراغوا مرة ثانية ؟

جواب : لا اعتقد بأن ذلك مماثل تماماً بالنسبة للفلسطينيين.

■ سؤال : على سبيل الافتراض، ما هو التهديد الذي يمكن ان تشكله دولة فلسطينية ضئيلة في مواجهة القوة الاميركية ؟

جـــواب : التهديد هو ان على اسرائيل الانسحاب، فهناك بعض المشاكل بالنسبة للانسحاب الاسرائيلي. فاسرائيل تعتبر عنصراً مركزياً في نظام القوة الاميركية هناك. فاذا ما انسحبت اسرائيل، فانها يمكن ان تندمج في المنطقة كجزء تكنولوجي متقدم دون شك، الا انها لن تكون كمثل سبارطة اسرائيلية. وهي ستمضي في الدخول بتسويات سلمية لكي تحصل على اشياء مثل مياه الشرب مثلاً. ودع المياه جانباً. فكل شيء يعتبر سرياً، عبارة عن مواد مصنفة، لذلك فلا احد يعرف التفاصيل حقيقة. ولكن من المحتمل ان اسرائيل تستخدم شيئاً ما لكي تحصل على ثمانين بالمئة من مياه الضفة الغربية. اذ انها تعتمد عليها. لان مصادرها المائية محدودة. وهناك بدائل ممكن تصورها، وقد تعقد صفقة مع تركيا، او ربما تسرق المياه من نهر الليطاني في لبنان. كما يمكنك تخيل احتمالات اخرى، الا انها محصورة. اذن فالسيطرة على مياه الضفة الغربية مهم جداً.

ونفس الامر ينطبق على مرتفعات الجولان. فمرتفعات الجولان تعتبر مصدراً رئيسياً للمياه، فمنه تنحدر ينابيع نهر الاردن. وبذلك فان جزءاً رئيسياً، وربما تكون ربع

مياه اسرائيل تأتي من ذلك الجزء المحتل من الاراضي العربية المحتلة. وهذا ما يفسر ذلك الاهتياج الكبير الذي يثار حول مرتفعات الجولان، والذي يعود لعام ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩. وتقع على قمة تلك الامور بما يدعى بمسألة القدس، والتي تشمل الآن منطقة كبيرة ممتدة، تحتل مساحة رئيسية كبيرة من الضفة الغربية. والمناطق المحيطة بها تعتبر من الاحياء الجميلة حتى تل ابيب. حيث توجد المناظر الجميلة ذات الطبيعة الخلابة. لذلك فانهم لن يتخلوا عن ذلك لغاية ما يجبروا عليه.

والولايات المتحدة لا تريدهم ان يتخلوا عن هذه المناطق، لأن اسرائيل لا تلعب دوراً في التخطيط الاميركي. لذلك فان لديهم حقوق الانسان، لانهم يمتلكون السلاح والتكنولوجيا ويعرفون كيف يحاربوا ويساعدوا في المسائل الاستخبارية. وانهم يقومون بانواع من الامور القيمة، لذلك فان لهم حقوقاً. كما ان الولايات المتحدة لا تريدهم ان يفقدوا تلك القوة. وهكذا فانها ليست الدولة الفلسطينية هي التي ستضر بالمصالح الامريكية. انها ليست مثل نيكاراغوا اذن. وانه ليس الخطر الذي يمكن ان يتبع ويثير القوى الوطنية الاخرى في المنطقة التي تريد اثبات نجاحها. فلا اعتقد بأن ذلك يشكل تهديداً. فالتهديد هو ببساطة الذي سيلزم الانسحاب الاسرائيلي.

■ **سؤال : اذن فانت ما زلت مؤيداً للنظرية الاستراتيجية من ان اسرائيل تمثل دور الشرطي الاميركي في المنطقة ؟**

جـــــواب : انها واحدة منهم، كما كانت دوماً، او ان ذلك يعود بالتأكيد الى أوائل الستينات. وكان هذا المصطلح مستخدماً قبل عشر او خمسة عشرة عاماً فقط الا انه منذ مطلع الستينات، فان اسرائيل استخدمت كقاعدة للقوة الاميركية. ومن المحتمل ان اكثر فترة أهمية كانت حقبة الستينات، عندما كانت تعتبر مصر الناصرية، وهذا صحيح ايضاً، كقوة مستقلة في العالم العربي وفي كافة ارجاء العالم العربي في الحقيقة. وكانت تلك فترة نشأت فيها حركة عدم الانحياز، وكان ناصر يعتبر زعيماً قومياً. وكان ينادي بما اطلق عليه اسم «القومية العربية الراديكالية»، وبالقومية العربية المناهضة للغرب، وبالقومية العربية المعادية للاقطاع. ونشأت هناك بما عرف بحرب التفاويض، ما بين السعودية من جهة، التي كانت تدافع عن المصالح الاميركية، وبين مصر الناصرية واليمن من جهة اخرى، في تلك السنوات. وكانت اسرائيل تعتبر عائقاً امام الضغوطات

الناصرية ضد السعودية . بل ان المخابرات الاميركية اعترفت بالعائق الاسرائيلي امام الضغوطات الناصرية.

■ سؤال : هل كان هناك تحالف ايراني-سعودي - اسرائيلي ثلاثي ؟

جــــواب : لقد دعي ذلك في القاموس الاميركي باسم «سياسة العمودين» ايران والسعودية. الا انه وبسبب ان اسرائيل تعتبر «بقرة مقدسة» فانه لا يسمح لك بالتحدث عنها. اما في الحقيقة، فقد كانت هناك ثلاثة اعمدة، ايران، السعودية، اسرائيل. ومن الناحية الفنية، فقد كانت السعودية في حالة حرب مع كل من اسرائيل وايران. وقد احتلت ايران بعض الجزر في الخليج وحدث هناك اهتياج جراء ذلك. وهذا الوضع كان مفهوماً جيداً. ولا يعتبر هذا سراً كبيراً.

- ديفيد بارساميان : انني اعرف ما حدث في الستينات والسبعينات وافكر اكثر حول فترة ما بعد انهيار الاتحاد السوفياتي والحرب العراقية.

- نعوم تشومسكي : لم يكن لدى الاتحاد السوفياتي شيئاً ليفعله بهذا الصدد. انه كان كالسمك أحمر. فلا تنس، انه ولمدة سبعين عاماً، وفي كل مرة كنا نريد فيها غزو بلد ما، كنا نحسب حساباً للاتحاد السوفياتي. ولم يكن ذلك صحيحاً تقريباً. فانه من الصحيح بأن مهاجمة الاهداف الاميركية عنت الحصول على دعم سوفياتي، ولكن ذلك بخصوص الحقيقة المحدودة لتلك الرواية. وبعيداً عن ذلك، فان التهديد السوفياتي كان عبارة عن اداة لتعبئة الدعم من اجل التدخل في العالم الثالث. وبامكانك ان ترى ذلك بوضوح، فبعد سقوط جدار برلين، فلا يمكنك حتى ان تتظاهر بوجود أي نوع من التهديد السوفياتي. فعندما غزت الولايات المتحدة بنما، اين كان الاتحاد السوفياتي ؟ ومن العجيب ايضاً ان البيت الأبيض كان يتقدم سنوياً من الكونغرس بتخصيص موازنة عسكرية ضخمة واكبر من سابقاتها، من اجل هذا الغرض. الا ان الموازنة التي جاءت في آذار عام ١٩٩٠، وحتى بعد سقوط جدار برلين، اذ انه لم يعد هناك تهديد سوفياتي يمكن التظاهر به، كانت تلك موازنة مثيرة للدهشة. واختلفت تلك الموازنة عن سابقاتها، لان في تلك المرة فان سبب الحاجة لموازنة عسكرية اكبر والمزيد من الصواريخ، كان بسبب ازدياد التقدم التكنولوجي لدول العالم الثالث، وخصوصاً في الشرق الاوسط

وكان هذا قبل الاحتلال العراقي للكويت، اذ انهم لم يكن بامكانهم ان يقولوا شيئاً يهدد مصالحنا من قبل الكرملين.

والآن يمكننا ان نسلم بذلك، اذ انه من غير المفيد طويلاً بأن نضع باللائمة على ابواب الكرملين، فيمكننا ان نسلم بانه لم يعد هناك خطراً سوفيتياً. وفي الحقيقة، فان التهديد كان دوماً الشيء ذاته في اي مكان بالضبط وهو ما اطلقوا عليه عبارة القومية الراديكالية المستقلة، وبمعنى آخر، المجال الذي يقصد منه الدعم من قبل الروس، واذا ما كان هدفاً معرضاً لهجوم اميركي.

■ سؤال : لقد دعوت هذا «بمشكلة الذريعة المتلاشية» اليس كذلك ؟

جواب : لقد تحدثت عن هذا لعدة سنوات. فمن وجهة نظري، فان الحرب البارِدة كانت بصورة رئيسية عبارة عن مواجهة شمال مع جنوب، مع وجود جزء كبير وقوي من الجنوب قد عاد الآن الى وضعه الحقيقي كالبرازيل.

■ سؤال : دعني افهم شيئاً اكثر عن اسرائيل فيما يتعلق بدورها القيام بشرطي محلي. فلماذا لم تدعو «قيادة الشرطة» في واشنطن (الادارة الاميركية) وتقول، تدخلي يا اسرائيل وهاجمي العراق؟

جواب : لم يكن من الممكن القيام بذلك. فقد كانت هناك خدعة تجري. فقد كان عليها ان تشكل دولاً من التحالف العربي. وكان معظم العالم العربي يعارض الهجوم على العراق، وقامت المظاهرات المؤيدة له من المغرب وحتى اندونيسيا.

لذلك فقد كان من الصعب ان تتدخل اسرائيل وتهاجم العراق. وكان من الضرورة القصوى بأن تحيد اسرائيل.

علاوة على ذلك، فلم يكن هنالك شيء تقوم به اسرائيل مع وجود القوة الاميركية الساحقة. فاسرائيل تعتبر قوة اقليمية فحسب، ولكن عندما تكون الولايات المتحدة متواجدة هناك، فلا دور لاسرائيل يمكن ان تلعبه.

■ سؤال : ان «بوستن غلوب» هي من احدى صحفك المحببة، اذ انها تقول ان الشرق الاوسط هو «منطقة مليئة بخطط السلام الاميركية». فكامب ديفيد تُعتبر واحدة منها، وهو غالباً ما يشار اليه على انه

الانموذج والمثال لاجراء مفاوضات في الشرق الاوسط فانتوني لويس قد كتب عن ذلك الى حد التقزز. ويمكنك ان تلخص العملية (كامب ديفيد) على انها في المقام الاول كانت لاخراج مصر من قضية النزاع هناك مع ما ترتب عليه من نتائج في الاراضي المحتلة وعدم مقدرة لبنان على ردع القوة الاسرائيلية. وقد اصبح يتردد، من ان الفلسطينيين قد منحوا الآن ما قد منحوا سابقاً في كامب ديفيد. وحسب علمي فانهم حتى لم يكونوا ممثلين في كامب ديفيد. فما هو تعليقك ؟

جواب : انهم حتى لم يمثلوا الآن، وهذا ليس غير صحيح. فدعني اعود الى بيان ظهر في افتتاحية «بوستن غلوب» حول خطط ومبادرات السلام الاميركية فذلك صحيح، الا انه صحيح بالتعريف. وانها ليست الحقيقة، انها دائما عبارة عن درجة من المنطق فحسب. والسبب ان خطط ومبادرات السلام لم تكن اميركية . ففي الحقيقة، فان الشرق الاوسط الذي يفيض بكافة انواع خطط السلام، فانها كلها اعيقت من قبل الولايات المتحدة، حتى انها ليست جزءاً من تلك الخطط وكانت هناك سلسلة من خطط السلام الاميركية، ذلك انها، عبارة عن جهود تتضمن ترتيبات اميركية مفضلة بالنسبة للمنطقة. وانه ليس سراً من انها كانت كذلك. وذلك لا يعني شيئاً بالنسبة للفلسطينيين، ولا يوجد اشتراك دولي، وانما ما هي الا عبارة عن اشتقاق وامتداد لمبدأ مونرو للشرق الاوسط لفرض ترتيبات معينة بين دول المنطقة المختلفة، ومن ضمنها اسرائيل وتركيا. فاذا ما تمكنت من ايجاد ترتيب ما واعلنته رسمياً، فان ذلك يمكن ان يدعى «سلاما» من وجهة النظر الاميركية واي شيء بخلاف ذلك فلنه لا يعتبر سلاماً.

■ سؤال : ان لسابرا شاتراند مقالاً نشر في صحيفة نيويورك تايمز حول هذا الموضوع، فما هو قولك ؟

جواب : انها لم تفهم وتستوعب الامر. وانما اعتمدت على المعلومات الاعلامية. وهذا يتعلق بموضوع الحكم الذاتي. واذا ما اردت معرفة هذه الامور، فعليك قراءة مواداً مثل مقالات افنير يانيف، وهو محلل استراتيجي اسرائيلي رئيس، او مقالات وليام كوانت، وهو معلق امريكي من شبكة ان. اس. سي الذي اشترك في المفاوضات. وهم ادركوا النتائج التي كانت واضحة. فالفلسطينيون قد منحوا الحكم الذاتي، والاشخاص الذين

يقولون بانه نفس الحكم الذاتي الذي قدم لهم الآن فهو امر صحيح. وانت قلت بانهم لم يكونوا ممثلين (في المفاوضات) فذلك امر صحيح ايضاً. بل انهم ليسوا ممثلين حالياً ايضاً. فهناك اناس معينون فقط، سمحت لهم كل من الولايات المتحدة واسرائيل بأن يشتركوا في مفاوضات الحكم الذاتي، واذا ما ارادوا توقيع (معاهدة الاستسلام) معنا، فهذا امر جيد. فذلك ما يعني بالتمثيل. ومفاوضات الحكم الذاتي تعني نفس الشيء. فهذا ما ارادته كل من الولايات المتحدة واسرائيل على الدوام. فذلك ما كان بيغن يقبل به. فالحكم الذاتي يعني الكثير مما هم يريدونه وما ارادوه، اي ان تخدم مصالحهم الذاتية. فلا يمكنك وضع سنتاً واحداً من اجل التعليم او الرفاه الاجتماعي أو أي شيء آخر. وبامكانك ان تدير كل تلك الامور بنفسك، ونحن سنأخذ كل شيء نريده.

■ سؤال : هل تعني بذلك الضرائب ؟

جـــــواب : انهم سيدفعون الكثير من الضرائب. وسنجني الكثير من المال من جراء الضرائب، الا اننا لن نقدم اية خدمة في المقابل. وقد اشارت الصحافة الاسرائيلية مؤخراً بأن لا احد من الصقور المتشددين الذين يتحدثون عن ارض اسرائيل الكبرى قد تحدثوا ضمنياً من قبل عن الضم. فهناك بعض الاسباب الجيدة لذلك. لأنه اذا ما ضممت الاراضي، فسيكون لديك اناس هناك وعليك ان تطبق القانون الاسرائيلي عليهم. والقانون الاسرائيلي يعامل الفلسطينيين العرب، الذين يعتبرون مواطنون اسرائيليون، بشكل رديء تماماً. ومع ذلك فان عليك الاعتراف بوجودهم. وهذا يعني بأن تقدم لهم الرواتب التقاعدية والخدمات الاجتماعية اذا ما كانوا عاطلين عن العمل. وهذا بالتالي سيفلس الخزينة الاسرائيلية. لذلك فانهم لا يريدون ضم الاراضي المحتلة. وانما هم يريدون فقط التساؤل، كيف يمكن السيطرة والاشراف عليها. ومن احدى هذه الوسائل هو ما يطلق عليه اسم «الحكم الذاتي». وفي الحقيقة، ففي مقال كتبه مؤخراً الصحفي الاسرائيلي داني روبنشتين، وهو صحفي كفؤ، غطى اخبار الضفة الغربية لعدة سنوات، تعرض في مقاله بشكل جيد لموضوع الحكم الذاتي. الا انه لا يؤيد وجود دولة فلسطينية. لكنه قال بأن ذلك الحكم الذاتي يعني نوعاً من الحكم الذاتي كالذي يوجد في معسكرات الاعتقال. ففي معسكر الاعتقال يسمح للسجناء بأن يقوموا باعداد وجبات طعامهم، ويديرون شؤونهم الثقافية اذ يتركهم الحراس يقومون بذلك لوحدهم. فذلك هو ما يعني بالحكم الذاتي. ودعونا لا نضحك على أي واحد بهذا الصدد . وقد يكون

روبنشتين مؤيداً لذلك. بيد انه يقول دعونا لا نخدع اي واحد بهذا الشأن.

وذلك ما ارادته كل من الولايات المتحدة واسرائيل في كامب ديڤيد وهو ايضاً ما تفضله اليوم. فذلك هو نفس الحكم الذاتي بصورة اساسية. وقد جاء في مقال سابرا شاتراند الذي ذكرته، مقابلة فعلية مع سول لنيوتيز، وهو احد المفاوضين الاميركيين، الذي ادعى بأن الفلسطينيين قد خسروا فرصة كبيرة. فهم قد خسروا فرصة للحصول على ذلك، وفيما لو كان يجب عليهم قبول ذلك، فمن يدري ؟ ربما انهم قد طوروا الامر. وربما يجب عليهم ان يقبلوه الآن. فبامكانك ان تحث على ذلك ايضاً. بيد انه دعنا ان لا نبني اوهاماً حول ذلك. فما دامت الولايات المتحدة تدير المسرحية او العرض، ولوحدها او من طرف واحد، فانها ستكون المبادىء هي التي ستسود. فلم يكن هنالك اي شيء فعل لمصلحة الفلسطينيين ومنذ عشرين عاماً.

■ **سؤال : لقد قال ابا ايبان سابقاً «بان على الفلسطينيين ان لا يدعوا اية فرصة تفوتهم». فما هو تعليقك ؟**

جـــواب : ذلك هو خط عنصري اسرائيلي. فانهم لم يفقدوا اية فرصة ليتقدموا بها . فبامكانهم ان يدلوا بتصريحات انتقادية كثيرة حول الفلسطينيين، بل وان يقولوا بأن على الفلسطينيين ان لا يدعوا اية فرصة تفوتهم، فهذا يظهرهم (الاسرائيليون) على انهم عنصريون. فموقفهم مع الولايات المتحدة هو ان تنضم لمبادراتهم وان توقع وتبصم لهم على بياض، وتقول لهم، «حسناً لقد استسلمت» . فذلك ما عناه واراده ابا ايبان . فهو لا يريد حق تقرير المصير للفلسطينيين. ومن الممكن ان يقبله كحل نهائي، اذا ما كانت عملية السيطرة مكلفة جداً لا سرائيل، بل ان موقفه كان دوماً يعكس رأي حزب العمل. فعلى اسرائيل ان تأخذ بصورة اساسية ما تريده وان لا تمارس الاشراف على السكان. فتلك هي الفرصة التي اضاعها الفلسطينيون.

■ **سؤال : في شهر ايلول ١٩٩١، تحدث جورج بوش عن قرض مقداره عشرة بلايين دولار يمنح من اجل توطين المهاجرين السوفييت اليهود في اسرائيل. كما تحدث عن «المصالح السياسية القوية»، ومن ثم قدم نفسه على انه« واحد صغير يقف ضد الف شخص» . فماذا تعني هذه التعليقات او التصريحات ؟**

جـواب : تعني الشعب الامريكي. انه كان يحاول اثارة وتحريك المناهضين للعنصرية اليهودية قليلاً.

■ **سؤال : وهل نجح بذلك ؟**

جواب : نعم، اعتقد ذلك. فقد كان قادراً برمشة عين ان يعبىء اللوبي. وقد شعرت دوماً بأن سلطة اللوبي كان مبالغاً فيها بشكل كبير. فليست تلك الطريقة التي تسير عليها الامور في الولايات المتحدة . فاللوبيات الوحيدة الفعالة بشكل حقيقي في الولايات المتحدة والمستقلة عن اي شيء آخر هي لوبيات العمل والمهن، بل ان لها ممثلين في الحكومة. وتلك ليست هي الطريقة التي تعمل فيها التعددية الاميركية. وهناك لوبيات اخرى فعالة : مثل التي تتعامل مع المسائل التي لا تعير اهتماماً كبيراً لمصالح الدولة المشتركة، مثل لوبي السلاح. فاذا ما كنت مهتماً في المؤسسات المشتركة او في سلطة الدولة فان الامر لا يهم كثيراً اذا ما ذهب الناس باطلاق النار على بعضهم البعض. لذلك فان لوبي السلاح يمكن ان يكون فعالاً. او ان هناك لوبيات مهتمة في اثارة النعرات الشوفينية، ويمكن ان تكون فعالة، او لوبيات مهتمة بقطاعات هامة للسلطة الحقيقية، كما هو الامر بالنسبة للوبي الصهيوني.

فهذا افراط في الامر، من ان هناك تأثير كبير للوبي الصهيوني على الفئات المتعلمة، فمنذ عام ١٩٦٧، فان الفئات المتعلمة في الولايات المتحدة قد اكنت حباً كبيراً لاسرائيل. انهم احبوا فقط من ان يكون بوسعهم سحق شعوب دول العالم الثالث وتحجيمهم. لذلك، فقد كان هناك حباً وفيراً ماضياً، ولكل انواع المبررات والاسباب المعقدة. وهذا عنى بانه كان لديهم صحافة مفضلة جداً ولم يكن لديهم ذلك النوع من النقاشات لهذه المسائل التي توجد في أوروبا، او تلك التي موجودة في اسرائيل ذاتها. فذلك ليس بالامر التافه، وحتى يمكنك ان تقترح بانه كان عاملاً ملتوياً في السلطة او سلطة التنمية وهو امر ممكن. ولكن اذا ما واجهت اللوبي الصهيوني مع بعض السلطة القوية المتحدة نسبياً، فانه سينحل بشكل سريع جداً.

لذلك، فان بوش قد قام، من وجهة نظري، بعمل يثير الاشمئزاز تماماً، فيما يتعلق باثارة مسألة اللاسامية، وهو امر ليس بالصعب، فهو سهل جداً، في الحقيقة. فاذا ما اردت حقيقة ان تثير مسألة اللاسامية، فانه يمكنك ان تفعل ذلك بسهولة. واذا لم يمكنه

ان يحسب نلك فان باستطاعتي ان اقول له نلك. الا انهم يعرفون نلك. بل انه كان امرأ ضئيلاً، شخصاً صغيراً يقف وحيداً ليواجه هذه المصالح القوية، اغنياء اليهود، ونلك كان كافياً لارسالهم لوطنهم. ولاحظ بأن تلك المسألة كانت ضيقة جداً والى حد بعيد : فهل نقدم لهم العشرة بلايين دولار كقرض مكفول اليوم او بعد اربعة اشهر من الآن ؟ فمن وجهة نظر بوش فانه لم يكن بالامر الضيق او المحصور. فلما تريد اسرائيل القرض في شهر ايلول وليس في شهر كانون الأول ؟ لانهم يريدون تقويض مؤتمر مدريد. فهم يعرفون بانه لو قدمت الولايات المتحدة القرض لهم في شهر ايلول، فان نلك سيجعل من الصعب مشاركة الدول العربية في المؤتمر. وهذا السبب نفسه الذي حدا باسرائيل ان تصفق لانقلاب اب الذي وقع في الاتحاد السوفياتي فقد كانوا يأملون بان نلك سيقتل انعقاد مؤتمر مدريد. فالحكومة الاسرائيلية لم ترد انعقاد نلك المؤتمر. الا ان الرئيس بوش اراد انعقاده بحماس، ولذلك فمن زاوية هذه المسألة الفنية الضيقة بالنسبة للفترة التي كان سيقدم فيها القرض لهم، فقد كان راغباً في ان يرسل تحذيراً للوبي الصهيوني، وهو امر ليس بالصعب.

■ **سؤال : اريد التحدث عن وسائل الاعلام. فمن وجهة نظرك، هل اسطورة هذه العلاقة التخاصمية ما بين وسائل الاعلام السلطة المشتركة ما زالت قائمة ؟**

جواب : ان الاسطورة ما زالت قائمة وستظل قائمة. انها قيمة جداً من ان تفقد.

■ **سؤال : وحتى لو كان هناك عدد وافر من الكتب، المتضمنة ... ؟**

جواب : هذه الكتب ليست موجودة. فاذا ما اردت ان تنظر الى ما هو موجود بالفعل، فاني قد حصلت على دراسة وضعت من قبل كلية كنيدي حول وسائل الاعلام في السياسة الخارجية. وكانت الاسئلة المسموح بها ترتكز على : هل وسائل الاعلام عدوانية جداً ؟ وان بيتر آرنيت (الذي ظل في العراق عند بدء الهجوم الجوي عليه) قد اجتاز الخط ؟ فتلك هي المسألة التي اثرتها. بالتأكيد، كانت هناك نشرة خطيرة بهذا الصدد، الا انها لم تكن مدعومة بقوة، لذلك فانها لم تكن موجودة ويمكنك ان تثبت نلك بتأكيد ان وسائل الاعلام هي عبارة عن جهاز دعائي لمصالح مؤسسات الدولة المشتركة، وانها لن تكون مختلفة عن نلك ابداً. فهذا اثبات خاطئ. وهذا كل شيء.

■ سؤال : لقد قلت لي بان هذه النشرة مفيدة فيما يتعلق بتسليح...

جـواب : انها ساعدت في تنظيم الناس. وانها لن تتغلغل في كلية كنيدي. فكيف يمكن ذلك ؟ بل ان ذلك مثل شاهد سلام. فاذا ما اتيت بمعلومات عن اميركا الوسطى، فان ذلك لن يؤثر على العالم الاكاديمي او الصحف، وانما ذلك سيؤثر على جماعات التضامن.

■ سؤال : ماذا يمكن ان تكون استراتيجية وسائل الاعلام الفعالة ؟ فهل تقترح محاولة ادخال المقالات الصحفية والمعلومات في وسائل الاعلام الرئيسة او خلق بدائل مستقلة حقيقية ؟

جـواب : كلاهما، فلا توجد هناك مؤسسة مستقلة عما يحدث في المجتمع الكبير. وبما ان هناك مزيداً من الاهتياج والانفعال في المجتمع الكبير، فانه سيكون هناك مزيداً من الاهتياج في وسائل الاعلام وان الانفتاح سيتطور بشكل لم يسبق له مثيل. إلا انه ستكون هناك حدود لذلك. فاذا ما ذهب الامر لدرجة تهدد السلطة بشكل حقيقي، فسيكون هناك حدوداً لذلك. ولكن يمكنك ان ترفع تلك القيود بصعوبة جداً، وهناك اناس يفعلون او يمكنهم القيام بذلك. وهو شيء جميل جداً بان يفعل. فمزيد من الضغط على وسائل الاعلام سيعطيهم او يمنحهم المزيد من الفرص للقيام بذلك.

وفي الوقت ذاته، فان وسائل الاعلام البديلة تعتبر ناقصة، ولكنها مستقلة، كما دعا ذلك جيف كوهين وآخرون، واعتقد بأن ذلك تعبير صحيح، وهي ليست جزءاً من رابطة الدولة المشتركة (مؤسسات الدولة المشتركة)، ويمكنها ان تمنح الكثير من الفرص. ووجودها لها تأثير على انفتاح وسائل الاعلام. واذا لم تستطع تجاهلها فانها ستصبح منافسة. كما انها ايضاً ستمنح خيارات، وتساهم في العملية الديمقراطية في البلاد، وهو امر جيد على الدوام.

ديفيد بارساميان : هناك تيار تحتي او خفي لنظريات تامرية تسري على الارض، واعرف بانك قد سئلت عنها، وهي تمتد من قتل جون كنيدي الى الفضائح المصرفية، الخ . وان المروجين لبعض هذه النظريات هم اشخاص مثل كريج هوليت، بو جريتز، فليتشر بروتي، داف ايميري ومعهد كريستيك وغيرهم. وان شيب بيرليت و سارة ديموند لديهما قضايا موثقة تثبت ان

الجماعات التقدمة ومحطات الاذاعة قد عززت فعلياً بعض هذه المعلومات. فما هو رايك بمثل هذه النظريات التامرية انها تعتبر من الصناعات من الصناعات الحقيقية حالياً ؟

نعوم تشومسكي : انها ليست خفيفة او صغيرة. بل انها كبيرة ومنذ وقت طويل، وانها تستنزف أموالاً طائلة من الحركات اليسارية. وهنالك الكثير يمكن التحدث عنه بشأنها. والتحدث عن ذلك يعتبر امراً خطيراً جداً. فانطباعاتي بعد جولة في البلاد خلصت الى انها بلاد مذعورة جداً. وهذا ينطبق على معظم المناطق الرجعية او المتخلفة ومعظم المناطق المتحررة. ففي كل مكان ذهبت اليه، وقد ذهبت الى شتى اجزاء البلاد، وكان كل واحد مذعوراً. فكل واحد يعتقد بأن شخص ما يفعل شيئاً ما ضده، ولا يعرف من هو بالضبط كما انهم لا يفهمون لماذا هم في مثل هذه الحالة السيئة. فدولتنا في وضع جيد، وغنية وثرية، لذا، فلما نحن فقراء اذن؟ وهناك اعتقاد بأن احد ما يفعل شيئاً ما ضدنا. وان الناس كمن هم مذعورين من عدو خارجي، كما لو انهم مذعورين من غرباء قادمون من العالم الخارجي او من هنود حمر يهاجمون العربات. فهناك احساس بأن احد ما قد اخذ شيئاً ما منا هو من حقنا، او سلبنا شيئاً ما هو حق لنا. وان الاعداء يحيطون بنا.

وهناك الشيء الضئيل في طريقة التحليلات السياسية الجادة، مثل تحليلات المصادر المؤسساتية الواضحة للسياسة واتخاذ القرارات. وذلك خارج نطاق جدول الاعمال. فالناس هم سلبيون جداً. فهم لا يؤمنون بأي شيء. واذا ما اتيت بحديث ما وقلت بأن جورج بوش هو من عالم خارجي او من الفضاء الخارجي، وانه يشرب دماء الاطفال او شيء من هذا القبيل، فان من المحتمل ان يقول الناس، ولم لا ؟ فذلك يبدو معقولاً. ففي مثل هذه الحالة فان نفسية الناس تكون مفتوحة ومتقبلة لكل شيء امام الترف، والمؤامرات المفترضة. فلا يمكنك ان تفهم ما يحدث حقيقة، لان ذلك خارج عن نطاق البرنامج. فتحدث امور غير سارة. ولا تفهم لماذا هي تحدث. فانت اذن لا تستحق ذلك النوع من العناية . لذلك فانه مع مثل هذا الوضع فانه من السهل جداً القول بأنه توجد هناك قوة خفية خارجية قد سلبت منا بلادنا الجميلة.

تواريخ الانشقاق

تقـديم

البحث عن الحقيقة

ذهب تشومسكي الى طبيب الأسنان، الذي قام بدوره بفحص وتدقيق أسنانه، فلاحظ أن المريض كان يصرّ على أسنانه. وبعد استعلامه من السيدة تشومسكي عن سبب ذلك، كشفت للطبيب بأن الصرّ على الأسنان لا يتم أثناء ساعات نوم تشومسكي. فمتى يحدث ذلك إذن؟ وأخيراً توصلا الى أن ذلك يحدث كل صباح، عندما كان تشومسكي يقرأ صحيفة «نيويورك تايمز»، فيصك على فكيه لاشعورياً عند كل صفحة يطالعها. فسألت تشومسكي لماذا يحدث ذلك، مع تقديم دليل وخبرة طويلة، من أن الصحافة المشتركة، وبشكل خاص صحيفة «نيويورك تايمز»، لا تنحرف عن الحقيقة. فلا بد أن الأمر اختلف حتى جعل تشومسكي يفعل ذلك. وتنهد تشومسكي، وعزم على عدم الاستمرار في قراءة الصحيفة لكي لا يرتج في كل صباح من جراء الغضب والانفعال لانحراف الصحيفة عن الحقيقة.

ويعرف تشومسكي مكان الجرح أو الخلل، فهو لم يتصور أنه في يوم من الأيام سيكتب مقالة نقدية تنتج عنها ردة فعل قوية، مما يدفع صاحب «النيويورك تايمز» بأن يدرك فجأة مدى خطأ التعليمات والأوامر التي كان يصدرها لموظفيه في الصحيفة فيما يتعلق بحقيقة الأخبار. بيد أنه يؤمن أيضاً في قوة العقل، للاستدلال على الحقيقة بعناية. فهنا يكمن سبب الصرّ على الأسنان. «لا أعرف لماذا يستمرون في نفاقهم»، قال لي ذلك على الهاتف في يوم آخر، وهو يتحدث بنوع من الاستغراب العنيف، عندما كنا نناقش بحنق مسألة «التطهير العرقي» في البوسنة، والذي أثار أيضاً أصوات يهود أميركيين، من الذين قضوا حياتهم وهم يكتمون بهدوء مسألة التطهير العرقي الذي بدأ في اسرائيل في عام ١٩٤٨.

من المقدمة



المملكة الأردنية الهاشمية - عمان / وسط البلد
خلف مطعم القدس / ص.ب ٧٧٧٢ - هاتف ٦٣٨٦٨٨
فاكس ٦٥٧٤٤٥ ♦ منشوراتنا في العام ١٩٩٧ م
♦ الغلاف : زهير أبو شايب.